السيد عبد الحسين دستغيب



التوحيد

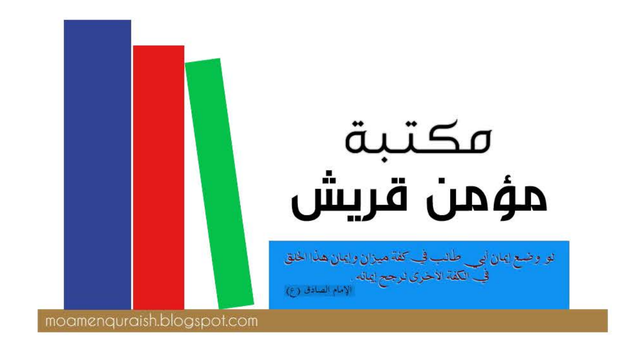
في

العدل



الدار الإسلامية

التَّوْحِيد



الطبعة الأولى منقحة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠
تلكس ٢٣٢١٢ - غدير

سلسلة أصول الدين
(١)

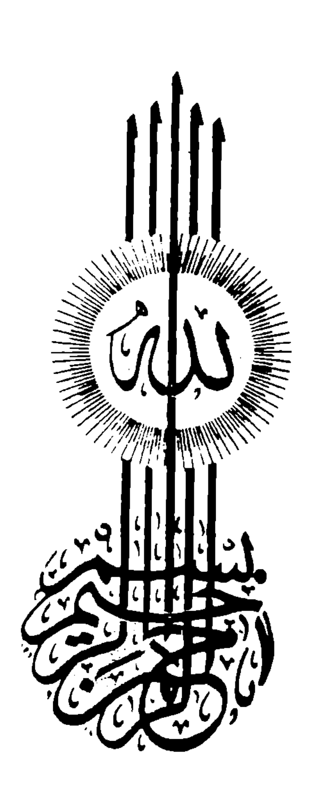


التوحيد

شهيد المحراب
آية الله عبد الحسين دستغيب

ترجمة
السيد احمد القبانچي

الدار الاسلامية


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

الى والدي الذي تعب منه البلاء .

الى والدتي التي اذابت بصبرها جبال المحنة .

اليكم يا اخوتي الشهداء الأوفياء بما عاهدوا الله عليه .

إليك يا شهيد المحراب ومعلم الاخلاق آية الله السيد دستغيب .

اهدي ثواب هذا الكتاب

المترجم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد تفضل علي أخي وقرة عيني وباقي إخوتي الشهداء السيد أحمد القبانجي بطلب التقديم لهذه الترجمة . .

والحقيقة أني لم أرض لنفسي أن أضعها في موضع هي أقل منه بكثير ، فالتقديم لمثل هذا الكتاب أمر يناط بالعلماء الصالحين ، والأساتذة القديرين . . . وعلى ذلك فإني مسؤول عن تقديم عذري ، أولاً ان عملي هذا انما هو استجابة لطلب ملح كنت اخشى ان يكون فيه رده شيئاً من عدم الوفاء وعدم التقدير للجهد المشكور الموفق الذي بذله اخي في هذه الترجمة . .

وأجعل عذري ثانياً أن التقديم لكتاب لا يعني دوماً الإضافة على

أصل الكتاب أو الحكم عليه من أعلى ، إنما أفترض نفسي - كما ارجو - واحداً من اولئك الذين تلمذوا على دروس هذا المعلم العظيم والمربي الكبير مدة انشغالي بترجمة كتابه (الذنوب الكبيرة) ، وعلى ذلك فإني اكتب هذا التقديم بوصفي متعلماً بنقل بعض تصوراته .

مناهج الدراسة العقائدية :

ان مطالعة للكتب العقائدية - سواء القديمة والحديثة - ومنهجها الدراسي يلفتنا إلى تعدد المناهج والاساليب في بحث العقيدة الإسلامية ، وحيث كنت أجد أن مؤلف هذا الكتاب (الشهيد آية الله دستغيب) قد تفرد بمنهج خاص أحببت الوقوف عند هذه النقطة بالذات أعني (المنهج) .

هناك ثلاثة مناهج للدراسة العقائدية .

١ - المنهج النظري :

هذا المنهج في دراسة العقيدة الإسلامية هو المنهج الذي ألفناه في عموم الدراسات الفلسفية للعقيدة ، والذي يهتم بالتركيز على الجانب النظري والفلسفي مثبتاً بالبراهين الفلسفية والنظرية صحة المعتقدات الاسلامية ومفنداً لجميع الشبهات والاشكالات التي تورد عليها . ان جميع كتب الفلاسفة والمتكلمين القدامى في دراسة العقيدة تدخل في هذا المنهج ، كما يدخل في هذا المنهج ايضاً بعض الدراسات الفلسفية الحديثة للعقيدة مثل كتاب (فلسفتنا) للسيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه ، ان هذا المنهج يتعامل مع الفكر والمنطق وبلغة الفكر والمنطق ايضاً والمهم لديه أن يقيم البرهان الصحيح من الناحية الفلسفية والمنطقية على صحة العقيدة

الإسلامية ، اما ما وراء الفكر وما بعده فهي مسألة ثانية يستعرض لها هذا المنهج .

٢ ـ المنهج الحضاري :

هذا المنهج هو الذي يهتم بعرض العقيدة الإسلامية لا باعتبارها مقولات فلسفية مجردة وانما باعتبارها اصولاً لحضارة كاملة تهتم بالانسان في جوانبه الحياتية كافة ، فهذا المنهج يتناول الأبعاد العملية للتوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد ، كما يتناول الانسان وموقعه في هذا الكون ، وعلاقته مع الطبيعة ، ودوره في عملية التغيير الاجتماعي .

يتناول كل هذه المسائل مقارنة بالحضارة الغربية والشرقية الحديثة . إن افضل نموذج لهذا المنهج هو كتابات الشهيد مطهري رضوان الله عليه في (النظرة الإسلامية للعالم) فهو يقدم دراسة للعقيدة الإسلامية في سائر جوانبها مقارنة بالحضارة الحديثة .

٣ ـ المنهج التربوي :

يهتم هذا المنهج بعرض العقيدة الإسلامية عرضاً تربوياً مؤثراً بهدف احداث تغيير روحي في السامع والقارىء اكثر مما هو بهدف البرهنة العلمية على صحة المعتقد الإسلامي أو كمال الحضارة الإسلامية وجدارتها .

والحقيقة ان هذا المنهج هو المنهج القرآني في عرض العقيدة الإسلامية كما انه المنهج المأثور في أحاديث أئمتنا عليهم السلام .

ولعل آية الله الشهيد دستغيب هو أفضل من سلك هذا المنهج في

الدراسات المعاصرة للعقيدة الإسلامية بل يمكن اعتباره مؤسساً لهذا المنهج في الدراسات العقائدية .

ويعتمد هذا المنهج على حقيقة ان العقيدة الإسلامية ليست نظريات مجردة ، ولا اطروحات حضارية فحسب انما هي مضافاً إلى ذلك تربية اخلاقية خالصة للعباد في طريقة تعاملهم مع الخالق ومع المخلوقين . ومن هنا قال العلماء بأن التوحيد هو توحيد عملي :

« ان جميع العلوم عملية حتى علم التوحيد ، فله أيضاً أعمال قلبية وقالبية ، ان التوحيد هو من باب التفعيل وهو عبارة عن اعادة الكثرة الى الوحدة ، وهذا من الاعمال الروحية والقلبية . . »[1] .

الحاجة الى المنهج التربوي :

لا شك اننا بحاجة الى المناهج الثلاثة السابقة ، ولا شك أن العالم أولى من غيره باستيعاب الجوانب المختلفة للعقيدة الاسلامية فلسفياً ، وحضارياً ، وتربوياً .

الا انني اعتقد بفقرنا البالغ الى دراسة تربوية للعقيدة الاسلامية ، وحاجة جمهور المسلمين الى ذلك .

لقد استطاعت الفلسفة الإسلامية أن تتفوق على الفلسفات الاخرى المادية والمثالية ، والمسلم اليوم يعيش ثقة عالية بعقيدته في مجال قوة البرهان الذي تملكه ، وقد حقق كتاب (فلسفتنا) وبعده (الاسس المنطقية في الاستقراء) لنابغة دهره الشهيد الصدر إنجازاً كبيراً في هذا المجال ، كما

---

(١) الإمام الخميني (دام ظله) الاداب المعنوية للصلاة ٣٠٥ .

حققت كتابات فيلسوف الإسلام السيد محمد حسين الطباطبائي إنجازاً مثل ذلك .

اذن فنحن من الزاوية الفلسفية والنظرية لا نواجه مشكلة .

كما اننا من زاوية الطرح الحضاري للعقيدة الإسلامية ايضاً لا نعاني مشكلة . خصوصاً بعد أن نجح الإسلام في تحقيق أعظم ثورة معاصرة ليس في حدود الجمهورية الإسلامية في إيران وانما هي ثورة ما تزال في أول الطريق . .

ان المسلم اليوم اقرب الى الثقة بقوة حضارته الاسلامية ، بل أن غير المسلمين اصبحوا يتطلعون إلى هذه الحضارة المنقذة .

أما نقطة الفراغ التي يعاني منها المسلمون اليوم فهي الجانب الروحي والتربوي ، فالمفاهيم الاسلامية ربما تكون واضحة لدى الجميع الا أن ما ينقصهم هو تحكيم تلك المفاهيم في سلوكهم الحياتي .

ان (التوحيد) لا يختلف فيه اثنان من المسلمين لكننا نجد القرآن الكريم يقول : ﴿ **وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون** ﴾[1] .

و (النبوة) هي كذلك ايضاً بينما نجد القرآن يقول : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾[2] .

وعلى ذلك فإن العقيدة الإسلامية هي اخلاقية تحكم تحركات الانسان المسلم دائماً وليست مجرد مفاهيم كما سبق .

اذن ، فنحن اليوم أحوج ما نكون الى الطرح التربوي للعقيدة الذي يشد الناس إليها ، بل يسبغهم بروحها ، وان المهمة المطلوبة اليوم

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٦ (٢) سورة النساء آية ٦٤ .

من علماء الـدين هي ان يـزكـوا أرواح النـاس ويـطهـروهـا مما علق بهـا من شوائب لا حدَّ لها، وهنا تأتي أهمية هذا الكتاب وسائر كتب الشهيد دستغيب.

مقومات المنهج التربوي :

ان النقـطة الاسـاسيـة التي يتـوقف عليهـا النجـاح في هـذا المنهـج هي البدء أولاً بإصلاح الذات وتربيتها وتحكيم العقيـدة فيها ، وبمقـدار ما يكـون المبلغ الديني ، والمربي الروحي مهذبـاً لنفسه ، ومجسـداً للمفاهيم التي يمليهـا عـلى الناس ، وقـدوة صالحـة ، يكون تـأثيره في الآخـرين اكـثر ، وأوضـح ، وأسرع .

ومن هنا ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (ع) :

« من نصب نفسه للناس إمـاماً فليبـدأ بتعليم نفسه قبـل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم » .

نهج البلاغة ـ القسم الثالث

هـذه المـلاحـظة أعـطت ميـزة اخـرى لمحـاضـرات وكتـابـات الشهيـد دستغيب ، فالقارىء لكتاباته ، والمستمع لمحاضراته يجده قد بلغ مرتبة عالية في تـزكية النفس وتـرويضها وتهـذيبها ، لـدرجة يسبق السـامعين في التفـاعل والتأثر بما ينقله ويرويه من أحاديث شريفة أو قصص مربية طريفة .

ان القاريء لينجذب إلى حـديث هذا الشهيـد العظيـم ، وينتقـل معه لا ارادياً إلى الآفاق الرّوحيَّة العظيمة التي يفتحها له .

وإني بهذا الصدد أحببت أن أؤكد لسائر اخواني في الله ممن وضعوا أنفسهم لهداية الناس وتربيتهم أن علينا البدء بممارسة هذا المنهج مع انفسنا أولاً ثم عكسه على الآخرين بسلوكنا واحاديثنا ، وبدون ذلك فإننا لا يمكن أن نحدث تأثيراً حقيقياً في الناس ، بل بدون ذلك لا يمكن أن نكون صادقين مع أنفسنا ونحن نفترض أننا الجسور التي تربط الناس بالله ، كيف ذلك ونحن لم نربط أنفسنا ؟

ولا يفوتني أن أدعو هنا كافة إخوتي واساتذتي من علماء الدين ، وطلاب العلوم الدينية الى مزيد التأمل والمطالعة لما ورد عن أئمتنا الطاهرين في هذا الجانب وأستفيد من هذه الفرصة لنقل الحديث النبوي التالي :

« أوحى الله إلى داود (ع) لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين ، ان ادنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم » .

اصول الكافي ص ١ .

طريقان لاصلاح الذات :

كيف نبدأ بإصلاح الذات ، وتربية النفس ؟

هناك طريقان : طريق العمل وطريق العزلة ، طريق مواجهة الأحداث وطريق الإنهزام منها ، طريق تحمل المسؤولية وطريق الهروب من المسؤولية ، طريق العمل من أجل أداء التكليف وطريق الفرار من التكليف .

بعض الناس ـ وأنا أوجه هذا الكلام بالخصوص لطلبة العلوم الدينية

الذين يتحملون مسؤولية هداية الناس واصلاحهم - يتصور أن من :الافضل له أن يعكف في زاوية بيت او مدرسة أو مسجد مشغولاً بإصلاح نفسه بعيداً عن هموم المجتمع ، وقضايا الناس .

لكن هل يمكن إصلاح النفس بهذا الطريق ؟ وما الذي رسمه لنا الإسلام ؟ وما هو الطريق الذي سلكه الأئمة الطاهرون (ع) ؟

لا شك أن أعباء المسؤولية ثقيلة . ولا شك أن الإبتعاد عن حمل الهموم أقرب لراحة النفس ، ولا شك ان الخلوة لمناجاة الحبيب ،والتفرغ للصلاة والدعاء وتلاوة القرآن أحلى وأجمل ، ولكن هل هذا هو طريق إصلاح الذات ؟ وهل هذا هو التكليف الشرعي علينا وكل ما حولنا يستغيث ويطلب الحركة والنشاط وبذل الجهد لنصرة الإسلام وتوعية المسلمين ؟

تعالوا نستمع إلى أمير المؤمنين (ع) وهو يقول :

« أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على الناس ألاَّ يقاروا على كظة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت اخرها بكأس أولها » .

نهج البلاغة - الخطبة ٣

وتعالوا نقرأ الأحاديث الشريفة عن أئمتنا (عليهم السلام) .

يقول معاوية بن عمار قلت لأبي عبد الله (الإمام الصادق) رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل ؟ قال (ع) :

« الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد » .

اصول الكافي ص٣٣

وعن أمير المؤمنين (ع) :

« ان الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال ، لأن العلم كان قبل الجهل » .

اصول الكافي ص٤١

الشهيد دستغيب قدوتنا في هذا الطريق :

ان مؤلف هذا الكتاب (الشهيد دستغيب) هو أفضل مثل يمكن أن نتخذه في هذا المجال ، فالشهيد دستغيب هو عارف من العرفاء ، وولي من اولياء الله ، ومن العلماء الصالحين الأبرار ، ثم هو الرجل الواعظ والمرشد والمبلغ الديني الذي صرف عمره في التبليغ وهداية الناس ، ثم هو الرجل المجاهد والثائر ، والصابر على المعاناة في سبيل الله ونصرة الإسلام ، وأخيراً جمع البرهان على كل هذه الصفات حينما أصبح (شهيد المحراب) وخر ملطخاً بدمه وهو في طريقه لأداء صلاة الجمعة في شيراز .

لم يبتعد هذا الشهيد العظيم عن حمل هموم مجتمعه ، ودينه ، وشريعة أجداده الطاهرين ولم يتخل عن مسؤوليته من مواجهة الظالمين ، ولم يعتزل

العمل للإسلام بحجة إصلاح النفس ، وتربيتها وتهذيبها ، إنما أصلح ذاته من خلال أداء التكليف ، من خلال الحضور الدائم في ساحة المجتمع ، ومواجهة الأحداث .

هذه الترجمة دليل آخر :

وأنا أحب في الختام أن أضع بين يدي اخواني طلبة العلوم الدينية دليلاً آخر على ان التوفيق للعلم والعمل الصالح إنما هو بتحمل المسؤولية لا بالفرار منها ، بالحضور مع الناس لا باعتزالهم ، هذا الدليل هو هذه الترجمة نفسها .

وأنا أعرف أن هذا هو (التوفيق الإلهي) ولا استطيع أن أطلق عليه إسماً آخر ، ولا أشك أن هذا التوفيق ناله المترجم ببركة اخلاصه ، وتحمله للمسؤولية ، وحضوره في ساحات الجهاد ، وتفكيره بإصلاح النفس من خلال ذلك .

أسأل الله له ، ولنا جميعاً أحسن التوفيق ، وأفضل العمل ، وأن يختم لي وله بالشهادة والرضوان .

٤ / جمادى الأولى / ١٤٠٦ هـ   صدر الدين القبانجي

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام أمير المؤمنين (ع) يقول في أول خطبة في نهج البلاغة :

اول الـدين معرفتـه وكمال معـرفته التصـديق به وكمـال التصـديق بـه توحيده وكمال توحيده الاخلاص له . .

بالتفكر تتكامل المعرفة الفطرية :

معرفة الله هي المبدأ للدين الإلهي والبداية لدعـوة الأنبياء واول بـرامج الاديان الإلهية فيجب أن يكون أول تفكير للبشر هـو التفكر حـول الله . . ان تتكامل المعرفة الإجمـالية الفـطرية وتصـل إلى المعرفـة التفصيلية ، معـرفة الله تعني ان لهـذا العالم صـانع ، لأن العـالم حادث ولكـل حادث محـدث ، وهذا الحـد من المعرفـة فطري وكـل إنسان يجـد هذا المعنى في ذاتـه فلا يـوجد شيء

بدون سبب وعلة . . .

عندما يصل الطفل إلى مرحلة الشعور ويوضع شيء أمامه من خلفه ، فقبل أن تمتد يده إلى ذلك الشيء ينظر ليرى من الذي جاءه بذلك الشيء ؟ فالشيء الذي لم يكن موجوداً ثم وجد بعد ذلك فلا بد ان له موجداً ولا بد أن أحداً أوجده لأن الحصول أمر حادث . وهكذا عندما ينظر إلى عالم الوجود يفهم بحسب فطرته أن له موجداً لأن « الايجاد » حدث اذن لا بد ان له محدثاً . .

وعندما ينظر إلى بدنه ويرى الحكمة والنظام الدقيق في جميع أجزائه فيتيقن بأن له خالقاً قادراً وعليماً . وهذه المعرفة الإجمالية التي هي فطرية يجب تنميتها بالتدبر في الآيات والتفكر في الآثار . ويستمر ينميها ويغذيها حتى تصل إلى مرحلة التصديق . . تصل إلى مرحلة اليقين والإذعان القلبي - يصل إلى مرحلة بحيث لا يبقى له أي شك أو تردد .

اجسامنا جميعاً من التراب :

في سورة الروم المباركة وفي ضمن الآيات التي تذكر أفعال الخالق وترشد إلى دلائل حكمته وقدرته تذكر في البداية آيات حول هذا البدن ، هذه الآية الإلهية الكبرى .

﴿ ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾[1] . لو ان أي شخص رجع إلى الوراء ليرى كيف كان قبل مائة عام . . كان ذرات منتشرةٍ في هذا العالم في التراب والهواء والماء . . وقد اجتمعت هذه الذرات بقدرة الله في الأطعمة . . في الحنطة والأرز وكذلك العلف في الصحراء لتأكل منه الحيوانات وبعد ذلك أكل الأب والأم من هذا اللحم

---

(١) سورة الروم آية ٢٠ .

والقمح والأرز، ثم جاوز مراحل الهضم الأربع ، وفي المرحلة الرابعة يتم دفع القسم الزائد منها ويبقى القسم الآخر في أوعية المني وفي الرحم .

اذن فقد كنا جميعاً تراباً وقد جمعته يد القدرة في الأب والأم ثم تكامل البدن في رحم الأم فهل ان التراب الذي جاوز لحد الآن هذه المراحل هو الذي رتب ونظم البدن على هذه الصورة ، أو أن الذي فعل ذلك هو قوة ذات شعور وإدراك ؟ . .

ألعلم والقدرة اللامتناهية هي التي أوصلت التراب إلى هذا الحد بايد مربية .

السمع والبصر بحاجة إلى ملايين الأجزاء :

الا ينبغي أن نتأمل في أنفسنا ونعمل بأمر القرآن الكريم الذي يقول لنا ﴿ فلنيظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾[1] .

لا يوجد عرق واحد أو عظم في هذا البدن بدون حكمة وفائدة فكلما تطور علم التشريح تتضح أكثر المنافع والحكم المخلوقة في أجزاء هذا البدن ، فمع هذه الإكتشافات الأخيرة المحيرة حيث يقال بأن الأذن تحتوي على ثلاثة ملايين جزء (خلية) بحيث لو لم يوجد قسم منها فلا يكون السمع كاملا . وفي تكوين العين هناك سبع طبقات مدهشة صنعت من ملايين الأجزاء حتى يكمل جهاز التصوير والبصر . وهكذا كل واحد من اعضاء البدن . . المشي اللازم هو التدبر والتفكر .

على الاقل يجب في الليل والنهار تخصيص ساعة معينة للتفكر

---

(١) سورة الطارق ٨٦ آية ٥ ـ ٧ .

والتحقيق في آيات الله واكتساب العبرة منها حتى يصل من المعرفة الإجمالية الى المعرفة التفصيلية ومقام التصديق .

« وكمال معرفته التصديق به » .

أن يصل الى منزلة بحيث يقترب قلبه من خالقه ، يعترف ويسلم لله ، ويصل إلى مرتبة علم اليقين بحيث لا يحتمل الخلاف واحد بالمائة فقد جاوز الشك فليس له أي وهم أو وسوسة او إحتمال الخلاف ، ويتجاوز علم اليقين ويرتفع ليصل إلى عين اليقين حتى تكون عنده معية الله اوضح من كل واضح ، وأظهر من كل ظاهر .

مع كل موجود بدون حلول واتحاد :

المعية تعني مصاحبة الله التي يقول القرآن الكريم عنها : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ .

قيوم عالم الوجود هو الله ووجودنا وكياننا جميعاً متقوم بالله ، فهل يوجد ظل بدون صاحب الظل .

وفي نفس هذه الخطبة المباركة من نهج البلاغة يقول :

« مع كل شيء لا بمقارنة » .

الله مع كل موجود لكن لا بالتصاق وتقارب خارجي ، فلو افترض ان وجود أي موجود منفصل عن وجود الله فهل يمكن أن يكون العدم موجوداً ؟ فالله هو الذي اعطى الوجود لذلك الموجود « مع كل شيء لا بمقارنة » كأن نقول الله وزيد . . . فليس الوجود هنا بأن يكون الشخص بذاته موجوداً وخالقه ايضاً موجوداً، أي انهما موجودان في عرض واحد وفي نفس الوقت ، بل ومع قطع النظر عن الوجود الذي اعطاه الله له فهو عدم

وليس بشيء .

« الممكن من شأنه ان يكون ليس ، ومن عليه ان يكون أيس » كل موجود ليس بشيء من جهة ذاته (بما هو) ولكن من حيث ان وجود الله معه فهو موجود .

وهناك جملة منسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين (ع) حيث يقول : « ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه » فإني أرى الله مع كل شيء أراه .

يجب على الانسان أن يصل الى حد يكون فيه النظر الإلهي بالنسبة اليه أمراً عادياً ، لا أقل يصل إلى مرتبة علم اليقين ، فلو لم يتمكن من الوصول إلى حق اليقين وعين اليقين ، فعليه أن يعلم بأن وجود كل موجود من الله ، لا حلول ولا اتحاد فكلاهما كفر وإلحاد ، فليس الله داخلا وحالا في الشيء ، ولا ان كل موجود متركب منه ومن خالقه ، فهذان الامران (الحلول والإتحاد) غلط وكفر ، وإنما وجود كل موجود من الله فكل أحد ليس له أي شيء من نفسه .

أي همه هستى زتو پيدا شده خاك ضعيف از توتو اناشدة

أي : يا من صدر منك جميع الوجود ، التراب الضعيف اصبح مقتدراً منك . . اصبح مقتدراً ، عالماً وسميعاً وبصيراً . .

قلت إننا جميعاً لم نكن سوى حفنة من التراب والآن نحن موجودات نفهم ، ونسمع ، ونبصر فهل هذه المظاهر منا ؟ يعني من التراب ؟ أم من أين ؟ . . من ذلك الوجود التي ظهرت منه هذه الآثار . . المقصود « وكمال معرفته التصديق به » فاللازم ان يقبل الانسان دعوة الأنبياء . . ان يجعل نفسه من بداية سن التكليف من طريق المعرفة والتدبر ، والتفكر في الآيات الإلهية . . ان يدرك حقيقة وجوده ووجود الآخرين .

لماذا الشك والانكار مع كل هذا الوضوح ؟

وهنا سؤال كثيراً ما يرد على الاذهان .. وهو أن إثبات أي موجود يتم بدليل أو عدة أدلة .. فلماذا نرى الكثيرين لا يصدقون بوجود الله ؟ مع أن الادلة والبراهين على ذلك بعدد موجودات العالم ، وبعدد ذرات الصحاري وقطرات المطر .. بعدد شعر وشرايين وعظام الأجسام وهي كلها شاهدة على وجود الخالق ويقول سعدى الشيرازي :

برك درختان سبز در نظر هوشيار   هرور قشِ دفتر يست معرفت كردكار

أي أن أوراق الشجر الخضراء في نظر المتفطن . كل ورقة منها دفتر في معرفة الله .

وكذلك في اطراف عالم الوجود وكل ما تراه العين الذي لا يمكن إحصاؤه حتى لو اصبحت جميع الأشجار اقلاماً والبحار مواداً وحبراً وكل متحرك يصبح كاتباً لما تمكنوا ان يحصوا كلمات الله وعلائم حكمته وقدرته ، فكل ما نراه وما لا نراه دليل على وجود الله ، فكيف لا يصدق ذلك الكثيرون ؟ وحتى اولئك الذين قبلوا ذلك نجد الشك والوسوسة تساورهم عادة ولم يصلوا الى مرحلة اليقين والتصديق الحقيقي لماذا ؟

حجاب على عين القلب :

جوابه هو أن خالق العالم مع كل هذه الآيات والكلمات والدلائل غير المحدودة هو خفي .

محل العلم والتصديق هو القلب فقلب الإنسان يمكن أن ينظر .. عين القلب لا الحس .. عين البصيرة لا البصر .. هذه العين لا ترى إلا الاجسام والله خالق للجسم ومنزه أن يرى بهذه العين ، اما الفهم فبإمكانه أن يؤمن ويصدق به وتحصل له علاقة خاصة به ويتحرك نحوه إلى أن يصل

بـه الأمر أن يفـدي نفسـه من أجله ، ويقـدم وجـوده إلى خـالقـه مثـل هؤلاء الشباب الأعزاء الذين يقدمون ارواحهم فداء لـلإسلام في جبهـات الحرب في هذا الوقت .

الحجـاب العظيم الـذي يغطي مـرآة القلب هـو المـانـع الكبير للرؤيـة وذلـك الحجاب هـو حجاب النفس والـذات ، فـما دام الانسـان يـرى نفسـه فمن المحـال ان يـرى الله . . ومـا دام يـركض خلف اهـوائـه النفسيـة فمن المحـال ان يتبع الله . . مـا دام يطلب راحـة نفسه وسـرورها فمن المحـال أن يطلب رضا الله . . وما دام مشتاقاً إلى الدنيـا والرئـاسة والمقـام والمال فسـوف لا يـرى مهما كـان المطلب واضحـاً ، فـالغـارق في عشقـه للشهـوات والميـول النفسيـة فسوف تخفى عليـه اوضح الأمـور وهـي وجـود الله . . والـذي بينـه وبين قلبه حجاب فكيف يمكن لقلبه ان يـدرك ؟ كما لـو أنه وضـع على العـين قمـاشاً أو أي مـانع آخـر فنجـده لا يتمكن من رؤيـة الشمس مـع كـل هـذا الضيـاء ، فطلب الجـاه والمقام وحب الـدنيا كـذلك أيضـاً . . لا يجتمع حب الذات وحب الله . وفي المثل العامي يقال : (لا يمكن ضـرب غرابين بحجر واحد ولا يمكن إصابة هدفين بسهم واحد) .

حب النفس من اشد الحجب ظلاماً :

النـاظر لنفسـه لا يكون نـاظراً لله ، فهـذا هو الـذي يمنع الإنسـان من رؤية الله ، والإيمان بـه يعني الإعتقاد وليس القـول باللسـان « لا إله إلا الله » بـل ان يؤمن قلبه بـالله ويدور حـوله ويـطلب رضاه ، فـذلك الإيـمان مكانـه القلب وليس اللسان « الهي قلبي محجوب » فـما دام للقلب حجاب . . ذلـك الحجـاب الذي صنعـه بنفسه وأخـذ يقويـه يـومـاً بعـد يَـوْم . . الحجب التي كثرها بيده وكل عمـل قام بـه من أجل حب النفس والانـانية فهـو يتنافى مـع المعرفة بـل يوجب البعـد عن الله وقد ـ لا سمـح الله ـ يوجب الإنكـار ، فقد

يصل الشخص الجاهل إلى حد يقول انا موجود أما الله . . . ؟ هذه هي نتيجة حجاب القلب . ولو صارت « انا » و « الانانية » قوية فسوف ينسى كل شيء عن نفسه ، وينسى أنه كان تراباً ثم نطفة وبعد ذلك يصير ضعيفاً ، كما ينسى الهرم والشيخوخة والمرض والحاجة وأخيراً الموت ايضاً

الإمام الصادق (ع) يقول : « لا حجاب اظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى وليس لقتلها وقطعها سلاح وآلة مثل الإفتقار إلى الله سبحانه والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل »[1] .

الصوم والسهر علاج لحجب القلب :

والآن ما العمل لإزالة هذه الحجب ؟ الحجاب الذي مع وجوده يستحيل وجود الإيمان والمحبة والعلم ، وازالته بيد الإنسان وطريقته مذكورة في نفس ذلك الحديث الشريف ـ الإمام الصادق (ع) يقول :

« ولا سلاح لدفعها مثل الظمأ بالنهار والسهر بالليل والإفتقار الى الله » .

فالأسلحة التي تقلع هذا الحجاب من جذوره وتكسر هذا السد هي الجوع والعطش في النهار يعني الصوم والسهر للعبادة في الليل والإحتياج الى الخالق .

الصوم له تأثير كبير في اخضاع النفس وإزالة ميولها خصوصاً في وقت العصر التي تظهر فيه هذه الخصوصية أكثر ، ويمكن أن يدرك البعض ذلك . وقد ورد في الخطبة الشعبانية عن الرسول الأكرم (ص) :

---

(١) مصباح الشريعة باب الجهاد .

(والشياطين مغلولة) فلعله اشارة الى هذا المعنى فكل وقت يصوم فيه الناس تكون الجرائم والذنوب أقل أيضاً .

النهوض في السحر أيضاً له أثر في كسر سد الجهل وحجابه النفسي ﴿ والمستغفرين بالاسحار، وبالاسحار هم يستغفرون﴾فالله سبحانه وتعالى قد أرشد المؤمنين في القرآن المجيد إلى هذا الطريق فالنهوض في وقت السحر واللجوء الى الله في الثلث الأخير من الليل هو دواء قد أجازه الطبيب الحقيقي يعني رب العالمين .

الحاجة إلى الله و « الإفتقار الى الله » والتوجه إليه في كل الأحوال بحيث يصبح ذلك ملكة في الانسان سيقلع الانانية وحب الذات . . في منتصف الليالي وعندما يكون الجميع مستغرقين في لذة النوم يمد اولئك الذين وقعوا موضعاً لنظر الله ولطفه يد الحاجة الى الحضرة الإلهية الغنية .

ويقول أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة أيضاً في خطبة همام :

« أما الليل فصافون اقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحركات الكمية والكيفية دليل على محرك العالم :

اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به .

معرفة الخالق من الأمور الفطرية ، ودلالة الأثر على المؤثر . . دلالة المصنوع على الصانع ـ دلالة المعلول على العلة عند العقل أمر فطري ، فكلما رأى متحركاً فسيتوجه إلى المحرك له . . عندما يرى حركات الأجرام السماوية غير القابلة للحصر وهي تدور في مدارات منظمة فإن نظام هذه الأجرام شاهد على ان هناك محركاً ذا ارادة وعلم وقدرة غير متناهية . كذلك الحركات الكيفية والكمية والمكانية التي نشاهدها في الوجودات العنب في بداية طلوعه تكون حياته غائرة وغير ناضجة ، ففي البداية يكون

صغيراً جداً ولكن بالتدريج تبدأ الحركات الكمية والكيفية فيه فالحركة الكمية له هو ان تلك الحبة التي كانت في البداية تكبر بالتدريج حتى تصبح بمقدار سبابة الأصبع او أكبر ، أما الحركة الكيفية : فأوله شديد الحموضة ولكن تقل هذه الحموضة بالتدريج وتزداد حلاوته . وكذلك من حيث اللون ترون أنه يتغير ايضاً ويميل من الاخضرار الى الاصفرار .

هذه الحركات الكمية والكيفية الموجودة في كل الموجودات بزيادة ونقيصة ألا تدل على أن لهذه الحركات محركاً ؟ فالغرض من المسألة هو دلالة الحركة على المحرك والأثر على المؤثر ، والمصنوع على الصانع .

التوجه إلى العين والوجه :

إذا رأيتم ورقة مكتوبة بخط جيد فستتوجهون فوراً إلى كاتب ذلك الخط وإلى مهارته وفنه في تنظيمه للخط . والى علمه وقدرته على ذلك ، فدلالة الخط على كمال الكاتب أمر فطري يتوجه إليه الشخص فوراً ، وهكذا الرسام مثلاً عندما يرسم وجهاً معيناً فأي شخص يراه يدرك فوراً قدرة ذلك الرسام واطلاعه ، فهل ان دلالة هذا الرسم على الرسام اكبر ، أم دلالة رسم وجه اي واحد منا ؟ توجهوا إلى كيفية تصوير وإبداع هذا الوجه على مساحة شبر مربع واحد . . العين ، والشكل اللوزي الذي خلقها الله عليه ، فلو كانت مربعة فكم سيكون قبيحاً . وكم سيكون قبيحاً إذا كانت على شكل سداسي أو أي شكل آخر ؟

مع ذلك فالشكل اللوزي للعين له خاصية اخرى ، فعندما يدخل الغبار والتراب والأوساخ الأخرى إلى العين فبواسطة السوائل التي تترشح من العين ستخرج من زوايا العين فلو لم يكن هذا الشكل بل كان للعين

شكل آخر فسوف لا تكون له هذه الخاصية بهذه الصورة فكم سيكون الصانع لهذه العين عالماً وقديراً .

الحاجب والأهداب وأجفان العين تدفع إلى الحيرة :

لننظر إلى الحاجب أولاً فمكانه أعلى العين ، فإضافة إلى الجمال الذي يُضفيه على الوجه جعله مقوساً حتى لا يصل العرق النازل من الجبهة الى العين الحساسة جداً ويتسرب من زوايا الحاجب ، إضافة إلى أنه مظلل للعين وينظم بلونه الأسود نور الشمس للعين لترى بصورة احسن .

أجفان وأهداب العين تدفع إلى الحيرة ايضاً ـ شعيرات الأهداب جعلت متفرقة عن بعضها بفاصلة شعيرة واحدة ، يعني أن العين عندما تغلق لا تقع شعيرات الأهداب على بعضها ويقع بينها فراغ نتيجة لذلك فلو كان كذلك فهو نقض للغرض منها إذ يمكن أن يدخل الغبار والأتربة إلى العين ، بل جعلت هذه الفاصلة بين الشعيرات لكي تلتحم الأهداب بصورة كاملة وتتداخل وتسد تلك المنافذ ولا تدع أي منفذ للغبار إلى العين .

سواد الأهداب والحاجب له خاصية وحكمة أخرى وهي تنظيم النور إلى العين فالنور لو لم يقابله شيء مظلم فسوف ينتشر وقد جربتم ذلك عندما تريدون مشاهدة شيء بعيد فأنتم تضعون يدكم في مقابل العين حتى لا ينتشر نور العين ويصل إلى ما تريدون بصورة مباشرة . فشعيرات الأهداب والحاجب سوداء ولها خصوصية تنظيم النور .

لو أن شعرة واحدة منها دخلت إلى العين ، أو أنها نبتت في الأجفان من جهة الداخل مثلا فكم سيكون ذلك صعباً للإنسان ، وقد يصاب

بذلك بعض الأفراد ليكونوا عبرة للآخرين .

وللعين أربع حركات إلى الأعلى والأسفل واليمين واليسار دون أن يكون محتاجاً لتحريك رأسه ، بل هي تتحرك إلى الأعلى والأسفل واليمين واليسار بمجرد الإرادة ، عندما يسير يرى أمام قدميه بشكل اعتيادي دون الحاجة إلى إحناء رأسه . وهذه الحركات الأربع للعين ناتجة عن أربعة اعصاب بحيث لو تلف أي واحد منها فسوف لا تتمكن العين من أن تتحرك تلك الحركة .

تفكر في الفم والشفاه والأسنان :

لاحظوا الشفاه ما أعظم الدقة في صنعها ، وكيف انها تنطبق على بعضها وتمنع تسرب الأطعمة التي يأكلها الإنسان إلى الخارج وكذلك هي وسيلة لخروج الحروف والكلمات من الفم فكثير من الحروف تظهر بواسطة هذه الشفاه .

وانظروا إلى داخل الفم ، الأسنان في المقدمة من أجل تقطيع الطعام ، والأسنان الخلفية لطحنه فكل قسم منها صنع بشكل يتناسب ووظيفته .

يجب التأمل في هذا الشبر المربع من الوجه وكيف أن لصانعه وخالقه تلك القدرة والعلم اللامحدود .

بداية طلوع الإنسانية في الإنسان هو التفكر ، والفارق بين الإنسان والحيوان هو المعرفة التي هي نتيجة التفكر كما قال :

اي برادر توهمني أنديشه اي   مابقى خود استخوان وريشه اي

أي : أخي إنما أنت هو هذا التفكير وما بقي منك فهو عظام فحسب . اللحم والجلد والعظم والعروق والعصب اشياء مشتركة بين الانسان والحيوان ، والشيء المنحصر في الإنسان هو التفكر والمعرفة ، والتفكر هو الذي يخرج الإنسان من العلم الإجمالي إلى المعرفة التفصيلية ، ولا بد من التعب للوصول إلى المعرفة ، ولو لم يصل الإستدلال إلى المعرفة فالفائدة قليلة ، ويمكن ان ينهار في بعض الأحيان لشبهة واحدة لذلك قيل :

پاي استدلاليان چوبين بود پاى چوبين سخت بي تمكين بود

أي : أن أرجل أصحاب الإستدلال من الخشب ـ والأرجل الخشبية هزيلة جداً

مع عدم العلم سينهار لشبهة واحدة :

من الواضح أن المنكرين للخالق ليس لهم دليل أصلاً وإنما يلقون شبهات فقط فمثلا يقولون إن حركات الكواكب نتيجة لقوة الجاذبية ، فالذي لم يصل إلى نور العلم يمكن ان يتوقف عند هذا الحد ولا يفهم على انه ما الخالق لهذه الجاذبية ، فالجاذبية حادثة ولا بد لها من محدث لكي يجعلها في هذا المدار المعين وينظمها .

او شبهات اخرى ـ الانسان كان قرداً في البداية وبعد التكامل وانتخاب الطبيعة أصبح بهيئة الإنسان ـ ولكن لم يقيموا أي دليل على هذا المطلب وإنما مجرد احتمال والقاء الشك ، فالذي لم يصل إلى نور العلم بعد فسيتوقف هنا ويقول : لعله صحيح في حين ان هذا الكلام غير مقبول

ابـداً . اولاً اذا كان القـرد قد تكـامل واصبـح انسانـاً فيجب أن ينتهي نسـل القرود ، لان احد القردة قد تكـامل فـما الداعي لـوجود البقيـة ؟ والآخر هـو الانتخـاب الطبيعي فهـذه الكلمة غلط لأن الانتخـاب فعل اختيـاري ونـابـع من الشعور والفهم ، في حين ان الطبيعة ليس لها شعور .

ويـذكر في كتـاب انيس الأعلام : بـأن بعض الماديـين يرون أن السبب في اختـلاف الـوان جلود النمـور هـو ان هـذه الحيـوانـات بمـا أنها تسكن في الغابات وتحت الأشجار ، والنور الـذي يمر من بـين اوراق الأشجار يقـع على جلده ولهذا اصبح جلده مرقطاً .

علينا أن نقول لهم اذن هذا النمر الذي ولدتـه امه في هـذه الساعـة ولم يستقـر تحت الأشجار مـدة كافيـة لماذا نـرى جلده ملوناً ومـرقـطاً ؟ انهم ليس لديهم سوى الكلام الفارغ والقاء الشبهـات .

فلو اكتفى الانســان بـالعلم الاستــدلالي ولم يتعب نفسه في تحصيــل العلم الحقيقي فمتى سيحصل على الايمـان ؟ متى يصل إلى السكينـة ، ﴿ أنزل السكينـة في قلوب المؤمنـين ﴾ وحتى لـو وصـل الى العلم عليـه أن يستمـر في ذلك ليزداد نور علمه فـالبدايـة علم اليقين ، وبعـد ذلك ومـع التعب يصـل إلى مرتبة عين اليقين إلى أن يصـل به الأمـر لو ان جميـع من كان عـلى الأرض على خلاف عقيدته فلا يتزلزل او يتردد في عقيدته ابداً .

انـه يرى الله بعـين القلب ، وقد تخلص من الشـك والتـردد والاعتقـاد التقليدي ، لذلك اوصانا بطلب العلم والمعرفة مهـما بعدت المسـافة « اطلبـوا العلم ولو بالصين »[1] حيث انه كان ابعد نقطة في ذلك الزمان .

ارجو ان يوفقنا الله جميعاً إلى تحصيل نور العلم والمعرفة .

---

(١) مصباح الشريعة .

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الـذي خلق سبـع سمـوات ومن الأرض مثلهن يتنـزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً ﴾(١)

الخلق من أجل العلم بقدرة الله وعلمه :

في هـذه الآية الشـريفة يبـين لنا الغـرض من خلق السماوات والأرض والموجودات بينهما .

والهدف ان يصل الإنسـان الى العلم ، ان يتيقن بقدرة الله اللامتناهـية وعلم الخـالق الـلا محـدود إذن فـالهـدف من خلق الإنسـان وجميـع الأشيـاء

---

(١) سورة الطلاق الآية الأخيرة .

هـو الوصول إلى العلم ، فالمعـرفة الأجمـالية غـير كافيـة بل يجب ان يصـل الى الكمال الذي يقول عنه أمير المؤمنين (ع) :

« وكمال معرفته التصديق به » .

يجب ان يصل من المعرفة الأجمالية إلى اليقين ، ويصدق .

اليقين لا يسمح للشـك والتزلـزل ان يتسرب الى العقيـدة ، ويحصل في القلب من النـور بحيث تحصل ببـركـة هـذا النـور حـالـة السـرور والإبتهـاج والشوق إلى الوصول فيه . فلو أضاء ذلك النـور في القلب فله عدة آثـار ونتائـج قـد ذكر قسنم منهـا في رواية مـرويـة في أصـول الكـافي ، فمن جملة آثـاره العلم بحقائق وواقعيات الأمور ، ويصغر العالم المادي في عينه ويكبر عالم البقاء .

ميزان الحق عند الشخص الأناني هو النفس :

وطبعـاً لا يتيسر الكنز بـدون التعب ، يجب تحمل المشقـة للوصـول إلى العلم . ومـركز اليقـين هو القلب فيجب ان تفتـح ابواب القلب حتى يحصـل فيـه نـور العلم ، فـذلـك القلب المسـدود يجب كسر سـده . ويجب ان يقـال بصراحة بأن السد الوحيد الذي يمنع الإنسـان من الوصـول إلى العلم واليقين والشهـود ، وأن يصبح إلهيـاً ، ويصل إلى الكمـالات الإنسانيـة هو (الانـا) والأنـانية فـما دام الإنسان لا يـرى إلا نفسه ويـريد لهـا التقدم في المـال والجاه والمقـام فمن المستحيل ان يـرى الله ، فحتى لو طلب الحق فسـوف يجعـل من نفسـه ميزانـاً للحق فكل مـا وافق ميله فهو حسن ، وكـل مـا كـان لا يـلائم نفسه فهو باطل .

يـرتكب اقبـح الأعمـال ويـرى أنـه لم يصنـع غـير الصحيـح ، هــذا الحجـاب الأعظم الـذي نجـده مـذكـوراً في ادعيـة أهـل البيت (ع) ، ففي دعاء أبي حمزة الثمالي نجد الإمام زين العابدين (ع) يتضرع ويقول :

« وإنك لا تحتجب عنَ خلقك إلا ان تحجبهمُ الاعمال دونك » .

الإمام أبو عبدالله الحسين (ع) يقول في دعاء عرفة :

« عميت عين لا تراك » .

فالله غير محجوب بل ظاهر ، ولكن ما العمل ؟ إذا كان « الأنا » موجوداً فالإنسان في حجاب .

ويقول أهل المعرفة :

خطو تيني بوداين ره تاوصال   ما نده ام درره زسستى چندسال

أي أن طريق الوصال هذا كان خطوتين ومع ذلك فقد بقيت في هذا الطريق من الكسل عدة سنوات .

فيقول بأنه لا يحتاج إلى أكثر من خطوة واحدة وتلك الخطوة هي على النفس ، فعندما تتجاوز ذاتك وتمحوها فقد اتصلت بالحق ، والحجاب سيزول إذا لم تنظر إلى نفسك . يجب السعي ولو لم يكن لتقليل الحجاب فلا أقل من عدم زيادته .

الأنانية عند الشباب أقل ، وهم أقرب إلى الصلاح :

الشباب هم أقرب إلى الفطرة فمن الطبيعي أن يكون حجابهم أقل أيضاً . لذلك نجدهم يتذكرون ويتأثرون اسرع عندما يذكروهم بالله . لأن تلك الـ « الأنا » لم تصبح قوية بعد ووصلت إليها قوة قليلة فيمكن ارشاده وتوجيهه .

الشباب الذين يتوجهون الآن بشوق إلى جبهات القتال وفي بعض الأحيان يبكون ليسمحوا لهم بالذهاب هو بواسطة عدم أو قلة الحجاب بحيث يضحي بكل ما لديه في سبيل الله .

ولكن عندما يغرق نفسه في الآمال والأحلام ويتبع أوامر النفس فستزداد يوماً بعد يوم انانيته وتشتد حتى يصل به الحال إلى أن يقول أنا موجود لكن الله غير موجود ، إنه يرى نفسه موجوداً مستقلاً فأين هذا من الحقيقة والواقع وهو ان العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فهذه هي الحقيقة التي ينبغي ادراكها وكذلك سائر الموجودات .

وإذا كان الإنسان يهتم بنفسه واقعاً فعليه ألا يترك هذا الحجاب يشتد ويقوى على قلبه :

حذر از پيروى نفس كه در راه خدا

مردم أفكن تر ازاين غول بيابانى نسيت

فالغول والمارد الصحراوي هو هذه النفس والويل لمن يتبع ذلك القول . وفي كل لحظة من اتباع النفس يشتد الحجاب اكثر .

اليقين بالحقائق التي هي كمال الإنسانية لا يجتمع مع عبادة الهوى فأما عبادة الله أو عبادة الهوى فالذي يطيع كل ما تسول له نفسه كيف يتمكن ان يجد الطريق إلى الله مهما درس وتعلم ؟ فما دام القلب غافلاً فلا تنفع معه هذه الإستدلالات .

بالرياضة والمناجاة يمكننا تضعيف الحجاب :

أمير المؤمنين (ع) يقول في أواخر نهج البلاغة :

« وإنما هي نفس أروضها بالتقوى » .

وأكبح جماحها وأقف أمام شهواتها ، مع ذلك نتوقع أن نصل نحن إلى درجات المعارف العالية بدون ترويض النفس .

إذن فالحجاب الأعظم هو عين نفس الإنسان فيجب أن نعمل شيئاً

لإزالته فتحصيل علم اليقين ليس بالقراءة بل بإزالة حجاب النفس والذات فما لم يتحطم هذا الـ « أنا » لا يتم ذلك ، وتحطيم هذا السد هو بأن لا نطيعه .

ولأجل تقليل الحجاب فالمناجاة والتوسل إلى الله نافع ، خصوصاً هذه المناجاة الشعبانية وغيرها ، فأشكُ إلى الله من نفسك « واغوثاه من هوى قد غلبني »الهي قد أهلكتني هذه النفس « ومن عدو قد استكلب علي » الشيطان والنفس لا يتركاني .

ولو أن الإنسان أصبح واقعاً مصداقاً لكلمة ﴿ إياك نستعين ﴾ وطلب من الله المعونة فالله سوف يعينه حتماً .

ونقرأ عند السجود في آخر دعاء الصباح :

« الهي قلبي محجوب ونفسي معيوب وعقلي مغلوب » فبدل أن يتلهّى الإنسان بعيوب الاخرين عليه ان ينظر إلى عيوب نفسه .

ويذكر في حالات المقدس الاردبيلي أو شخص آخر من الأكابر إنه لم يمد رجله أربعين سنة ولما حضرته الوفاة كان يقول :

« الهي لقد سعيت أن لا أمد رجلي في محضرك ولكن الآن فالأمر أمرك » الهي أنت ساعدنا على أن نجاهد أنفسنا ، ولا نتبع أوامر ونواهي النفس ، وأن نطلب رضاك لا ما تريده أنفسنا .

خدايا چنان كن سر انجام كار تو خشنود باشي وما رستگار

الهي أكتب لنا في أعمالنا أن تكون لك رضىً ولنا فيها صلاح .

يا من له مائة قلب اجعل قلبك واحداً :

ونقرأ في نهج البلاغة عن مولانا أمير المؤمنين (ع) الذي هو أحب

العباد إلى الله هذه العبارة :

« تخلى من الهموم إلا هماً واحداً انفرد به » .

فهمه أن يعرف الله ، فما دامت النفس لها هـذه الآمال المتعـددة فهنيئاً لذلك الذي يوحد هذه الآمال ويجعل همه الوحيد هو الله .

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به ﴾ .

الإنتقال من الجزئي إلى الكلي من خصوصيات الإنسان :

تبين فيما سبق أن أمير المؤمنين (ع) قال في نهج البلاغة بأن أول الدين وأول دعوة الأنبياء وبداية برنامج الرسل هو معرفة خالق العالم وأن يعرف الناس خالقهم .

وأول ما يظهر من خصائص الإنسانية هو القوة العقلية والذي يكون الإنسان قبل ظهورها مشتركاً مع الحيوانات ، فإدراك الحيوان محدود بالأمور المحسوسة وكذلك الإنسان فهو مشترك مع الحيوان من هذه الجهة إلى أن يصير عنده إدراك الكليات والذي هو الاستدلال من وجود الأثر إلى المؤثر .

فالإنسان الذي لم يدرك هذه المعرفة العقلية الاستدلالية والتي هي من البديهيات فهو لا يزال في مرتبة الحيوان وإدراكه محدود بالمحسوسات السمعية والبصرية وغيرها . وعندما تبدأ قوته العقلية في العمل يبدأ بالانفصال عن الحيوان فيدرك الكليات عن طريق الجزئيات . ومن أهمها وأوجبها هو إدراك الواجب والمحدث من الممكن والحادث ـ ادراك المؤثر بواسطة الأثر .

إدراك المؤثر عن طريق الأثر لا يحتاج إلى تعلم :

وطبعاً هذا الموضوع فطري بحيث يكفي فيه مجرد الالتفات فلا يحتاج إلى دراسة ، وليس بحاجة إلى تعلم ، وليس فيه مشقة فمجرد التوجه إلى الشيء من جهة أنَّهُ أثر يكفي ذلك لأن نتوجه فوراً إلى المؤثر وإنه لا بد لهذا الشيء الحادث من محدث وهذا الممكن سينتهي إلى الواجب حتماً ، يعني أن الشيء الذي لا يكون الوجود من ذاته يمكن أن يوجد ويمكن ألا يوجد فعندما يوجد فلا بد أن هناك واسطة هي التي دفعته إلى الوجود .

والقرآن الكريم يذكر الناس دائماً بهذا النوع من المعرفة الاستدلالية ومن جملتها ما ذكر في سورة الروم المباركة في عدة آيات وفي بدايتها ما ذكر عن خلق الإنسان من تراب الذي سبق ذكره .

القرآن يذكر دائماً بخلق الإنسان :

هذه المراحل التي يطويها الإنسان من التراب حتى يصل إلى النطفة وبعدها تكون الحركات الكمية والكيفية ويظهر هذا الجهاز العظيم للبدن واجزاؤه المختلفة من كلية وكبد وقلب وامعاء وغيرها ، وكذلك الحواس الظاهرية من العين والأذن وغيرها بحيث ان عدم وجود أي جزء منها سيجعل البدن ناقصاً بالنسبة إليها .

فمثلا نجد أن بدن الإنسان يحتوي على ٢٤٨ قطعة من العظام ومع فقدان واحد من هذه العظام يصير البدن ناقصاً ، فتأملوا كيف خلقتم من التراب؟ هذا الحدوث يعني وجودكم انتم دليل على أية قدرة غير محدودة لذلك الفنان الذي أبدع هذه الصور والرسوم ؟

فالرسم يجب أن يكون فوق جسم جامد وفضاء وضياء وأن يكون على سطح ظاهر ، في حين أن يد القدرة جعلت ذلك من قطرة الماء السائلة التي هي النطفة وأيضاً في ظلمات ثلاث الرحم والمشيمة والبطن ، والآخر هو ان التكوين والتصوير كان في الباطن وليس في السطح لذلك فهو فاقد للشروط الثلاثة للرسم .

ترتيب الأجزاء التي في باطن البدن شيء عجيب أيضاً فشكل القلب صنوبري وله حكم عديدة ، وشكل الكبد والرئة كل واحد منها مناسب لوظيفته فكما ان الرسم الظاهري يدل على قدرة ذلك الرسام ، فهذا الابداع الالهي في بدن الانسان كم له من دلالة ؟

الذكر والانثى والمحبة بين الزوجين من آيات الله :

ويقول في الآية التالية من نفس سورة الروم :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

تأملوا في موضوع الذكر والأنثى والرجل والمرأة وكيفية خلقتهم والإختلافات التي بينهما وكذلك ما خلق الله من وضع الرحم وشروط استقرار الطفل فيه وتربيته وكيفية الوضع .

والمرأة محل لسكون الرجل ، الإضطرابات التي تصيب الرجل تزول

وتسكن عندما يصل إلى زوجته وربما لا يكون أحدهما قد رأى الآخر قبل الزواج .

أما ما هذا الحب الذي خلقه الله بينهما بحيث يتألم أحدهما من أجل الآخر ؟ إنه من آيات الله العظيمة .

النوم وآثاره المدهشة :

وفي آية أخرى يذكرنا الله بدلائله التي منها نوم الإنسان[1] ، الآية الإلهية المتكررة ، فقد يتصور الإنسان أَنَّهُ لا يريد النوم ولكن النوم يتسلط عليه وينام ، والحكمة في ذلك معلومة ، فالبدن بحاجة إلى الاستراحة بمقدار مُعَيَّن وإلا فإن قواه ستتحلل .

فلا بد من الإستراحة -وأن لا تكون اختيارية ، لأنه ربما لا ينام بسبب الحرص أو شيء آخر ، وسينهار البدن بالتدريج ، فنومه من آيات الله واستيقاظه كذلك ، وكذلك العجائب التي يراها الإنسان في نومه وهي الأحلام والتي تعبر عن إرتباط النفس مع الملكوت حيث يرى المستقبل ثم تقع تلك الأمور التي يشاهدها في المنام .

الكواكب والغيوم مسخرة لإرادته :

انظروا إلى الأعلى إلى تلك الكواكب والأجرام اللامتناهية كيف أنها تدور في حركات منتظمة وفي مدار معين مع كل هذا الثقل والحجم بحيث ان أدنى إنحراف عن ذلك المسير قد يؤدي إلى تصادمها وبالتالي انهدامها وتحطمها .

---

(١) ومن آياته منامكم بالليل : سورة الروم ٢٣ .

ومن الدلائل والعلامات الإلهية هي الغيوم .

﴿ والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾[1] .

فتشاهدون ان بعض الغيوم تجتاز الجبال الشامخة ولا تمطر قطرة واحدة ولكنها وعلى بعد عدة فراسخ تهطل امطاراً غزيرة فهي مسخرة يعني أنها تحت إختيار وارادة اخرى، ولها مدبر ومحرك .

وهناك رواية وردت حول الآية التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض في أواخر سورة آل عمران :

﴿ إن في خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾[2] . فالرواية تقول :

« ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها »[3] أي لا أن يقرأها فقط بل يلزمه التدبر فيها .

يجب النظر من حيث أنه من آيات الله :

« التفكر ساعة خير من عبادة سنة » . لأجل الاستدلال بالنسبة للمبدأ يكفي التدبر والتوجه . . ان ينظر إلى الأثر على أنه من آثار الله وإلا فالنظر الظاهري اعتيادي عند الجميع والحيوانات جميعها تنظر أيضاً أما الذي علينا أن ننظره فهو النظر الإنساني يعني مع التوجه إلى أن هذا الشيء من آيات الله ، فقبلا لم يكن وبعداً كان وصار فهو بحاجة إلى مؤثر ومحدث ..

---

(١) سورة ٢٠ الآية ١٦٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .

(٣) تفسير مجمع البيان .

وان ينظر إلى ذلك المؤثر بإعتباره في غاية العلم والحكمة والقدرة ، فلذلك يدرك بأن هذا المؤثر غير محدود من حيث العلم والقدرة ، فعليه أن يتوجه إلى هذه المعاني فهذا النظر يلازم كون الأشياء من دلائل وآيات الله .

والقرآن الكريم يذكر دلائل القدرة بصورة متكررة حتى يقرأ المسلمون هذه الآيات ويتأملوا فيها ولا يكتفوا بالقراءة فقط ، فالقراءة وإن كانت في نفسها أمراً جيداً ولكن المهم هو النتيجة المترتبة على التدبر .

وهناك رواية واردة عن الإمام الرضا (ع) :

« . . وكان (ع) يختمه في كل ثلاث ، ويقول لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمته ولكني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء أنزلت وفي أي وقت ، فلذلك صرت أختم في كل ثلاث . . . الحديث[1] .

ساعة تفكر في عظمة الخلق :

من الضروري جداً أن لا يصرف الإنسان عمره الثمين في الأمور الجزئية من الحياة المادية لكي يصل إلى رغباته وشهواته الحيوانية ، ولا يجعل نفسه ضعيفاً وذليلاً بسبب ذلك وأن لا يسقط نفسه من مقام الإنسانية الشريف وإنما عليه أن يصرف مقداراً من وقته على الأقل في التفكر في الأمور الكلية وبذلك ينمي نفسه ويوسعها وجودياً حتى يصل إلى مقام الإنسانية ، فمثلاً أن يخصص ساعة من وقته للتفكر في عظمة عالم الوجود حتى يتعرف بنحو من الأنحاء على عظمة الله الخالق للعالم .

التوجه إلى هذه الشمس التي تعادل مليون وثلاثمائة الف مرة حجم

---

(١) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٢ الحديث ٦ .

الكرة الأرضية وفاصلتها عن الأرض تسعون مليون ميل ولها تسع سيارات والتي تكون الأرض واحدة منها ، وتدور هذه السيارات حول الشمس لمدة شهر أو أكثر للدورة الواحدة بحسابنا الأرضي في حين ان هذه المنظومة الشمسية جزء من مجرة تحتوي على أكثر من مائة ألف مليون سيارة والبعض منها أكبر من الشمس عدة ملايين مرة .

وقالوا بأن قطر هذه المجرة مئتان وعشرون ألف سنة ضوئية . وهناك ملايين المجرات غير هذه المجرة وتقع أقرب واحدة إلى الأرض على بعد ثمانمائة وخمسون ألف سنة ضوئية ، والمقصود بالسنة الضوئية : السنة اثنا عشر شهراً وكل شهر ثلاثون يوماً وكل يوم أربع وعشرون ساعة وكل ساعة ستون دقيقة وكل دقيقة ستون ثانية والنور يسير في كل ثانية ثلاثمائة ألف كيلو متر إذن السنة الضوئية تساوي :

١٢ × ٣٠ × ٢٤ × ٦٠ × ٣٠٠ / ٠٠٠ = ٠ / ٠٠٠ / ٠٠٠ / ١٢٠ / ٩٣٣ كيلو متر ، وقالوا أيضاً بأن أبعد السيارات، عنا بمسافة أربع مليارات سنة ضوئية . والطنطاوي المصري في تفسير سورة والنجم يقول بأن عدد النجوم في هذا الفضاء غير محدود يساوي ٢ بإضافة ٢٦ صفر تقريباً « يا من في السماء عظمته » .

هل أن حركة الكواكب بدون هدف :

يجب التفكر في حركة السيارات الدائمية التي لها هدف وغاية حتماً ، فالخروف الذي هو من أضعف الموجودات الأرضية عندما يتحرك نحو الماء والعلف فإنما يتحرك لهدف وغاية فهل أن الكرة الأرضية بهذه السرعة والتحرك في الليل والنهار حول نفسها بمسافة ٤ فراسخ في الثانية وتدور حول الشمس بمقدار ٤ فراسخ في كل دقيقة فهل كل ذلك بدون هدف ؟ أحد أهدافها هو حصول الليل والنهار والفصول الأربعة .

الحركة الدقيقة جداً والمنظمة لسائر الكواكب والأرض كذلك ، وقد توضحت في الأونة الأخيرة بشكل كبير بحيث أن علماء الفضاء بإمكانهم حساب الحركة لذلك الكوكب المعين ثم يحسبون سرعة الصاروخ الذي يريدون إطلاقه بإتجاه ذلك الكوكب بعد ذلك يطلقونه ، فمثلاً يحسبون سرعة الزهرة وكذلك هذا الصاروخ المتوجه نحوها الآن ، ولنفرض أنه سيصل إلى كوكب الزهرة لمدة أربعة أشهر فيجري تنظيم هذا الصاروخ واطلاقه الآن على أن يصل إلى الزهرة بعد أربعة أشهر ، فكم تكون هذه الحركة منظمة ومرتبة بحيث انهم يطلقون هذا الصاروخ الآن وعن طيب خاطر واطمئنان على أن يصل بالمدة المحددة .

الإنسان موجود غير مادي :

ضمناً فإن المقصود من كلامي هو أن نتوجه إلى أقسام من التفكر بحيث نستفيد من آثار ذلك التفكير ونعلم بأن الإنسان موجود غير مادي بل هو يحيط بالمادة ويطلع على الحقائق والأوضاع ، إذن فالإنسان الذي يحيط بهذا العالم على سعته ـ كما مر في كيفية محاسباته وإرساله للصاروخ إلى الكواكب الأخرى ـ يجب أن يوصله تفكيره من المخلوقات إلى الخالق لها ، ومن الموجودات إلى الموجد لها لا أن يبقى في الأمور المادية لها .

الخلاصة أن على الإنسان أن يعرف حقيقة نفسه بأنه موجود روحاني وليس مادياً قابلاً للفناء . . هو مخلوق لمقاصد عالية جداً وجاء إلى هذا العالم لذلك الغرض .

إختلاف الأفراد والنظم الإجتماعية :

﴿ واختلاف ألسنتكم ﴾ فهي أيضاً من آيات الله العظيمة حيث

تشاهدون ٥ / ٤ مليارد إنسان على سطح الأرض ومختلفين من حيث الخلقة يعني أننا لا نجد اثنين متشابهين بحيث لا يوجد أي تمايز وإفتراق بينهما ، والحكمة في ذلك حفظ النظام الإجتماعي للبشر وإلا فسيؤدي إلى الفساد ، فلو أن زيداً قتل عمراً وأرادوا القاء القبض على القاتل فسوف يشتبهون في غيره ويجازونه بدل ذلك القاتل ، او يشتبهون في جهات أخرى كالأمور الدينية والعائلية وغيرها .

ومن جملة ما يتميز به الناس ويختلفون فيه هو اختلاف الألسن واللغات فتشاهدون بأن كل إنسان له وجه وله عينان وحاجبان وغيرها ولكنها تختلف في كل فرد وتتميز بصفات خاصة ، ومن جملتها الحناجر والأصوات فهي أيضاً غير متشابهة مع ان الحنجرة التي يخرج منها الصوت متساوية في جميع الأفراد تقريباً إلا أنه يمكن معرفة الشخص من لهجته ونبرات صوته ، فعندما تسمع صوت المتكلم في الهاتف سوف تفهم من هو دون أن يعرف نفسه لك .

ظهور القدرة في خطوط السبابة :

ويقول (تعالى) في سورة القيامة : ﴿ **بلى قادرين على أن نسوي بنانه** ﴾[1] .

فحتى خطوط سبابة الأصابع مختلفة مع أن حجم الأصابع عند الأفراد متساوٍ تقريباً ولكن خطوطها غير متشابهة بل إننا لا يمكن أن نجد أثنين من البشر متشابهين في ذلك ، لذلك أصبحت بصمة الأصابع متداولة بين البشر ومن الأمور العالمية التي لا تخص شعباً دون شعب لأنها أهم من التوقيع والأمضاء ، حيث أن الأمضاء والتوقيع قد يحتمل التزوير أما بصمة

---

(١) سورة القيامة الآية ٤ .

الأصبع فهي لا تقبل التزوير والجعل ، يعني أنها أدق من التوقيع والختم .

وحقيقة الإنسان هي علمـه وإدراكاته الباقيـة وإلا فالبـدن سيتحول إلى تراب ، أما الذي يبقى فهو عقله وإدراكه الذي بـه يكون انسـاناً لـذلك يجب السعي لتقـوية الجهـات الوجـودية فينـا وطريق ذلـك هو التـدبر في مثـل هذه الآيات من أجل زيادة المعرفة الإلهية .

(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يسبح لله ما في السماوات والأرض ﴾ .

التسبيح التكويني شاهد على حكمة الله :

عدة مواضع تحدث فيها القرآن المجيد حول تسبيح الموجودات في جميع أجزاء عالم الوجود من العرش إلى الفرش فجميع مراتب الخلقة تسبح الله وتحمده .

والتسبيح التكويني العقلي ؟ يعني أن كل جزء من العالم وكل موجود من الموجودات شاهد على أن الصانع عالم ومقتدر وخصوصيات كل موجود ووضعه شاهد صادق على أن صانعه ليس فيه أي نقص وقد وضع كل شيء موضعه وكذلك في جميع النباتات والحيوانات وجميع الموجودات .

الأرض هي الحاضنة لشجرة البطيخ :

عندما تنظرون إلى البطيخ ترون أنه لو كان لشجرته ساق لما تمكن من تحمل وزن البطيخ ما عدا واحدة أو اثنتين لا أكثر ، فإذا ارادت أن تحمل أكثر من ذلك فسوف يتعرض الساق إلى الكسر ، فلهذا وجب على الأرض أن تحتضن شجرة البطيخ وبذلك تساعد الشجرة على حفظ البطيخ .

جذور بعض الأشجار يمتد في الأرض افقياً وأخرى ينزل عمودياً في داخل الأرض ، فعندما ينزل المطر سترتوي تلك النباتات التي لها جذور أفقية وقريبة من سطح الأرض ، أما تلك النباتات التي جذورها عمودية فستكون حصتها من الماء قليلة فلذلك نجد أوراق هذا النوع من النباتات مثل الفجل والشلغم على شكل أوراق عريضة تتفرع من الساق مباشرة وتنمو بشكل يمكنها عند نزول المطر من أكتساب أكبر عدد من الماء وتجعله يتسرب ويصب في أساس تلك النبتة وإيصاله إلى تلك الجذور .

هذا النبات يسبح يعني يشهد بأن الصانع له غير متناه في الحكمة والقدرة .

أسنان ومعدة الحيوانات مناسبة لجميع الأنواع :

في عالم الحيوانات نجد أن تلك الحيوانات التي تتغذى على النبات والعلف أعطيت أسنان ومعدة مناسبة لذلك ، وأعطيت الحيوانات التي تعيش على أكل اللحوم ، أسنان ومعدة مناسبة أيضاً . والحيوان الذي يأكل العظام مثل الكلب أعطيت له أسنان قاطعة ومهشمة للعظام ومعدة نارية لهضم مثل هذه المادة .

وبالنسبة للإنسان نفسه نجد أن له أسناناً في المقدمة (القواطع

والأنياب) حادة لقطع الطعام وتمزيقه ، وجعلت أسنانه الأخرى (الطواحن) عريضة ومسطحة لأجل طحن الطعام وسحقه .

اللسان الذي في الفم والميزات العجيبة التي فيه ، إذ ان له دوراً مهماً في الأكل وفي انتقال اللقمة إلى زوايا الفم ثم بعد ذلك أرسالها إلى الداخل .

هل توجهتم إلى أن هضم الطعام في الفم بواسطة الأسنان بحاجة أولاً إلى حركة الفك ، وقد جعلت الحكمة الإلهية الفك الأسفل هو المتحرك وليس الأعلى . تصوروا ان الفك الأعلى هو الذي يتحرك أثناء الأكل وهذا يعني أن رؤوس الجميع تتحرك اثناء الأكل فكم سيكون ذلك قبيحاً ؟! وإذا كان مجرد اصطكاك الفكين لا يكفي في هضم الطعام فأحسن طريقة هي الطحن والدوران فلا يتم اصطدامهما بصورة مباشرة وإنما يجب أن يدور الفك الأسفل قليلاً .

وعندما يضغط على الطعام بين الأسنان ويحركه فهو بحاجة إلى ملعقة متحركة ومحركة في نفس الوقت حيث يقوم اللسان بهذه المهمة ويحرك الطعام يميناً وشمالاً فكلما خرج الطعام من تحت الأسنان متهشماً أعيد مرة أخرى تحت الأسنان لأجل هضمه أكثر وأحسن ، كل ذلك يتم دون أن نكون ملتفتين ومتوجهين لذلك وبدون أن يقع اللسان في المصيدة ويسحق تحت الأسنان وفي بعض الأوقات يصير طرف منه بين الأسنان حتى نعرف قدر العافية ونتذكر النعمة الإلهية .

الأسنان واللسان تسبح الله ، وتشهد بأن الخالق لي ولجميع أجزاء البدن التي ترتبط بي بنحو من أنحاء الارتباط هو عالم وقادر مطلق ؛ هذا القسم من التسبيح التكويني يتمكن جميع العقلاء من ادراكه ولكن بحاجة إلى التأمل والتدبر .

هـر گياهى كـه از زمـين رويـد وحـده لا شـريـك لـه گـويـد

أي ان كل نبات ينبت على الأرض ينادي « وحده لا شريك له » .

الأذن غير الملائكية لا تسمع التسبيح الملكوتي :

هناك مرتبة أخرى من التسبيح غير التسبيح العقلي الذي ذكرناه من تسبيح الأثر الذي يدل على المؤثر وإن كتاب عالم الوجود دال على عدم نقص صاحبه .

والتسبيح الآخر مثل التسبيح الأختياري للإنسان ولكن بلسان ملكوتي فجميع أجزاء عالم الوجود حتى ذرات بدني وبدنك تسبح الله تسبيحاً ملكوتياً غير قابل لسماعنا فنحن في عالم الملك . وهذه الجهة الظاهرية والشكل الظاهري صامت ولكن ملكوته ذاكر .

ويقول القرآن المجيد :

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ .

فذلك التسبيح العقلي الذي ذكرناه يفهمه العقلاء ، إذن فالمقصود من التسبيح في هذه الآية هو التسبيح الملكوتي ، فجميع اجزاء العالم أصواتها مرتفعة بالتسبيح ، فالذي يخرج من عالم الملك ويدخل إلى عالم الملكوت سيفهم ماهية ذلك الضجيج في عالم الوجود من الذكر والحمد والتسبيح لله .

ومن الروايات المسلمة في معجزات الرسول الأكرم (ص) هو تسبيح الحصى في يده فقد أخذ (ص) الحصى في يده وفتحها أمام الأصحاب فسمعوا صوت تسبيح الحصى في يده .

المعجزة في إسماع الأصحاب لذلك التسبيح وإلا فنفس الحصى

يسبح ، فالـذي يعيش في عالم الملك لا يستـطيع سمـاع صوت الملكـوت لكن بقـدرة الأعجاز اسمعهم الصـوت الملكوتي بـآذانهم الملكية ، ولا يمكن إنكـار التسبيـح الملكوتي لمجـرد عدم الأحسـاس به فعلم البشر بـالنسبـة لما لا يعلم كقطرة في البحر ، وكنسبـة المتناهي إلى الـلامتناهي فـلا يأخـذه الغرور . ولا يتصـور أنه فهم جميـع الأشياء بـل عليه أن يفكـر فيها لم يفهمـه وسيعلم بـأنـه جاهل .

الإنسان والعوالم الأخرى مع النملة وعمود التلغراف :

أحد المحققين يضـرب لذلـك مثالاً جيـداً ويقول بـأن النملة عندمـا تمر عـلى عمود التلغـراف فهي لا تدرك منـه سوى أنـه جسم جامـد لا أكثر فهـل بإمكانها أن تفهم بـأن هذا العمـود قد نصبـه الإنسان ووضـع عليه الأسـلاك ليتم الأرتبـاط بين مـدينتين أو مـدن متعددة ويمـد احتياجـات كثيـرة سيـاسيـة وإقتصـادية وإجتمـاعية للمجتمـع فهي لا تدرك شيئـاً عن هذا العمـود وهذا السلك وإنما ترى الظاهر فقط .

الإنسان كذلك بالنسبة إلى ما وراء المادة وهوجـاهل بمـا في عالم الأرواح وكيفيـة الأتصال بينهـا وما هـو رزقها وكيف يكـون . . وكيفية حيـاتها وكيفيـة الملكـوت ، وإنما يـرى الظاهـر فقط والعاقـل لا ينكر وجـود أشياء إذا لم يعلم بها فالعقل يحكم بأن « عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود » .

فـالتسبيح الحقيقي والتكـويني لـلأشيـاء مـربـوط بعـالم الملكـوت وليس مـرتبطاً بـالأصوات التي تصـل إلى أسماعنـا عند اصـطدامها بـالهواء فـآذاننا ملكية (وليست ملكوتية) .

حلم الله وكفر وجهل الإنسان :

هناك ملاحظة أذكرها بالمناسبة وهي أن آخر الآية تقول : ﴿ **وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً** ﴾ فكيف ذكر حلم الله بعد بيانه لذلك المطلب .

ما هو السر في ذلك ؟ لعل الله سبحانه وتعالى إذا اراد ان يفهم البشر ذلك التسبيح الملكوتي للأشياء فسوف يهلك الناس لأنه ليست لديهم القدرة على تحمل سماع الصوت الملكوتي . فكل من يسمع الصوت الملكوتي لأجزاء جسمه لا يتمكن من الحياة وسوف يتلاشى ولكن الله حليم مطلق .

ان مقتضى العزة الإلهية أن يسمع البشر ويفهمهم ذلك الملكوت حتى لا يطغى ويدعي بنفسه ، لكن بما أن استماعه لا يتلاءم مع حياته وسيذهب عقله أيضاً فالله سبحانه وتعالى حليم رغم كفر هذا الإنسان ، فمع أن جميع اعضاء وذرات بدنه تقول « سبحان الله » لكنه منكر فكان من الجدير أن يفهمه ملكوته ولكن الله بحلمه ولطفه حليم بالإنسان مع كفره .

والاعجب من ذلك لو ان الانسان قضى شيئاً من العمر في اتباع الهوى ومعصية الله ثم بعد ذلك تاب ورجع إلى الله فإن الله سيعفو عنه « الاسلام يجب ما قبله »[1] فالإسلام يغطي على ما مضى لسعة رحمته ، ﴿ **انه كان حليماً غفوراً** ﴾ فالله يرحم ضعف هذا الانبسان ويقبل عذره ، ومسكين ذلك الانسان الذي لا يتوجه إلى هكذا إله .

إبراهيم (ع) والضيف الكافر الذي أصبح موحداً : ـ

هناك رواية وردت في أرشاد القلوب للمجلسي (ره) بأنَّ إبراهيم

(١) مجمع البحرين مادة جب .

الخليل (ع) كان لا يأكل الطعام لوحده من دون وجود الضيَّف ، وفي الأيام التي لا يوجد عنده ضيف كان يسير مسافة ميل بحثاً عن ضيف ليأكل معه الطعام ، وفي أحد الأيام خرج للبحث عن ضيف يأكل معه الطعام فرأى شخصاً فدعاه لتناول الطعام وعندما جلسا للغذاء قال إبراهيم (ع) « بسم الله » ولكن ذلك الشخص بقي ساكتاً ولم يقل شيئاً فقال له إبراهيم (ع) . أنت لم تذكر الله ، فقال :

من هو الله ؟ أنا لا أعرفه . فقال له إبراهيم : إذن قم واذهب من هنا فأنا لا آكل مع شخص ينكر الله .

فانصرف ذلك الشخص وبقي إبراهيم وحيداً فأوحى إليه أن يا إبراهيم إننا أطعمنا هذا الشخص لسنوات ولم نعترض عليه بشيء ولكن عندما أصبح رزقه بيدك اليوم فقد منعته وطردته .

فقام إبراهيم من مكانه فوراً وراء ذلك الشخص ورجاه أن يرجع ولكن الكافر أبى ذلك وبعد الأصرار الشديد من إبراهيم (ع) قال بأن أقبل بشرط واحد وهو أن تبين لي السبب الذي طردتني لأجله أولاً وبعد ذلك جئت تدعوني مرة أخرى وبهذا الأصرار الشديد وتطلب مني الرجوع ؟

فبين له إبراهيم (ع) الحقيقة وهي أن الله تعالى عاتبني على طردك ، فقال الرجل : إذن ما أحمقني أنا إذ تركت مثل هذا الإله الرَّحيم فعرفني يا ابراهيم بربي . وبعد ذلك أصبح مؤمناً موحداً .

الغرض هو أن الإنسان لو فكر قليلاً ليرى ماذا منعه الله ولم يعطه ؟ فكل ما هو بحاجة إليه من النعم المادية والمعنوية قد أعطاني إياها فماذا عملت أنا في مقابل ذلك ؟ أيَّة عبادة ، أيَّة معرفة « ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حق معرفتك » .

بنـده همان بـه كه ز تقصـير خـويش   عـــذر بـــدر گـــاه خـــدا آورد

يعني : انا ذلك المقصر الذي جاء إلى ربه معتذراً من تقصيره .

(٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

اول الدين معرفته وكمال معرفته توحيده .

معرفة الله واجبة بحكم العقل :

مسألة معرفة الخالق من الواجبات القطعية عند العقل بحيث أن أي عاقل يحكم عقله بأنه من الواجب عليك معرفة الخالق لك المنعم عليك وان تشكره على نعمه . والأوامر التي وردت في القرآن المجيد حول وجوب المعرفة من قبيل : تفكروا . . تدبروا . . انظروا . . كلها من قبيل الأرشاد إلى ذلك الحكم العقلي . يعني أن القرآن المجيد بين الأحكام التي يأمر بها العقل بقطع النظر عن أوامر القرآن ، فهو يدرك لوحده بأنه يجب عليك أن تعرف خالقك والمنعم عليك وتشكره على ذلك .

فالعقل يقول ان عليك أن تتفكر وتتدبر في الآيات والموجودات والقرآن أيضاً يذكر بهذا المعنى ، بل قد يذكر في بعض الآيات مع تأكيد أكثر .

أنظر إلى خلقتك وإلى طعامك :

﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ على الإنسان أن ينظر إلى أصل خلقته كيف صار هذا الكيان العظيم من قطرة ماء عفنة .

﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾على الإنسان أن يتفكر في هذا الطعام الذي يأكله لكي لا يكون مثل الحيوان الذي لا يهمه إلا التوجه إلى الأمور المادية ولذة البطن وإلا فما الفرق بينه وبين أكل الحيوان من هذه الجهة ؟ بل عليه ان يتوجه عندما يريد أن يأكل الطعام إلى أصله كيف كان ؟ ومن الذي صنعه ؟ . هذا الخبز الذي يأكله ، ماذا كان قبل الأكل ؟

﴿ انا صببنا الماء صبا ﴾ صببنا وما اجمل ذلك الصب . . حبة حبة وقطرة قطرة وليس دفعة واحدة . .

ما الأيدي التي جعلت من حبات القمح خبزاً طرياً سائغاً للأكل !؟ كل هذه وسائط النعم الإلهية . وهناك اسرار وحكم في هذا الخبز والماء الذي نأكل ونشرب وكيف يصل بكل سهولة إلى أفواهنا فيؤكل ويهضم وتدفع الزوائد . على الإنسان أن يتدبر في هذه الحوادث والأمور وان يتعرف على ولي نعمته .

الحيوان ينحني برأسه للأكل :

كل حيوان يأكل وهو مطأطىء برأسه إلى الأرض وعندما يشرب الماء يحني رأسه إلى الأسفل . . أما الإنسان فقد اعطي يدان بعنوان الخادم فهو

يتناول الطعام ويضعه في فمه بسهولة دون أن ينحني برأسه وهذا نوع من التكريم للإنسان ، لأن الرأس مركز الادراكات ولا يصح أن ينحني للأكل ، وإنما يجب ذلك فقط لرب العالمين لأنه عزيز وشريف وهذا الرأس العزيز والشريف يضعه لرب العالمين على أذل الأشياء وهو التراب .

البعير . . اعجوبة في الخلقة :

في آية أخرى :

﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ .

لماذا لا تتفكروا في خلق الجمل ، هذا الحيوان العجيب ، وكيفية خلقه ؟ جميع الحيوانات الأخرى لها مفصل واحد في كل رجل ولكن لرجل الجمل مفصلين وتنطوي رجله مرتين ، وانظر إلى ذلك النظم والتناسق بين رقبته ورجله .

قيل إنهم أخبروا أفلاطون بأن في الجزيرة العربية حيوان له أرجل طويلة ولكل منها مفصلان فقال :

اذن يجب أن يكون لهذا الحيوان عنق طويل لانه عندما يريد ان يأكل فيجب أن تكون رقبته متناسبة مع أرجله .

طعامه أيضاً متناسب مع المحيط الذي يعيش فيه ، ففي مناطق الجزيرة العربية والصحاري الحارة التي لا يوجد فيها نبات ، نجد أن طعامه الأشواك وهذا يعني أن له لسان وفم ومعدة متناسبة لهذا النوع من الطعام يمكنه أكل وهضم هذه الأشواك دون أن يصيب لسانه جرح فيتألم .

وكم يصبر ويتحمل العطش والجوع لانه يريد أن يلائم نفسه مع

المحيط الذي يعيش فيه ، فيمكنه أن يتحمل العطش لمدة عشرة أيام ويقال أن له ما يشبه الكيس قرب نحره يحتفظ بالماء فيه .

الأجرام السماوية . . والأرض المناسبة :

وانظر إلى فوق رأسك . . الكواكب العظيمة مع فاصلة مليون كيلو متر ضوئي ، وذلك الضوء والنظم في الدوران بمقدار بحيث لا تصطدم مع بعضها اطلاقاً .

وانظر أيضاً إلى الأرض التي تحت اقدامك لترى تلاؤم صنعها . . فمع أنها كروية الشكل ومتحركة دائماً إلا أنه جعل سطحها قابلاً للحياة فلا هو مائع أو متزلزل غير ثابت بحيث لا يمكن الاستقرار عليه . ولا هو صخور صعبة باجمعه بحيث لا يمكن البناء أو الزراعة فيه ، بل جعله مختلفاً حتى يكون ملائماً للحياة فيه ويمكن الاستفادة من ذلك بصور مختلفة من بناء وزراعة وأمور أخرى .

وانظر إلى الجبال : « ووتد بالصخور ميدان أرضه » فالجبال هي المانعة من تلاشي الأرض ، الجبال كالمسامير المثبتة في الأرض حتى تمنع من تلاشي وتفتت الأرض نتيجة تحركاتها الهائلة الوضعية والانتقالية .

اليقين الذي لا يزيله شك . . لازم :

اجزاء عالم الوجود كلها آيات الله على الانسان أن ينظر إليها بعنوان أنها آية ، مرآة إلهية له . . وعندما يقولون لجميع الوجود بأنه عالم فلأنه « يعلم به » وبواسطة هذا العالم يمكن الحصول على العلم بالله ، فكل ما في عالم الوجود كتاب لخالق الوجود يشهد على علمه وقدرته . طبعاً هذه المعرفة الاستدلالية العقلية ناقصة ويجب أن تتكامل ، يجب أن تكون هذه مقدمة

إلى العلم ، لأن الاستـدلالات العقلية لا تنتـج إلا الظن ولا تجلب الإطمئنان فيجب على الإنسان أن يسعى ليصل إلى مرتبـة العلم واليقين الـذي من آثاره السكـون والأطمئنـان والـذي من آثـاره أن لا يبقى أي شـك وريب عنـد الانسان .

يجب عـلى الانسـان أن لا يكتفي بهـذا المقـدار من المعـرفـة بـل يسعى حتى يصل إلى العلم ويعرف الله بـالعلم لا بهذه المعـرفة الاستـدلاليـة للفعـل فقط ، والـوصول إلى العلم هـو عبارة عن الأدراك الـذي لا يتزلـزل بتشكيك المشكـك ، ان يـدرك الـواقـع بحيث لا تـزيله الشبهـات وفي بعض الأحيـان يعبر عنه بالعلم وأخرى باليقين وهذه المرتبة من العلم قد أمرنا الله بها .

النظر الاستقلالي والمرآتي :

عندما تنظر إلى المرآة فهناك نوعان من النظر : نظر استقلالي ومرآتي .

النظر الاستقلالي هـو ان ينظر الى المـرآة من جهة نفسهـا ، مثلاً عنـدما يريد ان يشتري تلك المرآة فينـظر إلى حجمها ومقـدارها وصفـاتها ومسـاحتها ففي هـذه اللحظة لا يـرى صورتـه المنعكسـة في المـرآة ويصـطلح عـلى ذلـك « فيه ينظر » .

والنظر المرآتي هو أن ينظر الى المرآة حتى يرى صـورته فيهـا وليس لديـه غرض في نفس المرآة .

فالذي ينظر الى موجودات العالم بنظر الشراء والـرغبة فـإنه لا يـرى الله وفي هذا المجال يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) :

« من ابصر بها بصرته . ومن ابصر إليها اعمته »[1] .

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٨٢ .

فمن أبصر إلى الدنيا بنظر العبرة والبصيرة ، ورأى ان العالم وسيلة للمعرفة والوصول إلى مقام الإنسانية فسوف تبصره الدنيا ويحصل على نتائج إنسانية . . أما الذي وقعت عينه عليها وطلبها وأصبح عاشقاً لها وأتخذها هدفاً وجعل قصده وهمه الوصول إلى المقاصد المادية فسوف يعمى عن رؤية الحقائق والواقعيات ويؤدي ذلك إلى الضلال وعمى القلب والملاحظة الملفتة في عبارة نهج البلاغة هي في تعبيره « بها وإليها » والتي يجب التأمل فيها .

حب الدنيا واتباع الشهوات ، طلب الثروة ، والتحرر من المسؤولية وأرتكاب المعاصي تمنع الإنسان من الوصول إلى مقام المعرفة ، بحيث ان كل ذنب سهم في عين البصيرة فكيف يمكن أن يرى الله هكذا قلب ؟ فالذنب يحجب القلب عن رؤية الحقيقة مهما كانت واضحة ويجعله محروماً ، وهذا المعنى يمكن فهمه بصورة جيدذ من رواية الإمام الصادق (ع) إذ يقول :

« النظرة سهم من سهام إبليس مسموم »[1] .

عندما يصبح القلب مظلماً من كثرة الذنوب ويكون قد « أحاطت به خطيئته » فسوف ينكر آيات الله وأوضح الحقائق التي هي وجود الله[2] .

إذن فالذي يطلب السعادة عليه أن يتجنب كل ذنب حتماً ، ولو اتفق أن صدر منه ذنب فعليه أن يتوب فوراً .

« اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين » .

---

(١) سفينة البحار المجلد ٢ ص ٥٩٦ .

(٢) ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوء ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون سورة ٢ آية ١٠ .

ويتضح مما ذكرنا جواب هذا السؤال بأنه لماذا يكون حضور الخالق الذي هو قريب من جميع الموجودات عند بعض الأفراد مشهود وأكثر وضوحاً من الشمس وعند البعض الآخر مبهماً ومشكوكاً ، أجل . . فإن الكنز لا يتيسر حصوله إلا بالتعب ، فيجب تحمل تعب ترك المعاصي ومجاهدة النفس في طريق الحق حتى يصل إلى كنز المعرفة .

ويقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا * آمنوا بالله ورسوله** ﴾[1] .

فهناك مرتبتان من الإيمان ، المرتبة الأولى هي ذلك الإيمان الذي يكون بحكم العقل ، فكل إنسان يفهم بأن له خالقاً عليماً وقديراً فهو مسلم وكل عاقل يدرك هذا المعنى ، ولكن ذلك لا يكفي .

المرتبة الثانية الإيمان الملازم النابع من القلب ، بأن يصدق بقلبه حتى يكون في أمان من أي شك ووسوسة ويصل إلى السكون والطمأنينة يعني الهدوء القلبي .

ومن آثاره حالة الخوف والرجاء يعني الخوف من مخالفة الخالق والأمل بالله عند اطاعته .

وفي آية أخرى يقول :

﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق** ﴾[2] .

وعن أبن مسعود حيث يقول : بعد أن أنقضى على اسلامنا ثلاث أو أربع سنوات نزلت هذه الآية : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا** ﴾ . (يعني ذلك الإيمان

---

(١) سورة ٤ الآية ١٣٦ .

(٢) سورة ٥٧ الآية ١٦ .

العقلي الذي قلته وهو الاعتقاد بالله بحكم عقله وفطرته ، أما الآن فيجب على قلبه أيضاً التصديق) ، وان يكون خاشعاً لربه ويحصل على العلم واليقين ، فبعد مدة من السير في خط الإسلام والاعتقاد الاستدلالي العقلي يجب السعي للحصول على الإيمان القلبي الثابت الذي ليس فيه طريق للريب والوسوسة ويصل إلى مقام الخشوع . . أن يصبح محباً لولي نعمته وأن يضحي في سبيله ، وأن يتجاوز عن أي شيء من أجل رضا خالقه ، ويتعامل مع ربه بالمال والنفس .

وما دام لم يصل إلى هذا الإيمان القلبي فعنده عبادة الهوى ويطلب رضا نفسه فمع أنه مسلم ويصلي لكنه ناقص « وكمال معرفته التصديق به » ، فيجب أن يصل إلى مرحلة التصديق القلبي ويعترف قلبه ويصدق بالله .

خشوع المحبة يكون مع التذلل ، والإنسان عندما يكون له علاقة بأي شيء ويتبع ذلك الشيء فله إيمان به ، وإيمان الإنسان يجب أن يكون بخالقه ويفكر في طلب رضاه من الوقت الذي يستيقظ فيه في الصباح إلى أن ينام في الليل لا أن يتبع هواه وشهواته .

« وكمال معرفته التصديق به » المعرفة النظرية والاستدلالية ، يجب أن تصل إلى العلم القلبي الذي من آثاره خشوع القلب وهذا هو الذي عبر عنه في الروايات بالنور .

على الإنسان أن يسعى بمقدار استطاعته لكي يشرق هذا النور في قلبه .

النور الذي يجعله الله في القلوب :

ورد في حديث عنوان البصرى ان الإمام الصادق (ع) قال له :

« ليس العلم بكثرة التعلم والتعليم بل هو نور يقذفه الله في قلب من

يشاء أن يهديه »[1] .

فالمقصود من العلم هو ذلك الإيمان القلبي وإلا فهو علم كسبي فحتى علم التوحيد قابل للدرك وجميع العلوم الكسبية في اختيار البشر ، فكلما أتعب نفسه أكثر يصل إليه أكثر ، إذن فالمراد من هذا العلم الذي ليس بالتعلم والتعليم هو العلم بالله . . العلم القلبي وشهود الحق والواقع فالإدراك الحقيقي هو النور الذي يكون من الله وهو الذي يضيء القلب حتى يتمكن الإنسان أن يرى الحقائق كما هي .

إلهي أفهمنا الحقائق لأنها ليست أشياء نتمكن من اكتسابها ، فأستاذها هو الله ، وما يمكن للإنسان أن يعمله في هذا المجال هو الاستعداد ، أن يهيء نفسه لقبول ذلك النور القلبي حتى يحصل لديه ذلك الايمان والتصديق .

وظيفة الإنسان إزالة المانع :

إزالة المانع تعني ازالة الحاجب ـ وهو أمر بيد الإنسان نفسه ـ يعني أن يزيل ذلك الشيء الذي يحجب النور ويمنع القلب من الرؤية .

القرآن المجيد كثيراً ما يتحدث عن عين القلب ، فالإنسان له عين ظاهرية ، والذي يكون بها مشتركاً مع الحيوانات والتي ينظر بها إلى الأجسام ، وله عين للقلب يعني البصيرة والتي يدرك بها المعنى والحقيقة .

فكما أنه لو وضع شيء حاجب أمام العين الحسية فسوف لا تتمكن من الرؤية فكذلك عين القلب إذا كان أمامها حجاب فيكون مانعاً من تنور القلب وإدراكه وعلى الإنسان نفسه أن يزيل هذا المانع حتى يشرق نور

---

(١) بحار الانوار مجلد ١ .

العلم والتصديق القلبي عليه ، يعني أن الله سبحانه وتعالى يقبض عليه ذلك .

ويقول الشاعر حافظ « أنت بذاتك حجاب ذاتك فقم من مكانك يا حافظ » .

أما ما هو هذا الحجاب المانع من رؤية الحقيقة ، في حديثنا السابق اشرت إلى أن هذا الحجاب هو الأنانية والذاتية ، فإذا تمكن الإنسان من اضعافه وازالته في النهاية فقد وصل إلى تمام السعادة ، فحجاب هذا القلب هو تلك النفس والأنا ، وهي المانعة من رؤية الحق فلو أنها أصبحت قوية فسوف يتصور نفسه أنه هو الحق ويقول أنا الحق وكل من اتبعني فهو على الحق فالشيء الذي يليق بالله فقط يتصوره لنفسه .

فالذي عبد الهوى فإن حجابه سيزداد ويشتد حتى يصل إلى حد لا يريد إلا نفع نفسه فمن المحال على هذا الشخص أن يصل إلى التصديق القلبي فتصديق قلبه بذاته (لا يرى إلا نفسه) مثل الشيطان الذي قال (انا خير منه) .

فإذا تمكن من تقليل رغباته النفسية يوماً بعد يوم وقلل تقيداته بنفسه فسوف تزداد علاقته وإيمانه بالله .

ففي سورة « الشمس » المباركة يقول بعد أربعة عشر قسماً :

﴿ قد أفلح من زكاها ﴾[1] وطهرها وتمكن من إضعاف وتقليل هذا الحجاب حتى يزول نهائياً .

---

(١) سورة الشمس آية ٩ .

(٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الانتقال من الإسلام إلى الإيمان :

أول الدين معرفته ـ فالمسلم لا بد وأن تكون لـه معرفـة عقلية ابتـدائية بخـالقه ، ولكن هـذا غير كـاف وهو حسب الإصـطلاح إسلام بـالمعنى الأعم فيجب عليه التوصـل إلى مرتبـة الإيمان والأعتقـاد القلبي والذي هـو الإسلام بالمعنى الأخص ، ويوصينا القرآن الكريم بذلك .

﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

يعني عليكم أن تكونوا مستسلمين وخاضعـين لأمر الله ، والمقصـود من ذلـك هو الإيمـان القلبي وما لم يحصـل هذا الإيمـان القلبي فلا يمكن التـوصل إلى الكمـال الإنسـانـي إذ ان كمـال الإنسان بـالمعرفـة القلبية لله والعبـور على

الطريق المؤدي إلى الخالق .

ويقول في سورة الحجرات :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ .

فبعض سكان البادية الذين لم يشموا رائحة المعارف الإلهية وإنما اسلموا بالظاهر فقط كانوا يدعون بأنهم آمنوا ، ففي هذه الآية الشريفة يصرح بأنكم اسلمتم بالظاهر فقط وهذا لا يؤدي إلى الكمال إلا أن يكون مقدمة إلى الإيمان والاعتراف القلبي . نعم أنتم مسلمون لكن فقط الإسلام بمعنى الاستدلال العقلي والمعرفة الأجمالية وفقط التسليم للاحكام .

فعليكم السعي للحصول على الإيمان القلبي والوصول إلى الكمال « وكمال معرفته التصديق به » ، أن يحصل في قلوبكم الإيمان والتصديق بالحق والخشوع لله . . ومن أجل الحصول على الإيمان والعلم في القلب يجب كما قلنا إزالة حجاب النفس . . فما دام يرى نفسه مستقلاً وما دامت الأنانية مانعة فكيف يمكنه رؤية رب العالمين ، فما لم يرتفع هذا الأشتباه ، كيف تظهر الحقيقة بأنه ممكن الوجود . . يعني ان موجوداً قد اعطى له الوجود وليس هو ذاته ، في حين أن هذا الشخص لم يصدق لحد الآن أن الوجود وجميع آثاره من الموجودات محتاجة إلى الله .

فالذي وجوده عين ذاته هو فقط واجب الوجود . . أما غيره من جميع مراتب الوجود فهي لا شيء ، يجب ان يعطى لها الوجود . . فما دام لم يفهم هذا المعنى لحد الآن بل ويتصور نفسه موجوداً مستقلاً فكيف يكون عارفاً بالله .

تذكر العجز علاج الانانية :

يجب السعي لإزالة هذا الحجاب يعني التصور الخاطىء . ولا بد من مجاهدة النفس لكي يفهم واقعاً ان تصوره وهم وباطل . يجب أن يتعب نفسه حتى تنكشف له ماهية الـ « أنا » . فأنا لم أوجد في هذه الدنيا باختياري وذهابي من الدنيا باختياري وذهابي من الدنيا ايضاً ليس باختياري .. أنا ليس عندي اطلاع عما يجري في بدني ونفسي .. فماذا يمكنني عمله ؟! الربح والخسارة والموت والحياة القوة والعجز كلها خارجة عن اختياري .. هل يمكنني ان احتفظ بشبابي وصحتي أو أمنع عني الموت ، أن لا أسمح لشعري بأن يصير أبيضاً ؟ يجب أن يدرك عجزه وفقره الذاتي .

أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله .. الجميع محتاجون في جميع الأمور في القوة والقدرة والإدراك والحياة التي هي منشأ جميع الأشياء ، يجب أن يصدق بالفقر االذاتي الذي هو امكان الوجود حتى يرتفع حجاب النفس ، وان يبحث عن العلاج بالتفكر والتدبر والعمل ، ولا يغذي نفسه فالتحرر وعدم تحمل المسؤولية وجب زيادة وتقوية حجاب النفس .

المعرفة بمقدار الاستعداد والعمل :

« وكمال معرفته التصديق به » .. الإيمان القلبي والتصديق بالله .. العلم واليقين الذي من آثاره الخشوع والتذلل أمام الله لا يحصل دفعة واحدة وهو غير محدود بحد معين ، فكما أن الله سبحانه وتعالى غير محدود فمعرفته أيضاً غير محدودة فعلى كل شخص أن يسعى بمقدار ما أعطاه من المؤهلات لزيادة يقينه يوماً بعد يوم .

ففي البداية عليه أن يصل أولاً إلى مرتبة العلم والتي هي بحاجة إلى مجاهدة نفسية ولازمها التضرع إلى الله فيجب أن يفاض عليه من الله كي تندفع نفسه نحو الأرتياض يعني أن يقلل من العمل المطابق لميوله .

وعندما يصل إلى العلم يجب عليه ألا يتوقف لأن الحجاب ما زال موجوداً ، وإنما اصبح رقيقاً ويحتاج إلى مدة طويلة لأزالته نهائياً .

حجب الظلام والنور :

ورد في رواية : بأن بين العبد وبين الله سبعين ألف حجاب من ظلمة وسبعين ألف حجاب من نور . ومن الطبيعي أن هذه المطالب أعلى من إدراكاتنا ، فلا يمكن إدراكها إلا لأفراد معدودين ، فعندما يصل إلى مرتبة العلم فسوف ترتفع بعض حجب الظلام ولا تزول جميع الحجب .

معنى أن العلم هو الحجاب الأكبر :

قال بعض الأكابر بأن « العلم حجاب اكبر » ومقصوده على الظاهر أنه حجاب نوري ، فيجب أن يكون معلوماً بأن القائل لهذا الكلام لم يذم العلم ، وإنما أخبر عن كونه حجاباً ، وإنما يكون ذلك في الوقت الذي يجمع الإنسان معلومات كثيرة ويراها أنها من نفسه ويعتمد عليها ويعتقد بأنه قد وصل إلى الواقعيات وحقائق الأمور أو ـ لا سمح الله ـ أن يرى نفسه أعلى من الآخرين والخلاصة فما دام لا يرى الا نفسه وعلمه فهو في حجاب الغرور والتصورات الخاطئة .

أما أنه حجاب اكبر يعني العلم فلأن الحجب الأخرى يمكن ان يلتفت إليها الإنسان ويسعى بعد ذلك إلى التخلص منها وإزالتها ، بخلاف ما إذا أصبح علمه حجاباً فإنه لا يلتفت إلى ذلك حتى يسعى إلى اصلاحه

وإنقاذ نفسه إلا أن تشمله العناية والرعاية الإلهية ليلتفت إلى ذلك .

على كل حال فـ « سوء الحال » يعني أن الشخص مذنب ولا يترك هذا الذنب ويتوب منه ، فهو في حجاب ولا يسعى للتخلص منه .

أما « اسوأ الحال » فهو ألا يرى نفسه مذنباً ومحجوباً . ومن الواضح ان الفرصة للنجاة والخلاص في الأول موجودة ، أما الثاني فحسب الظاهر أنه لا أمل في نجاته إلا بفضل من الله . وبتعبير آخر أن الأول هو الجهل البسيط والثاني هو الجهل المركب .

فلو اراد الانسان الا يكون علمه حجاباً فالمفروض أن يكون علمه مصحوباً بتزكية النفس وترويضها وتهذيبها حتى يكون علمه معيناً له في طريقه وليس مانعاً .

زيادة العلم ورؤية القلب :

بعد العلم عليه أن يصل إلى العين ، حيث أن كمال العلم بالعين ، فيصل من علم اليقين إلى عين اليقين والذي يسمى رؤية القلب . وعندما يصل إلى هذا الحد وهذه المرتبة عليه الا يكتفي بذلك بل يرتفع إلى أعلى من ذلك .

« وفوق كل ذي علم عليم » . وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم في القرآن المجيد أن يطلب زيادة العلم من خالقه .

المرتبة التالية هي الوصول إلى الحق ، ولا يمكن توضيح حق اليقين بالعبارات العلمية والشيء الممكن هو تقريبه إلى الذهن بالأمثلة والتشبيهات وإلا فإنه اعلى من الحس .

من رؤية الدخان إلى الاحتراق بالنار :

وينقل هذا الكلام عن المحقق الطوسي حيث قاله في بيان مراتب المعرفة وهي علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

ينظر الشخص من بعيد فيرى دخاناً يتصاعد فيحصل له العلم بوجود النار ، فالعين ترى علامة النار وأثرها فعنده الآن علم اليقين ، وعندما يقترب أكثر حتى يرى تلك النار بوضوح فقد وصل إلى عين اليقين ولو أقترب أكثر بحيث أخذ يمس حرارة النار وسخن جسمه واحترق فقد وصل هنا إلى حق اليقين . ولا يمكن تشبيهه بأحسن من هذا .

الشيء الضروري والمهم هو همة الشخص في التكامل وأن لا يبقى في مرتبة معينة وإنما يسعى دائماً للوصول إلى مرتبة اعلى ، والوصول إلى مرتبة العلم مهم جداً وقد أمر القرآن الكريم بذلك .

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾[1] .

ولا يعني ذلك المعرفة الأجمالية العقلية بل الوصول إلى العلم الذي لا يخالجه الشك والريب وإنما يحصل معه السكون والأطمئنان بحيث لو لم يكن غيره موحداً على الأرض فلا يتزلزل ولا يضطرب لذلك وإنما لا يوجد في قلبه سوى كمال السكينة والاطمئنان الحقيقي .

الوصول إلى العين ، أعلى من ذلك ، فالسعادات الروحية عند صاحب عين اليقين تصل إلى حد أنه الآن يعيش في جنة روحية يرى نفسه دائماً مع محبوبه . . يدرك الله .

---

(١) سورة ٢٧٠ الآية ١٩ .

التقرب من الحق أمل المشتاقين :

تقرأون في دعاء كميل « يا غاية آمال العارفين » فنهاية آمالهم هو الله ، والوصال والقرب من الله منتهى طموحهم ورجائهم .

وفي مناجاة الإمام زين العابدين (ع) :

« جوارك طلبي (طلبي القرب المعنوي والجوار الحقيقي) ووصلك مني نفسي ، وفي هواك صباوتي ، ولقاؤك قرة عيني ، يا نعيمي وجنتي يا دنياي وآخرتي » .

ومن البديهي ان اللقاء هو بالقلب وليس بالعين الظاهرية .

ارادة القرب الحقيقي الذي هو « معكم أينما كنتم » . . ارادة ذلك القرب الذي ليس له ربط بالحلول والاتحاد . . فليس هو اتصال موجود بموجود آخر أو دخول موجود في موجود آخر ، بل إنه إزالة الساتر بحيث يفهم أن ذاته وجميع الموجودات هي آيات الحق واسماء الله وغير موجودات بالإستقلال .

ان يكون مطمئناً بأن وجوده ووجود كل موجود من الله ﴿ **الله نور يعني أنه ظهور ووجود السماوات والأرض** ﴾ . . والله هو قيوم جميع الموجودات فقوام وتحقق كل موجود منه . . أن يفهم ويدرك هذه المعاني ، الأدراك الذي يمكن أن يعبر عنه بـ (اللمس) . . لا أن يفهم فقط ، وإنما يجد .

وفقنا الله لنتقدم في طريق معرفته خطوة ، وأعاننا على إدامة ذلك .

(٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

تحقق الأشياء بالوجود :

طرح سؤال بالنسبة إلى ما ذكر في مطالب الجلسة السابقة حيث قلنا بأن جميع اجزاء عالم الوجود ممكنة ، ومعنى الممكن هو اللاشيء والعدم ، فالعدم والفقر الذاتي معدوم ولا شيء بحسب الذات ، بعد ذلك قلنا بأن الوجود عارض لها بعد ذلك ، فالسؤال هو أن العارض والمعروض مرتبتان من مراتب الوجود فكيف يكونان عدماً في حين أن لهما أثراً وهو نفس العروض .

وجواب هذا الأشكال هو أنه عندما يقال أن الوجود والماهية عارض ومعروض فهو ليس العارض والمعروض الإصطلاحي الذي يقع على

الأجسام الخارجية اللذان هما مرتبتان من مراتب الوجود بل أن الماهية هي حد الوجود لا أنهما شيئان اثنان ، وعندما يقال أن هذه الماهية حصلت على الوجود واصبحت موجودة ببركة الوجود فلا يعني هذا انها كانت موجودة ثم ان الوجود عرض عليها (فهذا تحصيل حاصل ومحال) لذلك فعندما يتصور الإنسان حدوداً للممكن فإن الوجود هو الذي يوجد هذا الحد .

ان الوجود عارض الماهية تصوراً واتحدا هوية

وبحسب الحقيقة فإن زيداً موجود من الموجودات ، ولكن عندما يحلل ذلك عقلياً لا يرى إلا وجوداً واحداً مع حدوده وخصوصياته . . فهو وجود واحد له حدود بالتحليل العقلي ، إذن فالعارض والمعروض إنما هو بحسب التصور لا الحقيقة ، وهو وجود واحد بحسب الحقيقة .

عاشق لكل ما في العالم لأن الجميع منه :

ولأجل تكملة ما ذكرنا ، يجب على الإنسان أن يسعى للحصول على التصديق القلبي بالنسبة لمعرفة خالقه ، يجب أن يكون بشكل بحيث يزداد يوماً بعد يوم ، فلو أنه وصل إلى العلم مثلاً فآثاره وعلائمه أن تتكامل علاقته ومحبته لخالقه ، فلو وصل إلى عين اليقين فسوف تزداد علاقته « فالإنسان عبد الاحسان » فلو أن أحداً أحسن إليك كأن تكون العين مصابة وقد عالجها الطبيب فسوف يتعلق القلب بهذا الطبيب ، ويغفل عن ذلك الخالق الذي اعطاه هذه العين ، فهذا الخالق الذي صدر منه كل ما في عالمنا الوجودي كم يجب على الإنسان أن يتعلق به ويحبه ، وأن يكون كل ما يحبه وكل من يحبه إنما هو لأجله ؟

أينما ينظر فهو الوجود وآثار الوجود المتعلق بالله ، لذلك فإن كل شيء يوجب محبة الله والسرور بحضور الحق .

« والأرتباط بالله اكثر والتقرب إليه وإنما يكون بتقليل وتضعيف الحجب والموانع بحيث يرى الله حاضراً وناظراً وان يدعو الله في مكان منفرد ويطلب من الله الزيادة في العلم ﴿ وقل ربي زدني علماً ﴾ .

ربي أرني أنظر إليك:

عين اليقين هي رؤية القلب التي هي أعلى مرتبة من العلم ، وعندما يصل إلى تلك الرؤية يجد لها اثاراً أحسن ويتضح ذلك من خلال قصة موسى عليه السلام .

بعد أن حصل موسى على علم اليقين ووصل إلى مقام التكليم ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ وسماع موسى لكلام الله راجع إلى عوالم القلب ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ وبعد أن وصل إلى مقام التكليم وأصبح قلبه الشريف مستعداً للتكلم ، عند ذلك طلب من الله الرؤية وقال ربي ارني انظر إليك .

فموسى عليه السلام أجل من أن يطلب الرؤية الحسية فهو يعلم بأنه من المستحيل رؤية الله سبحانه بهذه العين ، فالعين الحسية للبشر لا ترى الا الأجسام والألوان وتحت شرائط خاصة بأن لا يكون القرب والبعد كثيراً وألا يكون هناك حائلاً أو ظلاماً دامساً ، بعد ذلك فهي ترى ما تراه العين الحيوانية فما تراه العين البشرية لا يفترق مع العين الحيوانية ، أما الله سبحانه وتعالى فهو « مجسم الأجسام فلا يقال له الجسم ومكيف الكيف فلا يقال له كيف وأين الأين فلا يقال له أين».

فهو صانع الأجسام فكيف يكون جسماً بحيث يكون محتاجاً للتركيب ؟ لأن الجسم حادث وممكن ، وهو صانع المكان وخالق للسماوات والأرض فلا يقال له بعد ذلك « أين » وهو الموجود والخالق لكيفيات الأشياء .

اذن فعندما يقول موسى ربي ارني انظر إليك فلا يتصور احد ان الرؤية بالعين الظاهرية .

عندما يتحطم جبل النفس يحصل الشهود :

قال لن تراني ـ يحتمل أن يكون « لن تراني » اشارة إلى أن موسى لم يخرج بعد من حجاب نفسه فلذلك استحال عليه أن يرى الله فعندما يقول ـ ارني أنا ـ فهذه الـ (أنا) هي الحجاب .

وطبعاً هذه الأمور دقيقة جداً وعميقة ، حقائق فوق إدراك عقولنا الجزئية .

« ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني » ، ويحتمل أن يكون هذا الجبل هو جبل النفس فإذا انهدم واندك هذا الحجاب الأعظم وهو جبل الأنية والذاتية حينذاك يحصل الشهود وعند ذاك تحدث الصعقة ويموت الحجاب الأعظم وهو الـ (أنا) موتاً ارادياً ﴿ فخر موسى صعقاً ﴾ .

وطبيعي أن ننقل هذا المعنى بصورة الأحتمال لا إنه المقصود مائة بالمائة من هذه الآية ، فعندما تدمر وتحطم الهيبة الإلهية أنانية وذاتية النفس وتموت الذات فسيحصل على الاستعداد والقابلية لأن يصل إلى مرتبة عين اليقين واكثر من ذلك إلى حق اليقين بحيث لا يوجد أي أنانية في البين .

من أنا حتى اثني عليك ؟

المرتبة الكاملة لذلك هي عند خاتم الانبياء (ص) حيث لم تكن « أنا » في البين مطلقاً ، وفي دعاء السجدة لخاتم الأنبياء (ص) نقرأ :

﴿ رب لا احصي ثنائي عليك أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ .

الهي من أنـا حتى احمدك واشكـرك انت كـما اثنيت عـلى نفسـك وأنت الذي يجب أن تثني على نفسك .

أو في سجدة النصف من شعبان لرسول الله (ص) :

﴿ سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ﴾ .

مـا عرفنـاك حق معرفتـك ـ فممكن الوجـود يبقى ممكن الـوجـود مهـما تـوصـل إلى مـراتب عـاليـة ، فـالعبـد عبـد ، والله هـو الله . . فـلا يمكن أن يصيـرمحمـد إلهاً في وقت مـع أنـه في أعـلى درجـات القـرب بحيث انكشفت الحقيقـة لمحمد (ص) مـا لم تنكشف لأحد ، ومـع ذلك **﴿ مـا عبـدنـاك حق عبادك ﴾** .

أردت أولاً أن نسعى لنتقـدم خطوة في بيـان المراتب بشكـل مختصر من أجل الا نقنع ونتصور بأن هذا هو كـل شيء ـ بل علينـا أن نسعى ببركـة الله للتقدم والتوصل ـ وثانياً ان لا يستولي علينـا الغرور في هـذه المرتبـة التي نحن فيهـا بل يجب أن نعلم بـأن أمامنـا مراتب كثيـرة جداً **﴿ وفـوق كل ذي علم عليم ﴾** .

(٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به .

الإطمئنان نتيجة الإيمان وليس نتيجة العلم فقط :

مهما كان الموضوع مهماً إلا أنه يجب تكراره حتى لا تبقى أي شبهة في الذهن ، لئلا يتصور أحد بأن المعرفة الاستدلالية العقلية كافية ، فمعرفة الله والرسول والمعاد بحكم العقل معرفة ناقصة ومخطورة يعني أنها في معرض الشك والوسوسة ، ويمكن أن يصرعه الترديد ويهلكه ، فالذي يوجب الأطمئنان هو الإيمان القلبي بأن يصدق قلبه بما حكم به عقله .

فعندما يصدق القلب تظهر آثار ذلك الإيمان بالترتيب فمن جملتها أن

الإنسان الذي آمن قلبه بأن الله عالم وقادر وهو المنعم عليه سيحصل في قلبه حب الله فيتجنب كل معصية في حين أننا نجد كثيراً من الأشخاص الذين قضوا في هذه الاستدلالات العقلية عمراً طويلاً لكن لا يوجد شيء من ذلك في قلبه ، فكل ما عنده إنما هو باللسان فقط وليس في قلبه شيء من الحقائق والمعارف .

الشيء الموجود في قلبه هو حب الدنيا ، إذن فإيمانه بهذه منحصر بالدنيا وعبادته لهذه الدنيا وللصعود المادي وكل ما تطلبه النفس وتشتهيه. . إذن فليس كل من درس شيئاً حصل على العلم القلبي ، لقد فهم الاصطلاحات العقلية لا أن قلبه قد آمن وصدق وتنور بنور الإيمان .

اليقين بالموت أشبه شيء بالشك :

نضرب مثالاً على أن العقل قد يكون متيقناً من بعض الأمور ولكن القلب غير مصدق بذلك . في مسألة الموت وفناء الدنيا . فكل عاقل يعلم بأن كل مركب لا بد وأن ينحل ، وأيضاً بطريق الاستدلال العقلي على الغاية يعلم بأن كل موجود مخلوق لغاية معينة وهدف ، وعندما يصل إلى تلك الغاية فسوف يكون الموت حتمياً .

والعقل التجريبي شاهد على ذلك أيضاً بأنه لا يوجد أحد مكتوب له البقاء . . لم يبق احد من الأفراد الذين كانوا قبل مائة سنة ، فهذا يعني أنه لا يبقى أحد من هؤلاء الناس بعد مائة عام تقريباً ويحصل له اليقين بذلك .

لكن القلب لا يصدق أبداً بهذا المعنى . وهناك عبارة مروية عن الإمام علي (ع) حيث يقول :

« ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من اليقين بالموت » .

يعني ان الإنسان يرى ذلك دائماً ويدرك ذلك أيضاً بالاستدلال ومع ذلك لا يصدق ، فالقلب لم يؤمن بذلك بعد لذلك لا يذكر الموت وزوال الدنيا أبداً ، لذا نرى عمله الدؤوب في طلب المال والثروة ، في حين ان عمره لا يكفيه للاستفادة من هذه الاموال ، فلماذا لا يرى الواقع ، لأن ساتراً قد غطى على عينه الباطنية ، فهو في غفلة ، وحرصه في جمع الثروة في تزايد مستمر كما لو أنه سيبقى أبد الدهر .

أو طالب الرئاسة ـ هذا الأمر الوهمي والمسبب للأتعاب والمصائب يسلب الحريات ـ يجرده من تلك الراحة والفراغ الذي كان لديه ، وكل ذلك لأيام معدودة أيضاً ، فلماذا لا يرى الانسان نهاية الأمر حيث يتصل كرسي الرئاسة بتابوت الموت . . احسب مقدار عمرك ثم أعمل من أجل ذلك . . لكنه لا يصدق بالموت والفناء لأن القلب محجوب فلا يرى إلا نفسه ورغباته ، وفي الحقيقة فهو ما زال في المرتبة الحيوانية التي لا تدرك العبرة .

فلو زال الحجاب واضاءت عين القلب ورأى الحق وعرفه فعند ذلك يصبح طالباً له ، ويمشي في طلب رضا الله . . يتبدل ، ولكن ما دام هذا الحجاب محيطاً بالقلب فلا يمكن أن يكون طالباً للحق .

كونوا روحانيين لتصبحوا علماء :

ورد حديث في كتاب منية المريد للشهيد الثاني نقلاً عن المسيح (ع) حيث يقول :

« ليس العلم في السماء فينزل اليكم ، ولا في الأرضين فيخرج اليكم ولكنه مجبول في نفوسكم ، تأدبوا بآداب الروحانيين تجدوه » .

فالمنبع موجود في قلب الانسان إلا أنه يجب إزالة المانع والحجاب الذي فوقه . فلو أن عين الماء كانت مغطاة بالأتربة وكانت تمنع خروج الماء أو كانت فوقها صخرة ، وجب إزالة هذا المانع حتى يتم جريان الماء . لذلك يقول : تأدبوا بآداب الروحانيين حتى تجدوا العلم .

يعني ما دمتم تسيرون في طريق غير روحاني ومادي فلا يمكنكم العثور على العلم الراجع بعالم المعنى والحقيقة والروحانية . فازيلوا هذا المانع وتأدبوا بآداب أهل المعنى عند ذلك تعثرون على العلم وتجدوه .

الاخلاص في العبودية وعيون الحكمة :

وفي رواية أخرى عن رسول الله (ص) يقول :

« من اخلص لله أربعين صباحاً (وسيتضح معنى الأخلاص في العبودية بعد ذلك) جرت ينابيع الحكمة من قلبه إلى لسانه »[1] .

بإمكان الشخص أن يقرأ الروايات والتفسير والعلوم الأخرى ويحفظها في ذهنه ثم يلقيها بعد ذلك مثل جهاز التسجيل ، فهذا العلم لم ينبع من القلب وإنما هو كما عبرنا عنه مثل جهاز التسجيل ليس له قيمة ، إنما هو معرفة اصطلاحات لا أكثر . . العلم الحقيقي هو ما ينبع من قلب الإنسان ويتحقق به ويتأثر بآثاره .

فلو أن أحداً عرف الله بالعلم فسوف لا يرتكب ما يخالف رضاه . وأما لو خالفه وعصاه فسيتضح أنه لم يعرف الله بالعلم . . ونقرأ في ضمن دعاء ابو حمزة :

---

(١) عدة الداعي .

« الهي لم اعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد . . ولا لعقوبتك متعرض ولكن خطيئة عرضت لي وسولت لي نفسي » .

وعلامة ذلك أنه يندم بسرعة ويستغفر ، فلو ان احداً كان يرى الله حاضراً وناظراً فسوف لا يختلف عنده حال الظهور والخلوة ، فغير ممكن أن يرتكب في محضر خالقه ما يخالف أمره ، وطبعاً للعلم مراتب أيضاً .

مجاهدة النفس ضرورية ، وعندما تزول الـ (أنا) يرتفع حجاب كبير ، وما دامت هذه الـ (أنا) و (الأنانية) موجودة فلا يمكن الحصول على الله . . والحذر مما صار إليه الشيطان الذي قال (انا) ورأى نفسه وجوداً مستقلاً فأصبح مطروداً إلى الأبد .

المعرفة لا تجتمع مع الجهل بالواقع :

على كل حال فطريق الله لا يجتمع مع الجهل فالذي لم يفهم لحد الآن بأنه عدم فكيف يجد الطريق إلى المعارف الإلهية ؟ . . والأنانية والاستقلال ، والغفلة عن العدم ناشئة من الجهل فلو كنا نريد التعرف على توحيد الله واقعاً يجب علينا أولاً إزالة هذا الحجاب . فالمجاهدات لازمة لكي لا تبقى الـ (أنا) ، ولا يكون هناك حب الذات بل حب الله . . واقبح انواع الشرك الباطني هو هذا النوع بأن يرى وجوده من نفسه ولا يرى الله ، في حين ان ذاتنا بقطع النظر عن الوجود لا شيء ، ومع الوجود لا شيء ، ومع الوجود فهي غير مرتبطة بنا بل مرتبطة بالله . . يجب أن يكون هذا المعنى ضرورياً لنا .

الهي أظهر لنا حقائق الأشياء ، كما هي واقعاً (ارني الأشياء كما هي) واجعل هذه القلوب المحجوبة بدون حجاب بقدرتك القاهرة ولا مفزع ولا مهرب إلا الى الله ، فيجب الفرار إليه فقط . . ففروا إلى الله .

(١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

« أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال تصديقه توحيده » .

التوحيد الذاتي والصفاتي والافعالي :

قلنا بأن كما المعرفة ليس بالاستدلال ، بل بالتصديق القلبي والإيمان . وقد بينا في البحوث السابقة معنى التصديق القلبي ومراتب من علم اليقين وعين وحق اليقين . وهذا التصديق لا يصل إلى الكمال الا بأن يعرف الله بالوحدانية ولا يعرف له أي شريك وإنما هو الله وآثاره الله وتجلياته .

التوحيد أيضاً له مراتب . . التوحيد الذاتي والصفاتي والافعالي التوحيد الذاتي هو ان لا يعلم إلهاً غير الله الواحد الأحد ، والتوحيد الصفاتي هو أن الصفات كلها ترجع إلى واحد وهي عين ذاته وليست زائدة عليه ، والتوحيد الأفعالي ان يفهم فاعلية الحق في جميع الأمور .

التوحيد الذاتي : واجب الوجود واحد ، وهو أزلي وأبدي الوجود ، يعني انه كان موجوداً وسوف يبقى أيضاً ، ووجوده ليس عارضاً عليه بل هو ذاتي . وإدراك وحدة واجب الوجود أقل مراتبه هو بالاستدلال العقلي ، ان يفهم بأن مبدأ العالم واحد ، والأدلة العقلية كثيرة نذكر لذلك بعض النماذج .

التعدد في واجب الوجود محال :

اذا كان المبدأ أكثر من واحد لزم التركيب في حين أن واجب الوجود لو كان مركباً للزم أن يكون محتاجاً لأجزائه ولمن يركبه ، فكل مركب ممكن ومحتاج للأجزاء وللفاعل أيضاً ، إذن فعندما يكون واجب الوجود مُرَكباً فهو ليس بواجب الوجود بل ممكن الوجود ومركب ومحتاج .

وإذا كان واجب الوجود متعدداً واصبح اكثر من واحد فلا بد ان يكون هناك ما به الأشتراك وما به الأفتراق والامتياز ، يعني أن هناك جهات مشتركة وأخرى مختلفة . وإلا فلو لم يكن ما به الامتياز امتنع أن يكونا أثنين وهو خلاف الفرض ، إذن فكل واحد منها اصبح مركباً من أمرين وهما عبارة عن ما به الأشتراك وما به الأمتياز ، والمركب محتاج وممكن لذلك فهو ليس بواجب الوجود .

فلذلك يجب بحكم العقل ان يكون المبدأ واحداً ، فلو كان أكثر من واحد فكل واحد منهما غير واجب الوجود فكل واحد محتاج إلى موجد

وجاعل وهو ذلك الذي جعل التركيب بينها .

التعدد يؤدي إلى الفساد ، والوحدة إلى الصلاح :

أو الدليل الذي ذكره القرآن على ذلك :

﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴾[1] .

فمما لا شك فيه أن مبدأ عالم الوجود والخالق إذا كان أكثر من واحد فإن هذا النظام لا يكون هو الأحسن ، وإنما كان هذا النظام أحسن لأنه من مبدأ واحد وفي آية أخرى يقول :

﴿ إذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض ﴾[2] .

والخلاصة أن كل فساد ناشيء من التعدد والكثرة ، وكل صلاح ناشيء من الوحدة .

ادلة التوحيد في علم الحكمة والكلام كثيرة ، ولكن ما لم تكن مصحوبة بالتصديق القلبي فهي غير كاملة ، يجب أن تصل إلى مرحلة الشهود ، وأن يصدق بها بحيث لا يبقى عنده أي شك أو وسوسة ، فكل شيء يمكن فيه الشك إلا في المبدأ والمعاد .

وطبعاً إنما يكون ذلك عندما لا تكون (الذات) والـ (انا) موجودة والذي شرحناه بالتفصيل . عند ذلك يصدق واقعاً بأن وجوده ووجود جميع الموجودات من الله ، فالحدود مع قطع النظر عن الوجود هي لا شيء وعدم ، يجب أن يفهم هذا المعنى جيداً فالوجود هو الذي تظهر منه هذه

---

(١) سورة ٢١ الآية ٢٢ .

(٢) سورة ٢٢ الآية ٩١ .

الـظهـورات لا الحـدود التي هي اعتبـاريـة ، هـذه المعـاني يمكن أدراكهـا بالقلب .

يخالف لأنه لا يفهم :

هـل يمكن لأحد أنْ ينكـر الـوجـود ؟ . آثـار الـوجـود مـع قـطع النـظر عن الحدود والماهيات شـاملة للجميع وفي كـل مكان وهـو واحد ، فـالـوجـود واحـد حيث أن السماء والأرض والحيـوان والإنسـان وغيـرهـا كلهـا مـوجـودة السماء موجـودة ، الأرض مـوجـودة وهكـذا ، ونفس السماء والأرض بقـطع النظر عن الوجود هما لا شيء وعدم .

وطبعـاً إدراك هذه الأمـور يكون سهـلاً جداً بعـد مجاهـدة النفس وإنمـا يكفـر الإنسان بهـذه الأمور لأن قلبـه محجوب (المـرء عدو لمـا جهله) فيتصور نفسه عالماً والآخرين هم الجهلاء ويرى التوحيد كفـراً ولا يمكنه إدراك الـواقع والحقيقة ورؤيتها لوجود حجاب النفس ويرى ان الآخرين هم الجهلاء ..

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ .

فـالنور هـو الوجـود ، وإلا فكما قلنـا بأن السـماء والأرض بغض النـظر عن الوجود لا شيء .

الـوجود هـو الذي جعـل من السماء سـماءاً ومن الإنسان أنسـاناً ، هـو الذي أوجد الجميع . فلو لم يكن الوجـود لحظة واحـدة فسينعدم كـل شيء ، فنفس الماهية لا شيء ، والـوجود هـو الذي يعـطيها الـظهور ويـظهر لهـا هذه الحدود . فالمظهر هـو الوجـود « فالله هـو الذي أظهـر السماء والأرض وجميـع المـوجودات واعـطاها الـوجود » فهـذا الوجـود مع كـل هذه السعـة والشمول

وهذه الوحدة التي لا ينفصل عنها أي موجود وإلا فهو غير موجود . . فلو إنه أدرك هذا المعنى بنور القلب فسيفهم جيداً قرب الله والمعية والقيمومية الإلهية .

القرب ليس زمانياً أو مكانياً وليس بالمرتبة والشرف :

ونقرأ في نفس خطبة نهج البلاغة بأنه ، « مع كل شيء » فهو مع كل موجود لأن وجود كل شيء منه ، ولكن« لا بمقارنة »فهو ليس قرباً اقترانياً ملازماً للأجسام ، وليس قرباً مكانياً وكذلك ليس بزماني ، فمثلاً هذا الجزء من الأصبع ملاصق لهذا الجزء فهو قريب منه بحسب المكان ، والقرب الزماني مثلا ان اليوم بالنسبة الى ليلة أمس قريب ، ومن حيث العمر فالعشرون سنة قريبة من الواحد والعشرين .

وكذلك فهو ليس قريب من حيث الرتبة ، ولا يمكن أن ننسب الى الله القرب بهذا المعنى . لا يوجد قرب مكاني بين الله والخلق فالله في هذا الطرف والمخلوقات في الآخر ، فلو كان كذلك بأن قلنا مثلاً واستغفر الله بأن الله في السماء فهذا يعني أن الأرض وأهلها موجودات مستقلة في مقابل الوجود ، فهو ليس بقرب زماني ولا مرتبتي ولا اشرافي ، فلا قرب بين المخلوق والخالق بأي شكل من هذه الأشكال .

قرب أمير المؤمنين (ع) من رسول الله (ص) هو قرب الرتبة والشرف وهذا القرب لا يوجد بين الله وبين أي واحد من المخلوقات أبداً حتى قرب الماهية وأجزائها أو قرب الفصل للجنس ، فالله سبحانه تعالى منزه عن هذه الأشكال من القرب .

اذن لا يمكننا أن نضرب مثالاً للقرب من الحق لأنه « ليس كمثله شيء » ومهما كان معنى القرب في اصطلاحنا ، فهو منزه عن ذلك بالرغم من أن البعض حاول تشبيه ذلك بقرب الموج بالنسبة للبحر ، لكن الله

أعلى وأجل من هذا التشبيه .

الحلول والأتحاد كفر :

لذلك يقول أمير المؤمنين (ع) :

« مع كل شيء لا بمقارنة » .

مع كل شيء لكن لا يعني ذلك أنه قريب منه وقرين له بحيث يكون زيد والوجود أمرين مقترنين مثلاً ، فالاتحاد كفر ، فلو أن أحداً قال بإتحاد الخالق والمخلوق ، وإنه وجود وهذا أيضاً وجود فهو شرك كما أن الحلول أيضاً كفر وهو أن يكون الله داخلاً في شيء كما يكون الماء في داخل الأناء .

الحال والمحل اثنان ووجودان . . اذن هو معكم ولا يتصور بأن الله منفصل عنه وإن هناك وجودان اثنان .

و « غير كل شيء لا بمزايلة » فالله غير كل شيء لكن بشكل منفصل بحيث يكون لله وجود ، ولغير الله أيضاً وجود آخر .

وطبعاً كما قلنا فإن الموضوع عميق جداً ودقيق بحيث لا يمكن إدراكه بالفهم العادي والطبيعي . وأيضاً يقول الإمام علي (ع) :

« بينونة الصفة لا بينونة العزلة) فالمخلوق مباين للخالق في الصفة لا إنه منفصل عنه في التحقق والوجود بحيث يكون منعزلاً عن الله سبحانه وتعالى ، والله سبحانه وتعالى منفصل وفي معزل عن الخلق .

وتجب مجاهدة النفس طول العمر والمواظبة والمراقبة وان يصفي قلبه حتى يمكن لنور التوحيد أن يضيء قلبه لكي يصل برؤية القلب إلى إدراك وحدانية الله الحقيقية بمقدار ما له من قابلية واستعداد وأن يصل الى مرتبة

حق اليقين وهي المرتبة الكاملة للتوحيد التي على رأسها محمد وآل محمد (ص) . . أن يصل إلى مرتبة : « إلهي هبني كمال الأنقطاع إليك » فهو منقطع كلياً عن غير الله ومرتبط بالله .

يعمل بالعين والأذن واليد الإلهية :

ورد في أصول الكافي :

« كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش » .

فكل شيء يكون إلهياً . . لقد توضحت لديه حقيقة ذاته وفهم بأنه الله وآثار الله . . ظهور وتجلّي الله . . وكلمة التجلي وردت في القرآن والحديث ففي القرآن « فلما تجلى ربه للجبل » وفي دعاء المبعث « اللهم إني أسألك بالتجلي الأعظم » .

والتجلي الأعظم لله هو خاتم الأنبياء ، فلا يستوحش أحد من هذه التعبيرات ، فلأن الإنسان يرى نفسه دائماً فيستوحش من هذه المطالب ولكن عندما يفهم بأن أنا وأنت وهو والجميع عدم بقطع النظر عن وجود الله فسوف يزول عنه الترديد والاستيحاش ، وطبعاً فإن ادراك ذلك صعب ، وبما أنكم شباب فيمكنكم أن تجدوا الطريق لذلك فارحموا ذاتكم ولا تغذوا أنفسكم ولا تعملوا على تقويتها حتى لا يشتبه ويختلط عليكم هذا المعنى ، بل اعملوا على تضعيف حجابكم بالمجاهدات الصحيحة والشرعية واعملوا على تقوية الجوانب المعنوية منها ، نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق لكل خير .

(١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

« أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال تصديقه توحيده » .

جميع الحوادث من محدث واحد :

بعد أن يحصل الإنسان على العلم بخالقه يجب أن يكون على اساس من الوحدانية وإلا فهو ناقص في معرفته ، وذلك بأن يتيقن بأنه « وحده لا شريك له ذاتاً وصفة وفعلاً » ، يعني التوحيد الذاتي والصفتي والفعلي وبعد ذلك التوحيد في مقام العبادة والطاعة .

التوحيد الذاتي : هو أن يعرف بأن ذاته المقدسة هي مبدأ عالم

الـوجود . وجميـع الموجـودات والحوادث حـاصلة منه وصـادرة عنـه ففي عـالم الوجود إله واحد يرجع إليه جميع الوجود والموجود ، فالواجب الـوجود واحـد وهو أزلي وأبدي وكان دائماً وباقياً كذلك ، وغيـره ممكنات وحـوادث ، ويقال في تقسيم ذلك بحسب التصور بأن الوجود على أقسام ثلاثة :

إما واجب ، أو ممكن ، أو ممتنع .

فـإذا كـان الـوجـود عـين الـذات ، ولم يعط لـه الـوجــود فهـو واجب الـوجـود ، وأمـا إذا لم يكن ثم كـان بعـد ذلـك يعني ان الـوجـود لم يكن في ذاته ، وليس هو حتمي بـالنسبة إليـه أي أنه يمكن أن يكـون ويمكن ألا يكون فيقـال عنه إنــه ممكن الوجـود ، أما الممتنـع فهو أن يحكم العقـل بـإستحـالـة حدوثه ووجوده وتحققه في الخارج مثل شريك واجب الـوجود بـأن يفترض وجود خارجي للشريك ، هذا مستحيل ، ولكن لماذا ؟

محال أن يكون لله شريك :

لأنـه لو كـان واجب الوجـود اثنين فـلا بد وأن يكـون بينهما فـارق وما بـه الامتياز ، فالشيئان البسيطان من جميـع الجهات ليسـا بإثنـين حتماً وإنمـا يجب أن تكون هناك جهة مختلفة بينهـما لكي يكونـا اثنين ، وإلا فـالاثنينية غـير حاصلة . ويلزم من ذلـك التركيب ممـا به الأشتـراك ومما بـه الامتياز والتـركيب ايضاً يؤدي إلى الاحتيـاج ، فكـل مـركب محتـاج إلى أجـزائـه التـركيبيـة وإلى مـركب لهـا ، ويحصـل عندئـذ الانقلاب ، يعني ان واجب الـوجـود ينقلب إلى ممكن الـوجـود لأن المــركب محتـاج يقينــاً فهـو ممكن وليس بـــواجب ويحتــاج إلى واجب لكي يوجده ، فبهذه الأدلة وأمثالها يستدل على أن شريك الخالق ممتنع الوجود .

ثم إنه لو افترضنا وجود إله آخر فهذا يعني أن للعالم مبدأين ، وأن هناك علتان للموجودات ، واللازم لذلك بقطع النظر عن الدليل العقلي على الامتناع هو الفساد الذي أشرنا إليه ، لأن اللازم لواجب الوجود هو الافاضة والخلق للوجود ، فيجب أن يكون لكل منها مخلوقات وكل واحد منهما عالم منفصل ، وأيضاً هل يمكن لكل واحد منهما التسلط على الآخر ؟

فإذا لم يتمكن من ذلك فهو عاجز والعاجز لا يكون إلهاً ، ولو كان قادراً على ذلك للزم الفساد ﴿**إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض**﴾ فيجب أن يستولي أحدهما على الآخر ، ولو كان كذلك فهذا يعني الفساد ، ولو أصبح أحدهما مغلوباً امتنع أن يكون واجب الوجود بعد ذلك لأن الله لا يمكن أن يكون مغلوباً ابداً . ويتضح امتناع الشريك لله من آيات القرآن والأدلة العقلية .

وحدة الخالق من وحدة الخلق :

وأيضاً يمكن إدراك وحدة الخالق من كيفية الوحدة في المخلوقات لأن كيفية الخلق واحدة فالخالق أيضاً واحد . فمثلاً ٥ / ٤ مليارد إنسان مخلوقون من النطفة وكلهم على هذه الشاكلة إذن فالذي خلقني هو نفسه الذي خلقك وخلق ذاك وخلق الجميع ، فالجميع من حيث الخلقة متساوون ، وفي الحيوانات كل واحد منها كذلك أيضاً ، إذن فالخالق للجميع واحد وهو خالق الإنسان والحيوان .

ولاحظوا ذلك أيضاً في عالم النباتات فجميع الأنواع المختلفة تنبت من حبة أو قلم ، فظهور العظمة والقدرة في حصول الرمان هو نفسه في التفاح والكمثرى ونفس العظمة والقدرة في خلق الحبوب .

فالموجودات كلها مرتبطة بقدرة واحدة وبحكمة واحدة ، فالقدرة والحكمة الموجودة في خلق الفيل هي تلك القدرة والحكمة في خلق البعوضة ، فذلك الخرطوم الرقيق في البعوضة ليس بأقل من حيث نوعيته من خرطوم الفيل بل أنه أدق وأسرع ، إضافة إلى أنه اعطى لها جناحين . اعضاء الفيل مع كل ذلك الهيكل الضخم نجدها قد استخدمت أيضاً في البعوضة كالقوة السامعة والباصرة والمعدة وجهاز الهضم وغيرها فهل أنكم لا تدركون وحدة الخالق من هذه الكيفية في الخلقة ؟ فذلك الذي صنع الفيل هو نفسه الذي صنع البعوضة .

التوحيد والهدف من خلق المخلوقات :

والأسلوب الآخر هو عن طريق وحدة الغاية وكيفية الربط والأرتباط بين الموجودات ، فلا شك أن لكل موجود مخلوق غاية وأنه مخلوق لمنفعة معينة ، وكل موجود مرتبط مع الآخرين بنحو من الأرتباط ، فهذا الموجود مخلوق لأجل غاية عند موجود آخر ، فجميع هذه الموجودات مرتبطة مع بعضها وعلى سبيل المثال ، انظروا إلى أسنان الخروف فهي أسنان آكلة للعلف ومعدته أيضاً معدة هاضمة للعلف إذن فخالق الخروف وأسنانه ومعدته هو نفسه الخالق للعلف . وانظروا إلى أسنان ومعدة الحيوانات آكلة اللحوم فسوف يحصل لكم اليقين بأن الخالق لهذه الأسنان وهذه المعدة عند آكلات اللحم هو نفسه الخالق لتلك الحيوانات التي يستفاد من لحومها ، وانظروا إلى اسنان ومعدة الكلب فستفهمون بأن الذي اعطى هذه القوة لأسنان الكلب وهذه الحرارة لمعدته هو نفسه الخالق للعظام .

وقد اعطى للحيوان قوة ذائقة في فمه فيتذوق ويدرك الحلو والحامض في الأشياء . ويدرك الفواكه الحلوة والحامضة والمرة ، إذن فالخالق لهذه الفواكه والأطعمة المختلفة هو الخالق للذائقة وإلا فما الفائدة من الذائقة ؟

عليه أن يفهم الله بالوحدانية ويفهم بأن الخالق للذائقة هو الخالق للأطعمة .

وكذلك الكلام في القوة الشامة ، فالصانع لأنواع الأزهار.والورود بتلك الروائح المختلفة هو الخالق للشامة ، فالزوائح موجودة مع هذه الغاية وهي أن يدركها الانسان ويتعرف على صانعها ويشكره .

اضافة إلى الخصوصيات الأخرى لدى الحواس من شامة وذائقة وإضافة للحصول على اللذة والالتذاذ ، يجب أن تدرك الاشياء المضرة أيضاً وتتجنبها ، فيجب أن تدرك الروائح الكريهة وتفهم من رائحة اللحم المتعفنة بأنه مضر ، ولا ينبغي أكله كي لا تتمرض ، وعندما تتذوق شيئاً مراً فالذائقة سوف ترفضه وترده .

والخلاصة أن هذا الربط والأرتباط بين أجزاء الخلقة مع بعضها البعض ظاهر بكل وضوح ويظهر من الغرض الواحد من خلقها أن الخالق واحد أيضاً .

أرتباط الشمس وضوء القمر بالغيوم والزراعة . . . :

يصل نور الشمس من مسافة تسعين مليون ميل لاحياء الأرض والموجودات ، فنمو النباتات وحياة الحيوانات مرتبطة به ، ضوء القمر أيضاً يصل من مسافة ثلاثمائة ألف كيلو متر وله تسعة عشر خصوصية للكرة الأرضية والتي أحدها هو تبريد الحبوب وغيرها التي تسخن بواسطة الشمس ونور القمر يعمل على تبريدها ويحصل التوازن في ذلك فكيف تم ربط نور الشمس والقمر بالأرض ؟

انظر هذا النظام الذي لا يكون فيه النهار باقياً باستمرار بحيث تحترق

وتتلف الأشيـاء ولا يكون الليـل دائماً بحيث لا تكـون معـه نتيجـة ، والـذي سخـر الغيوم وجعلهـا تمطر هـو نفسه الـذي خلق النباتـات وجعلها تنمـو . . من الـذي خلق الغيوم ؟ انـه هو الـذي خلق الشمس وجعل البخـار يحصـل من حرارتها وتتحرك ملايين الاطنان من الماء في السماء و . . .

علينا أن نفهم وحدة الخالق من وحدة الغـرض . . فالغـرض من نزول الأمطار هو أحياء هذه الأرض الميتـة ، فنفهم ان الخالق للغيـوم والأمطار هـو الخـالق للنبات ، والـذي أعطى النمـو للنبات هـو الذي اعـطى للحيـوانـات المعـدة وجهاز الهضم والأسنـان وهـو الخـالق للعـين كي تـرى طعـامهـا وهـو الخالق لليد التي تهيئه به وتضعه في الفم .

ونفهم من نظرة إجماليـة أن جميع المـوجودات مـرتبطة مـع بعضها بنحـو من الأنحـاء وتشهد بـأنه « لا إلـه إلا الله ، وحده لا شـريك لـه » فلا يـوجد غير خالق واحـد في عالم الـوجود وغـير مبدأ واحـد عليم وحكيم وقديـر الذي خلق الجميع لأجل غرض وغاية .

(١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

لو كان مبدىء آخر لأرسل رسلاً :

يقول الإمام أمير المؤمنين في وصيته لابنه الحسن في باب التوحيد هذه الكلمات :

« اعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله »[1] .

فلو كان واجب وجود آخر وكانت له مخلوقات أيضاً بحيث يكون الناس مثلاً معلولين لكل واحد منهما ومخلوقين لكل منهما ، فكما كان خلق أجسادهم وتربيتها ورزقها منهما ، فكذلك تربيتهم الروحية والمعنوية يجب أن

(١) نهج البلاغة .

تكون من كل منهما ، فلذلك يجب على الآخر أن يرسل الأنبياء والمرشدين لمخلوقيه ويرسل لهم هادياً وداعياً إليه لأن كمال البشر هو القرب من مبدئه وعلى المبدىء أن يرسل الداعين والهادين لأجل كمال البشر ، فلو لم يرسل أحداً فإن ربوبيته لا تظهر أو تتضح . .

في حين أننا نرى أن الأنبياء من أولهم وهو آدم (ع) إلى خاتم الأنبياء (ص) كلهم مبعثون من مبدىء واحد وجميع الأنبياء كانوا يدعون للتوحيد « انى رسول الله اليكم من رب العالمين » فقد جاؤوا جميعاً من جهة خالق العالم ، الله الواحد الأحد ، القديم والأزلي فلو كان إله آخر أيضاً وجب أن يرسل أنبياءاً ولما كان جميع الأنبياء قد جاءوا من جهة واحدة وجميعهم يدعون إلى إله واحد ليس له شريك ، فإن هذا يدل واقعاً على أنه لا شريك له .

لا أثر ولا علامة لوجود الشريك :

« ولرأيت آثار ملكه وسلطانه » فلو كان هناك خالق آخر وجب أن تكون في كل لحظة عوالم أخرى وتكون هناك قدرة وسلطة أخرى ، ويجب أن تشاهد آثار سلطنته .

« ولعرفت افعاله وصفاته » فلو كان هناك خالق آخر وجب أن تتضح في كل لحظة آثاره من حيث الفعل والصفة في حين أن كل ما نجده نراه مرتبطاً بعضه بالبعض الآخر وكأنه عالم واحد لا أكثر فكل ما هو موجود بمنزلة عمل وتحرك كبير ناتج من الحركات الصغيرة كالمكائن والآلات والأدوات التي تشكل مصنعاً كبيراً .

« ولكنه إله واحد كما وصف نفسه : إنما هو إله واحد » ـ

« لا يضاد في ملكه أحد » فكل موجود قد أخذ وجوده منه فلا يمكن أن يكون له ضد » .

« ولا يزول أبداً ولم يزل » فقد كان دائماً وسيبقى كذلك ولا يمكن أن يزول ابداً .

ابتداء ورجوع الكل من الله وإلى الله :

« اول قبل الأشياء بلا أولية » كل الموجودات صادرة عنه دون أن تكون له أولية لأنه لو قلنا بثبوت أولية لله فيلزم من ذلك الحدوث ، ولذلك فإن معنى هو الأول يعني أن جميع الموجودات قد صدرت منه .

وهو الآخر ، فهو المرجع والمنتهى لجميع الموجودات ، فالأول لا يعني أنه الحادث الأول وإنما هو أول الوجود وأول الأيجاد وكل ما وجد فقد أخذ الوجود منه .

« والآخر بعد الأشياء بلا نهاية » .

الثنوية . . ماذا يقولو ن ؟

وفي مقابل التوحيد الذاتي هناك بعض الأفراد يقولون بتعدد المبدىء وقد اشتهروا باسم (الثنوية) ولعل منهم جماعة في الهند لحد الآن . والسبب في أنهم قالوا بتعدد المبدىء هو قولهم أننا نجد في عالم الوجود الخيرات مثل البقر والغنم وكذلك الشرور مثل الحية والعقرب والوحوش فلا يمكن أن يكون مبدىء الخير هو نفسه مبدىء الشر ، إذن فيجب أن يكون للعالم مصدران ومبدئان احدهما مبدىء الخير وهو النور ويزدان بالفارسي ، والآخر مبدىء

الشر ويقال له إبليس والظلمة ، وطبيعي ان استدلالهم هذا مطابق لعقلهم الناقص .

لكن الشر المطلق غير موجود في العالم :

والجواب على ذلك هو أنكم تقولون أن في العالم شرور لا يمكن أن تصدر من مبدىء الخير من حين أننا لا نجد لدينا في العالم شر مطلق بحيث تكون جميع جهاته شر محض وليس فيه أي خير فكل ما تشاهدون من أشياء فخيرها غالب وشرها بالعرض .

ويضربون لذلك مثلاً بأكثر الحيوانات السمية شراً كالحية والعقرب ويتصورون أنها شر ، فهل أن شرها في نفس خلقتها ؟ فالحية بهذا الجلد اللطيف لماذا تكون شراً ؟ ولو كان ذلك بلحاظ السم فكما يقال من أن سم الحيوانات إنما يصير سماً بواسطة جذب سمومات الهواء ثم تصفيته للحصول على السم من الهواء الذي ننتفع به أنا وأنت للتنفس .

اضافة إلى ذلك فإن للسموم فوائد ومن جملتها صناعة الأدوية السامة التي يستفاد منها لمعالجة بعض الأمراض ، إذن فمن حيث تصفية الهواء وكذلك العلاج فهي نافعة ، مع ذلك فإن ضد السم عادة موجود مع نفس الحيوانات السمية فلو أخذنا العقرب واحدثنا في وسطه شقوقاً ووضعناه على الجرح المتأثر بلدغة العقرب فسوف يبطل مفعول السم ، أو أن دهنه مثلاً نافع جداً لمكان اللدغة وإبطال تأثيرها .

أما لو كان الشخص غافلاً ولدغه عقرب وصادف ان مات بعد ذلك فلا يمكن أن يكون ذلك دليلاً على أن العقرب شر وإنما هو أثر طبيعي فمثلاً لو أن احداً سقط من أعلى السطح وتكسر يده ورجله أو يموت فلا يصح القول بأن السطح شر فهذا الأمر أثر طبيعي ووضعي لكل مكان

مرتفع .

إذا كان الشخص يسوق السيارة بسرعة دون احتياط فالأثر الوضعي لذلك هو الأصطدام فلا يصح القول بأن السيارة شر ، إذن فأين الشر في هذا الحيوان وفي سمه ؟ فالشر ليس في أصل الخلقة فكل ما يتصور أنه شر فهو اشتباه وخطأ . مثلا عندما يشب حريقاً في مكان معين فلا يصح أن نقول بأن النار شر ولكن وبسبب بعض الأمور ادت إلى حدوث أضرار بهذا المكان .

فكل موجود ـ سواء فهمت ذلك أو لم أفهم ـ إما خير محض مثل الملائكة أو أن خيره غالب على شره مثل سائر الموجودات المادية إذن فالشبهة الثنوية باطلة من الأساس حيث يقولون يجب أن يكون مبدىء الشرور غير مبدىء الخيرات ، لأنه ليس عندنا شرور حتى نحتاج إلى مبدىء خاص .

بل إن كل موجود ما لم يغلب جانب الخير فيه وتكون خيريته أكثر لا يمكن أن يوجد والشر يحصل له بالعرض أيضاً ولا يكون إلا بإذن الله . نفس هذه اللدغة والموت لها مصالح أيضاً ومقدرة بالتقدير الإلهي ولأجل ذلك ـ وباعتبار ان في الشرور العرضية أيضاً مصالح كامنة وفي الحقيقة هي خير ـ مقدر تنسب هذه إلى الله ويقال «ياخالق الخير والشر» فالشر العارض له مصالح ايضاً سواء أكان مصلحة شخصية أو اجتماعية ، والتي ينبغي أن تؤخذ جميعها بنظر الأعتبار .

شهادة العلماء على وحدانية الحق :

هذه الاستدلالات العقلية والفكرية مفيدة وضرورية أيضاً ، جميع العلوم العقلية لازمة ونافعة ، أما لو اراد الإنسان أن يستفيد من هذه الاستدلالات للحصول على الايمان وعلى العلم القلبي ويصبح من أولي العلم فيجب أن يصبح قلبه عالماً بذلك نفس الكلام الذي قلناه في باب المعرفة ، فلكي يكون الأمر مشهوداً بالنسبة إليه ، وأن يصدق به وأن

يكـون مـطمئناً بـوحـدانيتـه يجب أن يسعى لأزالـة حجـاب النفس عن عـين القلب حتى يـشاهد وحدانية الله برؤية القلب .

الله والمـلائكة واولـوا العلم يشهدون عـلى وحدانيـة الخالق[1] وعنـدمـا يشهـد بـذلـك أولـو العلم فـالمقصـود هـو هـذا العلم وليس العلم الكسبي والاستدلال العقلي وإنما هو نـور في قلب الانسان ، ولـو أصبحت هذه العلوم العقلية مقدمة للعلم القلبي فهذا جيد جداً وإلا فـإنها قليلة النفع ، والتـزكية ضرورية ، فقد ذكر في الآية الشريفة :
﴿ يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ .

فـالأول هو التـزكية وبعـد ذلك التعليم ، فلو لم تكن تـزكية فـلا يصل إلى العلم ، فحتى لـو كان يعلم الأدلـة بصورة جيـدة فهو مـع ذلـك محجـوب فمتى يـصل إلى العلم من غطى الحجاب عينيه . . ومتى يـمكنه النظر ؟

اشهد مأخوذ من الشهود ، يعني أنه يرى فـالشهود بسبب الـرؤية ، أن يفهم وحدانية الحق ومعيته ثم يشهد على ذلك .

أولـو العلم ليسوا هم الـذين درسـوا فقط فكم من الأشخـاص الـذين تعلمـوا دروسـاً كثيـرة ولم يصيـروا من (اولـو العلم) وكم من الأشخـاص الأميـين الـذين هم من (اولـو العلم) ، فـالعلم الـذي يضيء في قلب الانسان هو ظهـور الحق وهو عنـده أوضح من الشمس ، يـرى معية وقيـومية الله ويشاهد « هـو معكم أينما كنتم » واقـرأ آيـة من القـرآن لـلاستشهـاد عـلى المطلب .

---

(١) شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم . آل عمران ١٨ .

علامة العلم الخوف والرجاء من الله فقط :

﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة (يخاف من تقصيراته أو تصوراته) ويرجو رحمة ربه (فعنده خوف ورجاء أيضاً) قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[1]

يعني أن مثل هذا الشخص الذي تنور قلبه بنور الإيمان تظهر آثاره بهذه الصورة ، أما الشخص الذي انحصر خوفه في الدنيا خوفاً على أرباحه وعنوانه ومقامه أن تقل ، فأمله ورجاؤه منحصر أيضاً بهذا السبب وذاك السبب ، فهذا الشخص جاهل مهما قرأ من العلوم العقلية أو قام بتدريسها .

وطبيعي أننا لا ننكر العلوم ، وإنما الغرض أن هذه العلوم إنما تكون نافعة إذا كانت مقترنة بالتزكية فلو أن دراسة طالب العلم الذي يريد أن يصير مجتهداً كانت مقترنة بالتزكية فسيكون مصداق لقوله (ص) :

« علماء أمتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل » .

والا فيمكن أن يصبح مثل بلعم بن باعورا .

اللهم انر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تحرق ابصار القلوب حجب النور[1]

---

(١) سورة ٣٩ الآية ٩ .

(١) المناجاة الشعبانية .

(١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

« اول الـدين معرفتـه وكمال معـرفتـه التصـديق بـه وكمـال تصـديقـه توحيده » .

شرح الصدر وعلاماته :

توحيد الخالق يعني معرفة وحدانيته ، ويجب أن يكون ذلـك بالتصـديق القلبي . وحقيقـة الأذعان والتصـديق وإدراك القلب هو نـور يشـرق في قلب الإنسان والذي من آثاره السكون والأطمئنـان والعشق لله ، وإنما تحصـل هذه عنـدمـا يشـرق القلب وبتعبـير الـروايـة يحصـل لـه النـور « العلم نـور »

و « الإيمان نور » حتى إنه ذكر في تفسير مجمع البيان وفي تفسير الآية الشريفة :

﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره الإسلام ﴾ ..

رواية عن رسول الله (ص) إنه سئل عن شرح الصدر ما هو؟ فأجاب نور يقذفه الله في قلب المؤمن ، فقيل :

هل لذلك من علامة ؟ فمن أين نفهم حصول هذا النور . . . هل أعطينا شرح الصدر ، أم لا : فقال :

فقال (ص) : التجافي عن دار الغرور ، والأنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت[1] .

فعندما يحصل ذلك النور يفهم بأن غير الله عدم ولا شيء وغير قابل للتعلق والمحبة ، فكل مرتبة من مراتب الوجود التي يشاهدها ـ إلا الله سبحانه وتعالى ـ يراها فقراً محضاً وكل ما لديها أيضاً هو من الله ، فالله هو منشأ البركات ، لذلك سوف يرتبط بقلبه تماماً مع الله ويقطع نظره مما سوى الله وهو ما ذكر في المناجاة الشعبانية عن أمير المؤمنين (ع) التي ورد في الروايات بأن جميع أئمتنا كانوا يقرأون هذه المناجاة وليس لدينا من الأدعية التي يشترك في قراءتها جميع الأئمة إلا القليل ، فقد ذكر هناك :

« إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك » .

فالسعادة التامة للإنسان إنما هي في كون الإنسان مرتبطاً بالله فقط لا

---

(١) اصول الكافي .

غـير ، ومتوكـلاً عـلى الله وأن يكـون أمله ورجـاؤه هـو الله فقط ، ورغبتـه في رضـا الله فقط ، فعندمـا يصـل إلى هـذا الحـد يصـدق : « كمـال التصـديق توحيده وكمال توحيده الأخلاص إليه » .

التزكية شرط للاستفادة من العلوم :

المراد بالعلم الذي هو النور نور القلب لا مجـرد معرفـة أدلة عقليـة وقد ذكـرنا هـذا مكرراً ـ فـالعلم بالإصـطلاحات حتى في علم التـوحيد لا يكـون نـوراً إذا لم يدرك بقلبـه ، حتى علم الفقـه الـذي هـو الاستفـادة من كلمـات أهل البيت (ع) والأحكام الإسلامية ، ويقول السيد بحر العلوم :

فــإن علم الفقــه في العـلوم　　كــالقمـر البــازغ في النجـوم

فعلم الفقه إنما يكون نوراً فيما إذا كان مقتـرناً بتهـذيب النفس ، وعلم الحـديث وتفسير القـرآن إنما يكـون نوراً عنـدما لا يكون هنـاك حجـاب أمـام القلب ، فلو اقتـرن معـه حجـاب النفس فسـوف لا يكــون نـوراً حينئــذ ، والنقص ليس في هـذه العلوم ، إنمـا في الإستفـادة من نـورانيتهـا المشـروطـة بـرفـع الحجـاب وحينئـذٍ سيكـون وارث الأنبيـاء « العلماء ورثــة الأنبيـاء » . والخلاصة إذا كان اكتساب العلوم الـدينية لغـرض شخصي فالعـالم بها لا نـور له ، أما لو كان لله وللمعرفة بـالشريعـة والعمل بهـا وأرشاد الآخـرين بذلـك فإنه سيكون نوراً ومنوراً أيضاً .

علائم تحصيل العلم لله :

لما كانت النفس بتصـوراتها الخـاطئة تـرى أن أعمالهـا صحيحة فسـوف يؤدي ذلـك إلى رؤيـة نفسـه إلهـا في جمـع الأمـوال وطلب الـرئـاسـة والمقـام

ويقول : انني وفي سبيل خدمة الناس أو انقاذ الناس وارشاد عباد الله سوف أفعل كذا وكذا ، والمفروض أن نتخذ المال والمقام وغيرها على انها وسيلة إلى شيء آخر ، ولا بد من ذكر علائم حتى تنكشف الحقيقة ويعرف نفسه من أصيب بالغرور .

علامة الإنسان الذي يطلب المال باعتباره وسيلة وليس هدفاً إنه إذا لم يصل إلى المال أو تضرر فإنه لا يتأثر من ذلك ، أو إنه لم يصل إلى المقام الذي كان يطلبه فسوف لا يهتم لذلك ، ولو أنه وصل إلى ذلك المال أو المقام فإنه لا يفرح لذلك ولا يختلف حاله قبل الوصول إلى ذلك المال أو المقام وبعد الوصول ، بل أن تواضعه سيزداد ويزداد انفاقه بزيادة امواله وتزداد خدمته ومساعدته للمحتاجين بعد الوصول إلى المقام ، فإذا كان حاله كذلك فهو صادق بادعائه بأنه يريد المال أو المقام من أجل الله أو خدمة الناس .

ولكن إذا ازداد حرصه بعد الوصول إلى المال واشتد بخله وأمساكه وازداد كبرياؤه بالنسبة إلى الفقراء ورأى نفسه أعلى منهم ،وقصر في إخلاصه في خدمة الناس وامتلكه الحرص للوصول إلى المقام فيجب أن يعلم بأنه في معرض الهلاك وعليه أن يعمل بسرعة على أصلاح نفسه .

الإيثار علامة لطلب المال في سبيل الله :

من العلامات المهمة لطلب المال في سبيل الله الأيثار وتقديم الآخرين على نفسه ، فلو رأى شخصاً أكثر منه احتياجاً للمال الذي اعطاه الله له فسوف يرجحه على نفسه ويعطيه ذلك المال ، أو كانت له داران وهناك عائلة تفتقد المسكن فسيعطيها البيت الثاني دون أن يمن عليهم . أو أنه علم

بعد وصوله إلى المقام الفلاني بأن شخصاً آخر أجدر منه في أداء هذه المسؤولية فسيقوم بتسليمه هذا المقام .

بهذا الترتيب يمكن تمييز الصادق من الكاذب وفي هذا الموقع يمكن للإنسان أن يعرف نفسه ، والحقيقة أن هذه المواقع امتحان صعب وقلما يستطيع أنسان أن يؤدي مسؤوليته بصورة كاملة ويكون واقعاً من الذين نجوا من أمراض البخل والحسد والكبرياء .

ولأجل توضيح المطلب خصوصاً لأهل العلم أذكر قصة احد العباد الصالحين .

يسلم كرسي التدريس إلى آخر :

المرحوم آية الله السيد حسين الترك كان من أكابر علماء ومراجع المذهب وقد توفي في سنة ١٢٩١ في النجف الأشرف بعد أن كان من التلامذة البارزين لشريف العلماء وصاحب الضوابط وصاحب الفصول في كربلاء ثم هاجر إلى النجف الأشرف واجتمع حوله الفضلاء وأخذ بتدريس البحث الخارج ، وفي أحد الأيام صادف أن جاء قبل الوقت المعين للتدريس في مسجد العمران في النجف ولم يكن أحد من الطلاب قد جاء إلى المسجد بعد ، فجلس في زاوية من المسجد وكان في زاوية أخرى شيخ نحيف مشغول بتدريس عدد قليل من الطلاب ، فاصغى السيد إلى بحث الشيخ فتعجب من تحقيقاته الجيدة .

وفي اليوم الآخر جاء الى المسجد قبل الوقت المعين متعمداً وأخذ يستمع إلى تحقيقات الشيخ وبعد أن تكرر ذلك عدة أيام تيقن بأن هذا

الشيخ أفضل منه وانه يستفيد من دروس هذا الشيخ وبعد أن سأل عنه ظهر أن هذا العلامة الجليل كان الشيخ مرتضى الأنصاري الذي رجع جديداً من سفره إلى إيران الذي دام أربع سنوات حيث تتلمذ في إيران عند محضر الحاج ملا مهدي النراقي .

فقال السيد لتلامذته بأن الشيخ الأنصاري أفضل مني ودرسه أنفع لكم مني وحتى أنا أيضاً استفيد من درسه فمن اليوم سنحضر جميعاً درس الشيخ .

ومنذ ذلك اليوم ازدادت شهرة الشيخ ثم أصبح مرجعاً عاماً بالتدريج ، وكان الشيخ أيضاً يحترم السيد اجلالاً ويرجع إليه في الكثير من الأمور والأحتياطات وبعد وفاة الشيخ في سنة ١٢٨١ وصل إلى السيد كرسي التدريس .

أهل العلم يعلمون أن الشخص الذي كان استاذاً وصاحب كرسي للتدريس والمرجعية إذا كان منصفاً وصار بنفسه تلميذاً لمنافسه وكذلك سلم تلامذته إليه وجميع أمور الرئاسة كم يكون قوياً وصادقاً في إيمانه وتاركاً أهواءه وتابعاً مرضاة ربه .

فعلى هذا لو لم يكن هوى النفس في البين وكان طلب العلم واقعاً في سبيل الله وخدمة الناس فنفس علم الطب ايضاً يكون سبباً للنور فكيف بعلم الفقه .

الظالمون لأنفسهم والمتوسطون والسابقون :

ولأجل توضيح المطلب نكتفي بذكر آية شريفة من القرآن المجيد

بضميمة تفسير لها ورد عن الإمام (ع) ، والآية الشريفة تقول :

﴿ ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن ربهم ﴾ .

وبتعبير آخر إما أن يكون من أصحاب الشمال أو أصحاب اليمين أو من السابقين .

وقد ذكر لذلك شروح وتفاسير عديدة واحتمالات متعددة ، والكثير من هذه التفسيرات ليست مانعة الجمع يعني يمكن أن تكون صحيحة بأجمعها .

ومحل الشاهد هو رواية وردت في معاني الأخبار عن الإمام الصادق في تعيين الظالم والمقتصد والسابق .

الإمام (ع) يقول[1] : ان الظالم لنفسه هو الذي يحوم ويتبع شهواته النفسية فمعبوده هو نفسه ، فكلما أرادت نفسه منه شيئاً فسوف يلبي طلبها بأي ثمن كان ، فهو ذليل لرغباته النفسية ، ويمكن أن يقوم بأي خيانة للوصول إلى ما يريد ، فهو مسلم لكنه ظالم لنفسه ، فالذي يطلب الرئاسة والمنصب سواء أكان من أهل العلم أو من غيرهم يدور دائماً حول هذه الرغبة ، ويكون همه وخضوعه منحصراً بهذه الرغبة النفسية بدلا من أن يكون لله ، مثلا أن يكون همه الحصول على قصر أو أن تكون لديه سيارة من آخر موديل .

---

(١) الظالم يحول حول نفسه والمقتصد من يحوم حول قلبه والسابق بالخيرات من يحوم حول ربه « اصول الكافي » .

وطبعاً نحن لا ننكر البيت ووسائل الحياة وكذلك لا نعترض على التصدي للمناصب والمقامات الحكومية التي هي واجب كفائي وإنما نقول لا ينبغي أن يكون غير الله هدفاً اصلياً وهذه الأمور يجب أن تكون وسيلة فقط لا إنها هدف ومقصد .

فلو أن نفسك أرادت كرسي الرئاسة فلا تقبل ، ولكن إذا طلبوا منك ذلك وقالوا بأنك لائق لتولي الرئاسة فاقبل من أجل اصلاح أمر المسلمين وتحمل الصعوبات في ذلك ، ولو انهم اجتمعوا على مجتهد وطلبوا منه اصدار رسالة في الأحكام لكي يمكنهم أن يقلدوه فمن الجيد ان يقبل ، أما إذا كانت نفسه تريد المرجعية فلا ينبغي أن يقدم على ذلك ولا ينبغي أن يقدم نفسه وإلا فسيكون ذلك من عبادة النفس .

مرجعية شيخ العلماء والشيخ الأنصاري :

ذكروا أن فضلاء وعلماء حوزة النجف جاؤوا بعد وفاة المرحوم الحاج ميرزا حسين شيخ العلماء إلى المرحوم الميرزا الشيرازي (محمد تقي الشيرازي) وقالوا له : إن المرحوم ميرزا حسين قد فارق الحياة والجميع متفقون على أعلميتكم فاسمحوا لنا بنشر رسالتكم .

فقال : عجيب ! هل وصل قحط الرجال إلى هذا الحد حتى قيل باعلميتي ؟! ولكن لو اقتضت الضرورة ذلك مثل أكل لحم الميتة فلا مانع من توزيع رسالتي العملية .

وكذلك لما توفي صاحب الجواهر اجتمع كبار علماء النجف حول الشيخ مرتضى الأنصاري وقالوا له بانك أعلم الجميع يقيناً ولائقاً لتصدي

المرجعية فاسمح لنا بنشر رسالتك .

فقال : عندما كنا في سنوات الدراسة كان لي صاحب في ذلك الوقت وهو سعيد العلماء المازندراني وكان أعلم مني وأكثر سعياً في طلب العلم فاذهبوا إليه واطلبوا منه ذلك .

فقالوا : إنه في مازندران والطريق بعيدة .

فقال : هو ما قلته لكم ، فهو مقدم علي وليس صحيحاً أن أصدر رسالة مع وجوده .

فاضطروا للذهاب الى سعيد العلماء إلا أنه قال لهم بأن ما قاله سماحة الشيخ صحيح فعندما كنا في النجف زملاء في الدراسة كنت متقدماً عليه ولكن عندما رجعت إلى إيران تركت طلب العلم وتقدم هو علي ، والحق للشيخ .

فرجعوا وقالوا ذلك للشيخ الانصاري . فقال : إذا كان سماحته قد قال ذلك فلا مانع لدي .

اردت أن أقول أنني لا اعترض على اصدار الرسالة ولكن اعترض على الرسالة التي يكون الغرض منها هو التقدم على الآخرين ، ينبغي على العالم أن لا يطلب المرجعية فلو أن نفسه ارادت المرجعية فهو ظالم لنفسه ولكن لو اراد الله له ذلك وهيأ له اسباب ذلك فإنه يستطيع الانتفاع بذلك لآخرته .

وكذلك المقامات والمناصب الحكومية مثل رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء والوزراء والوكلاء والرؤساء والمدراء وأي منصب كان ، يجب ألا

يـذهب الإنسان وراء رغبـاته النفسيـة ، ولكن لو تهيـأ له ذلـك لاصلاح أمـر المسلمين يجب القبول . فالـذي يـوجب كونـه «ظالماً لنفسـه » هو السـير وراء رغباته النفسية واتباعها وبتعبير أحـد أهل العلم يقـول : لا تقدمـوا أنفسكم ولكن لو قدموكم فلا تتصنعوا وترفضوا .

أحسن الأعمـال يقع بـاطلاً إذا حـام حول النفس ، وهـذا الأمـر دقيق جـداً بحيث يشتبـه عـلى نفس الشخص حيث تكبـر نفسـه وتتـألـه وتـدفعـه لإرتكاب اعمال وهو لا يشعر بذلك .

ومـا دام « ظـالمـاً لنفسـه » فهـو محـروم من العـوالم القلبيـة ، من ايمـان وشـــرح صـدر وتصـــديق قلبي ، ومحـروم من النفس المـطمئنـة والسكينـة والكمـالات الانسـانيـة ومن كـل مـا يجعله من أولي العلم فـما زال في عـالم النفس فسوف لا ينتفع من كل ذلك .

أمـا المقتصد فهـو الذي « يحـوم حـول قلبـه » وقـد فهم حجـاب نفسـه ويفكر في تزكيتها ، وعلم أن حجاب النفس هـو المانـع لإضاءة القلب بـالنور فهـو يسعـى للمجاهـدة والتهذيب ، فهـذا الـذي تجاوز مـرحلة الخـطر وهـو يسعى للوصـــول إلى العلم لا بـد وأن يكـــون حـذراً ولا يغـــذي نفســـه ولا يطيعها بحيث يزداد حجاب قلبه ويكون أكثر ظلاماً .

ويقول أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة :

المؤمن هو ذلك الـذي يطلب تـزكية نفسـه فهو يسيء الـظن بنفسه ليـل نهار ويحـاذر دائـماً أن يغـره شيـطان النفس ويجعله يـــرى الحسن في نفسـه ، لذلك فهـو سيء الظن بنفسـه فكلما يعمل من عمـل يحاسب نفسـه على ذلـك

كي لا يصيب نيته الخلل ودائماً يكون ضارياً على نفسه وقاسياً عليها يجاهدها ويزيد في جهادها[1] .

---

(١) ان المؤمن يصبح ويمسي ونفسه ظنون عنده فلا يزال ضارياً عليها ومستزيداً لها نهج البلاغة .

(١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجود المطلق غير قابل للتعدد :

التوحيد الذاتي من البديهيات العقلية بحيث يتضح هذا المعنى بمجرد التوجه والالتفات . ففي عالم الوجود كل ما هو موجود فقد وجد ، يعني أنه لم يكن ثم كان ، فوجوده غير ذاتي وغير مستقل وبتعبير آخر أن الوجود عرض عليه فظهر وتحقق ، إذن فذلك الوجود الذي فيه هو وتر من أوتار دائرة ذلك الوجود الذي وجوده عين ذاته ، فيجب أن ترجع هذه الوجودات الى وجود واحد الذي هو عين الوجود والذي هو أزلي وأبدي وقائم بالذات .

ومعنى أن واجب الوجود لا شريك له هو أن كل شيء في مقابل صرف الوجود المطلق يسمى موجوداً وليس وجوداً فالوجود قد عرض على كل شيء وطبعاً ليس هو العرض الاصطلاحي وإنما المقصود هو أنه قد تحقق بالوجود أي أن الوجود هو الذي جعله يكون ويتحقق .

فعلى ذلك لا يمكن أن يكون هناك وجودان مطلقان من جميع الجهات فصرف الوجود وحقيقته غير قابلة للتعدد . إذن فالذي في عالم الوجود هو الله وآثار الله . . هناك واجب الوجود وتجلياته وظهوراته ولا يمكن تحقق أي موجود إلا بأن يكون متقوماً بذلك الوجود .

لا نظير لمعية الله للموجودات :

« مع كل شيء لا بمقارنة »[1] يعني ليس هناك انضمام وجود إلى موجود بحيث يكون هناك وجودان وجود لله ووجود لذلك الشيء .

« وغير كل شيء لا بمزايلة » الله غير الموجودات لكن لا يعني أنه منزو عنها بحيث يكون للموجودات وجود آخر .

ولأجل تقريب هذا المطلب المهم والعميق الى حد يكون قابلاً للفهم يمكن تشبيهه من بعض الوجوه بإحاطة النفس بالبدن . وطبعاً فالمطلب أعلى من هذا الكلام ولكنه مجرد تشبيه وتقرب للأذهان والافمعية الله للموجودات ليست مثل معية الروح للبدن من جميع الجهات ، وإنما إذا اردنا أن نجد لذلك مثالاً وتشبيهاً مع أنه « ليس كمثله شيء » فلا يمكن أن نجد أحسن من هذا المثال ولا يعني ان واقع المطلب هو كذلك .

---

(١) نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٤٠ .

معية الروح للبدن تشبيه جيد :

فكما أن الروح محيطة بتمام البدن من الدماغ حتى اصابع القدم وفي نفس الوقت « داخل لا كدخول شيء في شيء » فهل أن الروح داخلة في البدن ؟ يمكن أن يقال من جهة نعم ، لان خلايا الجسم لها روح وإحساس وتقوم بفعاليات مختلفة ولكن دخول هذه الروح في هذا القالب ليس كدخول بقية الأشياء في الأشياء الخارجية بل ويمكن القول بأن الروح خارج البدن « خارج لا كخروج شيء عن شيء » ليس مثل خروج بقية الأشياء عن الأخرى ، وإنما الروح مع البدن ومحيطة بالبدن بجميع اجزائه ولها علم به وتصدر إليه الأوامر وتعمل ، فلو ان شوكة اصابت القدم فستدرك ذلك فوراً .

ومن شؤون النفس أنها تقوم بعدة أعمال في وقت واحد دون أن يزاحمها عمل عن عمل آخر ، فمثلاً جهاز الهضم مع كل هذا الطول والتعقيد لا يتنافى مع جهاز التنفس في نفس الوقت الذي تعمل فيه القوة الحافظة وكذلك القوة العقلية والأذن والعين كل واحد مشغول بعمله ، ففي الوقت الذي اسمع فيه وانظر لو كان هناك عطر لقمت باستشمامه . وكذلك حاسة اللمس التي تقوم بوظائفها بتلك الصورة . فهو من جهة مظهر اسم « يا من لا يشغله شأن عن شأن » فعندما يلتفت الإنسان إلى نفسه حيث يقوم بكل هذه الأفعال مع أنه مخلوق وعاجز ومحدود فكيف الأمر بالنسبة إلى الله الخالق القادر العالم المحيط ؟

وفي نهج البلاغة أنه (ع) سئل : كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟ فقال : كما يرزقهم على كثرتهم ، قيل : فكيف يحاسبهم ولا

يرونه ؟ قال : كما يرزقهم ولا يرونه[1] .

من احاطة النفس نفهم احاطة الرب :

ولان فهمنا قاصر فبالامثال يمكننا الاقتراب من إدراك المطلب « من عرف نفسه فقد عرّف ربه » فلو أدرك الإنسان احاطة النفس بالشكل الذي ذكرناه فيمكنه أن يدرك احاطة الرب ايضاً . فالعاقل يرى نفسه مديرة ومدبرة ، وهي التي تقوم بتدبير أمور البدن فلو تعرض للخطر فستقوم النفس بأمر الدفاع والمعالجة بعد ذلك .

كل هذه نماذج صغيرة من أجل ان نفهم معية وقيومية الله سبحانه وتعالى الذي ليس له مكان ولا تجعله البينونة منعزلاً عن الأشياء ، وإنما هو « الحي القيوم » وحياة وثبات كل موجود متقومة بوجوده هو .

لا يوجد استقلال لأي موجود في عالم الوجود ، فليس هو الذي أوجد نفسه أو أنه بنفسه الذي وقف على قدميه أو أنه « في نفسه ولنفسه ومن نفسه » . فكل موجود مخلوق ومربوب وعاجز ويرجع الكل إلى وجود واحد الذي يكون وجوده عين ذاته وهو أزلي وأبدي .

المطلوب هو انسان عارف باحث في الآيات :

هذا المعنى يدركه العقل بوضوح لكن المطلوب هو الانسان الذي يريد أن يفهم وبتعبير آخر أن الدلالات والشواهد على الوجود كثيرة وإن هذه ليست إلا آثاراً غير مستقلة بذاتها عند ذلك الانسان الذي يريد أن يفهم واقعاً وحدانية الله ، ولكن الأمر المؤسف هو « وكأين من آية في السماوات

---

(١) البحار ج ٧ ص ٢٧١ الحديث ٢٧ .

والأرض يمـرون عليها وهم عنهـا معرضـون » لا يريـدون أن يتعرفـوا على الله وأن يتعـرفوا عـلى صـاحب هـذه الآيـات وهـذا العـالم وإلا فـإن الـدلائـل في السمـاوات والأرض كثيرة ، الآيـات التي في الآفاق يعني في الخـارج والآيات التي في النفـوس البشـريـة فلو كـان عــارفـاً فســوف يفهم بـأن الله حق وأن الـوجـود الحقيقي هـو لله وغيـره ليس الأشعــاع لـه ، وإن كــل مـا في عــالم الحوادث هو من علاماته .

رمال الصحراء ، آية الحق :

وقد سمعنا نمـاذج لهذه الحـوادث ، ففشل المؤامـرة الامريكيـة في طبس بأي سبب ظاهري يمكن أن ننسبها ؟ فالدولة الاستكباريـة الكبرى تهجم مـع كـل تلك التجهيزات والمـدة الطويلة من التمـرينـات ولكن عـاصفـة الـرمـل تصنـع معها مـا صنعته أبـابيل بـاصحاب الفيـل ، فهذه الحـادثـة التي وقعت لشعبنــا ألا ينبغي أن تكشف « أنـه الحق » ؟ فــالقـدرة الإلهيــة الغيبيـة هي الفاعلة لا غير ، وكلما تصنعه الأسباب والوسائل فبمشيئته وإرادته .

أو الحـرب المفروضـة مـع العـراق والتي كـان مقـدراً لهـا أن تصـل إلى أهـدافها خـلال أسبوع واحـد ، والأسباب الـظاهريـة كانت مسـاعدة لـذلك حسب الظاهر ، وقد كانوا مطمئنين إلى ذلك مـائة بـالمائـة وإلا لم يقدمـوا على مثـل هذا العمـل ، ولكن مضى ما يقـارب سنـة واحـدة ولم يحققـوا شيئـاً ممـا ارادوا مـع أن جميـع القـوى والـدول المجـاورة تعمـل عـلى مساعـدة الأعـداء وفي هـذا الـطرف لا يوجـد بحسب الظاهـر أي معين ، أمـا عنـد المجاهـدين في جبهـة القتال فمن المسلمـات اليقينية أن هناك قـوة غيبية تقـدم المساعـدة لجيش الإسلام وهي نفس القدرة التي نصرة الشعب الإيراني بأيد خالية على النظام البهلوي .

تحول النفوس بالآخص عند الشباب آية الهية :

التحـول الـذي حصـل في نفـوس افـراد هـذا الشعب وعـلى الأخص الشبـاب هـو من آيـات الله العـظيمـة واقعـاً . هـذا التحـول الـذي لم يكن مـوجوداً قبـل هذا الـزمان عنـد كبار السن من النـاس قـد حصـل الآن عنـد شباب العشرين عاماً بـل والأقل من ذلـك عمراً ، فـالشاب الـذي لديـه كل مقتضيـات الشهوة بشكـل وآخـر نـراه يتجـاوز كـل هـذه الشهـوات ويـطلب الشهادة في جبهات القتال ويستقبل المدافع والقنابل .

فلو أن أحـداً أراد أن يفهم ويتـدبـر في السبب الـذي صنـع هـذا التحـول ، ماذا حـدث حتى يصبح هؤلاء فـدائيين لـلإمام ؟ الحقيقـة أن هذا التحول في النفوس والتـوجه إلى الإمـام هو من جهـة إلهية وذلـك لأن فطرتهم طاهرة ونظيفة والإمام مرجـع وقائـد ديني ، فلا يمكن أن يكـون لهذا التحـول سبب غـير إرادة الله ، ولا يمكن تصور سبب آخـر لـذلـك فمهـما تفكـرون لا تجدون لذلك سبباً سوى إرادة ولطف الله .

ينبغي الـدقة اكـثر في هذه الآيـة الشريفـة من آخر سـورة فصلت حيث تشير إلى آيات الآفاق والأنفس .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

فسخ العزائم طريق معرفة الله :

وكـل نفس لها تحـولات في حد ذاتهـا ، ومن مـراتب ذلـك التحـول مـا اشار إليه الإمام أمير المؤمنين (ع) حيث يقول :

« عـرفت الله بفسـخ العــزائم ونقض الهمم »[1] فعنـدمـا تـزول إرادة معينة في النفس فإن لـذلك سببـاً حتماً ، ففي بعض الأحيـان يحصل التحـول في الأرادة بدون أي سبب .

الشخص الذي يكون في مقـام التزكيـة ستكون عنـده آيات الأنفس في المـراتب العليا اعـظم وأجمل . فـالتحـولات الحـاصلة في النفس تفهمـه دائـماً بأنها دلائل وشواهد عـلى الاحاطـة العلمية الـقـادرة للحق و « حضـوره مع كـل شيء » فالله مـوجود مـع كل نفس وحـاضر مع كـل مـوجـود وهـو المـربي والرب والمدير والمدبر .

إذا أصبـح الإنسان عـارفاً بـالآيات « يتبـين له أنـه الحق » ، وفقنـا الله لكي نكون في مقام تحصيل المعرفة ونكون عارفين بالله .

---

(١) نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٥١١ من الكلمات القصار .

(١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

متى غبت حتى تحتاج إلى دليل :

الاستدلال على التوحيد سهل ، ولكن ذلك لا يكفي بل يجب أن يصل إلى مرحلة الشهود بحيث يصدق بدون أي شك وريب وبدون أي وسوسة بأن الوجود المستقل والواجب الذي هو المنشأ لكل الآثار والموجودات هو الله فقط ، ومكان هذه المرتبة من العلم هو قلب الإنسان بحيث يحصل له الشهود ويدرك واقع الأمر ويكون له شهود قلبي بذلك .

وقد ذكرنا في باب المعرفة بانه يجب إزالة الحجاب عن القلب وهو حجاب الذاتية والأنانية ، فما دام يرى نفسه موجوداً مستقلاً ويرى لنفسه ما

يليق بالله فقط وهو الأستقلال فمن المحال أن يجد الوجود المطلق مهما عرف من أدلة التوحيد ، فالذي «حام حول نفسه» متى يمكنه أن يصل إلى الشهود ؟ تزكية النفس تعني أن لا يعبد النفس لكي يرى الحقيقة بالتدريج ، عند ذلك لا يكون ناظراً ألى نفسه وإنما إلى الله ، ويفهم أن (أنا) كان أمراً وهمياً ، ويجب أن يزول هذا الوهم ، فالمجاهدات والرياضات إنما هي من أجل إزالة هذا التوهم ، فبعد أن يزول هذا الوهم ويفهم ان (أنا) أمراً ذهنياً لا أكثر ، وإن وجوده وجميع مراتب الوجود ترجع إلى الله ، عندئذ يضيء قلبه ويصير منشأ للآثار ، وهذا بالنسبة إلينا لفظ ونرجو أن يصبح حقيقة ، فنحن نقرأ في دعاء عرفة لسيد الشهداء (ع) :

« ألغيرك من الظهور ما ليس لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ » .

هل رأيتم موجوداً يكون ظهوره من ذاته ؟ طبعاً لا ، لأن وجوده ليس له . . متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟

اذا فهمت بأن اللذة هي ترك اللذة . . .

وهذه المرتبة من الشهود لا تكون إلا بأن يكون قلب الإنسان عارفاً ولا يصبح القلب عارفاً إلا إذا زال الحجاب الأعظم ، وكلما أصبح الحجاب دقيقاً أكثر كلما اقترب الإنسان من المطلوب . ولعلكم جربتم أنكم عندما تخالفون أنفسكم وتسحقون على أهوائكم تجدون حالة من الأرتياح والسرور عندكم طبعاً بذلك المقدار أيضاً .

وقد وردت هذه الحقيقة في الرواية الواردة في مورد النظر إلى الأجنبية إذ يقول الإمام الصادق (ع) :

« ما اعتصم أحد بمثل ما أعتصم بغض البصر ، فإن البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العصمة والجلال »[1] .

فكل مخالفة للنفس توجب إدراك لذة الإيمان والوصول إلى مرتبة من مراتب الشهود بنفس ذلك المقدار ، وهو كذلك واقعاً ، وهكذا نجد أن الإنسان عندما يكظم غيظه سينشرح صدره في نفس الوقت وتحصل عنده حالة من السرور والإرتياح ، والخلاصة أن كل من يريد التقرب إلى الله وفهم معية الله وقيوميته فطريق ذلك يكون في ترك النفس فما دام يتبع النفس فهو مستمر في الابتعاد .

وهذه المطالب نجدها من خلال التجربة ، ويمكن لكل أحد أن يجرب ذلك ، فمع كف النفس يضعف الحجاب بشرط ألا يتغذى بعد ذلك ، وهكذا يقترب من الحقائق إلى أن يصل إلى حد يدرك فيه بوضوح وبكل سهولة معنى ﴿ **هو معكم أينما كنتم** ﴾ و ﴿ **ما يكون من نجوى ثلثه إلا وهو رابعهم** . . ﴾ و . . .

معية القيومية هي نفسها الرحمة الرحمانية :

معية القيومية الإلهية مع كل شيء غير معية الرحمة الرحيمية التي تكون مختصة ببعض الطوائف نظير : ﴿ **أن الله مع الصابرين** ﴾ و ﴿ **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ .

أما الرحمة الرحمانية فهي بنفسها معية القيومية التي تكون مع كل موجود سواء كان مسلماً أو كافراً . . فاسقاً أو عادلاً . وكذلك مع جميع الحيوانات والنباتات والجمادات وهي التي يكون بها قوام كل موجود ولله

---

(١) سفينة البحار المجلد ٢ ص ٢٩٦ .

سبحانه وتعالى الطاف خاصة تشمل بعض الطوائف . فالنصر الذي يكون للمؤمنين وحفظهم ومساعدتهم ، وكذلك النصر لمن ينصر دين الله هو بمعنى المعية والرحمة الرحيمية التي هي رحمة خاصة وكذلك نجد أن التقرب إلى الحق هو من نصيب الشخص المتقي .

منتهى اقتراب العبد يكون ببركة النوافل :

من الواضح أن قرب المنزلة والدرجة والتي يقال في العبادات أنها قربة إلى الله تعالى ليس هو القرب بحسب المكان والزمان كما هو واضح ، والقرب بحسب المنزلة له درجات ومراتب أيضاً إلى أن يصل إلى مرتبة قرب خاتم الأنبياء (ص) والخواص من أتباعه وهو ما ورد بيانه في الرواية الشريفة :

« ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش »[1] .

هذه الأمور يصعب على الأفراد العاديين حتى تصورها ، فهي أمور تقال ولا تدرك ، فلو أن أحداً سار في طريق التزكية وإزالة الحجاب لوصل إلى حد « حام حول ربه » فهو يتجاوز التزكية وإزالة الحجاب ايضاً ويدور حول ربه ويكون « سابق إلى الخيرات » .

نرجو من الله التوفيق لطلب هذه المقامات ، فإذا كان الشخص طالباً لهذه المقامات واقعاً فإن الله سبحانه وتعالى لا يحرمه منها ، وعلامة الطلب هو اتباع هذه المطالب لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد بقوله ﴿ والذين

---

(١) مستدرك الوسائل ج ١ ص ١٧٧ .

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾[1] .

وقد وردت البشارة بذلك في الرواية الشريفة : « الذي عنده حب الأخلاص . . . »[2] .

فهو لم يقل : الذي أخلص ، وإنما قال : الذي يحب الأخلاص ، وطبعاً « من جد وجد » ولو قرعت باباً سمعت جواباً ، اعاننا الله على كف نفوسنا والإنتفاع بعالم الشهود .

---

(١) سورة ٢٩ آية ٦٩ .

(٢) عن الصادق (ع) عن النبي (ص) : قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته . اسرار الصلاة للشهيد الثاني صفحة ١٣٣ .

(١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الصفات ترجع إلى العلم والقدرة :

ذكرنا عدة أمور في باب التوحيد الذاتي ، أما التوحيد الصفاتي فهو يعني أولاً أن يعلم الإنسان بأن صفات الله عين ذاته وليست زائدة على الذات ، فيجب عليه أن يعرف المنعم عليه ويلتفت إلى أن جميع الصفات الإلهية ترجع إلى صفتين وهما العلم والقدرة وهي الصفات الثبوتية كالعالم والقادر والحي والمريد والمدرك . .

السميع والبصير والمتكلم والصادق وسائر الأسماء والصفات المذكورة في القرآن المجيد والأدعية . . كلها ترجع إلى العلم والقدرة .

فمثلاً السميع يعني أن لـه العلم بالمسموعات ، والبصير يعني أن لـه العلم بـالمبصرات ، فـالسميع والبصـير يعني أن لـه العلم بـالمبصرات ، فالسميع والبصير تعني العالم .

والعلم والقـدرة ليست زائـدة عـلى الـذات فليس هنـا شيئـان ، وفي البـداية علينـا أن نتصور الأثنينيـة في أنفسنا ، فكـل واحد منـا له ذات وعلم ولـه ذات وقدرة ، فـالعلم والقـدرة اضـافـة إلى أنها ليست عـين ذاتنـا فنحن وهي أمران .

كذلك هي ليست ذاتية بالنسبـة لنا بـل إنها عارضـة على ذاتنـا ، فقبلا لم نكن عالمين ثم أصبحنـا ، ولم نكن قادرين ثم صـرنا ، وبعـد ذلك نحصـل على القدرة ، أو نحصل على العلم ، وأما عند الله سبحانه وتعـالى فلا تـوجد هناك ذات منفصلة عن العلم ثم يعرض عليها العلم .

فهي ذات بسيـطة وصرف وجـودية حيث تصـدر عنهـا جميـع الأمـور ، فجميـع القدرات والعلوم صـادرة منه ، يجب فهم هـذا المعنى بنـور العقـل ، فعندما يقولون في الصفات السلبية إنها عـديمة المعنى فهـو ما ذكـرنا يعني ليس لله صفـات زائدة عـلى ذاته لأن الصفـات لو كـانت عارضـة وزائدة عـلى ذاته للزم من ذلـك التعـدد والتـركيب ، ولـو افتـرضنـا أن هـذه الصفـات قـديمـة ومستقلة لزم تعدد القديم ويترتب على ذلك إشكالات متعددة .

فكـما أن الوجود الواجب هو الذي يكـون وجوده واجباً فكذلـك تكون صفاته واجبة ايضاً دون أن تكـون الصفة والـذات شيئين ، وعنـدما يقـول في نهج البلاغة :

« وكمـال توحيـده نفي الصفـات عنـه » فهي الصفـات العـارضـة التي يجب نفيهـا عن الله تعـالى ، فليس هنـاك صفـة ومـوصـوف بحسب التحقيق وإنما هو وجود بسيط وهو عين القدرة والعلم .

الله تعالى لا نظير له في الصفات :

ويجب أن نفهم في مورد الصفات أيضاً بأن الله تعالى كما أنه لا شريك له من حيث الذات فكذلك هو من حيث الصفات ليس له شريك أيضاً .

العلم والقدرة هي صفات الله (والتعبير بالصفة من باب ضيق العبارة ايضاً وإلا فكما أشرنا إلى ذلك فليس هناك صفة وموصوف ولا شيء سوى ذات بسيطة بحتة) وعلم الله وقدرة الله ليس لها شريك فكما أن وجود كل موجود ليس من ذاته فكذلك العلم والقدرة التي لديه ليست من ذاته أيضاً .

فكما أننا نرى أن وجود كل موجود هو من الله فكذلك يجب أن نعلم بأن علمه وقدرته أيضاً من الله ، فلا يمكن أن يكون الفرع أكثر من الأصل ، ففي الوقت الذي لا يكون فيه وجوده من ذاته ، فصفاته ليست من ذاته بطريق أولى .

يجب أن يكون الإنسان الموحد مطمئناً إلى أن كل ما في العالم من قدرة فهي من الله ، وبعبارة أخرى أن يفهم الجملة المباركة « لا حول ولا قوة إلا بالله » فـ (لا) هنا لنفي الجنس والحقيقة ، فلا يوجد أي حول وقوة سوى حول وقوة الله .

لماذا كانت الحوقلة مفتاح الجنة :

ورد في الرواية الشريفة بأن « كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله ـ مفتاح الجنة » فمعنى ذلك أن الشخص إذا عرف توحيد الصفات وعلم بأن كل قدرة انما هي قدرة الله ، فإن أبواب الجنة مفتوحة أمامه ، فالذي عرف

﴿ أن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وأن يردك بخير فلا راد لفضله إلا هو ﴾[1] . فإنه قد وصل إلى مقام الرضا ، وسوف يفهم بأنه لا قدرة لأي موجود بالاستقلال ، وكلما يراه من ظهور للقدرة فهو موقوف بإذن الله ومشيئته ، فلو اراد الله فإن هذه القدرة التي عند هذا الموجود سوف تعمل وإلا فسوف تبطل ، فكل الأمور بيد الله وسوف لا يخاف من أي مخلوق بعد ذلك ، فإن كان عنده خوف فإنما هو من ذنوبه ومخالفته أمر ربه . . خوفه من أن يسقط من نظر لطف الله ويكون مورد سخطه .

إذن فالذي تتحقق عنده الحوقلة (كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله) ويحصل له شهود بهذا المعنى واقعاً فإن توكله يكون على الله حتماً ﴿ وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين ﴾ فلو أن التوكل كان شهوداً لكم وإن كل قدرة وعزة فهي لله وبيد الله فلا حاجة لكم بمخلوق بعد ذلك .

الأعتماد على غير الله مرتبة من النفاق :

ورد في الآية الشريفة :

﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾[2] .

فلو أن شخصاً أعتمد على قدرة الكفر فهو منافق ، وليس بمسلم ولا مؤمن ، يتصور أن لأمريكا أو لروسيا قدرة ويمكنها أن توصله إلى ما يريد ، فكل من كان توكله على الكفر فهو مقطوع من الإسلام وهو من علامات النفاق ، حيث أن له لسانين وقلبين ، ولا يطابق لسانه قلبه ، فلسانه يقول لا

---

(١) سورة ٦ الآية ١٧ .

(٢) سورة النساء الآية ١٣٨ و ١٣٩ .

إلـه إلا الله ، توكلت عـلى الله ، لا حـول ولا قـوة إلا بـالله ، أمـا قلبـه فيقـول توكلت على أمريكا .

أجـل . . فكـل من كـان اعتمـاده عـلى غـير الله وكـان أمله بـأن يقـوم الشخص الفلاني بقضاء حاجته فهو في حالة النفاق . . محجـوب ومشرك بـالله ، وطبعـاً هـو في مـرحلة معينـة من الشـرك حيث يـرى أن المخلوق قـادر بغـير الله وكاشف للضر ..

وقـد ورد في الحديث الشـريف في بحار الأنـوار في بـاب الأنـوار في بـاب الشرك حيث يضرب الإمام (ع) مثالاً وهـو قول البعض « لـولا فلان لهلكت » وإن هـذا شرك ، فقـال الراوي إذن مـاذا يقول ، فقـال : يقـول « لـولا أن من الله علي بفلان لهلكت » .

فالويل لمن يرى أن الـطبيب والدواء هـو الذي يعـطي الشفاء ويغفـل عن الشـافي ، يجب أن يعلم بأن القـدرة والعلم منحصـرة بـالله فقط أن يفهم ذلـك بنور العقل ويصدقه بنور القلب . أن يتأمل بنور العقل في كل مـوجود يـرى أن له قدرة ويتساءل : من أين له هـذه القدرة ، وبـأي مقدار ؟ فهـل أن قدرة يـده أو علمه وفهمه نابعة من نفسـه أم أنه اكتسبهـا من غيره ؟ بعـد ذلك تعلم يقينـاً أن كـل فرد محتـاج من رأسه إلى قـدمه ، فـوجـوده يجب أن يفـاض عليـه لحـظة بلحظة ، ويجب أن تعطى له القدرة بـإستمرار وفي كـل لحظة ، يجب أن تعـطى القدرة إلى اليد لحظة بلحظة .

بـإمكان الإنسـان أن يدرك حقيقـة كل مـوجود بنـور العقـل ، فهـو تلك النطفة الضعيفة في البدايـة والآن ما زال كـذلك في الحقيقـة ولو لم يـرد الله فمع امتلاكه للقدرة التي اعطاها الله له إلا أنه لا يستطيع عمل أي شيء .

صناعة الصانعين منه أيضا :

عندما يتوجه الشخص إلى إنسان قادر لكي يحل مشكلته يجب عليه أن لا يكون مشركاً ، بل يجب أن يعلم بأن ذلك الانسان لا يمكنه فعل أي شيء بدون ارادة الله .

هل يمكن لأي أحد أن يؤخر موته لحظة واحدة ؟ . إذن فكل ما نجده من العلم والقدرة فهو من الله ، نفس ذلك العلم الكسبى منه أيضاً فكل ما يصنعه الإنسان فهو من الله أيضاً ، لأنه من هو الصانع ؟

هل أن الإنسان هو الذي صنع لحمه وجلده . . أم أنه هو الذي صنع تفكيره ؟ وهكذا الأمر بالنسبة إلى الحافظة التي أتعب نفسه على جمع كل هذه المعلومات فيها ولمدة طويلة ويريد أن يعمل بها ويصنع هذا الشيء بواسطتها ، فلو أن الله تعالى لم يعط الدوام لحافظته لما تمكن أن يعمل شيئاً .

وبشكل عام فإن جميع الأمور ترجع إلى الله[1] لذلك ينقل عن مولانا أمير المؤمنين (ع) أنه قال :

« ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه » .

فكل ما يرى من قدرة لدى أي موجود كان يراها من قدرة الله .

من الذي اعطى العلم لهذا البشر بحيث يمكنه أن يحسب حركات الأجرام على بعد آلاف الملايين من الفراسخ ، ومن اعطاه هذا الادراك وهذا الفهم ؟ من الذي اعطاه الحافظة حتى يمكنه الاحتفاظ بالمعلومات ومن

---

(١) الا الى الله تصير الامور (سورة ٤٢ آية ٥٣)

الذي اوجد هذا الكهرباء وجعلها في متناول البشر ؟ الأكتشافات التي يقوم بها الإنسان إنما هي بواسطة العلم والقدرة التي اعطاها الله له وإلا فكما ذكرنا ليس هو إلا تلك النطفة وذلك التراب العاجز .

يجب متابعة التوحيد الصفاتي بعد التزكية وإزالة الحاجب حتى يحصل على معنى « لا حول ولا قوة إلا بالله » الذي هو مفتاح الجنة ، ويكون الإنسان موحداً واقعاً ويحصل بذلك على الرضا القلبي فهو سعيد بالله ومنقطع عما سوى الله ، فلا يهمه بعد الآن الفقر والمصائب ولا الماضي او المستقبل فالخوف والحزن ليس لأولياء الله لأنه قد أنكشفت عندهم الحقيقة ، فعلموا بأنه « هو الغني » فالغني المطلق هو الله وكل من اعطاه الله الغنى ، و « العزيز » المطلق هو الله ومن أعطى الله له العزة وهم المؤمنون ، أما المنافق فهو الذي يرى العزة في غير الله ويتصور أن بإمكان المخلوق عمل شيء (كما يستفاد ذلك من آيات سورة المنافقين) .

يزداد إيمانهم بدلا من الخوف :

بعد ذلك لا يهم الموحد أي شيء . تأملوا في الآية الشريفة :

﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾(١) .

فمثلاً في زماننا اخذوا يشيعون الخوف بأن امريكا سوف تشن هجوماً عسكرياً ، أو أنها ستقوم بالمحاصرة الإقتصادية بمساعدة الدول الحليفة لها ، وتجعل إيران في عزلة ، أو كما قال ذلك الجاهل بأننا وصلنا إلى طريق مسدود . فقد أخذوا يخوفون المؤمنين ، ولكن السائرين على نهج الإمام لم يخافوا وقالوا حسبنا الله . . القدرة هي قدرة الله ، فما نراه بأيديهم هو

---

(١) سورة آل عمران ـ ٣ آية ١٧٣ .

عارية وملك لله حتى يكون ما اراد الله ، فهـو يستطيـع أن يؤثر بمقـدار ما أذن به الحق وسمحت به مشيئته .

وفي الآيـة التي بعدهـا يـذكـر سبحـانـه وتعـالى نتيجـة ذلـك التـوحيـد والتوكل فيقول :

﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء ﴾ .

كما هو الحال في الشعب المسلم والشريف في إيـران الذي صمـد ببركـة الإمــام الخميني أمـام التحــريم الإقتصـادي والهجــوم العسكــري في طبس وكذلك خرج من هذه الحرب المفروضة من قبل العراق مرفوع الرأس .

إلهي كن أنت المعـين لنـا كي نعلم ونـرى أن القـدرة هي قـدرتـك . . العـزة والعلم لـك ، وكـل شيء عنـد كــل واحـد من النــاس إنمـا هــو من عطائك .

(١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الكمالات التكوينية من الله :

بعد أن يعلم الإنسان بنور العقل بأن أية مرتبة من مراتب الوجود هي من الله فسيفهم بأن كمال ذلك الوجود أيضاً من الله ، فكما أن أصل الوجود من الله فالجمال ايضاً من الله . والكمالات الثانوية التي هي الجمال والصفات الحسنة أيضاً من الله الذي نشأ منه أصل الوجود ، وهذا المعنى يجب الحصول عليه من جميع عالم الوجود . . فلكل موجود من الموجودات العلوية والسفلية جمال وحسن وهو من الله أيضاً ، وهذا واضح في الجمال والحسن التكويني .

فمثلاً الوجه في الانسان من الله . . والجمال والجاذبية والملاحة أيضاً من صانع ذلك الوجه ، لذلك يكون الثناء على الله وليس على هذا الموجود ، فلا يمكن أن يقال ما أحسن ما صنع هذا الوجه بنفسه ، وإنما الثناء هو ثناء على الخالق له فكم لذلك الخالق من وجه جميل بحيث أعطى نموذج من جماله إلى هذا الوجه .

وصانع العنب أيضاً هو الذي أعطاه هذه الحلاوة . . وأعطى الروائح الزكية لهذه الورود ، وكما بين ذلك في القرآن المجيد :

﴿ وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾[1] ..

وطبعاً هذه الآية تصدق على جميع العوالم وأحد مصاديقها هو ما نذكر في الموجودات السفلية التي تكون أصل خزينتها عند الله . فرائحة الورد العطرة تغطي مسافة عشرة أو مائة قدم ولكن عطر الجنة كما في الروايات يصل إلى مسيرة خمسمائة عام ، فالظهور في العالم الأخر أتم وأكمل .

والخلاصة أن كل كمال انما هو من الله ، وهذه الكمالات التكوينية واضحة من خلال الأمثلة التي ذكرت .

الكمالات الكسبية منه أيضاً :

يجب أن نعلم بأن الحسن والجمال والكسبي والأختياري كذلك منه أيضاً . العلوم التي يحصل عليها الانسان هي كمال وحسن ، او الصفات الأخرى مثل الرحمة والكرم كلها ترجع إلى الله ، فالعلم هو صفة كمالية للإنسان ، فهذا الشخص يتعب ويدرس ويفكر حتى يحصل على العلم فهل أن

(١) سورة ١٥ الآية ٢١ .

أسباب هذا الفهم والعلم يـراه من غير الله . . فقـد نرى شخصـين يدرسـان سـوية فينقـدم أحدهمـا ويبقى الآخر لأن الأول لـه فهم وقابليـة والثـاني ليس له ذلك . . عمل الانسـان هو ان يهيء مـا اعطاه الله لـه ويستخدمـه ، ونفس هذه الأرادة والتوفيق ايضاً من الله .

او صفـة الـرحمـة مثلا عنـد أي شخص فهي من الله ونـاتجـة من أن الشخص قـد هيأ نفسـه لهذه الصفـة الكمـاليـة ، وقـد ورد في الـروايـة التي رواها الشيعة والسنة عن رسول الله (ص) يقول :

« ان الله خلق مـائة رحمـة جعل منهـا رحمة واحـدة في الخلق كلهم فيهـا يتراحم الناس وتـرحم الوالـدة وتحنو الأمهـات من الحيوانـات على أولادهـا ، فـإذا كان يـوم القيامـة أضاف هـذه الرحمـة الواحـدة إلى تسع وتسعـين رحمـة فيرحم بها أمة محمد (ص) »[1] .

هـل أن الأم هي التي أوجدت محبتهـا لولـدها ؟ فمـع كـل هـذا التعب الذي تتحمله في سبيل الـولد نجـد أن محبتها لا تقـل ، بل أن المحبـة توجـد في الوقت الذي يتكون فيه الولد في الرحم .

فجمـال وكمال البشر الأختيـاري ايضاً من الله . ﴿ اليـه يـرجـع الأمـر كله ﴾[2] فالجود والكرم ناشيءُ من انفـاق هذا الإنسـان بما في يـده ومع تكـرار هذا العمل تحصل بذلـك ملكة الكـرم ، فهذا الأنفـاق من أي أموال كـان ؟ هـل هناك مـالك غـير الله ؟ هذه اليـد هي ملك لله ، والقـدرة قـد اعـطاهـا الله ، والمال أيضاً مال الله ، والإنسان له ارادة فقط وهي أيضاً عطية الله .

فعـلى هذا فـإن كل جمـال وكمـال وحسن في أي مـوجـود حتى الجمـال

---

(١) بحار الانوار المجلد ٨ ص ٤٤ .
(٢) سورة ١١ الآية ١٢٣ .

الأختيـاري هو من الله فقط . الحمـد لله ، فالحمـد مختص به ويستحقـه هو لا غير .

غير الله لا يستحق الحمد بالاستقلال :

قيل في كلمة « الحمد لله » أن الألف واللام إمـا للأستغـراق أو للجنس ولا المسنـد إليه (وهـو الله) محلى بـ (ال) فهـو يفيـد الحصر ، والـلام التي قبـل اسم الجلالـة تفيد الاختصـاص « لا يستحق الحمـد إلا الله » فهـو ثنـاء وحمـد بجميع المحمـودات ، فلا يـوجد أي مخلوق في السـماء والأرض يستحق الحمد والثناء في مقـابل أي جمـال وكمال ، والـذي يستحق الحمد والثنـاء هو الله ، لأن كل شيء لا يملك أي شيء والكل ملك لله .

وقـد ورد في روايـة مـذكورة في أصـول الكافـي إنـه ضاع جمـل للإمـام الصادق (ع) فقال :

« لئن ردها الله لأحمدنه بمحامد يرضاها » .

وبعد أن بحثوا عنـه مدة وجـدوه وجاؤوا بـه إلى الإمام (ع) فلما ركبـه قـال : الحمـد لله . وفي تتمـة هـذه الـروايـة أنــه قـال حمـدت الله بجميـع محامده[1] .

ولأن كـل خير وبـركة تصـدر من أي موجـود فهي من الله ، إذن فكـل حمـد وثناء وفي أي مكـان يرجـع إلى الله ايضاً . وفي نفس هـذه الروايـة فـإن أولئـك الأشخـاص الـذين بحثوا عن الجمـل حتى وجـدوه يستحقـون الشكـر

---

(١) لئن ردهـا الله الي لأحمدنـه بمحامـد يرضـاها فلما اتى بهـا رفع رأسـه الى السـماء وقـال الحمـد لله ولم يزد ثم قـال (ع) : ما تـركت ولا أبقيت شيئاً جعلت كـل المحامـد لله فما من حمد الا وهو داخل فيما قلت : بحار الانوار مجلد ١١ صفحة ٨٣ .

ايضا ولكن الله هو الجدير بالحمد لانـه هو الـذي جعل هـذه الأسباب ، فقـد أعـطاهم الفهم حتى تمكنوا من البحث عنـه ، واعطاهم القـدرة عـلى العثـور علـيه ، واعطاهم القوة على ارجاعه وجعل الحيـوان مستسلماً لهم فهذه كلهـا تـرجـع إلى الله ، إذن فـالحمـد ايضـاً يـرجـع إليـه ـ والـلام في الحمـد تـأتي لـلأختصاص ، فـالحمد يعني جنس الحمـد مختص بالله لا بـالمخلوق لأن غـير الله وجوده من الله ايضاً فكيف ببقية شؤون الوجود .

املؤوا أفواه المداحين بالتراب :

الثنـاء للمخلوق الـذي قلنـا عنـه بـأنـه خـطأ هـو الثنـاء الاستحقـاقي والاستقلالي فلو أثنيت على أنسـان متعلم فهذا يعني انـه مستقـل في تحصيـل هـذا العلم . . فالعليم المـطلق هو الله وجميـع العلوم تـرجـع إليـه . . محمـد (ص) ايضـاً قـد تعلم من الله ، والله هـو الـذي اعـطاه ذلـك العلم ، نعم يـصـحُّ هذا الثناء من جهة أنـه عطاء من الله ، لـذلك نهى عنـه في الروايـات خصـوصاً إذا كـان الثناء بحضـور نفس الشخص ، ففي الروايـة الشريفـة في بحار الأنوار أنه (ص) قال :

« فضوا التراب على وجوه المداحين »[1] .

أولئك الذين يتملقـون للحكام والسـلاطين ويقـولون الشعـر . . ولكن ما قيمة هذا الذي تمدحه ؟ وحسب العـادة فإن مـدحهم غالبـاً يكون لمن هـو غير لائق حتى للمدح أيضاً .

ويقول الإمام (ع) في خطبة همام في نهج البلاغة :

« اذا زكي احد منهم خاف مما يقال له » .

---

(١) البحار الانوار ج ٥ .

فعندما يصدق الشخص بأنه انسان جيد سوف يخرج من التوحيد فقد اشتبه عليه الأمر ولم يأخذ إلا بالظاهر ، فيجب ألا يصدق الإنسان حيث أنه لو كان هناك حسن ايضاً فقد اعطاه الله ولذلك فإن الذي يستحق الحمد هو الله ، فلو كان لي علم أو فهم أو قدرة فهي كلها من عطايا الله ، وقد ذكرت مرات عديدة بأنه لا سمح الله لو عرض للإنسان مرض وفقد بذلك حافظته فعند ذلك يتضح ما إذا كان له علم أو لا . . يصل الأمر به إلى أن لا يعرف الطريق إلى بيته ، وينسى حتى اسم ولده وقد حصل ذلك لأحد الأشخاص وقد توفي ، فقد نسي اسم ولده بعد أن كان يردده خمسين عاماً وكلما حاول أن يتذكره لم يتمكن من ذلك ، فهو الذي وضع له هذا الأسم وكان يدعوه به خمسين عاماً ولكن عندما لا تكون هناك حافظة فلا شيء له من العلم .

المواظبة على التوحيد الصفاتي :

لذلك قيل بأن المداح الذي يرى ان الطرف المقابل مستحقاً للمدح بصورة مستقلة هو مشرك في مرحلة الصفات ، كذلك لو صدق الشخص السامع والممدوح بذلك ورأى نفسه مستحقاً للمدح بصورة مستقلة فهو أيضاً قد أصيب بالشرك في مرحلة الصفات .

إذن فالتوحيد في الصفات هو أن نرى جميع الكمالات والمحاسن من الله ، فكل كمال حتى الكمالات الكسبية للبشر فهي من الله ايضاً ، لذلك فإن المطلب دقيق جداً ويقع ذلك كثيراً حيث يكون الشخص قد وقع في مرتبة من الشرك وهو غير ملتفت إلى ذلك ، فما دام الإنسان لا يعترف بالعجز لنفسه أو للآخرين فلا يمكنه معرفة الله ، ولا يجتمعان فاما الوجود لي أو لله ، فما دام يراه لنفسه فسوف لا يراه من الله .

حفظنا الله جميعاً من جميع مراتب الشرك .

(١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أحد يستحق الحمد بالذات :

قلنا أن جميع أنواع الحمد مختصة بالخالق ـ والإستغراق بإعتبار ما يحمد عليه ـ ولان مصاديق المدح والثناء تشمل جميع الموجودات فكل ما نجده من كمال وجمال فهو من الله اذن فالثناء عليها أيضاً في الحقيقة راجع إلى الله ، وقلنا بالنسبة إلى أنواع الكمال والجمال الحاصلة بكسب البشر أن الشخص اذا مدحها بشكل مستقل بحيث لم يكن الله في نظره كان ذلك خطأ .

وأما من الناحية الشرعية ـ فلو مدح أحداً بأن قال له مثلا أنت وصلت الى مرحلة الاجتهاد في العلم ، أو قال لطبيب أنت حاذق وهكذا فالمستفاد من الروايات هو أن الزائد في ذلك مكروه ، فهو ليس بحرام بل جائز ولكنه مكروه .

أما كونه جائزاً فلأنه مطلب صحيح فالعلم والمعرفة والقدرة لكل انسان ترجع في الأصل إلى الله لكن بحسب الظاهر ان هذا الشخص قد طلب هذا الكمال وأتعب نفسه في سبيل الحصول عليه واكتسابه . وإنما حصل على هذا الكمال بتعبه وعمله . فلذلك يجوز مدحه ، لكن المستحق الحقيقي للمدح هو الله لأن جميع الأسباب ومن جملتها التوفيق إلى طلب الكمال والجمال أيضاً منه ، فحمد الله استحقاقي وهو حق وجوبي ومن لا يحمد الله يكون قد ترك واجباً عقلياً .

وأما لو ترك حمد مخلوق لأمر كمالي واختياري فهو ليس بقبيح لأنه ليس له استحقاق ذاتي ، فالذي اشتغل في طلب العلم هل يكون مدحه واجباً علي ولو أني تركت ذلك أكون قد أرتكبت أمراً قبيحاً ؟ أنه ليس مستحقاً للمدح بهذا الشكل ، أما رب العالمين فله استحقاق ذاتي وحقيقي للمدح لأنه هو المعطي الحقيقي لجميع المخلوقات « الحمد لله » فيجب اداء حق الله في مقابل كل جمال وكمال في أي مخلوق وليس للآخرين مثل هذا الحق فعندما يكتسبون كمالاً فلا يوجب ذلك حقاً على الآخرين .

فرق الاستحقاق الحقيقي والرجحاني :

بعض المفسرين ضرب لذلك مثلاً جميلاً وقال بأن هناك فرقاً بين استحقاق الدائن من المدين وبين استحقاق الفقير من الغني .

فلو ان احداً كان له مال على أحد فهو مستحق لأخذه ، وكان هناك

فقير محتاج إلى المساعدة فهو مستحق أيضاً ، فكل منهما يستحق أخذ المال لكنه بالنسبة إلى ذلك الدائن فهو استحقاق حقيقي ووجوبي ، أما بالنسبة إلى الفقير فهو استحقاق رجحاني فمن الحسن أن يساعده لا إنه اذا ترك مساعدته يكون مستحقاً للتوبيخ (طبعاً هذا الكلام هو بشكل عام فيمكن من بعض الوجوه والاعتبارات أن تكون مساعدة الفقير واجبة وفي تركه التوبيخ أيضاً) .

حمد الله في مقابل كل هذا الجمال والكمال هواستحقاق وجوبي فيجب على كل احد حمد الله ويجب أن يعلم بأن كل الوجود وجميع أنواع الكمالات صادرة منه .

ولو أن أحداً عمل وأتعب نفسه في الحصول على كمال من الله فمدحه جائز وفي الاكثار منه كراهة ، من حيث أنه يوجب الغرور ، فبالتدريج يتصور أنه من نفسه ويمكن أن ينسى الله وينسى صاحب الكمال والمعطى الحقيقي له .

خلاصة المطلب ، اشكال وجواب :

خلاصة المطلب : قلت أن مستحق الحمد هو الله فقط في مقابل أي كمال وجمال ـ ومن جهة أخرى فالحسن والقبح العقلي واستحقاق المدح والذم في مقابل الاعمال الحسنة والقبيحة للمكلفين مسلم أيضاً ، فعلى هذا فالحكم العقلي بمدح الشخص الذي أكتسب كمالاً معيناً كيف يتلاءم مع انحصار المدح لله ؟

وجوابه قد اتضح ايضاً بأن الاستحقاق الحقيقي والذاتي وبعبارة أخرى ـ الوجوب بحكم العقل هو أن يكون المدح لله فقط ، وأما للآخرين الذين اكتسبوا بعض الكمال والجمال فهو استحقاق رجحاني يعني أنه حسن

لكن لا يعني أن تركه قبيح .

إذن فالمقصود ليس هو أن مدح المخلوق في مقابل أفعاله الأختيارية غير جائز بل المقصود هو أنه ليس بواجب والأكثار منه أيضاً مكروه لأنه يكون مؤدياً للغرور ومن هنا فقد ورد في الرواية[1] ان الذي يقدم اليكم خيراً اشكروه ايضاً لأنه الواسطة والوسيلة للعطاء الألهي .

والتوحيد في مرحلة الصفات لحد الآن كان كافياً والآن ندخل في موضوع التوحيد الأفعالي بمقدار ما سمح لنا المجال .

رجوع جميع الأفعال غير الاختيارية إلى الله :

التوحيد الأفعالي يعني أن يحصل لدينا يقين بأن لا فاعل في عالم الوجود غير الله ، فكل من يتلبس بلباس الوجود يكون الفاعل لذلك هو الله ، فجميع أنواع الموجودات الجوهرية منها والعرضية ، مع واسطة كانت أو بدون واسطة ، كل ما وجد فوجوده من الله والمظهر له والموجد له هو الله وهكذا كل فعل تتصورونه حتى افعال البشر التي ستتضح في ما بعد ، ففي البداية نحاول تسليط الضوء على غير الافعال البشرية التي تكون جميعاً من الله .

الورقة التي تنمو في الشجرة وهكذا كل أثر في أي مؤثر كان مثل اشعال النار وغيرها كلها من الله الذي اعطى الاشتعال للنار والرطوبة إلى الماء .

هضم اللقمة التي تنزل من الفم إلى داخل الجسد وصيرورتها جزءاً من البدن هي أفعال إختيارية للانسان وكلها ترجع إلى المبدأ . وكل حركة

---

(١) سفينة البحار المجلد الأول ص ٧١٠ .

من كل متحرك كذلك ، وهذه أمور واضحة جداً .

أما في أفعال البشر فتلك المجموعة من أفعاله التي تصدر منه بإرادة وأختيار هي الموجّبة للاشتباهات والاختلافات وظهور مبدأ الجبر والتفويض ويجرنا ذلك أيضاً إلى مبحث العدل سواء أردنا أو لم نرد ويرتبط ذلك بمسألة القضاء والقدر أيضاً .

حقيقة التفويض شرك :

فلو قلت بأن الإنسان مستقل في عمله بحيث أنه يمكنه أن يعمل أو لا يعمل بصورة مستقلة ولا وجد أحد يمنعه من ذلك أو يجبره على ذلك وهو يفعل ذلك من دون مساعدة أحد فإن هذا يكون تفويضاً وهو شرك ، فالذي يتصور بأن وجوده غير مرتبط بالله بأن يقول سأعمل هذا العمل حتماً يكون كالمستقل في عمله . . أنت حياتك ليست بيدك ، استمرار حياتك لحظة بلحظة بيد موجود آخر إذن فالتفويض الذي لا يرى معه قيوماً على نفسه غلط .

وهذه الحالة شرك وهي أن يتصور لنفسه ما هو حق للواجب ، فالذي يقول « أنا » بهذه الصورة فهو يرى نفسه مستقلاً وغير محتاج إلى الله حيث أنه يقول عملي ، وقدرتي ، ولا يمكن لأحد منعي من ذلك فهو يفكر ويتصور لنفسه وجوداً استقلالياً ، فكل من يرى نفسه غير محتاج فقد ابتلي بمرتبة من مراتب الشرك الذي ورد النهي عنه بشدة .

والمقابل لذلك هو « الجبر » بأن يقول لا ارادة لدي أبداً وإنما أنا آلة لا أكثر ووسيلة لاداء العمل ، فكل ما اراد الله سوف يقع وهذا المطلب ايضاً خلاف الواقع ووجدانه يعلم بأنه يكذب ، فكثيراً ما يقول الإنسان في المواطن التي تلائمه بأني فعلت ذلك وفي كل مرة لا تلائمه القضية يرى أنها

من الله ، فمثلاً نجده عندما يربح كثيراً يقول هذا نتيجة ذكائي وتفكيري ومهارتي في العمل وناشيءٌ من تجاربي الشخصية ، أما لو أصابه الضرر فسيقول انه بتقدير الله ، ولا أدري لماذا يعمل معنا كذلك ؟ فيعترض بالقضاء والقدر أيضاً فهو جبري وتفويضي ، والقرآن المجيد يشير أيضاً إلى هذه الحقيقة ويقول :

﴿ وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك . . . ﴾[1] .

والخلاصة ، فانهم في الأمور التي تطابق ميولهم ورغباتهم تفويضيون وفي الموارد التي تقع خلاف ميلهم جبريون .

وحالة الصحة والعافية لا يراها من الله لكي يحمده على ذلك ، أما عندما يمرض فيرى أن الله هو المسبب لذلك المرض ويكون جبرياً .

في الأعمال الارادية نحن الفاعلين بصورة غير مستقلة :

لذلك يجب التأمل بدقة في معنى « أمر بين الأمرين » فالجهل به يؤدي بالإنسان إلى أن يبتلى بالجبر والتفويض ، وفهم هذا الخط الوسط « الأمر بين الأمرين » بحاجة الى دقة كثيرة ، والالتزام به والسير على وفقه صعب جداً .

ففي مقابل اعمال الناس يجب أن لا ننسى هذا المعنى بأن الانسان في أفعاله الأختيارية لا ينبغي أن يرى نفسه غير فاعل لذلك ولا أن يرى أنه فاعل مستقل ، فهو أو أي شخص آخر ليس مستقلاً في أي فعل أرادي واختياري فلا يتصور أنه بوجوده يمكنه أن يفعل كل ما يريد . فهذا العمل الذي تريد أن تؤديه هل يحتاج إلى قدرة وحياة ، أم لا ؟ فهل أن وجودك

---

(١) سورة النساء الآية ٧٨ .

وحياتك وأستمرارها بيدك واختيارك ؟ أنا سأفعل غداً كذا وكذا ! هل أنت حي غداً ؟ أنت بحاجة إلى من يمدك بالحياة ثانية بثانية .

في كل لحظة نحتاج إلى علة مبقية :

هذه الطاقة الكهربائية للمصابيح بحاجة إلى الأمداد باستمرار ، فهي ليست شيئاً ثابتاً ومستمراً ، وإنما توجد في كل لحظة ، فوجودنا أيضاً كذلك ، يجب أن يفاض علينا الوجود في كل لحظة من مبدأ الوجود لا إننا عندما خلقنا فإن هذا الوجود سيبقى خمسين أو ستين سنة من دون إمداد بل لو لم يصله إمداد لحظة واحدة فسينعدم ، ولذلك يقول الله في القرآن المجيد :

﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً (ويذكر بصورة مؤكدة) إلا أن يشاء الله ﴾ فيجب أن يكون مصحوباً بـ « ان شاء الله » وأرادة الله حتماً ، فمهما كانت القدرة التي لديه كبيرة إلا أنه يجب أن يعلم بأنها مرتبطة بالغير ، ومرتبطة بما يريد الله وما تكون عليه مشيئته ، فما لم يكن عمل الشخص مصحوباً بمشيئة الله لا يمكن ان يتحقق ، وكلمة « ان شاء الله » التي يقولها المؤمنون عادة هي للتبرك وليست للانشاء ، فهي تفاؤل ومجاملة ، والصحيح هو أن يقصد « ان » الشرطية ، فإذا اراد الله ذلك فسوف أقوم بالعمل الفلاني وإلا فكيف يمكنني أن أقوم بذلك العمل ؟

وقد ذكر في كتاب مصباح الشريعة بأن أحد اصحاب أمير المؤمنين (ع) ذهب إلى بيت « ابو الدرداء » فقالت زوجته بأنه غير موجود . فسألها : متى يرجع ؟ فأجابت : متى يرجع من ليست حياته بيده ؟ فهذا الأمر مربوط بمشيئة الله .

فربة البيت يجب أن تعلم أيضاً أنه لا فاعل مستقل غير الله ، وتقول لأجل ذلك « ان شاء الله ـ وان شاء ربي » بحيث تعتقد واقعاً بكلمة

« إذا » .

إذن فالتفويض يعني الاعتقاد بأن الانسان مستقل في افعاله الأختيارية .

ومن جهة اخرى فلا يوجد هناك جبر ـ فلا يمكن أن يدعي أحد ويقول لست أنا الفاعل فمن الذي يستطيع القول بأني لم أذهب .. لم أقل ..

ويقول الشاعر :

إينكه گوئي إين كنم يا آن كنم
خود دليل اختيار است أي صنم

والمعنى : قولك بأني أعمل هذا أو ذاك هو دليل على الاختيار .

اذن فالفاعل هو الشخص ولكن بصورة غير مستقلة فليس هو مسلوب الأختيار وليس مستقلاً في الفعل ـ فهو يملك الأختيار والارادة وهو الفاعل ، لكنه ليس مستقلا في هذا الأختيار والقيام بهذا الفعل فهو « أمر بين الأمرين » لا استقلال ولا إجبار .

(١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

افعال البشر غير الاختيارية :

في التوحيد الأفعالي يجب أن يعتقد الانسان الموحد يقيناً بأن الخالق لكل شيء في عالم الوجود هو الله . فالفاعل المطلق هو الله وكل ما يحدث ويوجد في مراتب الوجود كلياً كان أو جزئياً ، جواهر أو اعراضاً فهي من الله ، وهذا المطلب واضح في غير الافعال الارادية للبشر ، حتى الانسان أيضاً له افعال ارادية وغير ارادية ، فالافعال غير الأرادية ليست مرتبطة بارادة الانسان وإنما توجد من قبل الله تعالى ، فما يحصل في البدن من فعل وانفعال هو من هذا القبيل ، فحتى المرض والسلامة ليست مرتبطة

بإرادة الشخص ، وكذلك التمكن والعجز أيضا ليس باختيـاره : « **الله الذي خلقكم من ضعف (من حـالـة الضعف) ثم جعـل من بعـد ضعف قـوة ثم جعل (عند الكبر) من بعد قوة ضعفاً وشيبة** »[1] .

فـالإنسان في البـداية ليست لـه قوة وإنمـا تعطى لـه بالتـدريج وتصـل إلى الـذروة في سن الشباب ، ثم تبـدأ بالـزوال والأفول بـالتـدريـج حتى تصـل إلى الكيفيـة التي كانت عليهـا في البدايـة ، فهذه الأمـور ليست بإختيـار البشر وهي غير مرتبطة بإرادته ، وهكذا الأمـر في مسألـة الموت أيضـاً ففي هذه الأفعـال غير الاختيارية عند الإنسان وجميع الموجـودات يكون بـديهياً بـأن الفاعـل المطلق لهـا هو الله .

ليس مجبوراً في الأفعال الأختيارية :

أما بالنسبة للأفعال الأرادية والإختيارية للإنسان سـواء الحسنة منهـا أو القبيحة ، فيجب أن يعلم أنه لا جبـر هنا ولا تفـويض . . ليس الأمر كـما لو لم تكن لـه ارادة في أعمالـه أو اختيار ، فكـل عـاقـل يفهم أنـه ليس مسلوب الأختيار .

وضربوا مثلاً جيداً على الجبر والأختيار ـ فالشخص الـذي ابتلي بـرعشة في يـده فحركـة يده لا تـرتبط بارادتـه ، أما الشخص السـالم الذي يحـرك يده فمن المعلوم أنها نـاتجـة عن ارادة ، فمن الـذي يستـطيـع أن ينكـر الارادة والاختيـار في الأفعال الأختيـارية ؟ إن ذلـك يعني خلاف الفـرض ، أي أننـا نقول أنها أفعال اختيارية فمعنى الاختيار هو القدرة على القيـام بذلـك العمل وعلى تركـه ، وينتخب أحد الأمـرين إما الفعـل أو الترك ، وفي مقـابل ذلـك

---

(١) سورة ٢٠ الآية ٥٤ .

الأفعال غير الاختيارية التي إما أن تقع حتماً أو لا تقع حتماً ، دون أن يكون للشخص أختيار في ذلك .

الجبر يعني كون الشخص مسلوب الأرادة والإختيار - اي أن الفعل يقع لوحده دون أن تكون للشخص ارادة في ذلك - وبطلان الجبر واضح ، فالإنسان يذهب بإرادته إلى المسجد أو إلى مركز الفسق - وبالارادة يسبح أو يشتم - والمنكر لذلك منكر للبديهيات والمحسوسات فهو من الأمور الوجدانية التي لا تحتاج إلى برهان .

ومن جهة أخرى فخطر التفويض موجود لانه يفعل بإرادة فيرى نفسه مستقلاً ، ويقع في حبائل الشرك وينسى احتياجه إلى الله ، فيجب أن يكون ماتفتاً إلى أن ارادته بحاجة إلى قدرة ، فهل يمكنه ان يريد أمراً ويفعل شيئاً دون القدرة ؟ فكله احتياج في احتياج ، فارادة الانسان غير كافية سواء في الخير أو الشر، فهو بحاجة الى قدرة ، وما لم يحصل على التوفيق ولا على الأسباب فكيف يصدر منه ذلك العمل ؟

كل خير بتوفيق الله :

فكل خير يتصور من الانسان فهو من الله ، ويقع ذلك بمشيئته وقدرته فلو لم تكن أرادته في البين فمن المحال أن يقع ، فعندما يريد الانسان إيجاد ذلك الأمر يجد أن تحققه وإيجاده مرتبط بإرادة الله ، فالتحقق والوجود هو مرادي ، وإما بالنسبة إلى منبع الوجود فهو الله تعالى ومستند في الحقيقة إلى الله الذي هو « الخير بيده » وبحاجة الى تأييد ومدد من الله ، ولهذا يجب أن يشكر الله على كل خير يفعله حيث وفقه الله إلى ذلك لأنه ليس لي سوى الارادة ، وهذه أيضاً حصلت عليها بالهام من الله ولطف وتوفيق منه :

﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾[1] .

وبعد الارادة ايضاً ترجع جميع الأسباب إليه ، فلا يتصور أحد بسبب هذه الأرادة وبتلك الصورة التي ذكرناها أن جميع الأمور من نفسه ـ أنا الذي فعلت كذا وسأفعل كذا ـ فيبتلى بالشرك ولا يكون لعمله أجر وثواب لأنه غير مصحوب بالعلم والمعرفة فالخير يكون كبيراً إذا كان مصحوباً بالفهم . . . ان يفهم بأن الله قد أجرى الخير على يده فهنيئاً لذلك الشخص[2] .

العجب بعمل الخير مبطل :

وورد في الرواية المذكورة في لآلي الأخبار[3] أن الإمام السجاد (ع) عندما كان يعطي للفقير شيئاً فإنه يقبل يده ويقول لقد صارت هذه اليد مجرى للخير ، وورد أيضاً في رواية أخرى بإنه كان يقبل يد الآخذ من حيث أن الله هو الذي يأخذ الصدقات في الحقيقة بالرغم من أن الفقير هو الآخذ بحسب الظاهر إلا أنه صار مجرى للخير أيضاً .

« الامر بين الأمرين » يعني الرغبة في الفعل مع الحاجة إلى الله في أي عمل يصدر من الانسان ، فعندما يقولون أن العجب يبطل العمل فذلك لأنه نوع من الأنانية ورؤية الذات ، ويتصور أنه هو الذي فعل هذا الفعل في حين أنه لو لم يكن بتوفيق الله فإنه لا يوفق للعبادة أيضاً ، بحول الله وقوته أقوم وأقعد ـ فنفس هذا القيام والقعود لا يكون الا بقوة إلهية فلا ينبغي أن يؤدي ذلك إلى التفويض والعجب في العبادة .

---

(١) سورة ٨١ الآية ٢٩ .

(٢) طوبى لمن اجريت الخير على يده (حديث قدسي) .

(٣) ج ٣ ص ٣٠ .

الشر بإذن من الله :

ومن جهة المعصية أيضاً نجد أنه ليس لمرتكب المعصية سوى الأرادة ، والعقاب يرد عليها ويترتب بواسطتها ، وتحقق المعصية كما في الطاعة مرتبط بإرادة الله ، وطبعاً فإن إرادة الله في المعصية بمعنى الخذلان ، فعندما يوكل الله سبحانه وتعالى شخصاً إلى نفسه فسوف يقع في المعصية .

وقد ورد في الرواية عن أمير المؤمنين (ع) :

« الخير بتوفيق الله والشر بخذلان الله »[1] .

فالذنب الذي يرتكبه بتقصير منه فهو الذي اراد ، اما وقوعه وتحققه فهو بإذن الله . فكل ما يصلِ إلى الإنسان من ثواب وعقاب يكون بواسطة ارادته تلك ، فالله لم يرد أن يجرد الانسان من ارادته ويجعله مسلوب الارادة في العبادة أو المعصية .

الإنسان يصل إلى الكمال بواسطة الارادة :

البهائم في حال الركوع والحشرات في حال السجود دائماً ، ولكن لا قيمة لهذا الركوع والسجود ، والله لم يرد للإنسان ان يقف للصلاة بهذا الشكل ولذلك فهو لا يمنع ارادته ، فيجب أن يتوجه الإنسان بإرادته إلى السعادة أو الشقاوة فلو منع من الاختيار فإنه لا يصل إلى الكمال ويزول الثواب والعقاب ، فعندما يعرض للإنسان ذنب ويكف نفسه عن ذلك الذنب فسوف يوجب له الثواب والوصول إلى الكمال لا إنه يكون مجبراً على عدم صدور الذنب منه .

---

(١) توحيد الصدوق .

كمال الإنسان بـواسطة إرادتـه ، ففي الخيرات يكـون بإرادة الفعـل ، وفي الشـرور يكون بكف النفس وإرادة التـرك ، فاللسـان بـإختيـار الإنسـان فيمكنـه أن يقول خيـراً وإلا منـع نفسـه عن التكلم ، فكـل مـرة يكف فيهـا لسـانـه عن الكـلام قـد تسـاوي سنـة كـاملة عبـادة من حيث الحصـول عـلى الكمـال ، فالـطاعة والمعصية تدور مـدار ارادة الانسان لكي يتكـامل ، وفي كـل منهـما لا يكـون مستقـلاً ومستغنيـاً عن المشيئـة الإلهيـة ولا هـو مسلوب الارادة ، ففي الـذنب لا يكون مستقـلاً ، فيمكنه إرادة المعصيـة واما تحققهـا وحدوثها فهو بإرادة الله « نوله ما تولى » فكل منهما بحاجة إلى الأمداد[1]

---

(١) « كـلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عـطاء ربـك » سورة ١٧ آية ٢ .

(٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

في بداية هذه الخطبة المباركة يقول الإمام :

« الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون » .

فلا يمكن لاحد أن يحصي نعمائه ، إلى أن يصل إلى القول :

« الذي ليس لصفته حد محدود ولانعت موجود ولا أجل ممدود » .

فهو يثبت الصفات لله في هذا الكلام ، وبعد ذلك يقول في مكان آخر :

« وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير

الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » .

فبحسب الظاهر أن هناك منافاة وتعارض بين جملة « ليس لصفته حد محدود » وبين جملة « كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه » لكنه بعد التأمل والدقة في نفس هذه العبارات يزول ذلك التعارض .

فعندما يقول انه ليس لله صفات فيعني تلك الصفات الزائدة على ذاته ، فليس هناك نعت ومنعوت حيث أن الذات المقدسة هي عين الكمال لا أن الكمال عارض عليها ، والصفات التي تكون للموجودات هي عارضة عليها وزائدة على ذاتها ، كالعلم في المخلوق مثلاً : فالعلم كيفية حاصلة للنفس ، والعلم أمر عارض على الإنسان حيث لم يكن موجوداً ثم وجد بعد ذلك ، وكذلك القدرة فهي كيفية عارضة على النفس عروض الصفة على المخلوق .

التركيب يلزم التعدد :

أما بالنسبة إلى الخالق فالعروض غلط وذلك « لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف » فالصفة والموصوف شيئان اثنان ، والصفة غير الموصوف والعارض غير المعروض والعلم غير العالم ـ وكل موصوف غير الصفة أيضاً ، إذن « فمن وصف الله فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه » فالذي يقول بأن لله علم فقد جعله اثنين كما أن للمخلوق ذات وعلم ـ فلو وصفنا الله بهذا الشكل فقد قرن الذات بالصفة ، والذي يقول بذلك فهو قائل بالاثنينية (الصفة والموصوف) والذي يقول بالاثنينية « ومن ثناه فقد جزأه » فقد جعل بينهما فاصلا وتصور لله جزئين ذات وعلم مثلاً .

« ومن جزأه فقد جهله » لأنه تصور أن الله مركب ، فلم يعرف الله بوجوب الوجود حيث أنه لو كان هناك تركيب بين الصفة والموصوف فاللازم

لكـل تـركيب هـو العجـز والاحتيـاج إلى الجـزء والاحتيـاج إلى المـركب لتلك الأجـزاء ، وكذلـك فهو بحـاجة إلى واجب وجـود آخر لكي يقـوم بالتـركيب بحيث لا يكون هو مـركباً ، إذن فلو قلنـا بتعدد الصفـة والموصـوف فهو ليس واجب الوجود .

لـذلك فـإنه عنـدما يقـول « نفي الصفـات عنـه » فـإنـه يعني عـروض الصفات والتي يعبر عنها في علم الكلام بـ « المعـاني » وإن الله ليس له معـان زائدة على ذاته وصفات عارضة على الذات .

وعنـدما يقـول : « الذي ليس لصفتـه حد محـدود » فهو اثبـات الصفة للذات يعني أن نفس تلك الـذات المقـدسـة هي عـين العلم وعـين الحيـاة والقـدرة والرحمـة لا إنه ذات عـرض لها العلم ، فتلك الصفـة المقـدسـة هي الله .

صفـات الله ليس لهـا وقت وأجـل وحـد ورسم كـما هي عـنـد المخلوق لأن صفته عين ذاته ، فكما أن ذاتـه غير محـدودة فصفته كـذلك غـير محدودة ، « ليس لصفتـه حد محـدود » وكما أنـه ليس لذاتـه مـقـدار فكـذلـك لا يكـون لصفته مقدار ايضاً ، فعندمـا يكون هنـاك حد فـإن ذلك يعني العجـز ، والله منزه من ذلك ، والمخلوق هو الذي يكون محدوداً بحـدود قابلـيـته واستعداده لتقبل صفات الكمال من قبيل العلم والقـدرة ، أما الله فهـو : « لم يزل عـالماً إذ لا معلوم » فقبل أن يكون هناك خلق كان عـالماً والآن هـو كذلـك ، وبعد ذلـك أيضاً ، فليس لـه أول وآخر ولا ابتـداء أو انتهاء ، فـلا يصح ان يقـال انه يعلم بما هو موجود أو يوجد بعد ذلـك فقط ، فهو غـير قابـل للتحديـد لا كماً ولا كيفاً ، ويمكن التعبير عن ذلك بهـذا المعنى انه ليس لـه « حد محـدود » ولا « نعت مـوجود » ولا « أجـل ممدود » بـأن يقال أنـه يعلم أو يقدر بـذلـك المقدار ويعين له وقت وزمان فإنه ليس له أي نوع من المحدودية .

أذكر رواية واحدة أو اثنتين ايضاً للتبرك ولتأييد ما قلناه :

صفة الله ليست لها نهاية :

« لا تقولن منتهى علمه فليس لعلمه منتهى »[١] .

مثلاً تقول اللهم صل على محمد وآل محمد بمقدار منتهى علمك ، فهذا الكلام غير صحيح لأن علم الله ليس له نهاية وحد ، لذلك لا يصح أن تعبر هذا التعبير .

وورد في رواية اخرى عن الإمام السجاد (ع) يقول :

« عظم ربنا عن الصفة فكيف يوصف ، ان الله لا يوصف بمحدودية »[٢] فليس لصفته حد أو نهاية .

وفي رواية اخرى يقول الإمام السجاد (ع) :

« لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يصفوا الله بعظمته لم يقدروا »[٣] .

فكل من اراد وصف علم الله فإنه يصفه بحدوده الشخصية الضيقة ، لأن فهم كل شخص بمقدار ذاته . فالمخلوق مهما وصل عقله فمع ذلك فهو محدود فكيف يمكنه وصف غير المحدود ، نعم عندما يكون العقل كاملاً فإنه يفهم جيداً بإنه عاجز واقعاً عن معرفة الله بما يليق به .

---

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٨٣ .
(٢) اصول الكافي ج ١ ص ٧٨ .
(٣) اصول الكافي ج ١ ص ٧٩ .

علامة اكتمال المعرفة عند الرسول (ص) :

رسول الله (ص) الذي وصل إلى أعلى درجات المعرفة يقول :

« رب لا أحصي ثنائي عليك » فالإدراك موقوف على الاحاطة ، فالإنسان إنما يدرك ذلك الشيء إذا أحاط به ، والمخلوق محدود فكيف يمكنه الاحاطة بغير المحدود ؟ فحتى لو كان ذلك الشخص أول إنسان في عالم الوجود فهو بالنسبة إلى الله محدود . وبعد ذلك يقول (ص) :

« أنت كما اثنيت على نفسك » .

فالثناء هو ثناؤك ، فأنت أثنيت على نفسك كما وصفت نفسك ، ﴿ **السميع والعليم ، العزيز الحكيم ، على كل شيء قدير ، الشهيد** . . ﴾ .

إذن فكمال الانسان بأن يعلم بأن فهم تلك الأوصاف الإلهية وإدراكها هي في حدود فهمه وإدراكه الضيق ، وليست هي واقع الأمر وإلا فإن الله سبحانه وتعالى أجل وأعلى من أن يحيط أحد بذاته أو صفاته كما هي . فكمال العبودية في إدراك العجز عن المعرفة : « ما عرفناك حق معرفتك ، وما عبدناك حق عبادتك » .

لذلك يقال بأن هذه الكلمات المنسوبة إلى الرسول (ص) تدل على كمال المعرفة ونهاية العبودية عند خاتم الأنبياء (ص) .

فمن شؤون العبودية مثلاً الشكر . فهل يمكن لأي أحد منا أداء حق الشكر ؟ فمن حيث أن نعم الله غير محدودة فلا يمكن ذلك لأي واحد منا . . النعم الظاهرية والباطنية . . العقل والفهم ، والقدرة على إدراك المعارف هي من نعم الله الباطنية . . كل فهم جديد يعني نعمة جديدة

تحتاج إلى شكر آخر .

ففي مقابل العظمة اللا متناهية يجب أن يكون هنا خشوع غير محدود ولا متناهي ايضاً ، فالعبد مهما اراد أن يظهر عظمة الله في عمله فما الذي يستطيعه ؟! غاية الأمر ان يضع جبهته على التراب ويسبحه ويمجده . .

التقوى بمقدار الاستطاعة :

بعض المفسرين قالوا في تفسير هذه الآية الشريفة : ﴿ **واتقوا الله حق تقاته** ﴾ أن هذه الآية منسوخة أو مبينة بآية : ﴿ **واتقوا الله ما استطعتم** ﴾ وإلا فإن أي مخلوق لا يمكنه أن يؤدي ما عليه من التقوى بما يليق الحق ولكن الذي يظهر من الآية الأولى أنها لا اطلاق لها حتى تكون بحاجة الى النسخ أو البيان ، لأن « حق تقوى الله » إنما هو بذلك المقدار المستطاع ، وإلا فهو تكليف بالمحال ولا يمكن تصوره أبداً ، لأن من المعلوم اننا لو أخذنا باطلاق الآية أي بذلك المعنى الظاهري المستفاد من الآية فإنه لا يوجد أحد يمكنه ذلك ، فكل فرد يجب أن يتقي الله كما يستحقه من التقى بالمقدار الذي يمكنه ذلك لا أنه بالمقدار الذي يستحقه الله واقعاً .

فخلاصة المطلب ـ ان العبارة التي ينفي فيها الإمام الصفات هي الصفات الزائدة ، وعندما يقول « نعت موجود » فهي الصفات التي هي عين ذاته فكما أن الذات غير محدودة فالصفات أيضاً غير محدودة ، وكما أن احاطة المخلوق بذات الله مستحيلة فكذلك احاطته بالصفات أيضاً مستحيلة .

(٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الله هو مصدر كل علم وقدرة :

المطلب المهم الذي ينبغي أن يذكر في توحيد الصفات كما ذكر ذلك في توحيد الذات هو أننا عندما فهمنا بعقولنا توحيد الصفات وأن الصفات الإلهية ترجع إلى العلم والقدرة وإنه لا شريك له في ذاته المقدسة فكذلك في صفاته ايضاً ليس له شريك ، ومعنى الشريك هنا هو ان تلك القدرة التي عند الله غير تلك القدرة في هذا المخلوق . وهكذا في الكلام عن علم الله فكما ان الانسان ليس له استقلال في ذاته فكذلك في علمه أيضاً .

وكما أن أي وجود في أي مكان يتحقق فهو من افاضات ورشحات اصل الوجود « جل جلاله » ، فكذلك العلم والقدرة في أي مكان هي من علمه وقدرته اللامتناهية « وبقدرتك التي قدرت بها كل شيء » . فكما أن اصل وجود كل موجود ليس من ذاته ، فكذلك آثار ذلك الوجود من علم وقدرة لا يمكن أن تكون من نفس ذلك الموجود أيضاً .

قوة البخار الذي يدير عجلات مصنع من المصانع ، هذه القوة هي من الله ، وهكذا كل قوة في الكهرباء أو النار ، او القوة المدهشة والعجيبة التي لدى الإنسان والتي يقول عنها الشيخ الرئيس ابن سينا « الناس يتعجبون من جذب مغناطيس مثقالاً من الحديد ولم يتعجبوا من جذب النفس الناطقة هذا الهيكل العظيم » .

فهذا البدن الذي يصعب على عدة اشخاص حمله بعد الموت يجره معه من الصباح إلى الليل من هنا إلى هناك بكل سهولة ، فهذه القدرة هي التي تحمل هذا البدن الثقيل بكل تلك السهولة .

التصديق القلبي في توحيد الصفات :

يجب أن نعلم أن كل استغناء ونعمة وخير في كل مكان إنما هو من الله لأن الله هو أصل الوجود . وهذا العلم يجب أن يكون بإذعان من القلب لا أن يكون بالاستدلال العقلي فقط كما سبق وأن ذكرنا . ففي البداية يجب أن تدرك بالاستدلال العقلي وحدة الصفة وانها متفرعة على علم وقدرة الحق .

ولكن لا يمكن الاكتفاء بهذا الادراك العقلي وانما يجب (التصديق به) والتصديق القلبي يكون بحيث يطمئن القلب بأن كل ما يوجد من علم وقدرة فهو من الله ، فما دام الإنسان يرى علمه الشخصي وقدرته من

نفسـه فمن المحال أن يـرى الله وعلمه وقـدرتـه ، يجب أن يفهم أنـه لا شيء فما دمت تتصور ذاتك شيئاً فلا يمكنه العثور على الحقيقة .

وسأضرب مثالاً على النظر الاستقلالي والنـظر المرآتي ، فـالنظر في المـرآة يكون بشكلين فتارة تنظر إلى المرآة لترى فيها وجهك وأخرى تنـظر إليها نـظر المشتـري لها عنـدما تجـدها في دكـان البائـع ، ففي الوقت الـذي تنـظر إليهـا بنظر المشتري لا تستطيع أن ترى نفسك فيها .

فعنـدما يكـون النـظر الى المـرآة استقـلاليـاً فليس لـه غـرض للنـظر إلى وجهه ، ولذلـك فهو لا يـرى المنظور في تلك المـرآة ، وعندمـا ينظر الإنسـان إلى الكـائنات بـالنظر الاستقـلالي فالحق محجـوب عنـه ، فـما دام يـرى نفسـه (أنا) فكيف يدرك قدرة الحق ؟ (انا) قبل عدة سنـوات لم أكن سوى حفنـة من التراب ، وبعد سنوات سأكون أيضاً حفنة من التراب مـرة أخرى ، فـإذا كـان النظر استقـلالياً إلى قـدرته فسـوف لا يفهم هذا المعنى وهـو أن قـدرتـه الآن ايضـاً من الله ، فبمجرد أن تـريد تحـريـك يـدك ورجلك فـإنها تتحـرك فوراً ، وهكذا يتحرك اللسـان أيضاً ، كل هذا من عطاء الله .

عبادة ستة آلاف عام مع الانانية !!

وطبيعي ان ذلـك بحـاجـة الى التمـرين والمجـاهـدة ، يجب أن يتـرك الـ « أنـا ، أنا » فـما دام يتكلم عن علمه وقـدرته هـو فإن قلبـه لا يخشع إلى الحق ، فبـالمقدار الـذي يرى نفسـه غير محتـاج فإنـه سـوف يـطغى حتى عـلى خالقه .

فلو زاد العلم أو المال وكان مصحـوباً بـالانانيـة فإن ذلـك سوف يؤدي إلى الـطغيان فهـو ليس غنياً حقيقـة بل هـو وهم وخيال ، إنـه يتخيـل ان لـه علماً ,الحـال أن العلم لله ، وهكـذا يصـل الأمـر بـه إلى أن يقف مقـابـل

أبليس عبـد الله ستة آلاف عـام ولا يعلم أنها كـانت من الأعـوام الدنيوية أو الأخروية ، ولكن عندما تكون أنانيته باقية ويؤمر بالخضوع لآدم الترابي فإنه يقول : « أنه خير منه » ولا يكون مستعداً للطاعة والخضوع بل يقف مقابل الحق .

جميع النفوس هكذا فـ « أنا » شيطان يقف في مقابل كل حق ويقاوم كل حق في حين أنه لو راجع وجدانه لرأى أنه ليس كذلك ، فالذي يرى نفسه وأثار نفسه ، كيف يمكنه رؤية الله وآثار الله ؟ فهو في الحقيقة قد ادار ظهره إلى المقصد فكيف يمكنه الوصول إليه .

الغنى المالي يؤدي إلى الطغيان :

قارون جمع أموالا طائلة نتيجة اطلاعاته العلمية التي أكتسبها في علم الكيمياء بحيث يقول عنه القرآن المجيد ﴿ **ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة** ﴾[1] وفي النهاية أنهم كانوا أربعين رجلاً لا يتمكنون من حملها إلا بصعوبة .

وبعد أن طلب موسى من قارون أن يؤدي الزكاة قال : ﴿ **إنما أوتيته على علم عندي** ﴾ فهو بعلمي وليس بعلم الله فلا أحد له الحق في هذه الأموال فأنا المالك لها ، فهذا الشخص بهذه الحالة كيف يمكنه أن يدرك : ﴿ **لله ما في السماوات والأرض** ﴾ ، فالذي يقول : اموالي أنا ، علمي أنا ، فهو مجموعة من الـ (انا) فمحال أن يفهم مالكية الله .

---

(١) سورة ٢٨ الآية ٧٦ .

القلب الميت لا يستيقظ حتى بالموت :

عندما كان فرعـون يرى سلطانـه في مصر وتلك القدرة الـظاهـرِيـة كان يقـول : ﴿ أليس لي ملك مصر ﴾[1] هـذا سلطاني !! إذن كيف يمكنـه أن يدرك سلطان الله ، كيف يمكنه أن يفهم بأنه هو والآخرين والجميع في مقابـل سلطة الحق لا شيء ، فهـذه أوهـام تحجب الانسـان عن إدراك الحقيقـة ، وطبعـاً يمكن أنْ تنكشف الحقيقة بـالموت ، ولكن عنـد ذاك لا ينفعهم ايمـانهم كما آمن فرعون بلسانـه عند المـوت فهو لعق بـاللسان فقط وكـما يقول القـرآن المجيد ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾[2] .

عندما يموت القلب فلا أمـل يرجى منـه بعد ذلـك ، أما لـو زالت النفس عن القلب عنـد ذلك يـظهـر الإيمـان ويفهم الحقيقـة وإلا فـالقلب محجـوب ولا يستيقظ حتى بـالمـوت ، نعم سـوف تنكشف لـه الحقيقـة ولكن القلب الميت لا يصدق بها فالانكشاف وظهـور الحقيقة يكـون بعقله فقط أما الإيمـان والاطمئنان القلبي والتصـديق فـلا يـوجـد لهـا أثـر ، فحتى بعـد المـوت تكـون الأنـانيـة والـ « أنا » باقية فلو أنه لم يستيقظ قبـل الموت فسـوف لا يستيقظ إلى الأبد[3] ، والخلاصة فالشخص المحجوب بنفسـه يكون بعـد الموت محجـوباً أيضـاً ولو أنـه مـات وبعث مئات المـرات فإنـه سوف لا يؤمن ايضـاً كـما حـدثنـا عن ذلـك في القرآن المجيد .

ومـع ذهاب النفس يتضـح أنه لم يكن شيئـاً وكـل مـا عنـده هـو من علم وقدرة الله ، فلو أن الستار أزيـح عن عين القلب فسـوف يفهم عندئـذٍ بأن كـل مـا هو ظـاهر في هـذا العالم فهـو من علم الله وقدرتـه فقط . فيجب أن نخـاف

---

(١) سورة ٤٣ الآية ٥١ .

(٢) سورة ٦ الآية ٢٨ .

(٣) « ومن كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلا » .

من صاحب القدرة وهو الله . وأن نرجو صاحب القدرة وهو الله ، ولا نخاف أي أحد سوى الله ، ولا نؤمل بأي شيء وبأي أحد غير الله .

فقد أصبح لديه مشهوداً بأن أقوى الأفراد لا يمكنه عمل شيء إلا بإذن الله وأرادته حتى يصل به الحال إلى أنه لو اجتمعت عليه جميع قوى المخلوقات وأرادت إيصال الضرر إليه فإنه مع ذلك لا يخاف منها .

دانيال والسبع الضاري في قعر البئر :

ورد في كتاب حياة القلوب أنه عندما اراد « بخت نصر » أن يعذب دانيال بأشد العذاب أمر أن يضعوا لبوة (انثى الأسد) في قعر بئر عميقة وبعد ذلك أنزلوا دانيال في البئر .

الانسان الاعتيادي قد يتجمد من الخوف في تلك اللحظة وقد يموت من الخوف ، أما دانيال فقد كان يعلم بأن القدرة التي عند الاسد هي من الله ، فلو كانت معها مشيئة الله فسوف يأكله وإلا فلا .

وقد ذكر في الرواية أن أنثى الأسد كانت تأكل التراب وكان دانيال ينتفع بحليبها كي لا يموت ، لكن الذي نقله المجلسي في حياة القلوب هو أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبي في ذلك الزمان بأن ينقل الطعام إلى دانيال ، وعندما وصل إليه الطعام قال : « الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره »[1] .

على كل حال فنتيجة فهم التوحيد الصفاتي هو أن يحصل لديه توحيد في مقام الخوف والرجاء ، فمم يكون خوفه ؟ من ذلك الذي هو مصدر القدرة ، فإذا صار كذلك فسوف لا يخاف من الفقر أيضاً ، لأن القادر المطلق إذا اراد أن يسد حاجته فإنه يستطيع ذلك سواء بالمال أو بغير المال .

---

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٨٩ .

(٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الغفلة عن الحق سبب النزاعات :

قلنا في الجلسة السابقة في موضوع توحيد الصفات بأنه يجب أن يكون التصديق بالقلب ويحصل له نور في قلبه بحيث يفهم بطريقة الشهود بأن كل كمال موجود إنما هو من الله ، وأن أي علم وأية قدرة واستغناء عند كل موجود فهو من الله فلا استقلال لأي ذات أو صفة .

نفس هذه المطالب تأتي في التوحيد الأفعالي ، فالانسان عندما يزيل عنه الحجاب ويضعف من « ذاتيته » سيفهم بنور القلب بأن الفاعل الحقيقي في جميع الأمور هو الله حتى في الأفعال الاختيارية للبشر أيضاً فهي بقدرة

ومشيئة الله بشرط ألا يكون ناظراً إلى جهة شخصية وأنانية ، بل إلى تلك القدرة التي بواسطتها تتحرك المخلوقات ، وكذلك عندما يقوم بفعل بنفسه فعليه أن يراه بمشيئة الله وإرادته ، فما دام ناظراً إلى نفسه لا يصل إلى التوحيد الأفعالي مهما قال بلسانه « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وما دام يرى قدرة نفسه فذاك هو التفويض الذي ذكرناه سابقاً ، يجب أن يخاف من حصول الشرك في قلبه وهو ان يجعل قدرته مقابل قدرة الله وينسى قدرة الله ، فهذه « الذاتية » تجعل الانسان محروماً من كل سعادة وتدفعه إلى كل شر فهو دائماً في مشقة وتعب ، فانواع النزاعات التي تحدث بين افراد البشر هي بسبب هذه النظرة إلى الذات والنفس لأنه يرى نفسه ويرى الآخرين اصحاب قدرة مستقلة فيريد ان يتغلب عليه أو يأخذ أمواله ، من المستحيل أن يكون إثنان ملتفتين الى الله في أفعالهما ثم يتنازعان بعد ذلك ، ولهذا لم يكن بين الأنبياء نزاع أبداً لأنهم قد أصلحوا أنفسهم ويعلمون ان القدرة والمال ملك لله .

الحروب التي تقع في العالم إنما تحدث بسبب الجهل والأنانية وذلك لأنهم نسوا الله فانساهم انفسهم ، فعندما لا يكون ناظراً إلى قدرة الله ، فإنه لا يرى نفسه عاجزاً ويبقى في جهله وضياعه ويكون ذلك هو منشأ الفساد .

فلو قيل إن ارسال الرسل والأنبياء انما هو لاصلاح انانية البشر كان ذلك صحيحاً ، فالأنبياء جاؤوا ليفهموا الناس بأن « أنا » هي عدم محض ولا شيء ، فيجب أن تفهم ضعفك وعجزك الذاتي والصفتي والفعلي وتفهم بأنك امكان ذاتي ووصفي وفعلي ، فاعرف نفسك . .

فذاتك صادرة عنه ، والصفة التي لديك هي منه أيضاً ، والفعل الذي يصدر منك إنما هو بقدرته « يزكيهم » فهدف الأنبياء هو تزكية الناس وتطهيرهم من ادران النفس .

النفس تصير أمارة اذا ترك لها العنان :

قيل في كلمة « المطهر » التي هي من أسماء الله الحسنى بأن التطهير المنسوب إلى الله يعني التوفيق ، فإن نجاسة الشرك والأنانية لا تطهرها مياه البحار السبعة والمطهر لها هو الله فقط ، وذلك عندما يصل إلى مرحلة يتحرر فيها من « الشخصية والتشخص » لأنها هي التي تبقي الانسان في ادران الجهل وتحرمه من كل خير وتدفعه إلى كل شر ، فلو انه ترك لها الحبل فسوف تصير « أمارة » حيث تأمر بكل سوء .

النفس الأمارة ليست أمراً منفصلاً عن الذات وإنما هي نفسها الذات التي اذا أطاعها الانسان تكون أميرة عليه وحاكمة على وجوده بحيث لا يمكنه أن يتخلف عن أوامرها ، فيجب عليه أن يصمد بالتدريج وبالمجاهدات الشرعية أمام نفسه ويقيدها كي تنتهي عن الامارية وتضعف عنده الانانية ويفهم بأن القدرة هي قدرة الله اذن لماذا يتشاجر مع شخص آخر .

إذا كانت « أنا » غير موجودة فليس هناك نزاعاً على منصبي أنا ، وأموالي أنا وغيرها ، لأن كل ما يراه يجده من آثار علم الله وقدرته ، ولا يرى سوى جمال الحق فلا أحد ينازع الجمال ويعاديه .

عبارات لطيفة من الصحيفة السجادية :

الملاحظة المهمة التي اردت أن أذكرها هي عبارة موجودة في دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين (ع) حيث يقول :

« اللهم صل على محمد وآل محمد وحصن وجهي باليسار ولا تبتذل

جاهي بالاقتار فاسترزق أهل رزقك واستعطى شرار خلقك » .

فلا أطلب شيئاً من مخلوق بحيث إذا أعطاني أبتلي بمدحه ، وإذا لم يعطني شيئاً فسوف أبتلي بذمه، لأنه عندما يكون محتاجاً إلى المخلوق فهو في خطر ، فلو أنه توجه إلى المخلوق بنظر استقلالي وبأمل أن يقضي هذا الشخص حاجته ويحل مشكلته فهو الآن مبتلى بالشرك وقد خرج من التوحيد الأفعالي ، يجب أن يكون واعياً : إلهي مع ارادتك يحصل هذا العمل المعين بوسيلة الشخص الفلاني . . فتوجهه يكون إلى الله حتى لا ينحرف عن صراط التوحيد في الفعل . . صراط التوحيد أدق من الشعرة وأحد من السيف ، فأي أنحراف في النظر سيؤدي إلى سقوطه .

فالذهاب إلى أحد المخلوقين طلباً للأستعانة أو الاسترزاق أو المساعدة هو أمر محذور مهما كانت نتيجة ذلك الطلب وسواء حصل على حاجته أو لم يحصل ، لأنه لو حصل على ما أراد فمن المحتمل أن يغفل عن الله ويمدح ذلك الشخص الذي اعطاه حاجته « مدحاً استقلالياً » فهو في الحقيقة يمدح من لم يفعل ، فلو ان الله لم يعطه القدرة والتوفيق فكيف يمكنه أن يحل له مشكلته .

ولو انه لم يؤد إليه ما اراد ولم يقض حاجته فانه سوف يذمه : بأنه كان مالكاً ومتمكناً إلا أنه لم يعطني شيئاً ولم يساعدني ، ويحدث في قلبه البغض والحقد على ذلك الشخص ، وقد يصمم على الانتقام منه فهذا من الشرك ايضاً ، إذن فكل واحد من الامرين يحتمل الخطر سواء في العطاء أو المنع ، ففي العطاء يكون المدح بالاستقلال وعند المنع يكون بالذم إلى ذلك الانسان .

فلو أنه منعه من ذلك وجب عليه أن يقول بأن الله لم يرد ذلك ، ولا

يجعل من الشخص مورداً لغضبه ، فإن الله سوف يصلح أمرك من طريق آخر ، لأن الفاعل الحقيقي هو الله وهذا الشخص لم تكن له القابلية في الحصول على توفيق الله فلماذا تسيء الظن به وتشتمه وتذمه ؟ والقليل من الناس لا يصيبهم هذا اللون من الشرك وذلك إذا علموا بأن ذلك الشخص غير مستقل في العطاء والمنع .

الابتلاء بالمدح والذم الاستقلالي :

« فأفتتن بمدح من اعطاني وابتلي بذم من منعني » .

وطبعاً فإن ما هو مذموم هو المدح بالاستقلال وإلا فالمدح بالتبع قد أمر به « من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل »[1] .

فالواسطة للخير يجب شكره ايضاً ، مثلا أن يقول : اسأل الله أن يعطيك الأجر والثواب على هذا العمل الصالح الذي جرى على يدك ، أما ما هو محذور وخطر فهو المدح الاستقلالي وهو أنني متشكر منك إذ فعلت كذا وكذا دون أن يكون ناظراً لله .

أو في مورد الذم ، فما لم يعطه الله القدرة فأي فعلٍ يمكنه القيام به ؟ فكم من الأعمال المهمة والصعبة التي استطاع القيام بها وكم من الأعمال اليسيرة والسهلة التي لم يتمكن منها . فما لم يكن مصحوباً بمشيئة الله فلا يمكن ان يصدر منه الفعل . وطبعاً قد يؤدي بنا هذا الكلام إلى مسألة الجبر والتفويض التي تكلمنا عنها سابقاً .

إذن فيجب علينا أن نتذكر دائماً قولنا في الليل والنهار **﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾** .

---

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٣٢ .

ويقول المرحوم بحر العلوم :

تلهـج في إيـاك نستعـين   وأنت غـير الله تستعـين

ففي الصلاة تقول « الهي إنني أطلب المعونة منك » ولكن عندما تكون لك حاجة بمخلوق فسوف تمدحه في صورة العطاء وتذمه في صورة المنع ، فلو أنك كنت تطلب المعونة من الله فما هذا الثناء والمديح للمخلوق في مقابل عطائه ؟ فإذا كان العطاء الإلهي قد جرى على يد هذا المخلوق فلماذا نسيت الله وتمسكت بالسبب والوسيلة فقط وهو لم يكن له سوى ارادة قد اعطاه الله إياها ؟

وكذلك لا ينبغي أن ترى ذلك الشخص مستقلاً في صورة المنع وإنما يجب أن تعتقد بأن الله لم يوفقه لذلك . فالنفس هي التي تطغى وتتأمر وتتصور الاستقلال لنفسها وللآخرين ، فالمدح والذم راجع إلى النفس التي نسيت الله .

الهي : منك العطاء والمنع :

« وأنت من دونهم ولي الاعطاء والمنع » . . الهي أنت الذي اعطيت في صورة العطاء فقدرتك وولايتك هي السبب في هذا العطاء ، وفي صورة المنع كانت قدرتك وعدم توفيقك هو السبب في منعي .

المسلمون بحسب النوع مصابون بهذه المرتبة من الشرك فنحن نتصور أنفسنا موحدين في حين أننا نعتقد بأن المخلوق مستقل في المنع والعطاء ، فلماذا نتخبط في هذا الجهل بحيث نرى جميع الممكنات ولكن لا نرى الله ؟

لنرى هذا الانسان الذي بيده رئاسة ومنصب أو أنه صاحب ثروة وقدرة ، فهذه الأمور جميعاً من عطاء الله وهي من الأمور العارضة حيث

يمكنك أن تجد في مكان آخر قدرة اكبر وأموال أكثر ، فهذه كلها توهمات وليست أموراً ذاتية بل هي عرضية ، ففي هذه المرة كانت الثروة والقدرة منسوبة إليه وغداً تنسب إلى شخص آخر « فالإضافة » في باب الاعراض نسبة تكرارية ، فهذه النسبة التي بيني وبين المال مجرد توهم واعتبار وأمور جعلية واصطلاحية للبشر لا أن لها واقعية حقيقية « وأعوذ بك من الشرك » إلهي أنقذنا من الشرك حتى لا نشرك بك لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال .

(٢٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الله هو الكمال المطلق :

توحيد الصفات والأفعال من أهم المسائل الأعتقادية في الإسلام والتي يجب تعلمها على الجميع بحيث تكون واضحة لديه بصورة كاملة ، ويطبق ذلك في مقام العمل ، فجميع البركات التي تصيب الانسان المؤمن هي ببركة التوحيد الصفاتي والافعالي وما يحصل عليه المؤمن من مقامات وكمالات ودرجات يكون نتيجة لذلك .

ومعظم آيات القرآن الكريم في باب المعارف تُبتنَى على اساس التوحيد الصفاتي والأفعالي ﴿ له الحمد وله الملك ﴾ فالثناء منحصر بالله

فكل صفة كمالية فهي من الله وكل فعل أو تصرف في عالم الوجود فمنه ﴿ له الملك ﴾ فهو الفاعل الحقيقي والمطلق كما أنه هو صاحب الكمال الحقيقي .

اذكر جملة في باب الاستدلال العقلي على هذا الموضوع وهي : ان كل موجود اضافة إلى كونه محتاجاً في ذاته واصل وجوده ويجب أن يعطى له الوجود ، فكذلك هو محتاج إلى الكمالات الثانوية التي هي صفة وأثر لذلك الوجود ، لا انه بعد أن وجد وتحقق قد أصبح واجباً في ترتب الأثر بحيث يكون الأثر والصفة قطعية الصدور والحصول منه ، فالمخلوق كما انه محتاج في أصل وجوده ومحتاج أيضاً إلى أن يعطيه الله الصفة والفعل أيضاً ، فهو محتاج كذلك في صدور وتحقق الفعل . فهو ممكن في جميع جهاته الثلاث في الذات والصفة والفعل ، والممكن محتاج .

تأثير الممكنات من الله :

فمثلا النار التي هي محتاجة الى الوجود في أصل ظهورها وتحققها حيث يعطيها الله ذلك الوجود ، فكذلك هي محتاجة الى الله في توليد الحرارة وإلا فالماهية مع قطع النظر عن الوجود لا شيء ، فالوجود هوالذي يعطي التحقق .

وكما أن سببيتها للحرارة لا تكون إلا بعد اعطائها الوجود ، فكذلك أثر تلك السببية وهو حصول الحرارة يجب أن يكون بعطاء من الله ، فالأحراق أيضاً من الله ، فأساس تحقق النار وبعد ذلك احراقها في الخارج كليهما من الله .

يعني أن مجرد حدوث النار لا يكون لوحده سبباً في التأثير بحيث يحرق كل ما وصل إليه وذلك الشيء يحترق كذلك بل هو موقوف على مشيئة وإذن

الله ، فكل ما لبس لباس الوجود فهو صادر منه سواء أكان نفس المؤثر أو حصول الأثر وذلك لأن المخلوق اعجز من أن يكون موجداً ، فكل مؤثر محتاج إلى الله في تأثيره وحصول أثره

ولأجل توضيح المطلب للموحدين فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في القرآن الكريم عدة موارد يكون السبب فيها موجوداً لكنه سقط عن السببية أو ان السببية كانت موجودة لكن السبب والأثر لم يحصل ، فليس كلما تحقق السبب يجب أن تتحقق آثاره بحيث يكون مستقلاً وغير محتاجٍ في ذلك إلى الله .

تبريد النار للخليل (ع) :

يذكر لنا قصة القاء الخليل (ع) في نيران نمرود ، فقد ذكرت كتب التواريخ بأن ألسنة النار كانت تمتد لمسافة فرسخ واحد من كل جانب . . نيران عظيمة بحيث لا يمكن للطير أن يمر فوقها واضطروا لإلقاء ابراهيم (ع) في هذه النار إلى استعمال المنجنيق ، ولكنه وفي حالة سقوطه في النار وصل النداء ﴿ **ان يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم** ﴾ طبعاً كان هذا النداء نداء تكوينياً وارادة مجردة ، فقد سلب الاحراق من النار حتى يعلم الموحدون بأن جميع الأسباب مرتبطة بارادة الله وأن لا ينظروا الى الأسباب بنظرة مستقلة فإن تأثير كل سبب متوقف على مشيئة الله .

فكم من الأسباب الحتمية التأثير قد بطل مفعولها ولم تؤثر شيئاً ، فالله هو المحدث لكل حادثة وكل ظاهرة من أي سبب كانت ، وكم من الاسباب التي لم يكن هناك أمل في تأثيرها لكنها أثرت فجأة كل ذلك من أجل أن يلتفت الموحد إلى أن الأسباب ليس لها استقلال وإنما تؤثر بالمقدار الذي يسمح به الله لها .

كيفية هلاك أصحاب الفيل :

قصـة أصحـاب الفيـل أيضـاً من هـذا القبيـل والتي وردت في سـورة الفيل :

﴿ ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

وقد كانت هذه الواقعة التاريخية مهمة جـداً بحيث أن العرب جعلوا منهـا بداية لتـاريخهم ، فقد جـاء جنود أبـرهة وهم يـركبون الأفيـال لهدم الكعبـة وقد سمعتم جميعاً كيف ان تلك الطيـور كانت تحمـل كل واحـدة منها ثـلاثة أحجـار صغيـرة أصغر من الحمصـة ، واحدة في منقـارها وأثنـين بأقـدامها وقـد أهلكت كل واحدة منها ثلاثة من راكبي الفيلة بحيث أن كل واحـدة عندمـا كانت تصـير فوق أي واحد منهم تقذفه بحصاة صغيرة على رأسـه تخرقـه من رأسه حتى تخـرج من بطن الفيل وبذلك كانت تهلك الفيل وراكبه معاً .

الله سبحانه وتعالى إنما يذكر هذه القصة لكي يُفهم الإنسان بان هذا الطير لم تكن له خاصية القتل اذن من هو الذي اعطاه الخاصية وجعله يؤثر هذا الأثر؟كيف أمكنه تمزيقهم وقتلهم ؟ لذلك ورد في الروايات أن الله سبحانه وتعالى عندما يريد بمؤمن خيراً ويريد أن يزيد في بصيرته فإنه يرزقه من حيث لا يحتسب .

ينجو من الرصاص :

يـا مسبب الأسباب . . عليـه أن يعـرف بـأن سببيـة أي سبب هي من الله . وفي هذا الوقت بالذات قد أصبح متـواتراً مـا يحدث في جبهـات الحرب

المفروضة على إيران ، وقد أصبح ذلك واضحا للمقاتلين بأن الله سبحانه وتعالى ولأجل زيادة أمانهم يريهم دائماً أموراً تزيد أيمانهم .

القائد العسكري لمجموعات « فدائيو الإسلام » يحدثني قبل مدة بأني كنت في إحدى الجبهات وفي إحدى العمليات العسكرية وجدت نفسي محاطاً بالاعداء وأدركت بأني أصبحت هدفاً للرصاص من عدة اطراف وقد اطلقوا علي أكثر من ثلاثين رصاصة في حدود خمس دقائق فكأني قد أحاطتني هالة من حولي بحيث لم يصبني الرصاص ، وقد قال لي أخواني بعد ذلك بأننا قلنا أنك انتهيت من أولى تلك الرصاصات .

فهذه الطاف الله حيث يفهمنا بأن السبب وتأثيره كليهما بيد الله ، فعندما يطلق أحد رصاصة فما عنده هو الارادة لذلك العمل ، لكن انطلاق الرصاصة واصابتها للهدف ومقدار تأثير الاصابة في ذلك الهدف كلها من الله .

يقول في سورة الانفال ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ فيحقق القتل بيد الله وعملكم انتم مجرد الارادة للرمي ، أما الاطلاق واصابة الهدف وأخذ الروح بعد ذلك فهي كلها من الله ، بعد ذلك يخاطب الرسول الأكرم (ص) :

﴿ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

الرمال الناعمة تدخل عيون الكفار المهاجمين :

في غزوة الأحزاب أو غزوة أخرى كان الرسول (ص) يأخذ حفنة من

التراب ويقذف بها على الكفار ويقول : « شاهت الوجوه » .

فقد ورد في الرواية أن جيش الكفار كان قرابة الف شخص ولما قذفهم الرسول (ص) بذلك التراب دخلت ذرات التراب الى عيونهم جميعاً ، فتألموا لذلك وهربوا .

فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ فظاهر الآية نفي واثبات ولا يوجد هناك تناقض فـ ﴿ وما رميت ﴾ بحسب التحقق والتأثير و ﴿ اذ رميت ﴾ بحسب ارادة الرسول (ص) .

فهو اراد وأخذ حفنة من التراب وقذفها إلى جهة الكفار .

أما القذف وتأثيره بحيث يدخل في عيون جميع الكفار ويهربون فهو من الله .

الارادة منك والبقية من الله :

الذي يكون من العبد هو الارادة ، أما تحققها ومقدار اثرها فهو بيد الله دون أن يكون جبر في البين ، فالارادة على حالها ، والفعل الارادي الصادر من العبد ويجب استحقاق الثواب والعقاب ، أما التحقق الخارج ومقدار التأثير فهو غير مربوط بارادة الانسان وإنما مرتبط بارادة الله فما أكثر المرات التي اجتمعت فيها أسباب عديدة ولكن أثرها كان عكسياً ، وكم من مرة لم يكن هناك سبب ولم يكن يتوقع حصول هذا التأثير من ذلك الشيء لكنه حصل مع ذلك .

كل خير وكمال هو من الله حتى في الصفات والأفعال الاختيارية للبشر فكل ما يحدث فهو من الله ، فعندما يصير أحد الأشخاص طبيباً فإن تحقق ذلك العلم هو من الله الذي اعطاه الفهم ، وذلك الشخص يريد أن

يتعلم الطب أما حفظه في الحافظة والتشخيص الصحيح للمرض كله بمعونه الله وتأثير الدواء ايضاً من الله ، والخلاصة أن كل حادثة فهي من الله ، ﴿ له الحمد وله الملك ﴾ .

كل كمال من الله ، إذن فكل ثناء أيضاً لله ، والمخلوق أيضاً يكون مورداً للمدح من جهة وقوعه في مجرى الكمال لأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا أن نشكر مجاري الخير أيضاً

(٢٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أن الذهاب إلى القتال هو مسبب الموت ؟

يجب على كل شخص السعي إلى تصحيح مراتب توحيده لكي لا يبتلى بالشرك ، وأكثر ابتلاء المؤمنين هو بالشرك الخفي كما يذكر ذلك في آخر سورة يوسف حيث يقول : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** ﴾ .

لذلك يجب أن نهتم بأمر التوحيد حتى لا يحصل لنا شرك في الصفات والأفعال ، فلو تخيل أن أحد الأسباب أو المؤثرات مستقل في التأثير ، أو انه تصور نفسه او الآخرين بالاستقلال في التصرفات والافعال فانه قد ابتلى بالشرك الذي ذكرناه مفصلاً ، فالذي هو في اصل وجوده محتاج إلى آخر كيف يكون مستقلاً في التأثير ؟

وفي الآية الشريفة ١٥٥ من سورة آل عمران يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لأخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى (ولم يرجعوا) لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ﴾ .

فهذا المعنى كفر ، فلماذا تتصورون ان الموت والحياة أمران مستقلان عن السبب ؟ خصوصاً أنه يقول بعد تلك الكلمات :

﴿ والله يحيي ويميت ﴾ .

فليطلقوا عليه الرصاص ، فإذا كانت ارادة الله بأن يبقى حياً فسيبقيه . ولو كانت مصلحته في أن يقتل فإنه سوف يقتل بأدنى سبب لا أن السفر أو الذهاب الى الجبهة هو السبب في القتل ، السفر والحرب ليست اسباباً مستقلة ، وكل من تصور أنهما سببان مستقلان في الموت فقد كفر .

قبض الروح من فعل معطي الروح :

لو اجتمع كل العالم على ازهاق روحه لما تمكنوا فالقابض للروح هو الله ، وما هو موجود في الخارج إنما هو تهيئة لأسباب الموت ، وأما تحقق الموت أو القتل فهو بارادة الله .

وطبعاً فمسؤولية القاتل باقية على حالها وهي تهيئة اسباب القتل لكن الكلام في تحقق القتل او الموت ، فقبض الروح فقط بيد الله ، أو الشفاء في المرض مثلاً فإنه يتصور أن الدكتور هو الذي اعطاه العافية والحال انه « هو الشافي » فالله هو الذي يعطي العافية فلو أن نفس الطبيب ابتلى بمرض السرطان أو احد الأمراض غير القابلة للعلاج لحد الآن فهل يمكنه أن يشافي نفسه ؟ إذن كيف يمكنه ذلك في غيره ؟

وفي نفس الآية الشريفة يقول :

﴿ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ .

اذا لم يؤثر السبب فلا يحزن :

يمكننا ان نستفيد من هذه الفائدة وهي ان كل من يتصور الاستقلال في سبب معين فإن ذلك يكون سبباً في التعب والهم والتشويش الفكري للشخص ، لأنه عندما لا يحصل الأثر المطلوب من ذلك السبب فإن ذلك سيكون خلاف توقعه وانتظاره ، أما لو كان موحداً فهو لم يكن يتوقع الاستقلال لهذا السبب منذ البداية حتى يتأثر ويحزن عندما لا يحصل منه الأثر المطلوب بل يقول انه بارادة الله ومشيئته .

مثلاً عندما نقوم بعمل معين ويكون أملنا بالله ونطمئن بأن حصول النتيجة والتأثير هي بيد الله فهذا يعني أنه لو لم يحصل المطلوب فسوف لا نحزن أو نتألم بل نقول إنَّ الله لم يرد ذلك وانه لم تكن فيه مصلحة حتماً ، أما لو لم يكن لدينا توكل وأمل بالله فـ « انا » الذي سأقوم بذلك العمل ، فعندما لا يستطيع ذلك نجده يتألم ويكون ذلك سبباً في حزنه وحسرته .

وفي مورد تلك الآية نجده يتحسر ويقول انه لو لم يسافر أو يذهب الى الحرب لما قتل ، فهو حزين ومتألم من ذهابه وسفره إلى الجبهة ، ولكن على العكس من ذلك الأشخاص المؤمنين وخصوصاً في عوائل شهداء الثورة الإسلامية في ايران في الفترة الاخيرة فما أكثر الذين يفرحون عند استشهاد أحد اقربائهم لأن الله تعالى قد تقبل منهم تلك التضحيات وجعل ابنهم شهيداً ، فهم مسرورون لذلك وفرحون ، وهو كذلك ايضاً لأن قلبه طاهر من كل شرك ، فهو يعلم بأن الله أوصله إلى سعادة عظيمة ، ففي الوقت الذي هيأ فيه الظالم أسباب قتله ، فإن الله هو الذي قبض روحه واسكنه

الى جـواره ، فالـذي يأخـذ روحه هـو الله ويحشره إليـه فأي سعـادة أعـلى من هذه ؟

إذن فالشخص المؤمن إذا اراد شيئاً ولم يـقـع ذلك الشيء فـإنه لا يحـزن لانـه يرى أن ذلـك بيد الله وبـإرادته ، ويعلم بـأن الله تعـالى أعلم بمصلحة الموجودات ، جزئية كانت أو كلية وهو الخالق لها ولذلك فإنه لا يتأثر .

العـداوات التي تحدث بـين أفراد البشر من هنـا تبدأ حيث يـريـد احـد من الآخر شيئاً ويتوقع الحصول عليه منه ثم لا يحصل عليـه ، فلأنـه يتصور أن ذلـك الشخص سبباً مستقـلاً في العطاء والمنـع ، ولم يحصـل منه عـلى مـا يـريد فسيغضب لـذلك ويؤدي ذلـك الى الحسد والحقـد والظلم ولكن عنـدمـا يكـون متوجهـاً إلى ربه فـإنه لا يـرى لذلـك الشخص استقلالاً بـل يـرى أن الأمر بيد المربي وهو الذي يدبر الأمور ويربي الأمور ويديرهـا ، فتدبـير الأمور بيده وهذا اشتباه منك حيث تستخدم الـ (انا) في عملك .

حب الذات بدلا من حب الله :

من جملة الأضرار الناتجـة من هذا الشـرك هو حب الـذات ، فبدلا من حب المنعم يتصور وكأنه لا أحد غيره في هذه الـدنيا « حب الـدنيا رأس كـل خطيئة » فلماذا كان حب الدنيا منشأ لكل الذنوب والمعـاصي ؟ هل هـو حب الأطعمة والألبسة ؟ كلا طبعاً ، لأن جميـع ما خلق الله انمـا هو من اجـل هذا الانسان وينبغي عليه الاستفـادة منها ، لكن النقص والخلل في نفس الإنسـان الذي يرى لنفسه استقلالاً ويريد كل شيء لنفسه .
عندما يسير الإنسان وراء رغبـاته وشهـوات نفسه دون الالتـزام ودون مراعـاة القـوانين الإلهيـة يكون ذلـك سبباً في هـذه المفـاسـد والأضـرار وتكـون هـذه (الـذات) هي الدنيـا ، أما لـو كان الأسـاس هو « الله » و « الأخـرة » فـإن حب الدنيا والتكـالب على الـذنوب سينتهي ويصبـح انسانـاً جيداً ، فكـل ما

هو موجود فهو مخلوق لله فلماذا لا يحب تلك الموجودات ولا يريدها ولماذا لا يستفيد منها ؟

إذن فحب الذات هو الذي يؤدي بالإنسان إلى الابتلاء بالنزاعات والمشاجرات وأنواع الحرمان من السعادات ، فلو فهم وأدرك جيداً وزال عنه الوهم فإنه يرى ذاته وتحققه من الله ، ليس فقط ذاته وإنما جميع الموجودات كذلك ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ فالجميع مظهر لتجلي الحق والجميع مرتبط بالله ولذلك فسيكون « حب الله » هو الذي يملأ قلبه بدلاً من « حب الذات » .

اطمئنان القلب في تذكر احسان الله :

والطريق إلى ذلك يسير جداً ، وذلك في عبارة « الانسان عبيد الاحسان » فالانسان يحب المحسن والمنعم عليه وهذه مسألة فطرية غاية الأمر انه يشتبه في المحسن ، فلو أنه أدرك وفهم أن المحسن المطلق له وللآخرين هو الله وكل احسان وكل نعمة منه .. لو اتضح له التوحيد الصفاتي والافعالي فسيطمئن قلبه ويهدأ ، فالذي يرى ولي نعمته معه دائماً ويحس بأنعامه عليه بشكل مستمر .. والذي يرى بأن ربه ومن بيده جميع أموره معه أينما كان فأي اضطراب يحصل له بعد ذلك ؟ بل أن كل ما يقوم به من عمل فسوف يكون بدافع من محبة الله .

يقول الإمام الحسين (ع) في دعاء عرفة :

« وخسرت صفقة عبد لم يجعل من حبك نصيباً» .

فالنجاح والسعادة لذلك الموحد الذي يتحرك بمحبة الله ويطلب رضاه دائماً دون رضا نفسه أو رضا الآخرين .

(٢٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تستخدم في غير رضا المالك ؟

ان كل انسان عاقل عندما يتدبر في التوحيد الصفاتي والأفعالي الذي تكلمنا عنه مفصلا سيفهم ذلك حتماً ، لكن الشيء المهم هو قبول القلب ، فالمهم هو تصديق القلب وإيمانه ، **لذلك « وكمال توحيده تصديقه » فيجب** أن يكون مصدقاً بأنه لا مؤثر في عالم الوجود سوى الله « لا حول ولا قوة إلا بالله » والله تعالى هو الذي سخر هذه الأسباب للإنسان .

الله سبحانه وتعالى قد سخر لي اجزاء هذا البدن ومن جملته اللسان ، فالحركة التي لدى اللسان هي من الله (بالصورة التي ذكرناها

بحيث لا يلزم منه الجبر) فهو الذي جعل هذا اللسان باختيار الانسان فلا يصح ان يتصوره ملكاً له وأنه مستقل في التأثير . فلو آمن بذلك فكيف يستطيع الجرأة بعد ذلك ليذكر به سوءاً أو كلاماً بذيئاً في الوقت الذي يرى حضور الحق مع كل حركة وسكون ؟

وعندما يصدق بحضور الحق مع كل فعل فسوف لا يستطيع استخدام اجزاء البدن فيما لا يرضاه صاحبه ، فكل خطأ يصدر من الإنسان يكون بواسطة الغفلة عن حضور الحق فإنه يرى نفسه ولا يرى الله ، وإلا فكيف يمكنه أن يعصي إمام المالك لنفسه ولا جزاء بدنه ولكل شيء ؟!

اليد ملك لله والقدرة التي فيها منه ، فمع الالتفات إلى هذا المعنى يكون معصوماً بمرتبة من مراتب العصمة كما يستفاد ذلك من الروايات الشريفة : « لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن »[1] . فلو أن جميع اسباب المعصية كانت متوفرة لديه إلا أنه لا يصدر منه ذنب مع هذا الإيمان بمغية الله الحي القيوم .

حضور الله عند راعي البادية :

ينقل الرازي في كتابه لوامع البينات قصة القافلة التي كانت متجهة إلى الحج وكانوا بحاجة إلى مؤونة وغذاء فيصلوا إلى قطيع من الأغنام فيقولون للراعي : هل لك أن تبيعنا واحدة من هذه الأغنام ؟ فيجيبهم الراعي : انها ليست ملكاً لي وليست لي اجازة بالبيع من قبل المالك .

فقال احد افراد القافلة : بع لنا واحدة وخذ ثمنها لك وقل لصاحبها ان الذئب قد أكلها ، فانتبه الراعي فجأة وقال : « فأين الله ؟ » . هل أن الله لا يرى ؟

---

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٢٨٥ ح ٢٢ .

هذا الراعي ساكن البادية ولكن قلبه متنور ، مع أن الكثير من الناس يعملون على تقوية ذاتياتهم ولذلك يكون حجابهم أقوى وأشد ، فيجب على الانسان أن يسعى مهما أمكنه في إزالة هذا الجهل « الذات » .

أساساً ما هي هذه الـ (أنا) ؟ فهي بدون الوجود لا شيء وامر وهمي ومع الوجود فهي شعاع من الله وتجلي وظهور للحق وليس لها ربط بالشخص .

التوكل على الله واطمئنان القلب :

يجب أن يكون لديه واضحاً « هو معكم اينما كنتم » فإذا صدق القلب وآمن بهذا المعنى فسيكون من آثاره التوكل ، فما لم يصل إلى الإيمان لا يكون توكله واعتماده على الله ، وإنما اعتماده على نفسه وتكون النتيجة الواناً من المصائب .

الأثار العجيبة للمؤمن المتوكل ذكرت بشكل مجمل ، فلو أنه كان في قعر البئر أو في بيته فالأمر سيان لديه . ولو أنه أصبح وقد تلفت جميع أمواله وأملاكه فإنه لا يتغير حاله لأن اعتماده لم يكن على أمواله وإنما على الله ، ذلك الله الذي لا يتأثر بوجود المال وعدم وجوده ، وإنما هذه النفس التي تجعل من القصر سجناً ، حجاب القلب هو المسبب للهموم الفكرية والروحية مهما كانت الأمور المادية الظاهرية متوفرة .

مقومات الوكيل :

فما دام الوقت باقياً يجب التفكير في إزالة الحجاب وكما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة :

« الله الله في أعز الأنفس إليكم واحبها لديكم » .

فاترك انانيتك وليتحرق قلبك عليك فإلى متى البقاء في شباك الجهل عن الواقع ؟. لماذا لم يعثر على الحقيقة ؟. كيف يترك الله ويلزم نفسه ؟. كيف يترك ذلك الرب العليم القدير ويتمسك بغيره ؟

قيل في باب الوكيل أنه لا بد أن يكون بثلاثه شرائط . فالأول أن يكون عليماً ، والثاني أن يكون مقتدراً ، والثالث أن يكون رحيماً . فكل من أراد أن يتخذ وكيلاً وكانت هذه الشروط متوفرة لديه فهو لائق لذلك ، والآن تقول : من هو أرحم وأعلم وأقدر من الله ؟. فالله أرحم بك من نفسك ، ينبغي الالتفات إلى رحمة الله ولطفه وإحسانه فإنه هو الذي يكفيك .

يجب أن يملأ حب الله جميع القلوب ، ويكون العشق عشق الله .

سمعتم أن رسول الله (ص) يقول : « ارحني يا بلال » فبالاذان وذكر الله ترتاح الروح ، وبذكر الله تحصل على الراحة والسعادة .

اشكو إلى الله من هوى نفسي :

من الأشياء التي تضعف حجاب النفس وتجعله رقيقاً هي المناجاة وطبعاً المناجاة بالمعنى الحقيقي وليس قراءة الألفاظ فقط وذلك بأن يرى الله حاضراً وناظراً ويعرفه بالعلم والقدرة والرأفة ويعرف نفسه بالذلة والعجز ، وأن يفهم بأنه واقع في مصيدة النفس وبحاجة الى المساعدة .

ففي الدعاء الحزين الوارد في آخر حاشية مفاتيح الجنان أنه بعد الانتهاء من صلاة الليل تقرأ :

« فواغوثاه من هوى قد غلبني ، ومن عدو قد استكلب علي » .

ويئن بذلك أنين المتوجع ، يناجي ربه : الهي اغثني من هوى نفسي

الذي أوقعني في شباكه . . الهي من الذي ينقذني من عدوي فقد حرمني من كنز العرفان والإيمان . . وفي الصحيفة السجادية :

« فإن نفسي أمارة بالسوء إلا ما وفقت ، مختارة للباطل إلا ما نهيت » .

فمع المناجاة، والطلب الشديد من الله سيغدو حجاب النفس رقيقاً ، وبالتدريج يشرق نور الإيمان الحقيقي . . يجب الطلب من الله .

نطلب اليقين من الله :

الدعاء الوارد في أصول الكافي عن رسول الله حيث قال إنَّه دعائي ودعاء جميع الأنبياء وهو :

« اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً صادقاً حتى اعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي وارضني من العيش بما قسمت لي يا ارحم الراحمين » .

يجب أن يناجي ربه بقلب مشتعل ومتألم : الهي ، انقذني من نفسي . . من شر نفسي وذاتي . . من هذا العدو الذي « قد استكلب علي » وهجم علي .

محبة الله على أي حال :

إذا أراد الله برحمته ولطفه لمزالة هذا الحجاب العظيم ، فسينفتح القلب ويتعرف على ربه ، وتكون محبة الله في قلبه بشكل تكون هذه العبارات في دعاء أبو حمزة الثمالي للإمام زين العابدين (ع) لسان حاله .

« الهي لو قرنتني بالاصفاد ومنعتني سيبك من بين الاشهاد ودللت على

فصائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك ولا خرج حبك من قلبي ، أنا لا أنسى أياديك عندي » .

فمع كل تلك المصائب التي تعرض لها إلا أن قلبه سعيد مع ربه لان نعمه ظاهرة أمام عينه ولا ينساها ، فمع عدم وجود « النفس » تهون الصعوبات ، فلو أن حب الله ثبت في قلب الانسان فسيكون التعب والراحة متساويان عنده، فهو سعيد في كل حال وقد وصل إلى مقام الرضا فهو راض من ربه وقلبه في كل شدة وعسر .

ويمكن ألا يتفق هذا المعنى مع عقولنا السطحية ولكنه عين الحقيقة يجب أن نحقق مضمون هذه الادعية ونسعى للوصول إلى هذه المقامات في لمدة التي نعيش فيها .

إذا تفتح الشعور والإدراك فسوف تتعلق محبته بالله لا غير ، لأنه عندما يحب شيئاً فهذا يعني أن محبته اما لذات وجوده او لصفاته فالصفات أمور وهمية ووجوده أيضاً من الله وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل مرات عديدة ، إذن لماذا يتعلق قلبه بغير الله ؟

وهكذا يكون قلبه متجهاً اتجاهاً واحداً .

(٢٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو الاخلاص لله :

يجب أن يصل التوحيد إلى الاخلاص فكمال التوحيد هو الاخلاص فلا ينبغي للإنسان أن يتوقف في طلب المعارف بل ينبغي أن يتحرك دائما وباستمرار للوصول إلى التوحيد فإن روح الدين هو الاخلاص والذي يذكره القرآن الكريم في موارد متعددة :

﴿ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾[1] .

---

(١) سورة ٩٨ الآية ٤ .

فاعلى مقام يصل إليه الإنسان هو أن يخلص دينه لله .

الاخلاص للحق هو أن يرى الله خالصاً من الغير ، أن يراه منزها من الحد والعد والنقص ، ذاته الأزلية والأبدية منزهة عن أن يكون لها مثل . . وصفاته منزهة من النقص حتى يصل إلى أنها ليست زائدة على الذات وإلا فهو شرك في هذه الصورة وتعدد في الواجب كما سبق ذكره .

التسبيح والتحميد عادة يذكران سوية ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ و ﴿ سبحان الله وبحمده ﴾ فالحمد والتسبيح متلازمان ، فالإنسان الموحد كما انه يثبت الحمد والكمال لله ففي نفس الوقت يراه منزهاً من كل نقص وذلك بأن يعتقد بأن الكمال ليس زائداً على الذات وإلا فإنه يلزم التركيب والاحتياج ، وكذلك يلزم منه العروض والتجزؤ ، فعليه أن يعتقد بأن صفات الله ليست كصفات المخلوق بالصورة التي ذكرناها .

شبهة طفولية وجوابها :

والخلاصة أن تنزه الحق يكون بالعلم بأن صفاته المقدسة منزهة من أي نقص ، وهناك شبهة ذكرت في زمان الإمام الصادق (ع) وسألوا عنها هشام تلميذ الإمام الصادق (ع) والآن ايضاً تسمع في بعض الأحيان وهي هل أن الله قادر على أن يجعل العالم في بيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر العالم ؟ .

فتحير هشام في الجواب لأنه اذا قال ان الله لا يتمكن فقد وصف الله تعالى بالعجز وهو كفر ، ولو قال يمكن ذلك فقد نسب إلى الله أمراً محالاً لذلك جاء الى الإمام الصادق (ع) وعرض عليه تلك الشبهة فأجاب الإمام (ع) : ويوصف ربنا بالعجز ؟ يعني لا يمكن أن نقول بأن الله عاجز ، ولكن القدرة لا تتعلق بالمحال ، فالشيء المحال غير لائق

للحدوث ، فالنقص في المحل وليس في قدرة الحق ، فالبيضة ليست لها القابلية كي يوضع فيها شيء اكبر منها لا أن الله لا يقدر على ذلك .

لذلك ومن أجل أن يفهمه نموذج من قدرة الله قال له : انظر إلى تلك الأطراف فماذا ترى ؟ فقال : سماء وأرضاً ، جبالاً وسهولاً . اشجاراً ، وأناساً و . .

فقال : هذا النظر قد جعله الله في عدسة واحدة بحيث جعل كل هذه الصور لهذه الموجودات في هذه العدسة فهذه هي القدرة لأن المحل له القابلية على ذلك ، فهناك تصاوير تنعكس على هذه العدسة مهما كان حجم اصحاب تلك التصاوير ، اما في مثال البيضة فالنقص في القابل لا في القدرة .

جميع الصفات الكمالية للحق كما بينا ترجع إلى العلم والقدرة ، وهاتان الصفتان ليس لهما حد ونهاية وليس فيها نقص ، فلو أن أحداً قال بنقص معين في الصفات فإنه ناقص في التوحيد .

الحصن المنيع للتوحيد مشروط بالولاية :

ورد في توحيد الصدوق وعيون اخبار الرضا (ع) أن الإمام الرضا (ع) عندما كان قادماً إلى خراسان ذكر حديث سلسة الذهب في مدينة نيشابور وقال :

« لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي » .

وبعد ذلك قال :

« بشرطها وشروطها وأنا من شروطها » .

فكون التوحيد حصناً وقلعة له شروط . ومن جملتها الاخلاص في

ذلك ، فلو أن أحداً كان منكراً للنبوة والإمامة فإنه ليس له توحيد ، فالذي يقول بأن الله لم يبعث نبياً يتضح من كلامه ان الله تعالى ليست له حكمة في الخلق ، فلو ان الله لم يبعث احداً لهداية البشر فهذا يعني أنه قد منع الفيض ومنع اللطف وخلق البشر وتركه حائراً مع أنه خلقه لهدف سام وباق ، لذلك يقول في القرآن المجيد :

﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾[1] .

فالله العالم بكل شيء عالم بأن البشر بحاجة إلى مرشد ومبلغ إذن لماذا لم يرسل لهم رسولاً ؟ فهل أن الإنسان يعلم والله لا يعلم بذلك ؟ فالمنكر للنبوة منكر لعلم الله وحكمته البالغة ولذلك فهو ناقص في التوحيد .

التوحيد ناقص بدون الاعتقاد بالإمامة :

وكذلك الأمر في باب الإمامة ، فالذي ينكر الإمامة يكون توحيده ناقصاً أيضاً بنفس الكلام الذي ذكرناه في النبوة ، فالاسلام هو الدين الكامل الى يوم القيامة بحيث اذا تركه أي واحد واتخذ غيره ديناً فلن يقبل منه ، إذن فكيف لا تكون هناك حاجة إلى إمام لحفظ الدين ونظام المجتمع واجراء الاحكام ؟

إذن يجب أن يكون هناك شخص على رأس المسلمين يعرفهم بالإسلام ويطبق احكام الإسلام ، فلو لم يكن هناك مجتمع فلا اجراء للأحكام والحدود ، واجتماع المسلمين يكون ببركة القائد والإمام ، لذا يقول الإمام الرضا (ع) في حديث سلسلة الذهب « وأنا من شروطها »

---

(١) سورة ٦ الآية ٩١ .

فيجب على الموحد أن يقبل بالإمامة لكي لا يبقى توحيده ناقصاً ، فلو أن أحداً قال بعدم الحاجة إلى الإمام فهو لم يعرف الله بالحكمة ، مع أن عقل أي انسان يدرك بأن الدين لو كان كاملاً ـ وهو كذلك ـ وقد بُينت فيه جميع المسائل والاحكام إذن كيف يسكت عن هذا الأمر المهم الذي يتوقف عليه حفظ اساس الدين .

وفي زمان الغيبة كذلك فلو لم يقبل بإمامة الفقيه العادل الجامع للشرائط فهذا يعني أن الله قد ترك المسلمين لسنوات طويلة ومتمادية من دون قائد وهذا خلاف الحكمة فلذلك يكون هذا الشخص ناقصاً في توحيده .

المعرفة من الله والطاعة من الناس :

والجدير بالذكر أن اللازم للحكمة هو بيان الحكم وتعريف ولي الأمر لكن الشرط في تولية الحكم هو ارادة واطاعة الناس له ، ففي أي وقت يسلمه المسلمون مقاليد امورهم تتم حجة الله عليه ويجب عليه ان يحكم كما أنه بعد ٢٥ عام من وفاة الرسول (ص) اجتمع المسلمون حول الإمام علي (ع) وقبلوا طاعته فلذلك استلم الإمام (ع) مقاليد الحكم .

اذن ، فاولئك الذين يقولون نحن شيعة علي (ع) وفي نفس الوقت يقولون انه لا حاجة في زمان الغيبة الى القائد فانهم ناقصون في التوحيد ايضاً ، فهل يمكن أن تهمل أهم المسائل وهي زمام أمور المسلمين ونظام مجتمعهم لمدة سنوات متمادية في عصر الغيبة ؟ يجب أن تعلموا بأن هؤلاء الأشخاص ليس لهم اطلاع على حقيقة التشيع ، بل انهم وبدون أن يشعروا ناقصين في التوحيد ايضاً ، إذن فيجب القول بالامامة وباستمرارها الى قيام القيامة .

الاعتقاد بالتوحيد لا يسمح بدون الاعتقاد بالمعاد :

وكذلك لو أن احداً أنكر المعاد فإنه يتهم الله سبحانه وتعالى بالعبث ، فلو لم يكن المعاد فإن خلق البشر يكون بلا فائدة ومجرد لعب وعبث ، فكل انسان يأكل ويشرب كالحيوان ويتحمل المتاعب وبعد ذلك يصبح عدماً ، فهل أن كل هذه الكائنات العظيمة لأجل هذه الأيام المعدودة ومع كل تلك المشاكل ؟! فهذا الشخص مهما كان معترفاً بالله لكنه لم يعرف الله بالحكمة وأنه منزه من أفعال العبث ويكون في الحقيقة قد نفى عنه العلم .

وعلى أي حال فإن توحيد الله يجب أن يكون مصحوباً بالتنزيه وهو الاخلاص في التوحيد ، فالشخص الموحد يجب أن يكون لديه اخلاص في التوحيد ، فكلمة « سبحان الله » ملازمة للحمد لله فربي منزه من كل نقص ، وليس له شريك في الصفات .

عليه أن يعرف جميع الصفات السلبية وينزه الله منها ، وطبعاً فإن الصفات السلبية ترجع إلى سلب السلب ، فالله تعالى ليس بجسم فمعنى ذلك أنه ليس له مكان ولا زمان ، ولا يمكن رؤيته بالعين الظاهرية وليس له كيفية وإنما هو خالق الكيفية .

إذن فالأخلاص في التوحيد هو بأن يعتقد بأن الله منزه ، من كل نقص في صفاته ، وكما أن صفاته المقدسة عين ذاته وذاته المقدسة غير متناهية فعلمه وقدرته ايضاً غير متناهين ، وكما انه من المحال أن يحيط المخلوق بذاته المقدسة ، فكذلك لا يمكنه الاحاطة بصفاته الكمالية أيضاً .

لذلك فكمال الإنسان واقعاً هو بأن يدرك عجزه عن معرفة الله حق معرفته فهو كمال لا نهاية له، فيجب أن يكون حمده لا نهاية له كذلك فمتى

يمكن أن يحصل « الحمد لله كما هو أهله » ؟ فحمد الله هو ذلك الحمد الذي يليق به ، فمن الذي يمكنه أن يؤدي ذلك الحمد الحقيقي ؟

وخلاصة المطلب هو أن الله تبارك وتعالى كما أنه ليس له شريك في الذات وكل ما هو موجود فوجوده عارض عليه ومن قبل الله ، وأَنَّهُ موجود بوجود الله ، فكذلك في الصفات فإنه لا شريك له فكل علم وقدرة في كل مخلوق هو من علم الله وقدرته أيضاً ، وهذا المطلب قد ذكر بالتفصيل فيما تقدم .

(٢٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخلاص في المخلوق خلوص في العبودية :

الاخلاص تارة يكون بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى حيث قلنا أن الموحد يجب أن يعتقد بالله خالصاً من كل نقص وعيب وعجز وحد وشريك وكذلك يعتقد بأنه منزه من أن يحيط بذاته أو صفاته مخلوق ، فكمال الانسان هو أن يدرك أنه عاجز عن معرفة الحق بما هو لائق وحق لله لانه اجل واعلى من احاطة المخلوق .

أما الاخلاص الراجع لنفس المخلوق يعني أن الشخص أيضاً يجب أن يكون مخلصاً في العبودية ويخلص من التعلق بما سوى الله . فكما انه يعتقد

بـأنه لا مؤثـر سوى الله فكـذلك يجب أن لا يكـون لديـه أي ايمـان وخضـوع ومحبة استقلاليـة لأي واحد من المخلوقـات ، فكمال الاخـلاص في العبد هـو أن يخلص لله في العبـودية وأن لا يكـون له تعلق وتـذلل وخشـوع لغـير الله ، وقد أمر الله في قرآنه المجيـد الإنسان المـوحد بأن يكون مخلصـاً في عبوديتـه كما ذكـرنا (مخلصـين له الـدين) ، والمخلصـين في الآيـة الشـريفـة حـال للعبـاد فاعتماده فقط على الله وكل ما يحبه فهو من اجل حبه لله .

يحب كل الموجودات من أجل الله :

لا احد يقول بترك محبة الأولاد أو المـال ، وإنما يحبهـا باعتبـار انها عطاء من الله ومخلوقة لله حتى بالنسبة الى اعضائه وجوارحه أيضاً فهـو يحبها بـاعتبار نسبتهـا إلى الله ، بـل عليـه أن يحب جميـع اجـزاء عـالم الـــوجـود ولكن ليس بالاستقلال وإنما باعتبار أنها مخلوقة له .

فـالغرض أن اخـلاص العبد يكـون في العبوديـة والـذي ذكـرنـاه قبلاً ضمن روايـة عن الإمام الصـادق (ع) حيث يقول « حـام حـول ربـه » بـأن يستولي ربه على جميع قلبه .

رســد آدمـــي بـجـائي كـــه جـز خـــدا نــبـيـنـــد
بـنـگـر كـــه تـــا چـــه حـــد است مقـــام آدمـيـت

يعني أن الإنسـان يصل الى حـد لا يـرى فيـه إلا الله ، فـانـظر إلى أي حد مقام الإنسانية .

فـلا توجـد في قلبه عـلاقة بغـير الله ولا يرى مؤثـراً غيره ، ومنـه تدبـير الأمـور الجزئيـة والكلية وحـل أية مشكلة . . ان يعتقـد بأن المعـطي والآخـذ والمـربي والمحيـي والمميت وجميـع الشؤون منـه عنـد ذاك يكـون عبـداً مخلصـاً بتمام المعنى وقد وصل إلى كمال التوحيد .

القلب النزيه يرى الله منزهاً :

المرتبتان المذكورتان من الاخلاص (وهما الاخلاص بالنسبة الى الحق وهو تنزيهه ، والاخلاص الراجع الى نفس الشخص وهو الخلوص في جميع شؤون العبودية) متلازمان ولا يفترقان ، فالاخلاص في أي واحد منهما اخلاص في الآخر ، مع ان ظاهر العبارة « وكمال توحيده الاخلاص له » وظاهر كلمة « له » هو اخلاص نفس الشخص ولكنه أيضاً يحتمل كلا المعنيين فلأنه يعتقد اعتقاداً خالصاً بالله فقد اصبح هو خالصاً ايضاً ، لأنه يستحيل على الشخص الذي لم يخلص نفسه ان يرى الله خالصاً ، فالشخص الذي تعلق قلبه بالغير هو في الحقيقة يعبد الغير ، فالقلب المعلق بشيء (بشكل مستقل) مبتلى بمرتبة من الشرك حيث فسح المجال في قلبه لغير الله ، وهذا يعني أنه لم يعرف الله بأنه الخالق المطلق والخالق لنفس ذلك الشيء الذي تعلق به قلبه ، ولم يفهم بأن كل كمال منه ، فإنه قد رأى الكمال في ذلك المحبوب الذي تعلق به قلبه وأصبح مقيداً به ، إذن فهو لم يخلص ولم يرَ الله خالصاً .

أو من كان يعتقد بأن الشخص الفلاني يمكنه حل مشكلته واعتقد به على نحو الاستقلال وترك الله ، فإنه لم يخلص في قدرة الله وتدبيره بذلك المقدار ، ولم يرَ الله خالصاً .

المرائي مشرك حتماً :

ذكر البعض في شرح نهج البلاغة أن المقصود بالإخلاص هو إخلاص الرب ، وذهب آخرون بأن المقصود هو الاخلاص في العبد ، وبعض قالوا انه ترك الرياء ، فجميع هذه الأمور موجودة ، انتبهوا إلى نفس موضوع الرياء هذا ، فلو أن الشخص كان يعبد حتى يراه شخص آخر فهو الآن

ليس خالصاً بنفسه ولا رأى الله خالصاً ، فهو غير خالص بنفسه لأنه لحد الآن مشرك ويعبد غير الله ، وكذلك لم يـر الله خالصاً لأنه ومن أجل التظاهر يعبد غير الله ومن المحال أن يرى أحد الله حاضراً وناظراً ثم يعبد غيره ويجعل من نفسه عبداً للغير في حضوره . ولكنه تصور أن الله في معزل عنه فتعلق قلبه بالمخلوق مع أن كل الأمور بيد الله ، فلا هو اخلص في عبوديته ولا رأى الله خالصاً .

نتيجة الاخلاص لقاء الله :

يقول سبحانه وتعالى في آخر سورة الكهف :

﴿ فمن كان يرجو لقاء (رحمة) ربه فليعمل عملاً صالحاً (خالصاً) ولا يشرك بربه أحداً ﴾ .

قال البعض بأن هذه الآية سبب لبعث الأمل والرجاء وأن لا يصبح الإنسان في يأس ، بل يعلم بأن هناك طريقاً يصل إلى الله ولكن طريقه هو الاخلاص ، فلو أمكنه أن يكون خالصاً فإنه يصل إلى لقاء الله ، لأنه عندما تكون نفسه خالصة فإنه سوف يرى الله خالصاً حتماً وعند ذلك تزول عنه الأنانية ، ففي كل وقت ترك الأنانية ، والذاتية فهو في حضور الحق دائماً وفي لقاء الله وطبعاً فإنه منزه من اللقاء الصوري أو الجسمي .

وفي كتاب التوحيد للصدوق عندما سأل ذعلب الإمام امير المؤمنين (ع) « هل رأيت ربك » ؟ فقال : « كيف أعبد رباً لم أره ؟ » ثم قال :

« لا تراه العيون بالابصار ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان » .

عند الاخلاص يكون اللقاء بالقلب :

هذه العين الحسية تخطىء فكل ما تراه لا يمكنها أن تقول بأنه هو الواقع والصحيح فتارة ترى الأمور الوهمية على أنها حقيقة ، الجسم المنير الذي يدور بسرعة تشاهده على شكل دائرة وليست لها حقيقة ، وموارد الخطأ في الباصرة كثيرة ، وقد ذكر ذلك في محله ، فهذه العين الحسية بهذا الشكل لا يمكن أن ترى الله ، وإنما ترى الأجسام الكثيفة ، والله سبحانه وتعالى خالق للجسم ومنزه عن الجسمية ، بل « تراه القلوب » .

ولكن متى تتحقق رؤية هذه القلوب ولقاؤها ؟ يتحقق ذلك عندما لا يرى نفسه ، فما دام الانسان غير خالص من ذاتيته أو من أي مخلوق فإنه عاجز عن رؤية الله ، ولكن عندما يصبح خالصاً فإن أول مرتبة هي الشهود ولها أيضاً مراتب عديدة إلى أن يصل الى مرتبة يكون في لقاء الله دائماً .

إذن فالخلوص في العبودية يكون مصحوباً بالخلوص في الربوبية ، فما لم يترك نفسه لا يمكنه رؤية الله بقلبه ، فيجب أن نفهم معنى إخلاص الذات وأذكر لذلك حديثاً شريفاً من أصول الكافي في كتاب الذكر .

علامة الاخلاص الحذر من كل ذنب :

يقول الإمام (ع) :

« من شهد أن لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً وجبت له الجنة واخلاصه أن يحجزه لا إله إلا الله عما حرمه الله » .

فالعبارة في الرواية هي « من شهد » ولم يقل « من قال » ، فكل من شهد بذلك ، والشهادة من الشهود فيجب الالتفات إلى أن من يصل إلى العلم والشهود في التوحيد فهو مخلص سواء أكان الأخلاص بالنسبة إلى الله

حيث يـراه خالصـاً من أي نقص ، أو كان الاخـلاص في نفسه حيث أصبـح خالصاً في العبودية ، « خالصاً ومخلصاً » وهذا هو الذي تجب له الجنة .

بعد ذلك ولأجل أن يتضح المطلب اكثر يقول الإمام (ع) بـأن علامـة ذلـك الأخـلاص بـأن يحجبـه ويمنعـه تـوحيـده عن أي ذنب ، لأنـه يـرى الله حاضراً عنده فكيف يمكنه المعصية ؟

برهان الرب يمنع يوسف (ع) :

عنـدما اشتبـك يوسف في ذلـك المكان الخـالي مع زليخـا كـان بـرهـان الـرب هو المـانع لـه من التلوث ، فلو لم يكن برهـان الله لأراد السـوء أيضـاً لكن برهان ربه هو الـذي منعه ، بـرهان الـرب هو نفسـه حضور الـرب بأن يرى الله حاضراً ، فهذا أفضل عاصم وحافظ ، فعندمـا يرتكب الإنسـان أي ذنب يكون ذلك ناتجاً من الغفلة عن الله تعالى .

وقد ذكروا في التاريخ أن زليخـا قد ألقت مقنعتهـا على شيء وغـطته في ذلـك الوقت فسـألهـا يـوسف مـا هـذا ؟ فقـالت : هـذا صنمي ولا أريـد أن أرتكب ذنبـاً في حضوره ، فقـال يـوسف : أنت استحييت من صنم صنعتيـه بيدك وهو لا يرى ولا يسمع ، فكيف لا أستحي أنا من رب العالمين ؟

هذا هو برهان الرب الذي منعه من التلوث بالسوء .

للمخلصين مرتبة من العصمة :

متى يجعـل التوحيـد الانسان من أهـل الجنة ؟ عنـدما يصـل إلى مـرتبـة الشهـود ، ويكون خـالصاً ومخلصاً حيث يصل هـو إلى مـرتبـة الأخـلاص في العبودية ، وأيضاً يعلم بأن الله خـالص من أي نقص وعيب ، ونتيجة لـذلك فإنه يكون محفوظاً من كل ذنب .

طبعاً المقام الأعلى يرتبط بالمعصومين ، ويمكن للآخرين أن تحصل لديهم مرتبة من العصمة ، فلو صادف وأن صدر منهم خطأ فإنه من قبيل (اللمم) والصدفة ، وفي المعصوم لا يوجد حتى (اللمم) فلا كبيرة ولا صغيرة ولا حتى تصور وتخيل ارتكاب الذنب ، أما في غير المعصوم فيمكن تخيل الذنب أو اللمم وبشكل اتفاقي بحيث يصلحه فوراً بالتوبة والرجوع إلى الحق .

والشخص الذي وصل إلى مرتبة الاخلاص يصل أمره لأن يترك حتى المكروهات ويصل إلى مرتبة أعلى من ذلك بأن يترك حتى المباحات التي تكون بنظره خلافاً للأدب أيضاً .

وقد نقل عن المقدس الاردبيلي وكذلك عن غيره أيضاً بأنه لم يمد قدمه مدة طويلة سواء أكان جالساً في مجلس عام أو كان وحيداً في البيت لأنه جالس في محضر الله تعالى ، ويذكر في لآلىء الأخبار بأنه مد رجليه عند الوفاة فقط إلى القبلة وقال : الهي منذ مدة وأنا لم أسيء الأدب ، ولكن الآن فهو أمرك بأن أمد رجلي . . هذه هي نتيجة المعرفة عند الإنسان .

وذكروا في حالات الشيخ مرتضى الانصاري انهم مددوا رجليه إلى القبلة ولأنه كان مصاباً بالاسهال فقد كان يدير رجله عن القبلة ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، فقال لهم الشيخ : اعملوا بواجبكم ، أنا أيضاً أعمل بواجبي ، لأنه في حالة خروج النجاسة يحرم استقبال القبلة .

(٢٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

دوام العبودية مقام سامٍ :

كان الكلام حول الاخلاص في العبودية ، فبعد أن يصل الإنسان في كمال التوحيد الى الاخلاص وتكون علاقته منحصرة بالله وينفصل من غير الله ، ستحدث عنده حالة من العبودية الدائمة ، كما أن الله دائم الربوبية ، وكما أن الله تعالى لو تركه لحظة واحدة لاصبح عدماً ، كذلك هو لو ترك العبودية لحظة واحدة فإنه سوف يسقط من ذلك المقام الشامخ وكذلك لو توجه أو تعلق قلبه بالغير أيضاً .

فقد أصبح مشهوداً لديه بأنه لا خير إلا من الله إذن فليس لديه ذرة

من الرجاء لغير الله ، وخوفه أيضاً من الله وكذلك توجهه وتعلقه أيضاً ، الدعاء المنقول في بحار الأنوار عن رسول الله (ص) والذي كان يداوم عليه يفهمنا هذا المعنى :

«رب لا تكلني الى نفسي طرفه عين أبداً ، ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً ، ولا تسلبني صالح ما أنعمت علي أبداً ، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً ابداً » .

من هذه الجمل الأربع يتضح جيداً كيف أن العبد ليس بيده أي شيء ، فلو ترك الى نفسه لحظة واحدة لهلك ، لذلك نجد أن الذين وصلوا في المعرفة إلى مثل هذا المقام فإن لحظة واحدة من الغفلة والالتفات الى الغير تحسب لهم ذنب ، وطبيعي أنه بالنسبة إلى ذلك المقام من الشهود فإن لحظة سقوط واحدة في العبودية تعد ذنباً كبيراً بالنسبة إليه .

من هذا البيان تتضح بعض كلمات الإمام في الأدعية الواردة من المعصوم في الأماكن التي يعترف فيها بالمعصية والخطأ مع أنه معصوم من أي خطأ فهو ليس مثل الأخطاء والذنوب التي تصدر من امثالنا لا الصغيرة ولا الكبيرة ، وإنما هو من قبيل أن تلك الحالات التي يكون عليها في منتصف الليل وعند السحر من الخشوع والمناجاة لا تكون لديه عند ساعات الاشتغال في النهار فيعد هذا معصية له .

مراتب التوبة ، خاص الخاص :

ذكروا للتوبة ثلاث مراتب : توبة عامة وخاصة وأخص :

فتوبة عم وخص وأخص   فالعم للذنب وخص قد يخص
لترك الأولى ، والأخص توب من   توجه بغير حق قد زكن

فالمرتبة الأولى هي التوبة العامة من الذنوب الكبيرة والصغيرة الواردة

في الشريعه .

والمرتبة الثانية : التوبة الخاصة وهي التوبة من ترك الأولى ، كأن يرتكب الانسان مكروهاً أو عملاً غير لائقاً ، فالتوبة هنا تكون من ترك المستحبات وعمل المكروهات .

المرتبة الأخص أو الخاص الخاص وهي مرتبة اعلى وهي التوبة من التوجه الى غير الحق ، فأولياء الله يتوبون من ذلك .

ونجد نماذج لذلك في الأدعية الواردة عن أهل البيت (ع) مثلا يقول امير المؤمنين (ع) في مناجاته :

« ليت شعري في غفلاتي كيف حالي ، ءأنت معرض عني أم ناظر إلي » .

والغفلة من الشهود لها مراتب ونحن عاجزون عن ادراك تلك المرتبة التي عند المعصوم ولكن قد يمكننا أن نفهم بأن الإمام عندما يكون مشغولاً بالطعام أو الحديث مع هذا وذاك لا يكون له ذلك التوجه التام الذي يحصل له في حالة الصلاة ، فهذه النقيصة والفرق بين الحالتين يعدها الإمام معصية ، وحتى في حالاتهم الروحية فإنها غير متساوية ففي بعضها يغلب عليهم الشهود والحضور إلى درجة أنهم يغمى عليهم ، وهذا الاغماء ليس كإغماء أمثالنا وإنما يكون متناسباً مع مقامهم ونتيجة لزيادة الحضور الروحي .

انهم معصومون من كل ذنب صغير أو كبير أو مكروه ، بل وحتى ترك الاولى ، أما المناسب لذلك المقام فهو دوام الشهود ودوام العبودية والأدب التام ولكن في بعض الحالات التي تلازم مقام البشرية وكونه بشراً لا يتيسر له ذلك فيعد ذلك ذنباً له .

البشارة لمن يحب الاخلاص :

وردت بشارة عن الإمام الصادق (ع) في ضمن رواية في باب السجدة بإمكانها أن تبعث فينا الأمل والرَّجاء ، لان الإمام (ع) يقول : « الذي كان فيه حب الاخلاص »[1] ولم يقل « من اخلص » وإنما من كان يحبّ الاخلاص ، نرجو من الله أن نحب الاخلاص في العبودية ولا يكون إلا إذا أراد الإنسان ذلك كما هو وارد في الروايات .

وأشمل العبارات والكلمات التي تجمع معنى العبودية حديث شريف مروي عن الإمام الصادق (ع) في المجلد الأول من بحار الأنوار قال الصادق (ع) : « يا ابا عبد الله (عنوان البصرى) ليس العلم بالتعلم إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله أن يهديه فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك .
قلت : يا ابا عبد الله ما حقيقة العبودية ؟ قال : ثلاثة اشياء ، ان لا يرى العبد لنفسه فيما حوله الله ملكاً لأن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله ، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً ، وجملة اشتغاله فيما أمره الله به ونهاه عنه ، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه ، وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هانت عليه مصائب الدنيا ، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس ، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا وأبليس والخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ولا يطلب مما عند الناس عزاً وعلواً ولا يدع أيامه باطلاً فهذا اول

---

(١) قال رسول الله (ص) قال الله تعالى لا أطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته .
(اسرار الصلاة للشهيد الثاني ص ١٣٣)

درجة التقوى ، قال الله تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ .

وهو حديث طويل احاول أن أذكر منه بعض الفقرات للتوصل إلى العبودية .

علم العشق غير منقوش في الدفاتر :

يدخل عنوان البصرى على الإمام الصادق (ع) وبعد كلام وحديث بينه وبين الإمام (ع) يقول له الإمام (ع) :

« ليس العلم بالتعلم إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله أن يهديه » .

فعلم التوحيد ، والإيمان ، والعلم بالله ليس علماً كسبياً بحيث يحصل عليه الإنسان من قراءة الكتب فذلك هو علم الكلام والاستدلال العقلي الذي ذكرناه مراراً ، أما الإيمان والتصديق فهو نور يمن به الله ومقدمة ذلك بيدك أنت .

« فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية ، واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك » .

فهذا العلم يكون بالعمل يعني ان الإنسان لو عمل بما فهمه وعلمه فإن علمه سيزداد « من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم » فالعلم يزداد بالعمل .

والشاهد على ذلك في قوله « اذا اردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية » بحيث تتحقق فيك العبودية لا بالوهم والخيال فقط بل بالواقع الحقيقي ، ان تصبح ذاتك عبداً .

فسأل عنوان : ما هي حقيقة العبودية ؟

ان لا يرى نفسه مالكاً أو مدبراً :

فقال الإمام (ع) ثلاثة أشياء :

الاول بأن لا يرى العبد أن هذه الاموال ملكه ، بل يرى الواقع وأن يعلم بأن ما وضعه الله تحت تصرفه واختياره هو عارية من لسان ويد ورجل إلى المال والأولاد وغيرها فهو لا يرى نفسه مالكاً مستقلاً لما في يده ، فالذي يرى نفسه مالكاً مستقلاً فإنه ليس بعبد يقيناً ، وإنما جعل من نفسه بمرتبة الرب فأين العبد ؟

والثاني : ان يترك التدبير لنفسه . . يجب أن افعل كذا لكي أتوصل إلى المقام الفلاني ، أو تزداد أموالي . . أؤمن مستقبلي ، فيكون هو المدبر لنفسه وينسى الله الذي هو المدبر له ، والذي يرى نفسه مستقلاً في أموره فهو ليس بعبد ، ولا يعني ذلك أن يترك الإنسان أمور معاشه وإنما أن يواظب دائماً في عمله على ترك ذاتيته وأنانيته ولا يرى الاستقلال لنفسه ويعلم بأن الحصول وعدم الحصول هو بيد الله ، فلأنه أمر بذلك فأنا أعمل ، لكن النتيجة بيد الله ، فأنا أذهب إلى الطبيب للمعالجة لكي يؤثر الله ما يريد ، لا أن أشرب الدواء لكي أشفى من المرض فيكون تدبيره استقلالياً وكأنه ليس له رب أو مدبر .

مشغول بأوامر الله ونواهيه :

الثالث هو أن العبد إنما يكون عبداً فيما اذا كان مشتغلاً مع الله دائماً بهذه الصورة ، أن يطيع اوامر الله ويترك ما نهى عنه فعندما يريد أن يكسب رضاه فإنه يترك ما هو مبغوض له ، فهل يمكن أن يعتقد أحد بأن

ربه حاضر معه وناظر إليه ومع ذلك يرتكب خلاف اوامره ؟ فالعمل يجب أن يطابق الادعاء .

ورد في الرواية عن الإمام الهادي (ع) :

« الايمان ما وقرته القلوب وصدقته الاعمال »[1] .

بشر الحافي يريد أن يصير عبداً :

ينقل عن العلامة الحلي في كتاب مجالس المؤمنين وغيره بأن الإمام موسى بن جعفر (ع) كان ماراً على دار بشر ، فسمع اصوات اللهو والطرب من ذلك البيت ، فخرجت أمة له فسألها الإمام (ع) :

ـ هل صاحب هذه الدار حر أم عبد ؟ فأجابت ، إن له غلماناً وعبيداً وإماء كثيرين ، فكيف يكون عبداً ؟ فقال الإمام (ع) :

ـ نعم ، لو كان عبداً لما كان كذلك .

رجعت الأمة الى الداخل فسألها بشر ، مع من كنت تتحدثين ؟ فحدثته الأمة بما حصل لها ، فعرف بشر الإمام ، فخرج فوراً من البيت بأقدام حافية وأوصل نفسه إلى الإمام وتاب على يده وقال :

ـ سيدي أريد أن أكون عبداً .

مقصودي كلمة الإمام عندما قال : « لو كان عبداً لما كان كذلك » . فالذنب شاهد على أنه لا يرى نفسه عبداً وإلا فكيف يتجرأ ويرتكب خلاف رضا مولاه وفي حضوره ؟

---

(١) كشف الغمة .

بعد ذلك يذكر الإمام الصادق (ع) خصوصيات كـل واحدة من هـذه الأمور الثلاثة .

فعـلامة عـدم رؤية نفسـه مالكـاً لشيء هو أن الانفـاق يسهـل عليـه . فكل شخص يكون الانفاق في سبيل الله عليه عسيراً وصعبـاً فهذا يعني أنـه لا يرى أن المال مال الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

قلنا في الجلسة السابقة أن الحصول والتحقق في مراتب التوحيد هو نفسه التحقق في مراتب العبودية ، يعني أن الشخص بأية مرتبة كان من التوحيد فبنفس تلك المرتبة يكون حائزاً على مقام العبودية ، وعندما يكون في مرتبة التوحيد الافعالي فقد وصل إلى حقيقة العبودية بتلك المرتبة ، ولأجل توضيح حقيقة العبودية الملازمة للتوحيد ذكرنا رواية عنوان البصري الذي قال له الإمام الصادق (ع) :

« ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً » .

يعني أن لا يرى نفسه مالكاً حقيقياً لا مالكاً اعتبارياً ، وبعبارة أخرى

ذكرناها عدة مرات أن لا يرى نفسه مالكاً مستقلاً ، فالذي وصل إليه عن طريق البيع أو الشراء أو الأرث لا يكون بحيث لا ينفك عنه ويكون مثل ملكية الله الحقيقة بل يكون الفناء عارضاً على كل من المالك والمملوك . وأما مقداره وقيمته فهو بحسب العقل والشرع ، فمثلا عندما يموت احد الأشخاص فسوف تنقل أموٰاله إلى أقربائه يعني أنها تنتسب إليهم كما كانت نسبتها الى المورث قبلا ، لا أنها أصبحت ملكية واقعية وإلا فإن كل شيء ملك لله بحسب الحقيقة « لان العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله » ويصرفونه في كل مورد أذِنَ الله فيه .

مع رؤية الله مالكاً يسهل الانفاق :

بعد ذلك يقول الإمام (ع) : « فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله ملكاً هان عليه الانفاق » فلا يبخل بعد ذلك لأنه عبدٌ والمال عارية بيده وقد أذن له في انفاقه في موارد معينة .

والثاني أن العبيد الظاهريين ملتفتون دائماً إلى مولاهم وليس له اهتمام بالمسكن والطعام والمستقبل ، فكذلك الذي يرى نفسه عبداً وفهم أن المالك هو الله يدير أموره فليس له هم بعد ذلك .

وطبعاً لا يقول احد بأن يترك اعماله دون تدبير ولكن ليس بالتدبير الاستقلالي وكأنه ليس له مدبر ويتصور أنه مستقل في التفكير لنفسه ، وإنما بالاعتماد على الله وإدراك هذا المطلب بأنه غير مستقل في التدبير حيث يدبر أموره بمقدار ما اعطاه الله من فهم وتفكير ويعلم بأنه متوقف على مشيئة الله واجازته وعلى ما يرزقه الله ، لا أن يتخيل ان هذا الشيء سيتحقق بتدبيره وتفكيره فتكون النتيجة سقوطه من العبودية .

بعض الأدعية اوامر .

نقرأ في دعاء التعقيب لصلاة الظهر :

« ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولي فيها صلاح إلا قضيتها . . » .

عندما نطلب من الله حاجة يجب أن لا يكون ذلك بشكل التحكيم والتنجيز بأن نقول يجب أن يكون كذا وكذا ، فهذه ليست أدعية وطلب للحاجة وإنما يجب أن تكون بصورة التعليق على ارادة الله وحكمته : الهي ان الشيء الفلاني بنظري هو خير لي ، فإذا رأيت في ذلك مصلحة لي وكان رضاك فيه فارزقني إياه ، لا أنه إلهي اعطني ذلك حتماً ، فهذا تنجيز وحكم وليس بدعاء ، يجب أن يكون تفويضاً إلى الله لأنه أعلم بعباده ، فالدعاء يكون تفويضاً وتسليماً إلى الله وليس حكماً جازماً .

مع التفويض تسهل الصعوبات :

يقول بعض العلماء : ان اعلى مرتبة للعبودية هي مقام التفويض الذي تكون فيه ارادة الشخص مسلوبة تماماً ومسلمة إلى رب العالمين فإن الشخص يترك تفكيره المصلحي جانباً ، ويريد كلما رأى الله صلاحه في ذلك .

ولو أن أحداً حصل على مقام التفويض والتسليم فمن آثاره هو أن تسهل عليه مصيبات الدنيا ولا يعترض اذا كان له مال وفقده فهو لا يرى نفسه رب المال ولا يرى مصلحته في هذه الأموال بل يفوضها إلى الله وما يراه الله له من مصلحة ، فسابقاً كان يرى مصلحته في أمتلاكه للمال والان في عدمه ويصلح أمره من طريق آخر ، فمع تفويض الأمور إلى الله تزول الآلام والهموم .

أو إذا مات ولده مثلاً فليس له الأعتراض على ذلك فقد كانوا أمانة من الله حيث جعل مسؤولية تربيتهم في عهدتي والآن رأى المصلحة في أخذهم .

ارجاع مالنا إلى القديم يملك كلاسم بالتسليم

فلو أن أحداً وصل إلى مقام التسليم فسوف لا يزعجه أي حادث أو يهمه ، ونقرأ في دعاء النصف من شعبان :

« اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا » .

وعندما أدركنا بأن جميع الأمور الجزئية والكلية بيد الله وهو العالم بالمصالح والمفاسد ونحن جاهلون بها ، إذن فلا اعتراض على قضائه بعد ذلك ، فكم نتصور المصلحة في أمور لكنها في الواقع مضرة لنا ، وعلى العكس في ذلك فكم نتصور من الأشياء على أنها ضرر لنا وهي في الواقع بنفعنا ومصلحتنا .

اللهم أعطني كل ما تراه صلاحاً لي لا ما أراه أنا ، لأني جاهل بالواقعيات فأنت مولاي ، مولاي الحقيقي وليس اللساني فقط .

الراحة عندما لا يكون ميل النفس :

العلامة الثالثة للعبد الحقيقي هو أن يكون دائم العبودية كما أن الله سبحانه وتعالى دائم الربوبية فكل سعيه بأن يعمل ما يرضي به ربه لا ما ترتاح أليه نفسه ، وان يواظب على اوامره ونواهيه . فعندما يدرك أنه عبد مراقب فلا يرتكب له نهياً أو يترك له أمراً .

وعندما يستمر على العبودية لا تبقى في نفسه رغبة في المباهاة والافتخار او النزاع والجدال . فالذي يواظب على رضا الله لا يتنازع مع

احد ، فالنزاع يكون عندما يرى ما لا يوافق هواه ، لكن العبد لا ميل له بعد الآن هدفه وطلبه رضا ربه ، فكل واحد من المتنازعين قد سقط عن مقام العبودية فقد رأى كل واحد منهما خلاف رغبته وميوله فتأثر لذلك فيتضح أن الميل لا يزال باقياً عندهما فلم يصبحا عبدين حقيقيين ، وتارة يكون النزاع من اجل المنصب فأين العبد من طلب المنصب والمقام ؟ أين العبد من اصدار الأمر والنهي ؟

المباهاة علامة عدم العبودية :

وكذلك فإنه يترك المباهاة ، فالعبد لا يملك شيئاً لنفسه حتى يباهي به ، فمثلاً بالعلم بأن علمي أكثر . . ما هو مقدار علمك ؟ إنك درست وقرأت بعض الكتب اكثر من ذاك ، فهل ان هذا العلم هو عين ذاتك ؟ انه أمر زائد وصل إليك بالأسباب التي اعطاها الله لك ، فالعين والحافظة والوسائل التي اعطاها الله هي السبب وليس (انا) أو (أنت) حتى يريد المباهاة بذلك . إذن فبمجرد القول « أنا اعلم » فقد خرج من العبودية . . اموالي وبياني ودرسي وغيرها أحسن من الآخر . . فهذه المباهاة علامة عدم العبودية .

اذن فعندما يصل الى مرتبة يكون فيها مشغولاً باوامر الله ونواهيه فلا يكون له بعد ذلك نزاع وجدال وفخر ومباهاة . .

نتائج العلامات الثلاث للعبودية :

عندما يلزم الله العبد بهذه الأشياء الثلاثة « ان لا يرى نفسه مالكاً ولا يدبر لنفسه أمراً ، ويسعى دائماً في رضا ربه » فالذي حصل على هذه الأشياء الثلاثة فإنه سوف لا يتعلق بأي شيء وإنما يكون حراً وتكون الدنيا وهماً بالنسبة له ، فـ (أنا) غير موجودة فقد تركها ، ورضا المخلوقين أو عدم رضاهم . . مدحوه أو ذموه سيان ، فالعبد هو العبد سواء قيل عنه

أنت الفلاني في الحكومة أو المتسول في قارعة الطريق فإنه لا يفترق لديه ، لأنه يعلم حقيقة أنه عبد سواء علم بذلك الآخرون أو لم يعلموا وقالوا عنه أشياء أخرى .

ولا يتوجه نحو التكاثر بعد ذلك فلا يريد أن يجمع اموالاً فوق أموال كي يكبر عنوانه ، ولا يركض وراء الشهرة والعزة والعنوان والتسلط على الآخرين فإن هذه القيود والأتعاب سوف تضمحل وتزول وبعد ذلك لا يذهب عمره العزيز هدراً .

هـر نـفس ز أنفـاس عـمـرت گـو هـرى است
آن نـفس سـوى خـدايـت رهـبـريـسـت

يعني ان كل نفس من أنفاس عمرك جوهرة وذلك النفس هو قائدك الى الله .

الجنة لمن لا يريد العلو :

بعد ذلك يقول الإمام (ع) : « فهذا أول درجة التقوى » الى أن يصل إلى المراتب العالية التي سبقت الاشارة إليها . وهذا هو التوحيد الافعالي ، ثم بعد ذلك يستشهد الإمام (ع) بآية شريفة على أن أول درجة للتقوى هو أن لا يريد علواً في الأرض ، لا يريد أن يكون هو المقدم في أي وقت ، فالذي يريد أن يتقدم على الآخرين يكون معلوماً أنه لحد الآن لم يعرف لا نفسه ولا الله ولا الدنيا ، فكل من طلب الدنيا ومال الدنيا وشهوات الدنيا يكون واضحاً أنه لحد الآن جاهل ومنحرف عن طريق العبودية وغارق في الجهل المركب ويكون محروماً من المقامات في اليوم الآخر .

---

(١) سورة ٢٨ الآية ٨٢ .

﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾[1] .

والنكتة في الآية الشريفة في قوله ﴿ **لا يريدون** ﴾ يعني أنهم ليسوا مستعلين فعلا فحسب ، بل ليست لهم ارادة ورغبة في العلو ، فالذي يكون طالباً للشهرة والمقام والمال فهو خارج عن التقوى ، إذن يجب أن نسعى لتحصيل حقيقة العبودية فينا حتى نصل إلى ما وعد الله من المقامات الاخروية .

آية شديدة في التحذير :

ورد في تفسير علي بن ابراهيم القمي أن الإمام (ع) كان يقرأ هذه الآية ودموعه تجري على وجهه ويقول : « ذهب والله أماني عند هذه الآية » ، يعني أن الإنسان يتصور أنه من أهل النجاة وهو في الآخرة سعيد وصاحب مقام وهو مع سلمان وكثير من هذه التصورات عند بعض الجهال الذين يتخيلون ذلك مع جبال من الآمال والطموحات وطلب العلو ويتصور أنه حاج كربلائي ومشهدي ومن شيعة علي وسيد وعالم ، لكن الميزان هو عدم ارادة العلو في الأرض ، وأن لا تريد التقدم على الآخرين ، الهي أنت أصلحنا ، واجعلنا عبيداً متحققين بحقيقة العبودية .

(٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

كـان الكلام حـول الحديث الشـريف لـلإمـام الصادق (ع) مع عنـوان البصـري فبعد أن بـين لـه الإمـام حقيقة العبـوديـة قـال عنـوان البصـري :
ـ أوصني . فقال له الإمام (ع) :

« أوصيك بتسعة أشيـاء فإنها وصيتي إلى مـريدي الـطريق الى الله ثلاثـة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم .

أما اللواتي في الرياضة : (والتي تلجم النفس وتكبح جماحهـا وتضعف من حجـاب النفس الأعظم) « فـإياك أن تـأكـل مـا لا تشتهيـه فـإنـه يـورث

الحماقة والبله . . » فالإنسان اذا لم يكن راغبا في شيء وليس له اشتهاء فإنه يكون موجباً للحماقة والبله .

كثرة الأكل تضعف الفهم :

ولعل السبب الخارجي في ذلك هو أن الإنسان عندما يكون شبعاناً وأكل بدون أشتهاء للطعام فإن الطعام سوف لا يهضم بصورة جيدة وتؤدي الأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ إلى ضعف في الادراك والفهم ، وطبعاً المقصود هو الادراكات العقلية التي هي مورد البحث لا تلك الادراكات الحيوانية التي يكون فيها جميع توجهه إلى الأكل والنوم والشهوة .

وفي مقابل ذلك فعندما يكون الإنسان جائعاً ومشتهياً إلى الطعام وأكل مقداراً قليلاً بحيث يسد جوعه فإنه سوف يحس بالنشاط في نفسه بعد ذلك .

الثاني هو أن « لا تأكل الا عند الجوع » ولعل الحكمة في ذلك هو ما ذكر والذي يؤمن سلامة البدن ، لأن كثرة الأكل تولد الأمراض من قبيل السمنة المفرطة وأمراض القلب وضغط الدم وأمراض السكر ، وقد ورد عن رسول الله (ص) « المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء »[١] .

أكل الحلال وذكر الله عند الأكل :

الثالث : « وإذا أكلت فكل حلالا وسم الله تعالى » فانه عندما تريد أن تأكل أي طعام فانظر فإذا كان حلالا فكل منه ، يعني انك لو كنت متردداً في هذا الطعام مهما كان طيباً ثم مددت يدك وأكلت منه فإنك سوف

---

(١) البحار ج ٦٢ ص ٢٩٠ .

تصبح بالتدريج حيواناً ، « يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام » .

فالذي تكون نفسه غير ملتزمة عند الأكل كيف يمكنه ترويضها ؟ومتى يكون مؤدباً بآداب الشرع والانسانية ؟ فلو أنه ترك العنان لنفسه الآن فإنها ستقوى وتشتد يوماً بعد يوم ويزداد الحجاب وستكون الفاصلة بينه وبين معرفة الله كبيرة ، فطريق الله هو أكل الحلال وقلة الأكل .

وكذلك لا ينبغي الغفلة عن ذكر الله عند الأكل بل يأكل مع اسم الله ففي القرآن المجيد يقول :

﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾[1] .

وطبعاً هذه الآية وردت في مورد الذبيحة ، والذكر الواجب هو عند الذبح ولكنه يستفاد منها شيء عام ، فكل لقمة تبدأ باسم الله ويتبعها الحمد والثناء الالهي فإنها تحدث في النفس نوراً كما ورد ذلك في الروايات .
بعد ذلك يقول الإمام (ع) - ويذكر حديثاً عن رسول الله (ص) : « ما ملأ آدمي وعاءاً شراً من بطنه » فعندما يملأ أي وعاء آخر فقد يكون له ضرر في بعض الأوقات ولكن ملء البطن يؤدي إلى أضرار كبيرة للبدن والروح .

وقد وردت في زهر الربيع رواية بأنه لو سئل أهل القبور عن سبب موتهم لقال أكثرهم بأنه من كثرة الأكل ، فالغذاء لا يهضم بصورة جيدة ويؤدي الى اضعاف الكثير من اجزاء البدن بدلا من تقويتها ، ومن ناحية الروح فإنه يخنق الروح فلا يمكن لهذا الشخص أن يسير في طريق الله والانسانية كما ورد في الرواية :

---

(١) سورة ٦٠ الآية ١٢١ .

« ان الله يبغض كل أكول نؤوم »[1] .

فكيف يمكن أن تشرق الأنوار الإلهية على هكذا قلب محجوب فالشخص المبغوض هو الذي لا طريق له إلى الحضرة الإلهية .

عليك مهما أمكنك أن تثلث معدتك ، يعني أجعل ثلثاً منها للطعام وثلثاً منها للماء والثلث الأخير للتنفس والاستراحة .

حالة القرب عند الجوع والصوم :

عندما يجوع الإنسان تحصل له حالة من القرب إلى الله وفي الرواية المذكورة في قواعد الشهيد :

« الصوم لي وأنا أجزي به » .

وعلى بناء الفعل « أجزى » للمجهول فإنه يعني أنا هو جزاؤه ، وهناك شرح لطيف يذكره الشهيد حول هذا المعنى وكيف يكون جزاء الجوع والصوم هو لقاء الله والشهود حيث لا يتيسر ذلك مع بطن مليئة لأن الإدراك حينئذ سوف يختنق وقد جربتم في أيام الصوم خصوصاً في الصيف وفي وقت العصر بالذات يكون الإدراك أقوى وتحدث حالة سعيدة في الإنسان بحيث يدرك قرب الله بشكل أحسن .

الحلم في مقابل الشتم والتهمة :

وثلاثة وصايا يذكرها الإمام (ع) في الحلم :

---

(١) فروع الكافي ج ٦ ص ٢٦٩ .

« وأمـا اللواتي في الحلم فمن قـال لـك أن قلت واحـدة سمعت عشـراً فقل إن قلت عشراً لم تسمع واحا ة » .

فعليه أن يكون حاكماً عـلى نفسه بحيث لا يـرد بالمثـل ، فلو أني شتمته أيضـاً لأصبحت مثله ، وأمـا جـواب الشتم والسب فهـو النصيحــة أو عـدم الالتفات إليه .

وبعد ذلك يقول :

« ومن شتمـك فقل لـه ان كنت صادقـاً فيما تقـول فاسـأل الله ان يغفر لي وان كنت كاذباً فيما تقول فاسأل الله أن يغفر لك » .

جواب الخواجه نصير الدين على رسالة جاهل :

أحد الجهال كتب الى الشيـخ نصير الـدين الطوسي رسـالة بـذيئة جـداً ومليئـة بالسب والشتم ومن جملة مـا يذكـره هو أنـه يبدأ عبـارته بـأنـك كلب و . . ولكن المـرحـوم الشيـخ كتب لـه في مقـام الجـواب بعـد السـلام عليـه واستفسار حاله بـأنك قد ذكـرت في رسالتـك إنني كلب ، ولكني لم أدرك هذا المعنى عنـد مـلاحــظتي نفسي ، فـالكلب لــه أربعـة أرجــل في حـين أن لي رجلين ،وللكلب ذيل وليس لي ذلك ، وللكلب شعر وليس لي و . . .

رجال الله هم الذين يعملون دائماً بوصية الإمام (ع) .

والثالث هو « ومن وعـدك بالخنـاء فعده بـالنصيحة والـرعاء . . » فـإذا وعدك احد باعتداء أو اضرار بأني سوف أفعل بـك كذا وكـذا وسوف اؤذيـك فعليـك أن تجيبه بـأن تقول لـه أنا لا أريـد لك الا الخـير ، فإني في خـدمتـك وأريد صلاحك ، فإذا كـان لديـك أمر فسـوف أؤديه لـك واساعـدك عليه ، فعده بالخير كما وعدك بالشر ، والروايات في هذا المجال كثيـرة وكنموذج عـلى ذلك :

جواب الاساءة بالاحسان :

اعترض احد اقرباء الإمام السجاد (ع) ومن بني عمومته على الإمام وشتمه (ع) في حضور أصحابه ووجه إليه كلمات بذيئة ، لكن الإمام السجاد (ع) سكت في مقابل ذلك ولما رأى الأصحاب ذلك من الإمام سكتوا أيضاً ، فلما أصبح الغد قال لهم الإمام قوموا لزيارة ابن عمي . فلما جاء إليه الإمام مع عدة من اصحابه خاف في بداية الأمر من ان يصله ضرر من الإمام ، لكن الإمام قال له : « يا أخي أنك كنت قد وقفت علي آنفاً فقلت وقلت فإن كنت قلت ما في فإني استغفر الله منه ، وإن كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك »[1] .

فوقع ذلك العلوي على يد الإمام ووجهه يقبله ويعتذر من فعلته . . هذا هو طريق العبودية لمن اراد السير في ذلك ، هذا هو طريق رياضة النفس وليس بتلك الرياضات الباطلة الشيطانية ، فلو ان الانسان أراد أن يكون من رجال الله فانه يروض نفسه بهذه الصورة حيث يسمع شتماً ويجيبه بعمل الخير ، ومن عظمة هذا الفعل ودرجته العالية ان الإنسان قد يرتفع من مرحلته الترابية إلى درجات عليا بعمل واحد من هذا القبيل فكف النفس له قيمة كبيرة جداً ويؤدي إلى رقة الحجاب .

اسأل لفهم ما تجهله :

ثلاث وصايا ايضاً في باب كسب العلم فيقول الإمام (ع) :

« واما اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت » .

---

(١) حلية الابرار ج ٢ وسفينة البحار ص ٤٢٢ .

فلا تبق بحالة الجهل حيث أن بعض الأحيان يبقى الإنسان في الجهل بسبب عدم السؤال ، وبعض الأحيان يكون جهله في العقائد بحيث تحصل له شبهة قد تؤثر في إيمانه لا سمح الله ويتزلزل بذلك اساس اعتقاده ، والخلاصة أن الامتناع والاستحياء من السؤال مرفوض وقد ورد ايضاً « لا حياء في الدين » .

والثاني : « وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربة » فالسؤال ينبغي أن يكون للاستفهام يعني تريد أن تفهم شيئاً ، ففي بعض الأحيان يكون في ذهنه شيء ويأتي إلى ذلك العالم ويسأله ويستشكل عليه بغرض امتحانه ولأظهار علمه هو فلا ينبغي أن يكون كذلك وإنما يسأل لكي يفهم .

الثالث : « وإياك أن تعمل برأيك وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً » .

فإياك أن تعمل بكل ما تراه برأيك خصوصاً في العقائد الإسلامية بل يجب الاحتياط مهما امكنك . . « واهرب من الفتيا هربك من الاسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً » .

فيجب الاحتياط في الفتوى مهما أمكن سواء في نفس الفتوى أو الحكم ، ففي مقابل حكم الحاكم المبسوط اليد مع توفر الشرائط لا ينبغي لأحد أن يقول « هذا رأيي » ، فلا أحد له حق في اعمال نظره فالعمل بالرأي موجب لهلاك نفسه والآخرين كما في ابليس الذي اظهر الرأي في مقابل حكم الله وأمره له بالسجود لآدم بأني خير منه فقد خلقتني من نار وخلقته من طين .

والى هنا ينتهي الحديث الشريف وفقنا الله تعالى للعمل به .

(٣١)

بسم الله الرحمن الرحيم

العقل ، تلك القوة التي اعطاها الله للإنسان :

الله سبحانه وتعالى خص الانسان بقوة لا توجد في جميع المخلوقات في عالم الوجود ، وبهذه القوة يكمن شرف الإنسان وكرامته وهي التي يعبر عنها بالعقل ، تلك القوة التي يمكن للإنسان الاستفادة منها في المعارف والحقائق والواقعيات ، ويستخدمها في عالم ما وراء المادة وما فوق الجسم والجسمانيات .

والحيوانات ليس لها سوى ادراك محدود بحدود اطرافها المادية وبشكل ناقص أيضاً ، وأما الإنسان فيمكنه ادراك عالم ما وراء الطبيعة وان يفهم

خصائص الاشياء والحكم الموجودة في كل شيء . . يمكنه استعمال تلك القوة التي لها شعب متعددة في جميع المجالات .

الاحاطة العلمية دليل على تجرد الانسان :

نفس هذه الاحاطة الادراكية شاهد على تجرد العقل والروح ، فنحن نعلم ان روح الانسان غير المادة والماديات ، فالجسم لا يمكنه الاحاطة بالجسم ابداً وليس له احاطة علمية ، فلا يمكن لهذا الحجر ادراك ذلك الحجر أو ذلك الجسم ، فمن المحال ان تحيط بعض اجزاء عالم المادة بجزء آخر ، أما الانسان الذي يمكنه الاحاطة بجميع عالم الوجود ويفهم كيفية تحركات كوكب المريخ ومقدار المسافة التي يقطعها فهذا يعني ان روحه مجردة وليست مادية .

أما ما هو دليل الماديين ؟ إذا كان الانسان مادياً فكيف يمكنه الحصول على الاحاطة العلمية بجميع اجزاء عالم الوجود . او يفهم تركيب وخواص الاشياء كالادوية وغيرها والتي هي فرع من فروع تلك القوة العقلية .

ادراك مسبب الاسباب من خصوصيات العقل :

ومن نتائج هذه القوة إدراك سلسلة العلل والمعلولات ، فيمكنه أن يدرك بأن جميع ما في عالم الوجود له علة واحدة بحيث ترجع إليها جميع العلل وذلك هو الله الذي اوجد هذا العالم وأوجد هذه السلسلة من العلل والمعاليل ، فالإنسان بهذا العقل يمكنه معرفة الخالق (بحدود قابليته لا بما هو يستحقه ويليق بالمطلب) فالعقل الذي اعطاه الله للإنسان يمكنه ان يفهم سلسلة العلل والتي تنتهي بالله صانع الأسباب وخالق العلل .

وبما أن كل موجود مسبب عن موجود آخر والموجود الآخر كذلك إذن

يلزم من ذلك التسلسل وهو باطل ، فيجب أن ترجع الأسباب الى اصل وجود المطلق الذي لا يحتاج إلى سبب بل هو المسبب لجميع الاسباب ، فالعقل هو الذي يدرك مسبب الأسباب .

العقل يدرك المعاد والخير والشر :

ومن شؤون العقل الاخرى التي اعطاها الله الانسان هو أنه يمكنه ان يفهم معاده وآخرته . ويقول احد العلماء بأنه لو فرض أن الوحي لم يكن فعقل الانسان يدرك بأنه لا بد لهذه الحياة الدنيوية من هدف وغاية والتي يصل الإنسان فيها إلى تكامله وسعادته .

يمكن للعقل ادراك الخير والشر وبالتعبير الوارد في الرواية بأنه يدرك خير الخيرين (لانه ليس هناك شر واقعي وكل ما يوجد فهو أما خير محض و أن جانب الخير فيه أقوى وأكثر وليس هنا محل هذا البحث) فهو يمكنه ن يدرك هذا الخير أو ذاك ويميز بين الحسن والقبيح من أفعاله أو أفعال لآخرين .

العقل العلمي والعملي :

لذلك قال الحكماء بأن للعقل شعبتين علمية وعملية ، فالعقل العلمي هو تلك الأدراكات الكلية التي تعود الى الله تعالى وأسمائه وصفاته الكمالية وآثاره وكذلك خواص الأشياء .

وأما العقل العملي فيمكنه أن يدرك الحسن والقبيح في الأعمال ويفهم لصحيح منها والفاسد فأي الأعمال تتصف بأنها حسنة وجيدة حتى يمكنه القيام لها ، وأي تلك الأعمال تكون قبيحة حتى يتجنبها ويتركها ، ويفهم أيضاً موجبات سعادته وشقاوته والتي هي امور فطرية جعلها الله في ذات

الإنسان واعطاها لجميع الأفراد بصورة طبيعية ، وقد تكون عند بعض الأشخاص اكثر وأقل إلا أن تلك الادراكات تتوسع بالاستعمال .

ففي البداية اعطى هذه القوة للجميع بصورة متساوية ، فلو أنها استعملت في محلها فإنها تزداد بصورة طبيعية باستمرار ولو انها تركت جانباً يعني أنه لم يعمل بارشاداتها فإنها ستضعف ايضاً . فهذه النعمة التي جعلها الله في افراد البشر هي من أجل معرفة المبدأ والمعاد ووسائط الفيض الإلهي يعني الرسول (ص) والأئمة (ع) ، وكذلك الحال في العقل العملي .

مجمل العلوم في باطن الإنسان :

وهنا يمكن أن يطرأ سؤال في بعض الأذهان لذلك لا مانع من ذكره والاجابة عليه .

وقبل أن نطرح السؤال نذكر ملاحظة وهي أن الحكماء قالوا بأن العلم لا يصل إلى الإنسان من الخارج لأن جميع العلوم كامنة في عقل الانسان وذاته . والذي يسمعه بإذنه ويراه بعينه ويدركه بحواسه يبعث على تنبه العقل وخروج ما كان موجوداً في ذاته بالقوة إلى حيز الفعل ببركة الدراسة والتحصيل الناشيء من الحواس ، فيحرك قوته الفكرية لتصبح المجملات التي كانت في ذهنه واضحة بشكل تفصيلي ويتحقق ما كان كامناً في ذاته ، فجميع العلوم كامنة في العقل الانساني بالقوة وهي بحاجة الى مذكر بحيث لو حصل ذلك فإن علمه سوف يظهر وإلا فإنه سيبقى بحالة الجمود والقوة .

أذن يجب أن يكون الجميع عرفاء :

فلما كان كذلك ، يعني أن جميع العلوم كامنة في الإنسان بشكل

إجمالي إذن يجب أن يكون جميع الناس عارفين بالله وسائرين في طريق الخير ، لأن العقل متوفر عند الجميع ، والجميع يسمع ويرى فيجب أن يتحقق العلم بالله عند الجميع في حين أننا نشاهد ان الأكثرية تعيش في حالة الجهل بالله وحتى اولئك العلماء بحسب الظاهر هم في الحقيقة جهلاء ، وحتى علماء الحكمة الإلهية والفلاسفة ايضاً فكثير منهم كجهاز التسجيل يتلفظون بهذه المطالب العلمية دون أن يصل ذلك إلى مرحلة اليقين ، فالاكثرية في شك ووهم بالنسبة الى الحقائق والمعارف ومع انها موجودة في ذاتهم لكننا نرى الفاصلة العجيبة بين ادراكات افراد البشر ، فالبعض يصلون إلى حد بحيث يرون الله معهم دائماً ويعملون بأنه حاضر وناظر ، ويكون الحق عندهم مشهوداً ، وفي مقابل ذلك نجد البعض من الناس في شك بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى فهو يثبت وجود نفسه وينكر وجود الله ، في حين أن وجوده ووجود جميع الكائنات من الله ولكنه لا يدرك هذا المعنى .

هذا هو السؤال الذي أردنا أن نطرحه وخلاصته بأن : العلوم كامنة في عقل الإنسان والذي ندركه بواسطة الحواس هو مذكر ومظهر لتلك العلوم الفطرية ، وجميع العلوم بالموجودات متعلقة بمظاهر الوجود ، وبعبارة اخرى أن جميع الادراكات ترجع إلى الذات لذلك يجب أن يكون الجميع عارفين بالله ومن أهل التوحيد ، في حين أننا نرى على العكس من ذلك ، فإن أكثر الناس في غفلة عن ذلك أو من المنكرين لهذه الحقيقة .

المقتضى لا يكفي بدون رفع المانع :

ان ما ذكرناه من وجود قوة الادراك لجميع العلوم في العقل هو على شكل المقتضى وليس العلة التامة ، يعني يجب أيضاً ادراك الموانع وازالتها حتى يمكن الحصول على النتيجة ، فالمقتضى والذي هو العلوم الفطرية

موجود ، والمذكرات والمنبهات الخارجية أيضاً موجودة ولكن بشرط عدم وجود المانع ايضاً ، فالماء الذي تريد تسخينه لا بد له من مقتضيات ، فأنت تضع الماء في إناء وتضعه على النار فهذه كلها مقتضى ، ولكن يجب أن لا يأتي مانع ايضاً حتى يتحقق المطلوب ، وذلك بأن لا تأتي ريح أو يسقط مطر ويطفىء النار ، أو انك من جهة أخرى تضع قوالب الثلج في الماء باستمرار .

فيتضح ان السبب في عدم وصول علوم الإنسان إلى الفعلية أي إلى مرحلة التحقق هو وجود المانع في البين وهو الذي يمنعه من أن يكون عارفاً بالله ويمنع نور عقله من التحقق ويمنع أنواره الكامنة في ذاته من الشروق .

وهناك رواية شريفة حول هذا الموضوع وردت في اصول الكافي في كتاب العقل والجهل ، وهي رواية نورانية ومفصلة عن الإمام موسى بن جعفر (ع) إلى هشام ومن الجدير بأهل العلم التأمل والدقة في هذه الرواية ، والإمام (ع) يذكر في آخر هذه الرواية سبعين جندياً للعقل وسبعين جندياً للجهل والذي يهمنا هنا والشاهد على كلامنا حول وجود المانع وعدمه عبارات مذكورة في تلك الرواية وهي كما يلي :

متى يبلغ البنيان يوماً . .

فالمانع من تحقق وظهور العلوم التي في ذات الانسان ثلاثة أشياء ذكرت في هذا الحديث :

« يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله ، من أظلم نور تفكره بطول أمله ، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه ، واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه » .

فيقـول الإمام (ع) أن هـذه ثلاثـة موانـع تمنع من تحقق مـا أودعه الله في العقل وتمنع من الـوصول إلى العلم ، فحتى لـو درس وتعلم سنناً متمـادية وحصل على الأدلة والبراهـين لكن المانـع لا يسمح لما هو مـوجود في ذاتـه ولما هو كامن في باطنه من الرشد والنمو .

والمانع الأول مهم جـداً بحيث أن من كـان فيـه فقـد أعـان عـلى هـدم عقله بنفسه وهدم هذا الأساس القوي بيده وتكون نتيجته أن يصبـح مساويـاً للحيوان في عدم الادراك .

طول الأمل يعمي ويصم :

فالمانع الأول من الموانع الثلاثة هو طول الأمـل وتمنيات النفس ، هـذه التمنيات التي ترجع إلى الجهات الحيـوانية وأمـور معيشته اليـومية ، فهمـه هو الأكـل والشرب والنكـاح والمسكن واللباس . . همـه هو الأمـور المادية وجمـع الأمـوال وطموحـاتـه هي الـوصـول إلى الـرئـاسـة والتفـوق عـلى الآخـرين ، والحصول على الشهرة ولو بـأن يصير مـديراً لمـدرسة أو نـاحية أو أي شيء من هـذا القبيل بحيث أن كـل واحدة منهـا بحاجـة إلى التخطيط والانـتظار مـدة طويلة .

هذه التمنيات المـادية من جميـع أنواع رغبـات النفس يقال لهـا « أمل » والتي تكون باجمعها اموراً وهمية .

فلو أن احـداً استعمل عقله في مجـال ادراك الكليات كـما هو المفـروض واستخـدمه في الأمـور الألهية التي هـي نــور ومنور فـإن عقله سيكون منيـراً ايضاً . أما ذلك الإنسان الذي ترك هذا النور فهـو ساقط في الـظلمات حيث

ان المادة ظلام ، والدنيا والحياة في الدنيا ظلمات فالذي سقط في الماديات فسوف ينتهي حد وجوده أيضاً وسوف تتلف تلك القابليات التي اعطاها الله له والخلاصة ان الآمال والتمنيات، المادية تعمي وتصم عن ادراك الحقائق .

(٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الدنيا مظلمة بالتمنيات :

كـان البحث في الجلسة السـابقة في كلمـات من حديث شـريف مروي عن الإمـام موسى بن جعفـر (ع) في أصـول الكـافي في كتـاب العقـل حيث قال الإمام (ع) لهشام « يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنمـا أعان عـلى هـدم عقله ـ من أظلم نـور تفكّره بـطول أمله » فـإنـه سـوف يفقـد عقله ولا يرى السعادة ، وقلنـا بأن التفكـر في التوحيـد الصفاتي والأفعـالـي ، والتفكر في العالم العلوي والتفكر في الأمور الباقية هو النـور ، وفي مقابـل ذلك هنـاك التفكـر في الأمور الفـانية فهـو ظلمـة ، فـالتفكـر في الأمـور المـاديـة والآمـال

والتمنيات في جهات الأكل والشرب والنكاح والمسكن وللوصول إلى الثروة والجاه والمقام وما يتبع ذلك من الصراعات والحروب من أجل تلك الأمور المادية الدنيوية هي ظلمات كلها .

فالذي استعمل فكره في النور فإنه سيتنور بذلك وهو التفكر في الأمور الباقية وما يرتبط بالله والآخرة . كما أن التفكر في الأمور المادية والخوف والرجاء على الأشياء الدنيوية يوجب له الظلمات .

فلو أن هذا التفكير وهذه التمنيات المادية استغرقت مدة طويلة من الزمان وكان التخطيط من أجلها لما بعد عدة سنوات ، بحيث يفكر من الآن فيما ينبغي الحصول عليه بعد عدة سنوات فهذا « طول الأمل » الذي يؤدي إلى فقد الإنسان لعقله .

شعار الغاية تبرر الوسيلة :

وقد ورد في الرواية المذكورة في تحف العقول عن الإمام أمير المؤمنين (ع) في خطبة الديباج قوله :

« واعلموا عباد الله أن الأمل يذهب العقل » فيزول التفكر بعواقب الأمور . وبعدذلك يقول (ع) : « ويحث على الغفلة ويورث الحسرة » ويقول في جملة أخرى :

« من اطال امله اساء عمله » .

فالذي يريد الوصول إلى رغباته النفسية فإنه لا مانع لديه من السير في أي طريق كان اذ الغرض هو الوصول إلى ذلك الهدف الشيطاني المشؤوم ، وكما سمعتم أن شعار مجموعة المنافقين هو أن « الهدف يبرر الوسيلة » فيجب الوصول إلى الحكم وتحقيق ما تريده الدول الكبرى سواء

أكان ذلك بـاغتيال الشخصيـات او بوضـع القنابـل وقتـل الأبـريـاء أو حـرق أموال وممتلكات المستضعفين .

أخوف الأشياء والآمال الواهية :

وهناك تعبير جيد ورد في نهج البلاغة وهو :

« إن أخـوف ما أخـاف عليكم اثنان اتبـاع الهوى وطـول الأمـل ، أمـا اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة » .

فالذي يعمـل بما تمليـه عليه نفسـه وشهواتـه لا يصل إلى الحق وسـوف يبقى في الباطل ، والآخر هو طول الأمل البـاعث على نسيـان الآخرة ، وكـما في المثـل المشهور بـأن الإنســان لا يمكنـه أن يضـرب هـدفـين بسهم واحـد أو يـرفع إنـاءين بيد واحـدة ، فإمـا أن يكون فكـره في الأمـور الـدنيـويـة أو في أوضاع الآخرة ، فـالإنسان الـذي يسير دائـماً خلف شهواتـه الحيوانيـة وآمالـه وتمنياته النفسيـة فإنـه لا يفكر بعـد ذلك بـالقبر والبـرزخ وسيبقى جاهـلاً عن مـواقف يـوم القيـامـة والحسـاب الآخـروي ، ولا يفكـر بعـد ذلـــك هـل أن اعتقـادي وتوحيـدي صحيح أم لا ؟ فكـل تفكيره منحصر في كيفيـة الحصول على الشهرة أو المنصب الفلاني .

الحشر مع الصالحين بسبب الاتباع :

وهنـاك رواية واردة في تفسـير منهـج الصـادقـين ان رسـول الله (ص) بعـد أن فرغ من الصـلاة يومـاً توجـه إلى المنبر فـوقـع بصـره عـلى شـاب من اصحابه جالساً وقد اصفر لـونه ونحـل جسمه فسـأله رسـول الله (ص) عن حـالـه فقـال : يـا رسـول الله ان امـراً أهمني واقلقني حيث أني لا أدري هـل سوف أجد الطريق يوم القيامة إلى المكان الذي انت فيه ـ أم لا ؟

فهذا الشاب كان محباً لرسول الله (ص) وفراقه صعب عليه حيث يسأل رسول الله (ص) هل أني معك في المقام المحمود يوم القيامة أم لا ؟ فهذا هو الذي اقلقني وسلب راحتي حيث اني غير لائق لذلك المقام فكيف أستطيع فراقك .

فلم يجبه رسول الله (ص) وإنما انتظر الوحي فنزلت هذه الآية الشريفة :

﴿ ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ﴾[1] .

والخلاصة فإن معية الأنبياء ومحبتهم تكون بواسطة عمل الخير واتباع الرسول الأكرم (ص) ، وبذلك اطمأن قلب هذا الشاب .

فببركة العمل الصالح والاطاعة يمكنه أن يكون مع رسول الله (ص) . فمقصودي ان الإنسان الغارق في آماله الدنيوية أين هو من هذه الطموحات ؟ وأين هو من التفكير في العبور على الصراط ؟ ذلك الصراط الذي ورد في الروايات بأن الناس عند مرورهم عليه يتساقطون كما يتساقط الفراش وحشرات الليل على السراج ، فهل يمكنني أن أمر على الصراط ، أم ان الآمال والتمنيات قد جعلت الآخرة في زاوية النسيان ؟

لقد كان هدف عمر بن سعد هو الحصول على حكم الري بواسطة قتل أبي عبد الله الحسين (ع) والغاية عنده تبرر هذه الوسيلة فلو كان هناك جنة أو نار فإني سوف أتوب بعد ذلك وأما الآن فلا بد أن أحصل على ملك الري ، فهو مثل المنافقين حيث برر الوسيلة بالهدف ، فالآخرة

---

(١) سورة ٤ الآية ٦٩ .

بالنسبة إليه ليست سوى كلام والفاظ لان تلك الآمال والتمنيات التي كانت لديه قد جعلت من الفكر النوراني مظلماً واعمت قلبه .

أسامة يشتري جارية لشهرين :

ورد في المجلد السابع من البحار أنهم أخبروا رسول الله (ص) بأن أسامة قد اشترى امة بمائة دينار لمدة شهرين حيث لم يكن لديه المال اللازم نقداً فلذلك اشتراها نسيئة . فلما أخبروا رسول الله (ص) بذلك قال : « ان اسامة لطويل الأمل » يعني أنه يريد أن يبقى لمدة شهرين ويخطط لمدة شهرين فالمؤمن لا ينبغي ان يرى الغد جزءاً من عمره ، فهل أنت حي إلى مدة شهرين حتى يمكنك اداء ذلك الدين ؟

ونختم البحث هنا . والخلاصة ان اكثر الشقاء والحرمان بسبب طول الآمال والتمنيات ؟

الشيخ الذي يحرث الأرض :

عندما يسمع البعض هذه المطالب فسوف يقول اذا كان كذلك فعلى الانسان أن يجلس في زاوية ولا يرتبط بأي أحد وبأي شيء وبذلك سيزول النظم والنظام في العالم ، والشاهد على ذلك رواية وردت في سفينة البحار في المجلد الأول في باب الأمل حيث ورد بأن المسيح (ع) مر على شيخ كبير السن وبيده المسحاة يحرث الأرض ، فرق المسيح (ع) لحالة حيث كان عليه أن يستريح بعد كل هذه السنوات من التعب ، وعلى أولاده وأقربائه أن يقوموا بأمور معاشه ، فرفع يده ودعا الله عز وجل أن يأخذ منه الأمل ، فما كان من ذلك الشيخ الكبير إلا أن ترك المسحاة فوراً وجلس جانباً ، فأخذ الماء يجري في المزرعة من دون نظم ، فلما رأى المسيح (ع) ان الزرع سوف يفسد إذا استمر الحال بهذه الصورة دعا ربه مرة أخرى

وقال : إلـهي ان ارادتك ومشيئتك أقرب للصلاح فاقض ما تراه صلاحاً .

فقـام هذا الشيـخ فوراً وأمسـك بمسحاتـه وأخـذ يصلح زرعـه ويـرتب اعماله والخلاصة أنه رجع إلى ما كان عليه .
فتقـدم منه المسيـح (ع) وسألـه بـأني رأيت منـك عملين مختلفـين فقـد كنت مشغـولاً بعملك ثم تركت المسحـاة وجلست جانبـاً طلباً للراحـة وبعـد ذلـك قمت إلى عملك ؟!

فقـال : كنت قد فكـرت بـالموت فليس من المعلوم في أي وقت أمـوت فيه ، اليوم أو غداً ، فلماذا هذا التعب ؟ لذلك تركت العمـل . وبعد ذلـك فكـرت بـأن الحيـاة لا بـد لهـا من معـاش ولعـلي لا أمـوت في وقت قـريب فرجعت .

والآن لنرجع إلى أصل الأشكال وهـو أنه لـولا طول الأمـل لانهار نظام العالم . فما العمل ؟

المرفوض هو طلب الدنيا مع الغفلة :

يمكن أن نحـل هذه المغـالـطة بـذكـر آيـة شـريفـة من القـرآن الكـريم فـالنقطة المهمـة لا تكمن في نفس العمل وإنما في الغفلة حيث يقـول القـرآن الكريم :

﴿ ولا تقـولن لشيء (تـريـد أن تفعله) إني فـاعـل ذلـك غـداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ﴾ .

فلو أن الإنسـان قال إني سـوف اشتري هـذا الشيء وسوف أدفـع ثمنه بعـد شهـرين فهـذا هـو طـول الأمـل والمهلك لـلإنسـان ، ولكن نفس هـذه الأفعال لو كانت مع ذكر الله فلا مـانع من ذلـك فالكـاسب يجب أن يقول أن وظيفتي الإلهيـة أن أذهب للكسب ، والطبيب يـذهب إلى عيادتـه ، والتلميـذ

إلى مدرسته بهذه الصورة ، حيث أنه عندما يرى الله حاضراً وناظراً فإنه لا يضطرب إذا لم يحصل على ما يريد ولا يتألم ولا يدفعه ذلك إلى فساد عقيدته .

والشيء المهلك هو الغفلة عن الآخرة بحيث لا يذكر الموت أبداً ويتصور أن حياته الدنيوية باقية ويلهث خلف الحياة الدنيا فهذا هو الذي يهلكه لانفس العمل والكسب وتشكيل العائلة وطلب المعاش بل الغفلة عن ذكر الله والآخرة التي يكون العمل معها ظلاماً وإلا فلا مانع .

فمثلاً بالنسبة إلى مثال شراء الأمة فلو أنه اشتراها وكان أمله أن يدفع ثمنها بعد شهرين مع الغفلة عن الله فهو مصداق طول الأمل ، ولكنه لو قال إن شاء واذا ابقاني الله حياً ووفقني لدفع ثمنه بعد شهرين فلا مانع من ذلك مع هذا القيد « ان شاء الله » .

الشاب العاطل مورد غضب الله :

لا شك في أن الإنسان يجب عليه السعي للتكسب والعمل خصوصاً الشباب حيث وردت الرواية « بان الله يبغض الشاب الفارغ » فالشاب الفارغ هدف الشيطان حيث يؤدي به الى الفساد فيجب عليه أن يتابع عمله في أي شيء كان سواء في تحصيله الدراسي أو كسبه أو عمله ولكن مع ذكر الله وذكر فناء الدنيا بالموت القريب ، وأن يؤدي عمله بقصد اداء المسؤولية حيث أن الله يبغض الانسان العاطل عن العمل .

ويقول أحد الرواة بأني رأيت الإمام الباقر (ع) وبيده المسحاة يعمل في بستان له وينصب العرق من جبينه فمر به أحد الأشخاص ويظهر أنه كان من المتصوفة فقال له : يا بن رسول الله انت تتعب نفسك في هذا العمل وأنت بهذا العمر والسن الكبير ، ثم تجرأ على الإمام وقال : الا

تخاف أن يكون هذا آخر عمرك ؟ فأجابه الإمام (ع) :

ـ لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا على طاعة من طاعة الله عز وجل اكف بها على نفسي وعيالي عنك وعن الناس ، وإنما كنت اخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله .

فقال : صدقت يرحمك الله اردت أن اعظك فوعظتني[1] .

وعلى كل حال فالميزان هو اداء المسؤولية وليس في خصوصية العمل أو نوعيته ، فخلاصة المطلب مع كل هذا التكرار هو أنه يجب على الانسان طلب المعاش وان لا يقصر في أمور عائلته ودنياه ولكن مع ذكر الله والالتفات الى الموت دائماً ، فلو أنه ذكر الله فسوف لا يستولي عليه الحرص ولا يرى حياته رهينة هذا المنصب أو هذا المحل ولا يتاجر بالغلاء او الاحتيال على المشتري فهذه كلها نابعة من الغفلة ونتيجة لطول الآمال والتمنيات .

من قال بأننا أحياء في الغد ؟

ورد في الجزء التاسع من بحار الأنوار أن أمير المؤمنين علي (ع) كان يوزع الأموال فصار وقت الغروب فقيل له : يا أمير المؤمنين لو تركت ما بقي إلى الغد فقال : وهل تضمنوا لي البقاء إلى الغد ؟

فقصدي هو أن يرى الانسان موته قريباً حيث أنه ليس له سبب وموعد خاص ، فلا ينبغي لاحد أن يقول بأني سالم وصحيح وشاب ، فلكل واحد أجل معين والموت يهدده في أية لحظة ، وكما يقول الإمام أمير المؤمنين ان الموت بالنسبة للإنسان كظله .

---

(١) حلية الابرار ج ٢ .

فلو أنه كان ذاكراً لله ومتوقعاً للموت في أية لحظة فسوف لا تؤثر فيه تلك المفاسد الموجودة في طول الأمل ، إذن فطول الأمل ناشيء من الغفلة وليس من العمل الصالح فليس المقصود أن يعتزل الناس ويجلس في زاوية معينة ويشتغل بذكر الله بل يسعى وراء الكسب والعمل بقصد أداء المسؤولية والواجب الذي أمره الله به فهذا هو العمل الصالح .

(٣٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان بين طريقين :

كان كلامنا في الحديث الشريف عن الإمام موسى بن جعفر (ع) في الأمور التي توجب انهدام العقل ، ذلك العقل الذي اودعه الله تعالى في البشر لاكتساب المعارف اللازمة له وتحصيل العلوم التي تختص بالانسان من ادراك الكليات والعلم بالمبدأ والمعاد والاسماء الحسنى ومعرفة نفسه ، فرحم الله امرءاً عرف من أين أتى والى أين سيذهب ولأجل أي شيء جاء وسيذهب ، أن يفهم سعادته ويتعقل ويتفكر ويتحقق بحقيقة الانسانية حيث أن إنسانية الإنسان تتخلص بهذه الأمور .

اي برادر تو همين انديشه اي

ما بقي خود استخوان وريشه اي

يعني أخي انك هو هذا التفكر وما بقي فإنه عظام وجلد .

فالفرق بين الإنسان والحيوان هو العقل وإلا فبأي شيء يتميز الانسان ؟ وكلما ازداد التعقل ازداد صعوده في عالم الإنسانية .

والمهم ان تفهم الموانع للتعقل التي ذكرها الإمام (ع) ، فقد بين ثلاثة أمور :

« الذي اظلم نور تفكره بطول أمله » . . والتمنيات الواهية في الأمور الفانية ، فالذي يكون تفكيره منحصراً بهذه الأمور فسوف تكون نهايته كذلك يعني الفناء والزوال » .

وقد ورد شرح لطيف جداً لهذه الرواية للمرحوم ملا صالح المازندراني حيث يقول : ان كل شيء من ملذات الدنيا وشهواتها عندما يفكر بها الإنسان فإنه يقع مزاحماً للتفكر في أمر الآخرة ويؤدي الى نسيان المعاد ، فمن كان همه هو أن يكون له قصر وأموال في هذه الدنيا فكيف يمكنه التفكير بحوض الكوثر والوصول إلى علي (ع) ؟ فإنه ينسى الأمور الباقية ، وهذا هو معنى الخذلان الإلهي الذي يعني أن الله قد أوكله الى نفسه .

ودليله واضح ، فالذي يدور تفكيره دائماً حول الأمور الفانية الدنيوية فإن اللازم لذلك هو الغفلة عن الأمور الباقية الأخروية ونسيانها وسوف يزول ما كان في ذاته بالقوة ، ويمكن أن يصل به الأمر إلى حد بأن يموت بدون أيمان .

وقد ورد تشبيه الدنيا والآخرة في الروايات بأنها ضرتان ، فإن الزوجتان لرجل واحد لا يتلاءمان حسب العادة فكل واحدة تريد الزواج

لنفسها ، وعبر عن الدنيا والآخرة في الروايات الاخرى بإنهما كالمشرق والمغرب يعني أنهما متقابلان والفاصلة بينهما كبيرة ، فلو كان تفكيره منحصراً في أمور الدنيا فإن ذلك سيقعده عن الآخرة .

وورد في رواية اخرى ان الدنيا والآخرة مثل الماء والنار ، فكيف يمكنك أن تحصل على الآخرة وأنت تطلب جميع اللذات في هذه الدنيا بأي طريق كان ؟ وكما يقول الشاعر :

دنيا طلبيديم براحت نرسيديم
يا رب چه شود آخرت ناطلبيده

أي أننا طلبنا الدنيا وسعينا لها سعيها ولم نحصل على الراحة فيها فكيف بنا يوم القيامة والتي لم نطلبها ولم تكن يوماً مورد طموحنا واهتمامنا .

ماذا اعددت لآخرتك ؟

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... الا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها لخير طاب مسكنها ... وان بناها لشر خاب حاويها

فليس لك بعد الموت إلا البيت الذي بنيته أنت ، فلو كان ما بنيته وعمرته صالحاً وخيراً فهنيئاً لك ، فالذي يضع لقبره روحاً وريحاناً فهو الذي سوف ينتفع به ، وبعكس ذلك نجد أن البعض يرسل الى قبره ناراً فوق نار من ثيابه وطعامه ومسكنه وجميع أموره التي صيرها ناراً . واخيراً فإن طول الأمل يقعد الانسان عن التفكر في أمر الآخرة وهذا هوالخطر المهم والأول ، وأما الخطر الثاني .

ما هي الحكمة وما هو تأثيرها ؟

« ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه » .

الحكمة تعني إدراك حقائق وواقعيات الأمور التي هي وراء الأمور الحسية ، فالإدراكات التي يحصل عليها الانسان من عينه وأذنه وسائر حواسه يشترك فيها مع سائر الحيوانات ، وهناك أيضاً أدراكات أخرى مختصة به وهي الحكمة ومعرفة الحقيقة ، فمثلاً أن الإنسان لا يمكنه ان يحصل في الدنيا على السعادة المحضة فهذا مطلب دقيق فالمال والمقام لا يؤدي إلى الحياة الطيبة التي يريدها الانسان ، فإذا اراد الانسان الحياة السعيدة والعيش في راحة وسرور فهذا مما لا يمكن الحصول عليه هنا ، لكن أكثر الناس لا يمكنهم ادراك هذا المعنى لذلك نرى الحرص الشديد عندهم ونجد تلك الصراعات والنزاعات من أجل الوصول الى مقام أعلى أو أموال أكثر .

أما الشخص الحكيم فإنه يفهم بأن الهدف من المال هو رفع الاحتياج وقضاء الحاجة وما زاد على ذلك فإنه يورث الحسرة والمشاكل ولا يقنع الإنسان بمقدار معين منه مهما كان يملك الملايين فإنه يطلب بعد ذلك المليارد ثم ملياردا آخر وهكذا ، وأيضاً فإن نفس اصحاب الثروات غالباً ما يعيشون في المشاكل والمصائب .

وكذلك المنصب فإنه لا يأتي بالسعادة والراحة فمن اليوم الذي يصل فيه إلى الرئاسة نجده غارقاً في الهموم والمشاكل ، فالحسد لا يتركه يعيش مرتاح البال ، وعلى كل حال فطلب الرئاسة بلاء ايضاً إلا أن يقبل ذلك من أجل الله وخدمة الناس حيث يكون له الأجر والثواب على تحمل هذه المسؤوليات ومواجهة هذه المشاكل .

والخلاصة فإن المال والمقام منبع للمتاعب وهذه المسألة الدقيقة يدركها الحكيم ، فبالعقل ينبغي ادراك فناء الدنيا وبقاء الآخرة وإدراك المعارف الإلهية من التوحيد الأفعالي الذي هو معنى كلمة « لا حول ولا قوة إلا بالله » فهذه كلها من الحكمة .

الثرثرة تبعد الانسان عن الحكمة :

والطرائف ايضاً جمع طريفة وتقال لكل شيء جديد ومدهش بحيث لا يتوفر عند الجميع ، ولنرجع إلى أصل الرواية « ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه » فالثرثار يكون محروماً من الحكمة ، فالشخص الذي لا يمسك لسانه ويتكلم بما لا يعنيه ولا ينفعه ويهدر نصف ساعة من وقته في اللغو وفضول الكلام سوف تمحا حكمته ، وفضول الكلام هو ذلك الكلام الزائد الذي لا نفع من ورائه وهو الذي يعبر عنه القرآن المجيد :

﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ﴾[1] فيطفىء نيران الفتنة ويصلح بين الناس بكلامه .

إيجاد واشعال نار الفتنة ليس بالعمل البطولي ، فلو كنت رجلاً واقعاً فعليك باطفاء الفتنة ، والخلاصة فإن الزائد في الكلام هو إتلاف للعمر ومحو للحكمة الكامنة في رأسه ، وقلنا بأن الحكمة كامنة في باطن الانسان وعلى الانسان ان يقوم بإظهارها ، وفضول الكلام لا يسمح للحكمة بالظهور والكلام الكثير يمنع من خروج الحكمة من القوة إلى الفعل .

وقلب الإنسان هو العين التي يجب أن تفيض بالحكمة كما ورد في الحديث عن رسول الله (ص) بأن « من أخلص لله اربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه إلى لسانه » .

---

(١) سورة ٤٠ الآية ١١٤ .

الحديث لغير الله حجر على ينبوع القلب :

قلت الإنسان محل للحكمة ولكن مع الأسف فإنه يمحو هذه الحكمة وبعض الأوقات يسد ينابيع هذه الحكمة بالحجر والتراب ويجففها .

فكل كلمة يتلفظها الإنسان تخلف أثراً في قلبه ، والكلام الزائد بمثابة التراب والأشواك في عين هذا القلب ولا يتمكن ذلك الشخص من رؤية الحكمة ولا يمكنها الظهور بعد ذلك .

نجد هذا الشخص يصعد المنبر ويلقي المحاضرات لكن ليس غرضه هو استفادة الناس وانما يريد لفت انظارهم ولكي يقولوا له : "احسنت بارك الله فيك ، ويمتدحونه ، فهذا الشخص لا يصل إلى الحكمة مطلقاً ، وهناك جمل حلوة عليكم ان تتذكروها دائماً وهي :

« عزيزي ما دمت تفكر بماذا آكل كي يلتذ فمي أو ماذا اقول كي يلتذ الناس فإنك سوف لا تصل إلى المقصود » . فلو كان جميع همك من كلامك وفعلك هو جذب انظار الناس فإنك لن تصل إلى مقصودك وسيرجع ضرر ذلك عليه بالذات حيث يحسب عليه فضول كلامه ويؤدي إلى جفاف ينابيع الحكمة في قلبه .

وطبيعي يان تكون التهمة والغيبة والكذب اشد خطراً باضعاف عديدة ، فإنا لا نقصد بالفضول هذه الأمور او التكلم بغير علم او افشاء السر ، وانما المقصود بفضول الكلام هو الحديث الزائد وفي غير محله والذي لا نفع فيه لأنه لا يجتمع مع الحكمة فهو مثل القطرات التي تنزل على القلب وتمسح ما فيه من الأمور المعنوية ، فكل ما يرد على القلب مسح ضده ويحل محله ، فلو كان الوارد على القلب امراً باطلاً فإنه مسح الحق . فعندما تسقط قطرة ماء عكرة في قنينة ماء الورد فإنها ستقلل من جودته

بنفس النسبة ، وهكذا فإن كل كلمة باطلة تقتل من حكمة القلب ايضاً بنفس المقدار .

فساد القلب نتيجة فساد اللسان :

فحتى لو لم يفسد اللسان نهائياً فإنه مع ذلك يخلف أثره الوضعي في القلب كما في المثال ، حيث ان ماء الورد لا يكون خالصاً بعد ورود الماء العكر . فكذلك لا تبقى الحكمة في قلب الإنسان صافية بل تصبح نتيجة الاختلاط بالباطل شيئاً خليطاً ، فلا هي حق محض ولا باطل محض واغلب الاشتباهات والاخطاء التي يقع فيها الناس في أمور العقائد ناشئة من فساد القلب ، وفساد القلب يكون نتيجة لفساد اللسان وبذاءته .

الانسان الذي يلقي محاضرة ويستمع إليها عدة من الناس ويجد في نفسه سروراً لذلك فإنه في الواقع في خطر حيث ان هدفه ان يقول شيئاً يرضى به الناس ويسعى بأن لا يقول كلاماً يسخط به بعضهم ، فعندما يستمر على هذه الحالة يصل به الأمر ان يتكلم بالباطل ايضاً كي يجلب به أنظار الناس ويترك أي كلام حق ولا يقوله خوفاً من انزعاج بعض الناس ، والشاهد على ذلك ما رأيناه في كلمات المنافقين وكتاباتهم وكيف انهم كانوا يريدون تحقيق أهدافهم وأفكارهم الشيوعية بواسطة تحريف القرآن ونهج البلاغة على أساس أنه الإسلام الحقيقي ، وقد شكلوا من ذلك فكراً التقاطياً وخدعوا بذلك الكثير من الشباب والناشئة .

وفي الحقيقة فإن مستمعين لذلك المحاضر والمتكلم يكونون بمنزلة المعبود بالنسبة له حيث يعبدهم ويطلب رضاهم . فكيف يمكن أن تبقى الحكمة في قلب الانسان الثرثار الذي هدفه جلب انظار الناس ولفت انتباههم وكيف يمكنها الظهور ؟ فعندما يكون همه وهدفه الحصول على الرئاسة فكيف يمكنه ادراك وهميتها ؟

التابوت وعرش السلطان :

عندما كنت أعظ النـاس في المسجد الجـامع في زمـان الطاغـوت ذكرت عبارة سببت لي كثيراً من المشـاكل والأتعـاب والسجن لمدة طـويلة ، وهي أن العـرش الملكي إذا كـانت نهايتـه التـابـوت فـما الفـائـدة منـه حتى يستحق أن يسعى الشخص للوصـول إليه أو الحفـاظ عليـه بتلك الصـورة ؟ فقـد قـالـوا بـأنـك تجـرأت واهنت الكيـان الملكي ! في حـين انني لم اقـل سـوى الحقيقـة ونصحتهم بذلك ولكنهم قالوا بأنك تمنيت الموت للشاه .

وخلاصة بحث اليوم ان فضول الكـلام والكلام الـزائد والفـارغ الذي ليس لـه نتيجـة وفـائـدة يمحـو الحكمـة من القلب ، فلذلـك يجب علينـا أن نحفظ السنتنا من الأمور التي لا تعنينا والتي لا فائدة منها .

(٣٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

« واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه » .

كان الكلام في شرح الحديث الشريف للإمام موسى بن جعفر (ع) حيث قال بأن من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله » بحيث لا يستفيد منه بعد ذلك وأول تلك الاشياء « من اظلم نور تفكره بطول أمله » والثاني : الشخص الذي : « محا طرائف حكمته بفضول كلامه » بالشرح المتقدم . والثالث هو الذي « اطفأ نور عبرته بشهوات نفسه » .

وهنا يجب أن يفهم معنى الشهوات ومن ثم معنى العبرة والأمر الأخر هو أنَّ الشهوات كيف تكون مانعة من أخذ العبرة والاعتبار ؟

هل ان الشهوات مرفوضة :

كلمة الشهوات تطلق على الرغبات النفسية ومجموع اللذات الحيوانية في النفس كالاكل والشرب والملبس وكذلك المسكن والمركب والمنكح ، والقدرة والتمكن والمنصب الدنيوي وهو المطابق للميول والرغبات النفسية .

ولا شك بأن هذه الأمور من لوازم حياة الانسان بحيث انه لا يمكنه الحياة بدونها .

والشيء الآخر هو أنها من الأمور التي خلقها الله وأودعها في ذات الإنسان فكيف يمكن أن تقع مورداً للذم أو النهي ؟ وعلى كل حال فإن هذه الأمور فطرية وطبيعية وتكوينية وليست في اختيار البشر أيضاً لانها ميول نفسية وذاتية فعلى هذا كيف يمكن أن تقع مورداً للتكليف والنهي ؟

أما الجواب على ذلك .

عدم الالتزام هو المذموم والمنهي عنه :

نفس هذه الأمور ليست مورداً للذم أو النهي أبداً ، بل انها حسنة بشروط ، بل قد تقع مورداً للأمر الإلهي ، والشيء المذموم والمرفوض والذي ورد النهي عنه في الشريعة هو عدم الالتزام فيها يعني عدم رعاية الحلال والحرام في هذه الأمور ، فلو أن هذه الأمور اصبحت مورداً لتعلق الإنسان بها بحيث يتصور أنها هي الهدف من الخلقة وبذلك يبتعد عن محبة الله والآخرة ويبقى غافلاً عن الكمالات الانسانية فهذا هو المرفوض ، فعندما تكون رغبته منحصرة في الوصول الى الماديات ويتصور أنها هي الحقيقة وذات الأهمية والنقدية فإن الاخرة ستكون في مقابل ذلك هي النسيئة والقليلة الأهمية او لا سمح الله تكون مشكوكة في نظره

ووهمية ، وهكذا تنحصر سعادته في الوصول إلى هذه الشهوات وحزنه في الحرمان منها ، فهذا هو المذموم .

إذاً فالنهي والذم واللوم يتعلق بكيفية ارتباط الإنسان بهذه الأمور وعلاقته معها .

الماديات وسيلة للمعنويات :

ولكن عندما يدرك الإنسان بنور العقل بأنه مخلوق لعالم آخر وأن الموت لا يعني فناءه وعدمه ، وإنه في هذه الدنيا مسافر ووطنه ومحط رحاله هو عالم ما بعد الموت فعند ذلك لا يجعل هذه الأمور هدفاً لحياته حتى تعلق قلبه بها ويعشقها ، بل يرى انها وسيلة وسبب للوصول إلى الحياة الباقية .

لذلك عليه أن يقيد نفسه بهذه الأمور من أجل السير في الطريق التكاملي للإنسانية . يعني ان يراعي التقوى بأي حال ويلتزم بإرشادات الشريعة المقدسة في مواجهة هذه الشهوات ويحذر جداً من الاسراف والتبذير ، فهو في الوقت الذي يسعى فيه لتدبير أمور معاشه ولا يقصر فيها فإن طموحه وهدفه هو تأمين الحياة الباقية والوصول إلى الكمال الانساني حتى يصل به الأمر أن تكون سعادته وسروره في فعل الخيرات والاعمال الصالحة وحزنه عند ارتكاب ذنب أو مكروه .

حالة المؤمن في اليسر والعسر :

إن تأثر النفس بالمحيط أمر جبري ، بمعنى أن كل شخص يرتاح عندما يصل إلى ما يريده ويرغب فيه ويحزن عند مواجهته لما لا يتلاءم معه ويخالف رغبته وهذا الأمر طبيعي ولا يختص بالمؤمن أو الكافر ، إلا ان ما

يميز المؤمن في هذه المسألة هو أنه لا يتألم أويهزم في الشدائد لأن قلبه غير متعلق بتلك الأمور حتى يحزن على فراقها ، ولا يكون عند السرور والفرح بحيث يغفل عن المنعم بل يكون صابراً وثابتاً ومستقيماً في حالة العسر والشدة بقوة الإيمان بالله والأعتقاد بفناء الدنيا وهكذا يكون حاله عند الوصول إلى الأمور الدنيوية والملذات المؤقتة فإن قلبه لا يهدأ ولا يطمئن بها لأن هدفه ومنتهى طموحه هو الوصول إلى اللذات الباقية في الجنة فكيف يقنع بهذه الأمور الفانية ؟

أجل . . فالجاهلون بالعالم الأعلى تقنع نفوسهم وتهدأ عند الوصول إلى الشهوات لأنهم لا رغبة لهم في غير ذلك[1] .

أما الشخص الذي يخاف ويرتجف من العذاب الاخروي فكيف يمكن لصعوبات الدنيا أز تهزمه أو تقعده او تذله ؟ فمثله مثل الملدوغ بالحية عندما تلسعه بعوضة فهو لا يلتفت إليها أحياناً وحتى لو التفت أيضاً فإنه لا يعتني بها ولا يهتم لها .

بذكر الحبيب تهون الصعوبات :

وخلاصة المطلب ان الصعوبات والشدائد الدنيوية تؤثر على نفسه ولا تؤثر على قلبه ، لأن قلبه متعلق بالله وحبه وخشوعه لا يكون لغير الله ، وفي مقابل ذلك فإن الدنيا لا قيمة لها في نظره فإنها فانية وسريعة الزوال فلهذا لا يتأثر قلبه عند اقبالها وادبارها ويسرها وعسرها ، فمع ان نفسه تتأثر بذلك إلا أنه يتحمل تلك الصعوبات بكل سهولة بذكره لله وشوق لقائه وجواره والحصول على ثوابه العظيم عند الشدة والبلاء . كما قال الإمام الحسين (ع) عندما اصاب السهم المثلث طفله الرضيع فذبحه وهو على

---

(١) رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها . سورة يونس الآية ٧ .

يديه :

ـ « هون علي ما نزل بي انه بعين الله » .

وقد روى ان كل مصيبة كانت تنزل على الإمام الحسين يوم العاشر كان وجهه الشريف يشرق ويتلالأ اكثر .

العبرة تعني الاتعاظ بالنتيجة :

والمطلب الآخر هو معرفة معنى العبرة ، فالعبرة تعني الاتعاظ واكتساب الحكمة بهذه الصورة بأن يسمع ويرى ما يجري على الناس أو على أي شيء آخر ويطبق ذلك على نفسه ، مثلاً عند رؤيته أو سماعه لظالم قد لقي جزاء اعماله في هذه الدنيا قبل عذاب الآخرة فإنه سوف يأخذ العبرة من ذلك بحيث يتجنب أن يظلم أحداً بعد ذلك .

او انه برؤيته او سماعه لانسان حريص قد لاقى ما لاقى من الصعاب والاتعاب حتى استطاع ان يجمع شيئاً من مال الدنيا ولكنه لم ينتفع بها وتركها ومضى ، او ان شخصاً مات قبل أن يصل إلى المقام الذي كان يطمح إليه ويسعى بكل صورة للوصول إليه ، اذن يجب عليه ترك الحرص .

او انه رأى او سمع بحسود احترق بنيران حسده ولم يتمكن ان يلحق الضرر بذلك الشخص المحسود الى أن مات فالمفروض أن يترك الحسد .

وكذلك بالنسبة إلى حالات أهل الدنيا وعدم استقرارهم وقلقهم وتفاهة معيشتهم فعليه أن يأخذ العبرة من ذلك ولا يغفل عن تذكر الموت وفناء الدنيا . ولا يتعلق ولا يطمئن بأية حالة من حالات الصحة والعافية والثروة والمقام والقدرة في هذه الدنيا لانها لا دوام لها .

وكذلك لا يحزن او يتأثر عند أي عسر أو مرض أو مشكلة من فقر ومحرومية وغير ذلك لأنها ايضاً لا دوام لها فأما أن تزول او تتبدل أو ينتهي منها بالموت آخر الامر ويتخلص منها .

وبهذا يتضح معنى الشهوة والعبرة ويتضح معنى الحديث الشريف « واطفأ نور عبرته بشهوات نفسه » .

حب الشيء يعمي ويصم :

فالشخص الذي تعلق قلبه وارادته بشهواته النفسية فسوف لا يرى أبداً فناءها وزوالها وعدم استقرارها وسائر عيوبها الملازمة لها ، ومن الأمور المشهورة والصحيحة هي ان « حب الشيء يعمي ويصم » فمن احب شيئاً وسعى في طلبه فإنه لا يرى عيوبه وحتى لو ذكرت له اضراره ومساويه فإنه لا يسمع ، ولا يأخذ العبرة بما جرى على من سبقه ، ومن هنا يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) :

« ما اكثر الهبر وأقل الاعتبار »[1] .

والسر في ذلك هو ان العبرة من الشؤون الإنسانية ، أما الحيوان فإنه ليس أهلا للعبرة والاعتبار فواضح أنه لا يوجد حيوان يأخذ العبرة من الحيوان الآخر ، فكذلك الإنسان الذي غرق في صفاته وجهاته الحيوانية فإنه يصير كالحيوان فلا يكون من أهل العبرة وما أجمل ما قيل :

گرك اجل يكا يك از اين گله ميبرد
اين گله را بنگر كه چه آسوده ميچرد

يعني أن ذئب الأجل يأخذ واحداً واحداً من هذا القطيع باستمرار

---

(١) نهج البلاغة .

لكن انظر الى القطيع كيف يأكل وهو هادىء البال .

البصيرة لرؤية الحقائق :

ومن هنا يقول في القرآن الكريم :

﴿ فاعتبروا يا اولي الأبصار ﴾[٢] .

فالبصر لأجل رؤية ظواهر الأشياء والأجسام اما البصيرة فلأجل رؤية وفهم بواطنها وإدراك حقائق وواقعيات الأمور .

وكما أن العين الظاهرية لا ترى شيئاً في الظلام ، فكذلك عين القلب والبصيرة عندما تغرق في الشهوات فإنها لا تدرك حقائق الأشياء وفناء الدنيا ولا ترى آثار ولوازم اعمال النفس ولا تأخذ العبرة أيضاً من أعمال وحالات الآخرين .

انهدام العقل يفسد الدين والدنيا :

« من هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه » وقد قال الإمام في كلماته السابقة بأن كل من كان عنده طول الأمل ولم يقيد لسانه من الكلام الزائد واتبع شهواته وأهواءه الحيوانية فإنه يهدم عقله ويضيع عقله ويضيع تفكيره ، وهنا يقول في هذه الجملة بأن من هدم عقله فإن ذلك سيؤدي إلى فساد دينه ودنياه لذلك سنشرح هذه العبارة بصورة مختصرة ونختم البحث .

التدين لا يجتمع مع الآمال الواهية :

أما فساد الدين فلأن حقيقة الدين هو التعلق القلبي والخضوع

---

(٢) سورة الحشر الآية ٢ .

والخشوع لله تبارك وتعالى والأولياء الصالحين والوصول إلى المقامات الاخروية وتحصيل اللذات والنعم الدائمية في تلك الحياة والنجاة من هذه المتاعب والصعوبات الدنيوية ، إذن فكيف يمكن للشخص الطويل الأمل والذي تكون علاقته وارادته الباطنية مستسلمة للأمور المادية والدنيوية فقط ان يصبح متديناً ؟

وكذلك فإن التدين معناه التقييد والالتزام باجتناب الذنوب في جميع الحالات والافعال والاقوال والذي يعني التقوى ، ومن الواضح أن الشخص غير الملتزم وغير المقيد لا يمكنه أن يصبر متقياً ابداً .

اضافة إلى ذلك فإنه قد فقد انسانيته باتباعه الشهوات وارتكابه المعاصي وفقد العبرة ايضاً فكيف يستطيع التفكير في تهيئة أمور السفر للآخرة وللوصول إلى الكمالات الإنسانية واداء الأعمال الصالحة وما ينفعه لحياته الباقية .

العجز يجعل الحياة تعيسة :

وأما الفساد الدنيوي : فمما لا شك فيه أن سعادة الدنيا هو بأن يحصل الإنسان فيها على هدوء البال وراحة الخاطر وألا يكون خائفاً ومضطرباً من شيء ولا يكون محتاجاً لأي شيء ، وبديهي أن صاحب الأمل الطويل يسعى دائماً للحصول على ما يريده من أهواء وشهوات لا نهاية لها ولكنه لا يصل ولا يحصل حتى على واحد من المئات منها ويظل دائماً في نيران الحرص وكذلك الحسد وحب التغلب على الخصم وسائر الهموم والغموم فسوف لا يذوق طعم الراحة وتستمر المشاكل والنواقص حتى تقضي عليه ويصطدم في طريق الوصول الى شهواته بآلاف الموانع والصعوبات والأشخاص المنافسين والمزاحمين ، اضافة إلى أنه يبتلى دائماً

بعوارض اتباع الشهوات المهلكة ايضاً .

حفظنا الله جميعاً من شرور انفسنا ، ووفقنا إلى معرفته وعبادته .

والحمد لله رب العالمين

٤ / جمادي الأولى
١٤٠٦

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
تقديم	٧
مناهج الدراسة العقائدية	٨
الحاجة الى المنهج التربوي	١٠
مقومات المنهج التربوي	١٢
طريقان لاصلاح الذات	١٣
الشهيد دستغيب قدوتنا في هذا الطريق	١٥
(١)	
بالتفكر تتكامل المعرفة الفطرية	١٧
أجسامنا جميعاً من التراب	١٨
السمع والبصر بحاجة الى ملايين الاجزاء	١٩
مع كل موجود بدون حلول واتحاد	٢٠
حجاب على عين القلب	٢٢
حب النفس من أشد الحجب ظلاماً	٢٣
الصوم والسهر علاج لحجب القلب	٢٤
(٢)	
الحركات الكمية والكيفية	٢٦
التوجه الى العين والوجه	٢٧

الموضوع	الصفحة

الحاجب والاهداب واجفان العين تدفع الى الحيرة ٢٨
تفكر في الفم والشفاه والاسنان ٢٩
مع عدم العلم سينهار لشبهة واحدة ٣٠

(٣)

الخلق من أجل العلم بقدرة الله وعلمه . . . ٣٢
ميزان الحق عند الشخص الأناني هو النفس ٣٣
الانانية عند الشباب أقل وهم أقرب الى الصلاح ٣٤
بالرياضة والمناجاة يمكننا تضعيف الحجاب ٣٥
يا من له مائة قلب اجعل قلبك واحداً ٣٦

(٤)

الانتقال من الجزئي الى الكلي ٣٨
ادراك المؤثر عن طريق الاثر ٣٩
القرآن يذكر دائماً بخلق الإنسان ٣٩
الذكر والانثى والمحبة ٤٠
الكواكب والغيوم مسخَّرة ٤١
ساعة تفكر في عظمة الخلق ٤٣
هل إن حركة الكواكب بدون هدف ٤٤
الانسان موجود غير مادي ٤٥
اختلاف الافراد والنظم ٤٥
ظهور القدرة في خطوط السبابة ٤٦

الموضوع	الصفحة

(٥)

التسبيح التكويني شاهد ٤٨
الارض حاضنة شجرة البطيخ ٤٩
أسنان ومعدة الحيوانات ٤٩
الاذن غير الملائكية ٥١
الانسان والعوالم الاخرى ٥٢
حلم الله والانسان ٥٣
ابراهيم (ع) والضيف الكافر ٥٣

(٦)

معرفة الله واجبة ٥٦
انظر الى خلقتك ٥٧
البعير اعجوبة ٥٨
الاجرام السماوية والأرض ٥٩
اليقين والشك ٥٩
النظر الاستقلالي ٦٠
وظيفة الانسان ٦٤

(٧)

الانتقال من الإسلام الى الايمان ٦٦
المعرفة بقدر الاستعداد ٦٨
معنى العلم هو الحجاب الأكبر ٦٩

الموضوع	الصفحة
من رؤية الدخان الى الاحتراق	٧٠
(٨)	
تحقق الاشياء بالوجود	٧٣
عاشق لكل ما في العالم	٧٤
ربي أرني انظر اليك	٧٥
عندما يتحطم جبل النفس	٧٦
(٩)	
الاطمئنان	٧٨
اليقين	٧٩
كونوا روحانيين	٨٠
الاخلاص	٨١
المعرفة	٨٢
(١٠)	
التوحيد	٨٣
التعدد	٨٤
يخالف لأنه لا يفهم	٨٦
القرب ليس مشرفاً	٨٧
الحلول والاتحاد	٨٨
العمل الالهي	٨٩

الموضوع	الصفحة
(١١)	
جميع الحوادث من ؟	٩٠
محال أن يكون لله	٩١
وحدة الخالق	٩٢
التوحيد والهدف	٩٣
ارتباط الشمس	٩٤
(١٢)	
لو كان مبدىء آخر ؟	٩٦
الشر المطلق	٩٧
لا أثر ولا علامة	٩٨
الثنوية	٩٨
(١٣)	
شرح الصدر	١٠٣
التزكية	١٠٥
علامة تحصيل العلم	١٠٥
الايثار	١٠٦
قصة آية الله السيد حسين الترك	١٠٧
الظالمون	١٠٨
مرجعية شيخ العلماء الانصاري	١١٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة

(١٤)

الوجود المطلق ١١٤
الله والموجودات ١١٥
معية الروح للبدن ١١٦
من احاطة النفس نفهم ؟ ١١٧
رمال الصحراء آية الحق ١١٨
تحول النفوس آية آلهية ١١٩
فسخ العزائم ١١٩

(١٥)

الاستدلال على التوحيد ١٢١
ماهية اللذة . ١٢٢
القيومية والرحمة ١٢٣
بركة النوافل ١٢٤

(١٦)

العلم والقدرة ١٢٦
الحوقلة مفتاح الجنة ١٢٨
الاعتماد على غير الله نفاق ١٢٩
صناعة الصانعين ١٣١
الخوف من الله تعالى ١٣٢

(١٧)

الكمالات التكوينية ومصادرها ١٢٤
من يستحق المدح ؟ ١٣٨

(١٨)

من يستحق الحمد ؟ ١٤٠
حقيقة التفويض شرك ١٤٤

(١٩)

افعال البشر ١٤٨
العجب ١٥١
الشر ١٥٢

(٢٠)

الله والصفات ١٥٤
التركيب يلزم التعدد ١٥٥
علامة اكتمال المعرفة ١٥٨
التقوى ١٥٩

(٢١)

الله مصدر العلم والقدرة ١٦٠
ابليس لعنه الله وعبادته ١٦٢
الغنى المالي يؤدي الى الطغيان ١٦٣

الموضوع	الصفحة
النبي دانيال (ع) والسبع	١٦٥
(٢٢)	
الغفلة	١٦٦
عبارات من الصحيفة السجادية وشرحها	١٦٨
الابتلاء بالمدح والذم	١٧٠
(٢٣)	
الله هو الكمال المطلق	١٧٣
تبريد النار للخليل (ع)	١٧٥
كيفية هلاك أصحاب الفيل	١٧٦
ينجو من الرصاص	١٧٦
الرمال الناعمة معجزة الهية	١٧٧
(٢٤)	
الذهاب الى القتال والموت	١٨٠
قبض الروح	١٨١
(٢٥)	
الملك واستخدامه	١٨٥
راعي البادية وايمانه	١٨٦
التوكل والوكيل	١٨٧
طلب اليقين	١٨٩
(٢٦)	
الاخلاص لله وماهيته	١٩١
الاعتقاد بالتوحيد	١٩٤
(٢٧)	
الاخــلاص	١٩٨
المرائي	٢٠٠
علامة الاخلاص	٢٠٢
برهان الرب يمنع يوسف	٢٠٣
(٢٨)	
دوام العبودية لله سبحانه	٢٠٥
مراتب التوبة	٢٠٦
علم العشق غير منقوش في الدفاتر	٢٠٩
بشر الماضي	٢١١
(٢٩)	
الملكية الالهية للبشر والوجود	٢١٣
بعض الادعية أوامر	٢١٥
نتائج العلامات الثلاثة للعبودية	٢١٧

الموضوع	الصفحة
الجن لمن	٢١٨
آية شديدة	٢١٩
(٣٠)	
وصية الإمام (ع) لعنوان البصري	٢٢٠
كثرة الاكل	٢٢١
جواب الخواجة نصير الدين الطوسي على رسالة جاهل	٢٢٤
سل لفهم ما تجهله	٢٢٥
(٣١)	
العقل	٢٢٧
العلوم في باطن الانسان	٢٣٠
طول الامل يعمي ويصم	٢٣٣
(٣٢)	
الانسان والدنيا	٢٣٥
شعار الغاية تبرر الوسيلة	٢٣٦
روايات طريفة	٢٣٧
الشاب العاطل	٢٤١
(٣٣)	
الانسان بين طريقين	٢٤٤
ماهي الحكمة ؟	٢٤٧
التابوت وعرش السلطان	٢٥١
(٣٤)	
معنى الشهوات	٢٥٢
معنى العبرة	٢٥٦
العجز يجعل الحياة تعيسة	٢٥٩

سلسلة أصول الدين

(٢)



شهيد المحراب

آية الله عبد الحسين دستغيب

الدار الإسلامية

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية الصوم في الصيف :

الحمد لله الذي أنعم علينا بالحياة ، وأعاد علينا شهر رمضان المبارك والفصل صيفاً . والصوم في الصيف أمل كل مؤمن كما كان أمل أمير المؤمنين أيضاً لان الصوم في الصيف ينوّر القلب فكلما كان الامتناع عن شيء صعباً وشاقاً على النفس كلما كانت ثمرته أكثر .

أما في الشتاء حيث الهواء بارد والنهار قصير فلا يكون الصوم شاقاً وبالتالي لا يكون كالصوم في الصيف خصوصاً في بعض موارده حيث يكون مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ ﴿ **الصوم لي وأنا اجزي به** ﴾ .

نشكر الله على ذلك ونطلب منه المغفرة لمن كانوا في العام الماضي وهم غير موجودين في هذا العام خصوصاً الـ (٧٢) شهيداً الذين كانوا في خدمة الإسلام الى يوم ٢٦ من شعبان وعلى رأسهم آية الله البهشتي اللهم ارحم الجميع في هذا اليوم المبارك .

التدين أهم من كل شيء :

وسنحاول في هذا الشهر المبارك أن نطرح مسألة العدل وفروعه واشكالاته ونجيب عليها ، ولكن قبل ذلك نذكر مسألة الورع وهي كما ورد في كتاب عيون اخبار الرضا (ع) عندما اخبر رسول الله (ص) علياً باستشهاده في هذا الشهر فسأله أمير المؤمنين (ع) « أفي سلامة من ديني » فقال (ص) : بلى . فاطمأن امير المؤمنين (ع) لذلك .

يجب أن تكون سيرة امير المؤمنين (ع) هذه اسوة للمؤمنين بمعنى أن نخاف مما يخاف منه علي (ع) وهو ضياع الدين وفقدان الايمان آخر العمر ، فيتضح من ذلك أن الإنسان تأتي عليه حالات قد يفقد ايمانه دون أن يشعر بذلك .

الإنسان الذي يعترض عند الموت على قضاء الله فإنه يموت بدون إيمان ، فمن المحتمل أن يكون قد قضى عمره في العبادة إلا أنه صار عدواً لله في آخر ساعة من العمر .

حب الدنيا وسكرات الموت :

قال لي صديقي المرحوم الحاج مؤمن بأنني حضرت لعيادة أحد اقربائي وكان في حال الاحتضار فبدأت اقرأ سورة يس ، فأشار إلي بيده أن أكف عن القراءة ، فأردت أن أقرأ دعاء العديلة فمنعني ايضاً ، فلما خفت

سكرات الموت انتبه وقال : ان لي بيتاً واحداً لا أكثر ويريدون أن يأخذوه مني بالموت !! فهذا الشيخ المسكين اعماه حب الدنيا فكان يفضل البيت على الله ولم يخضع لارادة ربه وقضائه .

يجب أن نستسلم عند الموت لارادة الله :

في حين أن المؤمن يجب، أن يستسلم لارادة الله حال الموت ، فكما كان مسلماً حنيفاً في حياته يجب أن يكون كذلك حتى آخر نفس من أنفاسه أي أن لا يعمل عملاً يفقد معه دينه . فكل معصية يرتكبها الإنسان عن عمد وتكبر فإنها تنقص من دينه بذلك المقدار أيضاً .

عندما يقال له لماذا انت مفطر فإنه يجيب لقد اردت الافطار وهو أمر يخصني أنا لا أنت لانك رجعي . وأما لو خجل من ذلك فسوف يجد لنفسه عذراً من جرح في المعدة أو غير ذلك ولا يتكبر وبهذا يكون فساده أقل من الأول .

السلامة من الذنوب في شهر رمضان :

ونقرأ هذا الدعاء الوارد في أول شهر رمضان :

« اللهم قد حضر شهر رمضان سلمنا فيه وسلمه منا وتسلمه منا » .

ولا بد أن شخصاً سيقول : كيف يصح أن يقال عن الزمان سلمه منا ؟! إلا أن الثابت هو أن لشهر رمضان وجوداً مستقلاً في عالم الملكوت وسوف تتجسم لياليه وأيامه غداً يوم القيامة وفي عالم البرزخ وهكذا تتجسد أيضاً الادعية والعبادات والصيام أمام بصر الإنسان كما أن الذنوب كذلك ايضاً ففي يوم القيامة يأتي شهر رمضان بلياليه وأيامه ويعرض أمام الانسان ، فيرى فيه جميع اعماله واذكاره..

ليس شهر رمضان موجوداً اعتبارياً ، بل هو وجود متأصل غاية الأمر أنه في عالم آخر ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال : أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة علي حتى أثقل بها حسناته[١] .

اللهم سلم رمضان مني ، وهذه السلامة في أي شيء ؟ في « الورع من محارم الله » لكي لا يأتي رمضان يوم القيامة ويتجسد امامك وهو جريح بل ينبغي أن تكون جميع ساعاته روحاً وريحاناً .

الذنوب المبتلى بها :

الأمر الذي أقوله لكم أيها الصائمون هو أنه تعالوا لنترك هذه الذنوب التي هي محل ابتلائنا في الليل والنهار ، فهناك ذنوب لا يبتلى بها المؤمنون كشرب الخمر أو القمار ولذلك يكون تركها سهلاً ، ولكن ترك الغيبة بالنسبة للمؤمن مهم لأنك معرض لها باستمرار ومورداً للابتلاء ولأن حركة اللسان لا تحتاج إلى مال أو مشقة .

روي عن رسول الله (ص) انه قال : « الغيبة اشد من الزنا » . فقيل : وكيف ؟ قال : الرجل يزني ، ثم يتوب ،فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه[٢] .

هذا اذا كان ما يقول صحيحاً ، وأما لو لم يكن فيه ما يقول فقد أتهمه والويل من التهمة فهي بهتان وهتك وقد تكون بدرجة قتل ذلك الانسان . وبعد ذكر هذه المقدمات نشرع في شرح الموضوع .

---

(١) ثواب الاعمال وعقاب الاعمال .

(٢) الترغيب ج ٢ ص ٥١١ ، بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٨٩ .

الشيوعيّون والمنافقون ليسوا مسلمين :

العقيدة التي يجب على كل مسلم الاعتقاد بها بحيث لو لم يعتقد بها فهو خارج عن الإسلام هي التوحيد والنبوة والمعاد .

أما اصول المذهب فهي التي من لم يؤمن بها يخرج عن التشيع وهي العدل والامامة . فالمسلم هو من يعتقد بأن محمداً رسول الله (ص) وأن القرآن هو كتابه السماوي ويقبل بجميع احكامه . ويعتقد أيضاً بيوم القيامة . فهذه الأصول الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد موجودة في جميع الاديان السماوية ، فلو فقد واحداً من هذه الثلاثة لم يكن ديناً إلهياً كما نجد ذلك في الشيوعيين وكذلك المنافقين الذين انكروا المعاد وتصوروا انهم يفنون بالموت وعملهم شاهد على هذا المدعي فكم رأيتم من الاستهتار والتعذيب وقتل الأبرياء في اعمالهم وتصرفاتهم وهذا دليل على عدم اعترافهم بالمعاد وأنهم لا دين لهم لأن كل دين لا بد وأن يحتوي على هذه الأصول الثلاثة والدين يعني الايمان بيوم الجزاء فمن لم يؤمن به فهو كافر ونجس ولا يصح الزواج منه .

حرمة تزويج الكافر والمنافق :

فحتى لو كان مسلماً وبعد ذلك أنكر المعاد وجب على زوجته الاعتداد بعدة الوفاة منه وتبين عنه ولا حاجة للطلاق حينئذ فيجب الحذر في هذه الايام من تزويج بناتكم الى الكافر أو المنافق .

الشخص المنكر للمعاد أخطر من الذئب ، لأنه لا يلتزم بشيء مطلقاً كما رأينا ذلك من المنافقين فكم سفكوا من الدماء الطاهرة ؟

الشخص الذي يضع قنبلة ويقتل بها سبعين مسلماً ونيفاً إنما يفعل

ذلك لأنه ينكر كل تبعية لذلك العمل بعد الموت فهو كافر .

من اليســير أن يدعي الإسلام ولكن عندمـا تنظر إلى عمله تجـده منكـراً للإسلام تماماً .

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ .

لماذا اختص مذهب الشيعة بالعدل ؟

قلنا في بحث الأمس أن اصول الدين ثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد ، وأن من أصول مذهب الشيعة العدل والامامة . اما لماذا اختص مذهب الشيعة بالعدل والامامة ؟

العدل صفة من الصفات الإلهية فلماذا ذكر العدل في مذهب التشيع من دون سائر الصفات الإلهية ؟ قبل كل شيء يجب توضيح معنى العدل .

العدل بالنسبة إلى الله تعالى عبارة عن اعطاء كل موجود ما يستحقه . والظلم عبارة عن منع ذلك الموجود الشيء الذي يستحقه أي « اعطاء كل ذي حق حقه » .

كيف تجتمع الشرور مع العدل :

وعندما تنظر من جهة اخرى تجد ان هناك شراً وعيوباً فتجد في مقابل النور مثلا الظلمة وتجد الجهل في مقابل العلم . والفقر في مقابل الغنى والنقص في الأعضاء مقابل الكمال . فبعض الناس يولد اعمى أو أبكم أو مصاباً بالشلل ، أو أسود أو أصفر فلماذا هذا التفاوت : ولماذا كل تلك الحوادث الشريرة كالزلزلة والسيول التي تقتل وتشرد المئات من الناس في وقت واحد ؟ كل هذه تعد من الشرر حتى يصل الأمر الى الموت فيموت الشاب الذي في العشرين من عمره وتبقى العجوز ذات المائة عام والتي يشكو منها الجميع ، فكيف تتلاءم هذه الأمور مع العدل ؟

الله خالق الخير دون الشر :

هناك بعض المذاهب في الهند تعتقد بوجود الهين ومبدأين للعالم احدهما إله الخير والآخر إله الشر . فهم يريدون ان يقولوا بأن الإله الذي يكون مبدىء الخيرات لا يمكن أن يكون مصدراً للشرور في نفس الوقت ولذلك فالمرض والزلزلة والموت ليست من أله الخير فجعلوا لله شريكاً في الوقت الذي ارادوا تنزيهه من الشرر وذلك بسبب جهلهم فقالوا بوجود مبدأين للعالم ، وهؤلاء هم الثنوية :

والشر اعدام فكم قد ضل من   يقول باليزوان ثم الاهرمن

فهؤلاء الثنوية يتصورون للعالم الهين وهما إله الخير والشيطان ، بمعنى أن إله الخير لا يقدر على الشيطان ولذلك فالشيطان يفعل كل ما بدا له من الشر ، وهذا الكلام شرك ومناف لكلمة لا إله إلا الله ولا مؤثر في الوجود إلا الله . فواجب الوجود الذي هو المبدأ للعالم واحد لا أكثر .

ليس في العالم شر مطلق :

يجب التأمل في معنى الشر . فهل ان الوجود شر ؟ ان الأجل في كل شيء هو الخير وأما شره فعرضي فمثلاً السيل الذي ينزل على قرية فيغرقها أصله ماء المطر الذي هو رحمة محضة إلا أنه اتفق نزوله في هذا المكان وفي هذا الزمان بالخصوص على هذه القرية فجرف معه حماراً ، فهل يعني أن الامطار شر لأجل حمار او بقرة ؟ لقد مات الحمار واستراح من صاحبه .

لماذا تقف أمام السيل ؟

لا نتوقف في المسيل . . والصلاة تكره فيه ، فكيف بالبقاء فيه ؟ كان عليك ان تذهب إلى مكان آخر فمن المحتمل أن يأتي السيل حين وقوفك للصلاة ، ثم انه لماذا بنيت بيتاً في هذا المكان بالذات ؟ كان ينبغي أن تبني البيت في مكان مرتفع بعيداً عن العوارض ، وهكذا نجد ان الإنسان قد يكون مقصراً في بعض الأحيان ، أما ماء المطر فهو خير وبركة فلو أنه صادف مزرعة لاحياها إلا أنه في هذه المرة صادف هذا البيت فهدمه وهل البيت إلا مجموعة أحجار واعواد بالإمكان اعادة بنائها مرة اخرى ؟

الشر عرضي وليس ذاتياً :

اذا نلت : والموت ؟ قلت وهل الموت شر ؟ وسوف نذكر فيما بعد أن

ما يحدث في عالم الوجود هو خير بالذات وأما شره فقليل وعرضي وخيره غالب على شره على كل حال .

وإذا اردنا ايضاح هذا المعنى يجب أن نفهم بأنه لا وجود للشر المحض في العالم ، فكل موجود خير وأما شره فبالعرض بمعنى أن الله تبارك وتعالى خلقه خيراً وحسناً إلا أنه أتفقَ صدفة أو بسبب عوارض أخرى أن يصدر منه الشر فالشرور عرضية حتى الشيطان .

خير الشيطان أكثر من شره :

عندما يراد أن نضرب مثالا على الشر نجدان الشيطان هو أوضح مصاديق الشر فتأمل في شر هذا الشيطان ما هو ، ومن هو الشيطان ؟

الشيطان عبارة عن موجود غير مرئي لأنه ليس مادياً فالجانب الترابي فيه ضعيف وجانب النار فيه قوي ولذلك لا يرى بالعين الاعتيادية .

وعندما يموت الجن ويتلاشى يصبح جزءاً من الهواء . وأما أجسامنا فهي ترابية كثيفة . والجن بالمعنى اللغوي هو الشيء المستور والمخفي ، والشيطان من الجن فهل أن خلق هذا الموجود خير أم شر ؟ كل ماهية تكون مستعدة للوجود فإن الله عز وجل يفيض عليها الوجود وهكذا في كل ممكن يستعد للوجود فإن الله عز وجل يوجده ويخلقه فمجرد أن يتحقق في الموجودات اقتضاء الوجود فسوف يوجدها الله تبارك وتعالى فوراً .

الشيطان خطيب الملائكة :

الشيطان كان خيراً في بداية الأمر حتى انه صار من الملائكة بل خطيبهم فقد كان اعجوبة في قابلياته حتى ورد في نهج البلاغة عن أمير

المؤمنين انه كان يعبد الله ستة آلاف سنة حتى صار من الملائكة ولا نعلم أن هذه السنين الستة الآف هل هي من سني الدنيا أو من سني الآخرة التي يبلغ مقدار اليوم الواحد منها الفاً أو خمسين الف عام .

وبعد ستة الآف عام خلق الله تبارك وتعالى آدم من تراب وأمر بعض الملائكة ومنهم الشيطان بالسجود لآدم (السجود بمعنى الخضوع) .

الشيطان يتكبر :

وهنا تكبر الشيطان وقال بأني من نار استطيع الانتقال من الشرق الى الغرب بلمحة البصر فكيف أخضع لآدم المخلوق من تراب واسجد له ؟

وعندما تكبر طرد من منزلته لأنه قال « أنا » . ولكن من الذي خلقك ؟ عندما تقول « أنا » فقد أنكرت الله وكل متكبر كافر ، لأن خالقك وخالق آدم واحد فكل من قال أنا الأفضل يتضح انه خرج من العبودية لأن الأفضل هو من فضله الله تعالى وإلا فالجميع عباد اذلاء فآدم ذليل والشيطان ذليل ايضاً لأن المخلوق ذليل من الاساس (وهو القاهر فوق عباده) فالشيطان مقهور أيضاً فلا يغفل أحد ويقول « أنا » . لقد طرد الشيطان من العالم الأعلى فمن الذي طرده ؟ كل ما صدر من الله فهو خير وأما الشر فهو من نفسه ، فكيف طرد الشيطان وهل انه هو الذي طرد نفسه بنفسه ؟ لا تقل الهي خلقت الشيطان ؟ لأنه لم يخلق إلا الخير وقد كان الشيطان ستة آلاف سنة كذلك .

الامهال زيادة في السقوط :

ولما وجد الشيطان نفسه طريداً طلب من الله أن يعوضه عن عبادته

تلك فاجيب أنه يستجاب لك كل ما تطلب عوضاً عنها إلا الثواب الأخروي .

وهنا طلب الشيطان حاجاته الثلاث التي أحدها البقاء إلى يوم القيامة ﴿ **قال انظرني إلى يوم يبعثون** ﴾ وبما أنه كان حاسداً لآدم ابو البشر حيث سجدت له الملائكة وصار مقرباً من الله تعالى فلذلك طلب أن يكون مسلطاً على بني آدم بحيث يمكنه أن يوسوس لهم ويغويهم[1] .

إلهام الملائكة في مقابل وسوسة ابليس :

واستجاب الله لطلباته وفي مقابل ذلك جعل لكل انسان ملكاً يرعاه ويعينه على أمره .

فعندما يولد للإنسان طفل فسوف يولد لأبليس طفل ايضاً لإغوائه وفي مقابل ذلك فإن الله يخلق ملكاً أيضاً ليتولى الهام الطفل بالخيرات .

فعندما خلق الشيطان خلق في مقابل ذلك الملائكة أيضاً .

أحياناً تجد نفسك على مفترق طريقين احدهما خير والآخر شر فتهم بإرتكاب المعصية وسلوك طريق الشر وتجد في نفسك دافعاً لذلك يقول لك انها فرصة مناسبة هيا . و في مقابل ذلك تحس من يحذرك من خطورة ذلك

---

(١) عن ابي جعفر الباقر (ع) قال : ان آدم (ع) قال : يا رب سلطت علي الشيطان وأجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئاً ، فقال : يا آدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة . ومن هم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن هو عملها كتبت له عشرا . قال : يا رب زدني . قال : جعلت لك أن من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له . قال : يا رب زدني ، قال : جعلت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه . قال : يا رب حسبي .
(الكافي الجزء ٢)

وسوء العاقبة فهذه هي الوسوسة والالهام للشيطان والملك . ففي مقابل كل اغواء للشيطان هناك الهام الملك ايضاً حتى لا يبقى عذر لاحد ، ففي الوقت الذي جعل الشيطان مسلطاً على الانسان سلط الملائكة ايضاً .

وسوسة الشيطان لا تعني التسلط :

اضافة إلى أنه ليس تسلطاً حقيقياً كما صرح القرآن الكريم بذلك ﴿ **وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم** ﴾ فعمله هو الوسوسة فقط .

الشيطان لا قدرة له على أي انسان فلا تلقي باللوم على الشيطان وحده عند كل عمل تعمله . الشياطين في شهر رمضان مغلولة ومع ذلك نجده لا يختلف حاله في هذا الشهر مع بقية الشهور .

القلم بيد الأعداء :

قيل أن أحد العلماء رأى الشيطان في المنام فسأله : هل أنت الشيطان ؟ فقال : نعم . فقال له انا كلما رأينا صورتك على الجدران والأوراق وبيوت الخلاء وجدناها صورة قبيحة وذات قرون وذنب إلى غير ذلك فصورتك قبيحة جداً ولكنك لست كذلك على ما يبدو .

فقال : لقد وقع القلم بيد الأعداء والا فنحن لسنا اشراراً إلى تلك الدرجة . وعلى أي حال فقد أخبر القرآن الكريم عن المحادثة التي تقع يوم القيامة بين الشيطان واصحاب النار .

حديث الشيطان مع أهل النار :

وهناك يعترض أهل النار على الشيطان ويلقون بالـلائمة عليه بأنك

أنت السبب في اغوائنا ومنعنا عن أن نكون من أصحاب الجنة فيجيبهم الشيطان ﴿ . . **ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** . . ﴾[1] .

أيها الجهنميون ، يا اصحاب المعاصي متى وكيف القانا الشيطان في المعصية من دون اختيارنا ؟ ان عمله هو الوسوسة فقط .

لقد كنت خادماً مطيعاً :

لقد كنت خادماً للشيطان مطيعاً لأوامره وتستمع لكلماته لا أنه أجبرك على ذلك بل كان بإمكانك أن لا تكون عبداً له ، فالشيطان لا يدخل أحداً في جهنم بالقوة وإنما يهيء له الطريق ويوسوس له ولكن المذنب يلعن الشيطان عندما يرتكب المعصية والشيطان يلعنه ايضاً لأنه هو الذي اتبع هواه ونفسه الأمارة فهذه الأهواء والشهوات النفسية هي التي تجعل الانسان اسيراً ذليلاً . .

اذن فلا تقل لماذا خلق الله الشيطان حتى يلقي بنا في جهنم ؟ فليس له سوى التشويق والترغيب في المعصية أو التهديد في العبادة لا غير وما بقي فهو من نفسك ولا أحد يجبرك على ذلك .

ويذكر لنا القرآن الكريم تبرى الشيطان من أتباعه يوم القيامة ﴿ **اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب** ﴾ .

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٣١ .

المنحرفون عن الثورة اتباع الشيطان :

هؤلاء الأولاد والبنات من أفراد التنظيمات المنحرفة يتبعون كل أمام باطل فالشيطان هو الذي غرر بهم بعد أن جعل شياطينه الصغار يأتون إلى هذا الشاب قليل التجربة وضعيف الإيمان والذي لا يعلم من أمور الدين ما فيه الكفاية فيوسوسون له ويخدعونه ويساعدهم على ذلك شهواته وميوله النفسية وأخيراً يسلك الطريق الذي سلكه ذلك الملعون باختياره لا أنه مجبر على ذلك .

وكما هو حال الأغنام التي تسير باقدامها بارشاد الراعي لها ، فانها هي التي تسير ، فكذلك حال هؤلاء المساكين الذين يسيرون في هذا الطريق وذاك تبعاً لما يقوله لهم المحتالون .

والحقيقة أن هؤلاء الأشخاص الذين اتبعوا بني صدر[١] ورجوي[٢] هم أكثر خسراناً من الشيطان وفرعون فهل تعلمون لماذا ؟

همة الزاهد في ترك الدنيا :

قال احد خلفاء بني العباس ولعله كان هارون الرشيد إلى أحد الزهاد وكان حاضراً عنده : انني لا أجد من هو أكثر منك همة في تركك الدنيا .

فقال : ان هذا ليس بالأمر الصعب فطلب الدنيا مليء بالمشاكل وكل

---

(١) بني صدر هو الرئيس الخائن الذي قلده الشعب الايراني المسلم رئاسة الجمهورية فخان الله وخان المسلمين وفر مهزوما الى باريس .

(٢) رجوي هو رئيس منظمة النفاق التى تحمل اسم (مجاهدي خلق) .

من يهرب منها فقد طلب الراحة والعافية . أما طلب الرئاسة مثلا فليس فيه إلا الهموم والمشاكل كما كان حال بني صدر في رئاسته لأشهر معدودة حيث كان كل همه وتفكيره أن يزيد من قدرته مهما أمكنه ذلك .

فلست أنا صاحب الهمة العالية في تركي الدنيا وإنما أنت أيها الخليفة الذي لا أجد من هو اعلى همة منك حيث تركت الاخرة والملك الباقي وجعلت همك في طلب الدنيا الفانية الوهمية .

من باع آخرته بدنيا غيره :

ففكر الخليفة في نفسه ورأى أنه صادق في كلامه فالشخص الذي يبيع آخرته بدنياه خاسر واقعاً . وقد تصل دناءته وحقارته إلى ما وصلت إليه في عمر بن سعد الذي اختار الدنيا الموسوسة وهو يتخيل أن ملك الري نقد والآخرة نسيئة .

وقال الخليفة : وهل تجد من هو أخسر مني ؟ فقال الزاهد :

ـ نعم ، من باع آخرته بدنيا غيره .

التخريب لمصلحة أمريكا :

عندما يصير عميلاً لامريكا ويتحمل الصعوبات لأجل مصلحة امريكا فإنه يبيع دينه بدنيا غيره من أمثال بني صدر ورجوي ويعترض على العلماء والصالحين عندما يعزلون بني صدر من الرئاسة .

هارون الرشيد باع دينه بدنياه ، ولكن ماذا سيصل إليك عندما يكون بني صدر رئيساً ؟ فالمسكين والخاسر الأكبر هو الذي يبيع دينه بدنيا غيره ،

فهؤلاء الأولاد والبنات المخدوعون اتعس حالاً من رؤسائهم فأولئك قد باعوا دينهم من أجل دنياهم ، أما أنتم فقد بعتم دينكم لأجل دنيا غيركم .

اذهبوا وفجروا القنابل واقتلوا الناس بالسكاكين واشيعوا الفوضى في كل مكان حتى تسقط هذه الدولة ويفتح طريق الرجوع لامريكا . ولكن ما هو نصيبك أيتها البنت من ذلك وماذا سوف تحصلين عليه ؟ اعقلوا قليلاً واعلموا أن دينكم الآن بأيد رؤسائكم فما اعظم هذه الخسارة وبعد ذلك تلقون باللائمة على الشيطان وعلى غيره وتدعون انهم هم السبب في ذلك .

انظر إلى عواقب الأمور من البداية :

لا أحد يدخل الجنة أو النار بالاجبار ، فكل من دخل الجنة أو النار فقد ذهب إليها بقدمه فيجب النظر الى نهاية الطريق قبل السير فيه هل يتجه إلى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب فما هو الطريق الذي تسير فيه ؟ هل هو طريق الشهوات والاهواء وملذات الدنيا ؟ إذا كان كذلك فسوف ينتهي بك إلى النار في آخر المطاف .

والطريق الآخر موجود أيضاً وهو ترك الشهوات النفسية ومجاهدة النفس وعدم ارتكاب الذنوب الذي سيؤدي بك إلى باب الجنة في ساعة الموت .

خلق الشيطان والملك خير :

وخلاصة البحث هو أن الاعتراض على خلق الشيطان خطأ لأنه ليس في خلق الكائنات سوى الخير ولا فرق من هذه الجهة بين خلق الملك وخلق

الشيطان فالله تعالى خلق موجوداً ذا استقلال واختيار وهوالذي يختار طريق الخير او الشر ، والتسلط على البشر إنما هو بمعنى الوسوسة لا الجبر فهو صرف دعوة لا أكثر اضافة إلى أن الله تعالى خلق ملائكة أيضاً في قبال الشياطين لهداية الناس ، فكما أن لكل انسان شيطاناً يغويه فكذلك لكل انسان ملك يهديه .

ثلاثة الطاف لبني آدم :

بعد أن بكى آدم أبو البشر وقال : يا رب سلطت عليَّ الشيطان وأجريته مني مجرى الدم وأمهلته إلى يوم القيامة ، فنودي ان يا آدم اني خلقت مقابل كل شيطان ملك ، والحسنة بعشر أمثالها والسيئة بواحدة ، والثالث أن جعلت باب التوبة مفتوحاً لعبادي .

لا عذر مع انفتاح ابواب التوبة :

عندما يذكر الله تعالى آية التوبة في القرآن الكريم يتحدث بعدها عن حكمته وهذا يعني أن مقتضى حكمته أن تبقى ابواب التوبة مفتوحة حتى لا تبقى لأحد حجة بعد ذلك فبعد كل عذر يأتي به يقال له لماذا لم تتب ؟ فبعد أن تشتم بلسانك لماذا لم تتب ؟ فما هو جوابك يوم القيامة ؟ ولذلك يقول الإمام السجاد في دعاء أبي حمزة :

« سيدي ارحمني اذا انقطعت حجتي وطاش عند سؤالك أياي لبي » فما هو جوابك في محكمة العدل الإلهي « ولا حجة لي فيما جرى علي فيه قضاؤك » .

أليس لنا عمراً كافياً ؟

يقولون : ربنا ارجعنا إلى الدنيا فلقد علمنا الآن ﴿ **وهم يصطرخون**

فيها ربنا أخرجنا **نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل** ﴾ فيأتي الجواب ﴿ **أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير** ﴾[1] وقد ورد في الرواية ان النذير هو موت الجار أي أحذر وتهيأ .

ما أكثر الأشخاص الذين كانوا في السنة الماضية وهم الآن تحت التراب ، أيها السيد (يقصد نفسه) لعلك لا تكون حياً في السنة القادمة ففكر واحذر .

النذر والعبر كثيرة ولكن من الذين يتنبه ويتذكر ويصلح اعماله .

ما أقل حياءك وأنت تتهم أصل الخلقة من أجل تنزيه نفسك وتعترض على الله لماذا خلق كذا وخلق كذا ؟

عمل الله خير وحسن وصحيح وعليك أنت أن تلطم وجهك على تقصيراتك وإلا فأنت أقل من أن تعترض على الله فعليك أن تصلح نفسك أولاً .

ابليس يرجو من الله فيستجاب له :

اذا كان إبليس قد رجا الله ان يعوضه مقابل ستة آلاف سنة من العبادة وطلب حاجته من الله فلم يرده . فكيف يردنا نحن ؟

ولذلك يجب التوسل إلى الله وعدم اليأس من رحمته وأن نتضرع إلى الله والأمل يملأ قلوبنا : الهي إنَّ ذنوبنا أكثر من أن تحصى ولكن رحمتك وفضلك اعظم وأكثر ، الهي فاعف عنا .

---

(١) سورة فاطر ٣٥ الآية ٣٧ .

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف يمكن تعليل النواقص في العالم ؟

كانت خلاصة البحث في اليومين السابقين هو أنه كيف يمكن تفسير وجود كل هذه النواقص والمصائب في العالم والتي يراها الإنسان شراً وضررا بالنسبة له ؟ مثل انواع الامراض والبلايا والزلازل والفيضانات التي تقضي على آلاف العوائل وكذلك الحروب الدامية وغيرها .

او ما نجده لدى الحيوانات حيث يقال لماذا سخر الله الحيوان للإنسان ولماذا لم يعط للحيوان ما اعطى للإنسان ؟ أو ان بعض الناس أقل من البعض الآخر ، وكذلك ما نجده في الأعمى وناقص الخلقة وغير ذلك ، وأيضاً السبب في خلق العقرب والحية والحيوانات السامة الأخرى المؤذية . .

أما الشرك وأما الظلم :

وتسري هذه الشبهة إلى الموت أيضاً فيقال لماذا خلق الله الإنسان وأعطاه الروح ثم بعد ذلك يأخذها ولماذا اعطى الأولاد ليأخذهم بعد ذلك ؟

وأمام هذه الاسئلة المختلفة قد يتصور اننا أمام طريقين فأما أن يقال أن هذه الشرر في العالم تتعلق باله آخر وهو منشأ الشر وهؤلاء هم الثنوية الذين تحدثنا عنهم بالامس وهذا هو الشرك بالله ، أو القول بأن هذه الشرر تستلزم الظلم ولهذا ينكرون ان يكون الله عادلاً بل أن بعض الجهال يتخذ هذه الأمور دليلاً على عدم وجود حكيم ومدبر للعالم .

عدم العلم لا يدل على عدم الوجود :

ونجيب عن ذلك بجواب اجمالي وآخر تفصيلي .

كل انسان عاقل عندما يرجع الى عقله يرى أحياناً أنه لا يعلم فائدة وحكمة شيء من الأشياء ولكن هذا لا يعني عدم وجود الفائدة ، فمثلاً يصعب حمل شيء ثقيل بهذه الأصابع اذا لم تكن الأظافر لأن الظفر هو الذي يتحمل الضغط الناشيء بواسطة الحمل .

والآن وبعد أن علمت فائدة الأظفر فهل يصح أن تقول أنه غير مفيد ؟ والإنسان في عالم الوجود لم يدرك سوى جزء قليل جداً من المنافع والاسرار العلمية .

لا نعلم من اسرار البدن إلا القليل :

فبالنسبة إلى بدن الإنسان نجد أن علم التشريح وعلم الطب

والاحياء كانت مورد الاهتمام منذ عدة قرون ، وفي كل قرن تضاف إلى معلومات الانسان علوم واكتشافات جديدة حتى عصرنا الحاضر ومع ذلك فلا يزال العلماء الذين يدرسون اعضاء البدن يعترفون بوجود حكم وفوائد لأعضاء البدن ما زالت مجهولة .

فلا يمكن بعد هذا أن يقال بعدم وجود فائدة من كل هذه الأجهزة العظيمة وكما يقول المثل (عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود) فعندما لا تعلم بفائدة العقرب والحية لا يمكن أن تقول انها غير مفيدة ، ولا يصح لك أن تتجاوز حدودك بل قل أنا لا أعلم وقد علمت بفوائد قسم منها وما بقي لا يصح أن أقول إنها غير نافعة لمجرد أنني لا أعلم بفائدتها ..

الخير غالب في كل ما هو شر :

وحتى بالنسبة إلى الشر فكن على يقين بأن الخير فيه غالب ، فلا يوجد هناك شر مطلق الا الخير المطلق أو الخير الغالب ، فلو صدر شر من حدى الكائنات فهو أمر نسبي وعارض وليس أمراً وجودياً وذاتياً ، فلوجودنا سفة ذاتية وصفة نسبية عرضية .

والصفة الذاتية هي ما كانت موجودة في الشيء في جميع حالاته كالثوب القطني مثلا الذي يكون أبيض ، فالبياض فيه ثابت ولازم له ، وهناك صفة أخرى نسبية توجد في بعض الحالات اذا توفرت لها الشروط المناسبة وتنعدم في حالات اخرى .

القتل ليس صفة ذاتية للعقرب :

حتى العقارب وغيرها لا تكون قاتلة . . وإذا كان سم الحية قاتلاً وجب أن يقتلها قبل أي شيء ، إذن فالقتل يكون في بعض الحالات

الخاصة كما لو كان العقرب مثلاً في البيت وفي فراش صاحب البيت ثم لدغه عند ذلك يمكن أن يكون قاتلاً ، إذن فالقتل ليس صفة لازمة وثابتة للعقرب وإلا لكان دائماً ولقتل نفس العقرب من أول الأمر .

وبالإضافة الى الخصوصيات الموجودة في السم نجد أن الحية والعقرب تمتص سموم الهواء وتحتفظ بالسم في بدنها وهي بنفسها علاج للسم ، وكما تعلمون أن علاج لدغة العقرب هو أنهم يشقون بطن العقرب ويضعونه فوق مكان اللدغة فيشفي ولهذا كان دهن العقرب علاج للدغته .

لدغة العقرب علاج للفلج :

ذكروا في التاريخ أن مقر الشاه خوارزم كان في نيشابور وكان ذلك قبل سبعمائة عام . وكانت نيشابور في ذلك الوقت عاصمة لإيران ويبلغ عدد سكانها مليون ونصف المليون نسمة وكان فيها اساتذة ومتخصصون من كل علم وفن . وكان يحيى بن زكريا الرازي الاستاذ الأكبر في علم الطب حيث كان طبيباً حاذقاً في جميع فروع الطب واقسامه وكان مقره يومذاك في نيشابور العاصمة .

وفي ذلك الوقت اصيب أحد حكام شيراز بالفلج وأصبح جليساً لا يستطيع القيام . فعالجوه بمختلف اصناف العلاج بدون جدوى . فلما يئسوا من علاجه في شيراز قرروا المجيء به الى نيشابور ليقوم الرازي بمعالجته .

وهكذا جاؤوا بالحاكم من شيراز وبالوسائل المستخدمة في ذلك الوقت من العربات والخيول والبغال ووصلوا إلى نيشابور عند الغروب فاضطروا إلى المبيت ليلاً في أحد دور الضيافة وكان الطقس آنذاك حاراً جداً فقرروا الصعود على السطح ولما لم يكن بالإمكان حمل المريض إلى أعلى السطح تركوه ينام على ارضية الدار .

فلما أصبح الصباح شاهدوا أن المريض قد قام من مكانه وهو يتمشى وقد عوفي من مرضه ، فلما سألوه عن سبب شفائه أجابهم بأني ايضاً لا أعلم .

فقالوا : إننا الآن في نيشابور فلنذهب الى الرازي ونسأله عن السر في ذلك ، فذهبوا والمريض يسير معهم إلى الرازي وذكروا له الحكاية .

الرازي أمر أن يخلعوا ثيابه فوجدوا عقرباً مخيفاً تحت ثيابه . ويقال أن هذا المرض لا يمكن علاجه إلا بسم العقرب .

فهل أن العقرب قاتل وان الله خلقه كذلك ؟ كلا . أي أن ذلك ليس ذاتياً له بل يكون قاتلاً في بعض الحالات وعند اجتماع بعض الشرائط ، فكلما تأملتم اكثر ستجدون أن الشر ليس ذاتياً بل هو أمر نسبي وعرضي .

الشرور عرضية وبشروط خاصة :

السيل مخرب ، فهل يعني أن المطر شر ؟ . فلو اجتمعت شرائط معينة وجاء السيل وهدم بعض البيوت فإن المطر يبقى رحمة فهو منبع الحياة حتى لو أدى إلى هدم عدة منازل في بعض الحالات .

وهكذا لو احترق بيت في ظروف خاصة ، فهل يصح أن نقول أن النار شر ؟ ولو اصيب احد الأشخاص بالكهرباء ومات فهل يعني هذا أن الكهرباء قاتلة للبشر مع كل ما تعطيه من نور وحرارة وتشغيل للمكائن .

نعم قد يحصل ذلك مع اجتماع عدة شرائط من تعرى السلك واتصاله ببدن الإنسان وعدم وجود مانع آخر فتارة يكون متصلاً بالخشب مثلا فيكون عائقاً عن التأثير .

الغاز مثلاً مع كل فوائده وبركاته إلا أنه لو تسرب إلى فضاء الغرفة

بسبب الاهمال وامتلأ جو الغرفة بالغاز فسوف يشتعل بمجرد اشعال عود الكبريت ، فهل يصح أن يقال لماذا اعطى الله خاصة الاشتعال للغاز .

لا يوجد من طرف الخالق سوى الخير والرحمة والبركة . وقد يعرض الشر في بعض الحالات ويرجع ذلك عادة إلى نفس الإنسان كما لو ترك قنينة الغاز مفتوحة وأهمل غلقها بصورة جيدة ، او انه أسرع في قيادة السيارة فقتل انساناً .

الغاية من كل موجود هي الخير :

الشر من المخلوق لا من الخالق . إذن فالشر ليس ذاتياً للأشياء بل نسبي ويكون كذلك في بعض الموارد .

والشر في أي موجود يكون اقل من الخير فيه والهدف من كل موجود هو الخير لكن الشر يعرض عليه بعد ذلك .

لقد ذكرت بالأمس انه لا يوجد اكثر من شر من الشيطان مصدر الشرور ، ولكن شره ايضاً عرضي ونسبي فالشيطان لم يكن شريراً من البداية ولكنه وبعد ستة آلاف سنة عبادة وعدم سجوده لآدم اتخذ طريق اغواء البشر في صورة ما إذا قبل الإنسان وسوسته واغواءه . فمن هذه الجهة لا سلطة للشيطان على البشر ولا قدرة له على اجبارهم وانما عمله مجرد القاء الوسوسة فهو ليس شراً مطلقاً ولكن يكون شراً اذا اجتمعت عدة شرائط وهي بدورها تعود إلى الانسان الذي يقبل وسوسته واغواءه في تزيين ذلك العمل .

انت الذي خدعت نفسك :

اذن لا تقل لماذا خلق الله الشيطان حتى يوقعني في المعصية ؟ لأن

عمل الشيطان اللعين هو الوسوسة فقط فغاية سعيه هو إيقاع الانسان في المهالك بالاغواء والوسوسة فلا تسمح له بذلك ﴿ **من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾ فعمله ليس أكثر من الوسوسة والأشخاص الذين خدعوا به هم الذين قبلوا وسوسته .

الشيطان لا يوقع الانسان المسكين بل هو يزيد في وسوسته وهكذا حتى يؤدي به الى الهلاك .

اذا كان عاقلاً لم يكن يقبل الرئاسة :

قبل عدة اشهر ذكرت في صلاة الجمعة أن بني صدر لو كان عاقلاً ما قبل رئاسة الجمهورية . . وقد أشكل بعض المقدسين بأنك تجاسرت على مقام رئاسة الجمهورية .

لو كان عاقلا لما تجرأ على قبول رئاسة الجمهورية ، الرئاسة خطر عظيم فهل تستطيع أن تملك نفسك عندها ؟ عندما اقتربت من إمام الأمة قال لك الإمام : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

حب الدنيا والرئاسة هو الذي اهلك الناس . . والشخص الذي يحب الرئاسة مستعد لأرتكاب أي ذنب والاتيان بأي منكر وهكذا يطغى أكثر واكثر والشياطين يحوطونه من كل جانب يزينون له أعماله حتى تهلكه الرئاسة ، فالمال والثروة لا تترك الانسان حتى تهلكه .

صعود وسقوط بني صدر :

لم يكن بني صدر في أول الأمر على هذه الصورة ، ولكنه كان يحب الرئاسة وتدريجياً رأى نفسه قوة تشريعية ايضاً ثم صار قائداً للقوات المسلحة فاراد ان يصير رضا خان الثاني وأن يكون هو القدرة المطلقة في

البلاد بلا مزاحم أو مانع .

ومن جهة أخرى رأت أمريكا وهي الشيطان الأكبر أن هذا الشيطان الصغير يحقق أغراضها فأرسلت إليه العناصر الفاسدة لدعمه حتى وصل به الأمر أن أدعى الربوبية ، وقال : أنا مفكر القرن العشرين .

أنا تعني غير الله ، فالشيطان قال : أنا ، فرعون أيضاً قال : أنا ، الى أن وصل به الأمر أن وقف مقابل إمام الأمة ونائب الإمام المهدي (ع) هذا الانسان الكامل في الانسانية والواجب الإطاعة وهو صانع الثورة وهو الذي أتى بك من فرنسا يا لئيم . . اخيراً يعترض على الإمام ويقول : انا ارفض استبداد الفقيه ! .

الإمام كان مستبداً أم أنت ؟ الحقيقة أنه عنصر عجيب ، كلما نصحه الإمام ووعظه بأن هذه الـ (أنا) شيطان ولكنه لم يسمع النصيحة واستمر على انحرافه في طريق الهلاك ، لا أنهم كانوا يدفعونه إلى ذلك ، فعمل الشيطان هو الأغواء فقط ولم تفعل معه امريكا أكثر من الأغواء ، وهكذا بالنسبة الى المنافقين فقد كانوا يخدعونه إلا أنه هو الذي قبل خداعهم .

اغواء الشياطين وتهمة التعذيب :

لقد شاهدتم برنامج التلفزيون ليلة البارحة وكيف أن المنافقين والفئات الناهضة للثورة كانوا يعطون اسناداً وصوراً إلى بني صدر حتى أنه اتهم الحكومة الإسلامية في وسائل الأعلام بتعذيب السجناء ولا بد وأنكم سمعتم ورأيتم في التلفزيون اعتراف ذلك الشخص الذي كان في مكتب التنسيق مع رئيس الجمهورية والذي كان يقول بأن سبعين بالمائة من التواقيع على تلك الأسناد كانت مزوّرة ومجهولة .

واتضحت الحقيقة بعد ذلك وكان سجن مشهد نموذجاً على ذلك ،

فقد كانت الرعاية والعناية بالسجناء الى درجة ان مندوب الهلال الأحمر الدولي اعترف بذلك وافتضح بني صدر وأهلك نفسه بسوء عمله لا بسبب الشيطان وأمريكا لأن عملهم هو الوسوسة والاغواء بأنك مؤيد من قبل أحد عشر مليون نفر فما لك وللإمام !!؟ فالشعب يهتف بأسمك ويضحي من أجلك ثم انهم يصفقون له عند خطابه ويصفرون فيصدق بذلك ويتصور أن الشعب هم هؤلاء المصفرون وهكذا كانت عاقبته .

لقد منّ الله على المسلمين بأن فضحه في اليوم الرابع عشر من اسفند قبل أن تضيع دماء ستين ألف شهيد فاوقفوا جريدته التي كانت تخالف القانون عن الصدور ، فاصدر أمره بالمقاومة والضرب ففضح نفسه بنفسه وكانت عاقبته السقوط والهلاك .

ارشادات الإمام في مقابل اغواء المنافقين :

كل انسان انما يهلك نفسه بنفسه لا بسبب آخر ، فصحيح أن الفئات العميلة لأمريكا كانت تغوي بني صدر ولكن ألم يكن الإمام ينصحه في مقابل ذلك ؟ إلا أنه سلك طريق الهلكة في حين أن الهداية كانت مقابل الاغواء وهي مواعظ الإمام له في الجلسات الخصوصية والنصائح التي تؤثر حتى في الجبل وتحركه .

اذكر كلمة للإمام أمير المؤمنين (ع) لما سمع أحد الأشخاص وهو يذكر الدنيا بسوء وأنها الخداعة والمكارة وكذا وكذا .

هل خدعتك بقبور آبائك ؟

فقال الإمام (ع) كما ورد في نهج البلاغة :

« ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ، أفبمصارع آبائك وأمهاتك

غرتك » ؟

يـا من تذكـر الدنيـا بسوء لم تخـدعك الـدنيا ولكنـك أنت الذي خـدعت نفسك ، أيها المسكين المغرور بالقصور لماذا لم تعتبر بقبور آبائـك وأمهاتـك ؟ . . لماذا لم تسلك طريق الهداية ؟

كـان عليك في مقـابل اصغـائك للمنـافقين أن تسمـع نصيحة الإمـام ولو لمرة واحدة .

مصلي ، ولكن يساعد المفسد :

وهكذا نحن أيضاً . . يجب علينـا أن نفتح أعيننـا ولا نخدع بـالظاهـر وإنمـا ندرس البـاطن جداً ونتحقق من الايجـابيـات والسلبيـات ولكن البعض يؤيــد بني صدر الـذي فساده أظهـر من الشمس وهذا التـأييد يشكـل خـطراً على دينه والجاهل هو الذي باع دينه بدنيا غيره .

الويل للشخص الذي يصلي ويعـين المفسد ايضـاً فلا ينبغي للمسلم أن يكون عونـاً وظهيراً للفـاسق الذي يقـوم بمخالفـة حكم الإمام الصـريح بمنـع الخـطب والتي تؤدي إلى اثـارة الفتن . إلا أن بني صـدر خـالف حكم الإمـام وخطب في شيراز وهمدان تلك الخطب التي صارت منشأ للشرور والمفاسد .

ولكن لحـد الآن هنـاك من قـول بـأن بني صـدر جيـد ، نعم هـو جيـد لامريكا .

وأمـا حكومـة الأخ رجائي فهي جيـدة لمن كان ضـداً لأمريكـا ، ولكن عملاء امريكا لا يريدون حكومة رجائي وكـل من كان مـوالياً لامـريكا وكـان شيطانياً ومفسداً فهو وبني صدر على حد سواء .

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا عبث في أفعال الله :

كان كلامنا في مسألة العدل وأنه من أصول مذهب الشيعة ، والظاهر ان الموضوع لم يتضح بشكل جيد فقد سأل أحد الأشخاص بأننا عندما نقول بالعدل فهل يعني أن الآخرين يقولون بأن الله ظالم ؟

عندما نقول نحن بأن الله عادل فهذا يعني ان كل ما صدر ويصدر من الله تعالى من الأمور الكلية والجزئية فهي عن مصلحة وحكمة ولم تخلق عبثاً وبدون مصلحة .

البعض من اخواننا السنة يشاركوننا في هذا الاعتقاد ويسمون بالمعتزلة ويقولون أن كل شيء مخلوق لمصلحة وغاية فلا عبث في الأفعال الإلهية .

الاشاعرة ينكرون الحسن والقبح العقليين :

الاشاعرة طائفة من السنة ارتكبوا اخطاء عديدة ، فهم ينكرون اصل الحسن والقبح حتى انهم قالوا بأنه ليس قبحاً ان يلقي الله تعالى بالعبد المطيع في جهنم ويدخل الفاسق المعاند الجنة فهو فاعل لما يشاء ويفعل ما يريد .

في حين أن الله تعالى « قائماً بالقسط » فافعاله تطابق موازين العدل ومعللة بالاغراض والمصالح وبعيدة عن كل قبح ومفسدة فلا يقع الا ما كان صلاحاً .

وبالنسبة إلى افعال البشر الاختيارية فالشيعة والمعتزلة يقولون بأنه لا جبر ، اما الأشاعرة فيذهبون إلى الجبر ، فهم لا يقولون بأن الله ظالم ، ولكنهم ينكرون ان يكون الظلم قبيحاً ويقولون بأن الحسن والقبح أمور من اختراعنا ولا ينبغي لنا أن نحكم على افعال الله فالحسن والقبح لا يتطرق إليها .

وأما أفعال البشر فهي غير اختيارية وفي نفس الوقت يجوز أن يعذبهم عليها دون أن يكون ذلك قبيحاً .

عقيدة الاشاعرة تستلزم الجبر :

العدلية (الشيعة والمعتزلة) يقولون أن العقاب يقبح مع الجبر ، ولكن الأشاعرة ينكرون الامر البديهي وهو الحسن والقبح ومن اللوازم الفاسدة لمذهبهم هو الجبر كما ان القائلين لمذهبهم هو الجبر كما أن القائلين بالعدل يقولون بالحسن والقبح وينكرون الجبر .

ومن جملة اعتقاداتهم الباطلة هو انهم ينكرون الحكمة والهدف في

أفعال الله ، في حين أن الله تعالى يأمر في القرآن الكريم بالتدبر والتأمل في أغراض الخلقة ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** ﴾ .

لكل حيوان مفصل واحد في قدمه . أما الجمل فله مفصلان وتنطوي قدمه مرتين لتتناسب وطول قامته .

المقاييس المتناسبة للأبل وفق ميزان العدل :

قيل أنهم قالوا لأفلاطون بأن هناك حيواناً يعيش في الجزيرة العربية اكبر من الحمار والبقر وأقدامه أطول من أقدامها ، فقال أفلاطون مع أنه لم يشاهد جملاً .

لا بد وأن يكون عنقه أطول ايضاً ليتمكن من الأكل وشرب الماء لأن الكائنات خلقت طبقاً لموازين العدل .

ويقول تعالى في آية أخرى :

﴿ **وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾[1] .

كل ذلك من أجل أن يعرفوا الله بالحكمة فقد اعطى لكل مخلوق كل ما يحتاجه من التناسل والتوالد في الحيوانات أو الحب والحنان للامهات الى غير ذلك .

الخفاش اللبون وحنان الام :

يقال أن الخفاش له خاصتان احدهما ان له ثدياً يختص به من دون سائر الطيور ، والشيء الآخر انه يحيض وتحصل عنده العادة الشهرية التي

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٥

تكون لدى النساء .

وقد ذكروا انه عندما يولد له طفل فإنه يحتضنه لشدة محبته له ويضعه الى صدره ويطير به اول الغروب لاصطياد الحشرات والحصول على القوت ، فبالرغم من طيرانه وما يلزم ذلك من حركة جناحيه والتنقل من مكان لآخر طلباً للقوت الا انه لا يترك طفله بل يأخذه معه لشدة علاقته به .

نفهم الأغراض بالعقل :

فالمقصود هو لزوم التدبر في آيات الله حتى يدرك الانسان الحكم والمصالح التي جعلها الله في كل مخلوق ولذلك يصرح القرآن المجيد :

﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾[1] .

أما الأشاعرة فقد اسقطوا العقل وجمدوا فلا يمكنهم أن يتقدموا خطوة في عالم المعرفة ويفهموا معنى **﴿ هو الحكيم الخبير ﴾** ويتعرفوا على اسرار حكمة الله .

البلايا التي سببها الانسان نفسه :

مسألة البلاء كانت موضوع بحثنا في هذه الايام وقلنا أن لأنواع البلايا والمصائب حكماً ومصالحاً ايضاً ، فالكثير من هذه المصائب أمور عدمية ونسبية فهي خير من جهات اخرى ، وكثير منها ناشئة من فعل الانسان الذي يوقعه في تلك المصائب فنراه مثلا يسرع في قيادة السيارة

---

(١) سورة الروم ٣٠ الآية ٨ .

فيسحق شخصاً آخر فلماذا يعترض بعد ذلك على عالم الخلقة ؟

عندما يتمرض مثلا لا بد وان يبحث عن سبب المرض ، فلعلك لم تهتم بصحتك فأوقعت نفسك في هذا المرض .

البلاء علاج لأمراض الباطن :

ومن جهة أخرى نجد أن الله تعالى قد جعل الدنيا مصحوبة بالمشاكل والصعوبات وانواع البلايا والأمراض والحروب والصراعات والمفاسد الاخرى والتي تستمر الى الموت فبالرغم من أنها من لوازم الحياة الدنيوية الا انها علاج ودواء لامراض الانسان ايضاً ، لأن الانسان لم يأت الى هذه الدنيا إلا لأجل التكامل ونيل السعادة فلا بد وأن يبتلى بالمحن والمصائب وهذا هو طريق سعادته لأنه لا بد وأن يصير عبداً ليصير إلى السعادة المطلقة ، ان يرى نفسه لا شيء ويرى الله هو الفاعل لكل شيء وهو مصدر الوجود والمدبر لجميع شؤون الوجود ، وبذلك يعيش عبداً ﴿ **لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا** ﴾ .

المعيشة المرفهة لا تنسجم مع العبودية :

من أنا « وما أنا يا سيدي وما خطري هبني بفضلك وتصدق علي بعفوك » هذا ما يقوله الإمام السجاد (ع) في دعاء أبي حمزة الثمالي :

ماذا بإمكانك أن تفعل ؟ . . يجب أن تفهم هذا الأمر فكمال الانسان هو أن يتيقن بأن حياته لو كانت مرفهة من أولها إلى آخرها وخالية من أية مشكلة فإن هذا الانسان سوف لا يرى نفسه عبداً ولا يسلم أمره الى ربه .

النفس جموحة بطبعها :

النفس مغرورة . فلو انها حصلت على ما تريده يوماً بعد يوم وعاشت في صحة تامة وارتفع مقامها وازدادت الاموال والاعوان فسوف تنسى تدريجياً أن لها رباً ومدبراً ومديراً ويصل بها الأمر إلى القول بأني موجودة وان الله غير موجود . فيكون وجوده يقيناً ووجود الله مشكوكاً .

البعض يقولون ذلك بصراحة كما قال ذلك فرعون . ولكن الكثير من الناس لهم هذه الحالة الا انهم لا يظهرونها .

الويل لذلك الإنسان السيء الحظ الذي يعيش في رفاه كامل ولا يصيبه فقر أو مرض ولا تواجهه مشكلة في حياته كيف يعترض بعد ذلك على الله ؟

ولذلك اذا اراد الله تعالى أن ينظر إلى عبده بنظر اللطف والرحمة ارسل اليه البلاء لكي تضمحل انانيته وتضعف ، ماذا لو ذكرنا هذه الحقائق بلسان قصة ؟

البلاء يذكره بالله :

في زمان الشاه رضا خان الخبيث كان الزنديق رئيس وزرائه والذي كان مغروراً مثله يقول بأن له مائة دليل على أن الله غير موجود . ما أشد هذه الصلافة بأن يدعي هذا الادعاء وهو لم يكن شيئاً قبل مائة عام وسوف لا يكون شيئاً بعد مائة عام أيضاً .

لم يمر وقت حتى أخذ رشوة كبيرة لأرسال الحنطة إلى خارج البلاد . وارتكب مخالفات أخرى أيضاً وأخيراً وقع في السجن .

أنا اذكر لكم هذه القضية بسندين ، فقد ذكر لي احدهم بأني ذهبت

الى سجن فـزل قلعة فـوقع بصـري على ذلـك المسكين فـرأيته ذليـلاً مهمومـاً فسـألته عن حـاله وقلت : هـل تستطيـع أن تذكـر لي بعض تلك الأدلـة الّتي كنت تدعي بها ان الله غير موجود ؟ ولكنه أجهش بالبكاء فجأة وقال :

لقد وجدت دليلا نسف تلك الأدلة بـأجمعها وأبـطلها وهـذا الدليـل هو حـالي الآن بعد أن كنت بـالامس كذا وكـذا واليوم لا شيء من ذلـك فعرفت ان الله موجود .

فبعد ان وقع في المصيدة جعله البلاء انساناً .

البلاء يكشف كذب الادعاء :

المسكـين بني صدر لم يكن في بـداية أمـره كذلـك . لقد كـان خـاضعـاً للعلماء وبـالاخص لإمام الأمـة ، ولكن بعد أن التفت حـوله الفئـات المناوئـة للثورة وخدعته أمريكا أخذ يقول :

ان الناس يؤيدونني أكثر من الإمام ، وان ستين بالمـائة من النـاس معي وأربعين بالمائة مع الإمام . بهذا المضمون كان يدعي ويتكلم .

وانـه كان يـدعي بأن لي مـائة وثـلاثين علماً . ويقـول آية الله المنتـظري بأني تصـورت في البـدايـة بـأنـه يمـزح ولكني علمت بعـد ذلـك أنـه جـاد في كلامه . والحقيقة أنه قد أحاط به جهل شديد .

والآن لسـائل أن يسـأل بني صدر : هـل بقي من المائـة والثلاثـين علماً شيء الآن ام أنـها كـانت دعاوى فـارغة ؟ أو هـل بقي من اولئك الأكثـريـة الذين كانوا يؤيدونك أكثر من الإمام أحد ، أم لا ؟

يجب عـلى الجميـع أن يتركـوا الـركض وراء الملذات فـاللذة بـلاء ، وقضاء الوقت بـالملذات لا يوصـل الإنسان إلى الكمـال لأنه يعـارض ويزاحم تكامل الانسان في الانسانية .

أحب أن أكون عبداً :

وردت رواية عن خاتم الأنبياء محمد (ص) في المجلد السادس من بحار الأنوار وحاصلها أن ميكائيل نزل على رسول الله (ص) وقال : انا خازن الأرض وبيدي مفاتيح كنوز الأرض وقد أرسلني ربي لأخيرك بين أن تكون ملكاً رسولا دون أن ينقص من مقامك شيء .

فقال الرسول (ص) : « احب ان أكون عبداً أجوع يوماً وأشبع يوماً »[1] .

احب أن اكون عبداً ، فلو كانت لي جميع خزائن الأرض فإن النتيجة هي الموت وليس في الملك والرئاسة سوى البلاء .

« اجوع يوماً واشبع يوماً » ففي اليوم الذي أكون فيه جائعاً ادعو الله أن يرزقني ويشبعني ، وعندما يرزقني ويطعمني أشكره على ذلك .

لو اعطاك رزقاً متوالياً فسوف تنسى ان الله هو الرزاق وتنسى الشكر على نعمه وتتصور ان هذا الرزق الدائم هو حق ثابت لك .

ترجيح تشييع الجنازة على حفلة زفاف :

نرجع إلى أصل الموضوع ـ كان الكلام في أن البلايا مطابقة لموازين العدل وأنها نافعة لتزكية النفس فالبلاء دواء للمرض افضل من الملذات فالرفاه بلاء للإنسان .

---

(١) « قال (ص) ان الله عز وجل عرض علي ان يجعل في بطن مكة ذهباً ، فقلت لا يا رب ، ولكن اجوع يوماً وأشبع يوماً . فأما اليوم الذي اجوع فيه اتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فاحمدك واثني عليك » .

(جامع السعادات) ج ٢ ص ٥٩

وقد روي أن احد الأشخاص سأل الإمام (ع) : لو اتفق ان كان تشييع الجنازة ومجلس عرس في وقت واحد فأيهما اختار ؟ الامام (ع) يختار له الذهاب الى تشييع الجنازة .

والسبب في ذلك واضح ، فإن تشييع الجنازة يقلل من الاغترار بالدنيا ويتأثر قلبه وهو ينظر إلى الجنازة محمولة على الاكف أو موضوعة على صخرة المغتسل ويعتبر بذلك .

السعادة والراحة تكون بعد الموت ان شاء الله عند حوض الكوثر وفي جوار اسد الله الغالب علي بن أبي طالب (ع) ، فعندما تطلب نفسك الراحة واللذة اتركها لذلك اليوم انه لا بد من تحمل المتاعب هنا ومقابلة المشاكل والمحن لكي نفوز ، ومن الفائز ؟ هو الذي يرى جمال محمد وآل محمد عليهم السلام .

لدينا شواهد متعددة في الآيات والروايات ، فالقرآن الكريم يقول :

﴿ **فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون** ﴾[1] .

كل شكل من أشكال المرض والبلاء يقلل من انانية الإنسان ويضعف الـ (أنا) ، ألم سن من اسنان الإنسان يقلب حاله إلى حال آخر .

فراش المريض محل نزول الرحمة :

النفس لا تترك الطغيان ما لم يصب الانسان مرض ، وقد رأيتم حالة المريض حيث يظهر عليه الخضوع والانكسار وخاصة الامراض التي تستغرق مدة طويلة من الزمان .

ولذلك كان فراش المرض محل نزول رحمة الله لأنه لا طغيان له ولا

---

(١) سورة الانعام ٦ الآية ٤٢ .

قول : أنا ، أنا ، حيث يحل محلها قول : ماذا أفعل ، أين أذهب ؟ ما اضعفني . . وهكذا يتبدل كل ذلك الطغيان والانانية إلى عجز وضعف .

حضر الإمام (ع) عند أحد المرضى لعيادته فكان ذلك المريض يتأوه (يقول آه) فاعترض عليه احد اصحاب الإمام وقال : لماذا تتأوه من المرض ؟ فقال له الإمام (ع) :

- دعه يتأوه فهو تسبيح له - كما هو مضمون الرواية - .

ينبغي لمن يقول : أنا ، أنا ، أن يضربوه على رأسه ودع من يقول : آه . لأنه لا طغيان له .

اطلب من المريض الدعاء :

وأيضاً ورد في الروايات (اطلبوا من المريض الدعاء) لأن للمريض حالة لا توجد عندك فكل آه تنبعث من المريض تقربه من الله اكثر ويقل بها حجابه ولا يعني هذا ان كل مريض كذلك بل هو ذلك المريض المؤمن والصابر .

وقد يكون المرض مصحوباً بالكفر والاعتراض في بعض الاحيان الا انه بعيد عن المؤمنين ان شاء الله .

وقد روي ان الجسد الذي لا يتعرض للبلاء أربعين يوماً فهو بعيد عن رحمة الله . ولهذا كانت الخدشة التي تصيب البدن كاصطدام اصبع قدمك بالحائط مثلا مفيدة فإن تلك اللحظة يقل فيها طغيان النفس .

قلة الثروة رحمة :

والمصيبة اذا لم ينقص من الثروة شيء . فقد ورد في المجلد ١٥ من بحار الأنوار ان رسول الله (ص) نزل ضيفاً على احد المسلمين ومعه جماعة

من اصحابه فسقطت بيضة من على الحائط ولم تنكسر فتعجبوا فقال صاحب البيت : ما رزئت شيئاً قط . فقال رسول الله لأصحابه : قوموا ، أي لا خير في هذا البيت[1] . وورد أيضاً .

(من لم يرزأ في ماله لا خير فيه) كيف يتذكر الله من كان ماله يزداد باستمرار من دون نقصان أو خسارة ، وإذا كنت مرتاحاً الى زيادة مالك فمتى تقول : (ابكي لظلمة قبري) ؟ متى تفكر في الآخرة ؟

(مالي لا أبكي ولا أدري إلى ما يكون مصيري) .

عندما لا يكون في القلب سوى حب التنعم في الدنيا فمتى يفكر في آخرته ؟

طلب العافية مع الصبر على المصيبة :

وطبعاً لا أقول لك بأن تطلب البلاء بل أطلب من الله العافية ولكن اذا ابتليت ببلاء من مرض وفقر ومصيبة فلا تعترض واعلم أنه دواء لمرضك ومن الطبيعي أن يكون الدواء مراً ويجب تحمل مرارته للحصول على الشفاء . فهو يبتليهم حتى يتضرعوا الى الله بقلب منكسر .

الإمام الباقر (ع) يقول لجابر بن عبد الله الأنصاري :

أما نحن أهل البيت فنرضى لرضا الله ، أعطانا الصحة أو المرض الفقر أو الغنى (مضمون الحديث) .

رضا بقضائك وتسليماً لأمرك . . الله رحيم وهو يريد تربية عبده وإيصاله إلى الصلاح والسداد .

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ١٠٦ .

الدرجة التي نالها الحسين (ع) :

عندما بكى الحسين (ع) عند قبر جده ورأى جده في المنام وشكا إليه حاله قال له رسول الله (ص) :

بني ، ان لك عند الله درجة لا تنالها الا بالشهادة . كل شخص يصاب ببلاء أكثر - اذا كان في طريق الإسلام والإيمان طبعاً - فإن مقامه يكون اعلى .

وقد سمعتم بمقالة جبرئيل لما قرأ على آدم (ع) مصيبة ولده الحسين (ع) وقال : « ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب » .

لقد حلت بالحسين أنواع المصائب حتى المصائب التي لم تحل بالأنبياء ليكون مقام الحسين (ع) أعلى من الجميع .

يقول الشيخ الشوشتري : ان القتل على أقسام مختلفة فتارة يقتلون خنقاً وأخرى بالذبح أوالنحر أو يضرب حتى يموت أو يرجم .

ويقول الشيخ : روحي لمن قتلوه بانواع القتل الفداء .

(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف تتنافى الشرور مع العدل ؟

الشرور لا تتنافى مع العدل ، فما نشاهده من أنواع البلاء والمصائب لا تتنافى مع العدل بالبيان الذي ذكرناه . وسنذكر اليوم بياناً آخر مستفاداً من كلمات أمير المؤمنين (ع) :

« ان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليها » .

نظام عالم الطبيعة والمادة مرتبط بسلسلة من العلل والمعاليل بحيث أنه لو كان بغير هذه الصورة لما كان هذا العالم عالماً دنيوياً ، وهذا العالم

الـدنيوي بهـذه الكيفية التي تشـاهدونـه تلازمـه الشـرور والآفـات بشكـل لا تنفـك عنه بحيث أنهم لـو ازالوا هـذه الشرور عن هـذا العالم فسـوف يكـو عالماً آخراً وليس عالم الدنيا .

الشر بالعرض ملازم لعالم المادة :

كل موجود يوجـد ويتحقق في هذه الـدنيا يحمـل معه شـراً بالعـرض مثلا الماء في الأجسام اعظم الخيرات . فالحياة الدنيوية للحيـوانات والنبـاتا وجميع الكائنات الحية مـرتبطة بـوجود المـاء . ونفس هذا المـاء قد يتحـول إلى سيـل مخرب ومـدمـر ويؤدي الى هـلاك وتهجـير الكثـير من النـاس وذلـك إذ اجتمع الماء تحت شـرائط خاصـة وتحول إلى قـدرة مخربـة لكل مـا تصادفـه في طريقها من بيوت وحيوانات فهل يمكن سلب هـذه القدرة من المـاء ؟ أي بأن يخلق الماء بشكل لا يؤدي إلى الأضرار فيما لو تحول الى سيل .

نظام الطبيعة لا يقبل الاستثناء :

نظام العالم يسـير وفق قوانـين طبيعية غـير قابلة للتخصيص وذلـك بأن نقـول أن المـاء لـه قـدرة إلا بـالنسبـة الى بقـرة حسن المشهـدي فهـذا غـير صحيح .

الكهـربـاء مفيدة ولكن نحـدد فعاليتها بحيث لـو أمسـك أحـد بسلك الكهرباء العادي لا يصاب بشيء .

ونقول مثلاً بأن الله خلق الذئب وجعل فيه الـطبع المتـوحش وجعل لـه الانيـاب المفترسـة لغير غنم الشخص الفـلاني . . القانـون لا يقبل الاستثنـاء فلازم الذئب هوافتراس الغنم فلا يختص بغنم دون غنم .

قدرة الدفاع في مقابل الخطر الطبيعي :

عندما جعل الله تعالى هـذا القانـون خلق في مقابله القـدرةعلى الـدفاع ايضـاً ، فعندمـا خلق الذئب واعـطاه الانياب الحـادة والطبـع المتـوحش حتى صار خطراً عـلى الحيوانـات اعطى لكـل حيوان القـدرة على الـدفاع ايضـاً . فاعطى للغزال مثلاً القـدرة على العـدو بحيث لو لاحقـه الذئب لمـا تمكن من الامساك به وكذلك اعطى للطيور اجنحة لتطير بها .

فالذئب بلاء بالنسبـة للخروف ولكن الله تعـالى سخر الانسـان لمراقبتـه وحـراسته طمعـاً في لحمه وجلده ، فـالـذئب عـدو للخـروف إلا أن الإنسـان حارس له وكذلك الحال في كلب الماشية الذي يدافع عن قطعان الماشية .

الكلب والذئب في منتصف الليل :

يذكر الحـاج حسين التبـريزي انـه عندمـا كان شـاباً كـان يسكن قريـة بالقرب من تبريز وكان له بعض الغنم وفي أحـدى الليالي سمعنـا صوتـاً مخيفاً لم نعلم مصدره إلا أنه كان يشبه صوت الذئب .

فلما اصبح الصباح ذهبنا نستطلع خبر الصوت فـرأينا ان ذئبـاً قد هَجم على الماشيـة منتصف الليل فخـرج الكلب لمقابلتـه ويقال أن الكلب اذا تمكن من الامسـاك ببيضة الـذئب فهـذا يعني نهايـة الـذئب ولكن مـع تلف اسنـان الكلب ، وهكذا وجدوا الكلب وقـد أمسك ببيضـة الذئب بـاسنانـه والذئب يحاول الخلاص من دون جدوى حتى وصلوا إليه وقتلوه .

انـظروا كيف ان الله تعالى سخـر الكلب بهـذه الصـورة مـع ان الكلب يدرك بغريـزته ان اسنـانه معـرضة للتلف إلا أنـه يضحي بها من أجـل حفظ الماشية والدفاع عنها في مقابل خطر الذئب .

اذا اعطى المرض فقد اعطى الدواء :

عندما خلق الله الذئب لم يجعل الخروف تحت اختيار الذئب بصورة كاملة بل جعل له محافظاً وجعل للآخر قرناً أو جناحاً أو عدوا . فجعل لكل آفة علاج وحتى المرض في الحيوانات نجد أن الله تعالى قد الهمها الدواء ايضاً فهي تدرك بغريزتها ما تفعله لمعالجة المرض .

هناك نوع من ألم البطن يصيب الهرة وعلاجها نبات خاص ينبت عادة فوق سطح المنازل .

وعندما يمرض الطير فدواءه فضلة الكلب ، فكل حيوان ملهم بمعرفة دوائه فقد علمه الله الدواء في مقابل المرض ، وقد ذكرت عجائب من هذا القبيل من كتاب حياة الحيوان .

نبات الصحراء دواء لأمراض البشر :

لقد احصوا ما يقارب أربعة آلاف نوع من الأمراض التي تصيب الانسان وفي مقابل كل مرض دواء خاص ، فلا يوجد نبات من النباتات الصحراوية والجبلية من دون فائدة ، فكل مختص بعلاج نوع من هذه الأمراض وقد توصل الإنسان للكشف عن الكثير منها وبقي الكثير أيضاً لم يكشف بعد ، والكثير من الادوية الجديدة يتم استخراجها وتركيبها من النباتات الصحراوية أو الجبلية ولحد الآن تستعمل بعض الأدوية النباتية .

سوء الأكل أو كثرته بسبب الانسان :

لا يصح أن يقال لو لم يكن ألم لكان أفضل ، لأن العالم الدنيوي مركب من الأضداد ، وفي الغالب تكون الآلام بسبب الانسان ثم يتمرض بعد ذلك ، فالكثير من الأمراض تنشأ بسبب الأكل بأن يأكل لقمة في غير

محلها أو يكثر من الأكل وقد ورد ذلك في الرواية أيضاً وذلك فيما اذا اكل الانسان بشكل مستمر أو أكل اللبن مع الطرشي أو طعاماً غير مناسب فإن آثاره ستظهر بعد ساعات أو أيام . يجب أن ندرك لماذا صار الصوم صحة للبدن (صوموا تصحوا) .

الصوم علاج شرعي للأمراض :

وبالإضافة إلى أن الصوم قوة للروح فهو شفاء للبدن أيضاً ، والمتخصصون في الطب الجديد يرون أن الامساك عن الطعام أحد اشكال العلاج الحتمي ، وقد ورد في الإسلام التأكيد على صوم ثلاثة أيام من كل شهر خصوصاً في اشهر الصيف لتأثيرها الجيد على صحة جسم الانسان .

عندما تأكل بكثرة لمدة احد عشر شهراً لا بد من العمل على تحلل الرطوبات الزائدة وإلا فقد تصاب بالفلج أو تصاب سائر القوى البدنية بالضرر والامساك عن الطعام هو الذي يساعد على تحلل هذه الرطوبات الزائدة . ولا بد أن يكون امساكاً بالشكل الصحيح بأن يترك وجبة طعام واحدة ، فإن كان يأكل قبل شهر رمضان وجبتين في اليوم لزم أن يترك واحدة ، وان كان يأكل ثلاث وجبات فإنه يترك واحدة ايضاً أي بأن يقلل من أكله بمقدار النصف لا أن يأكل وقت السحر أيضاً فيصاب بحموضة المعدة أو وجع الرأس أو يصاب بحالة التهوع . إذن فهذا لا يعد صوماً حيث يبطل مفعوله عندما تأكل في فطور واحد أو سحور واحد طعام عدة أيام .

الأمراض التي تمنع أمراضاً أشد :

إذن فالكثير من هذه الأمراض ناشئة من فعل الانسان فهو الذي يسبب المرض لنفسه ومع ذلك فقد جعل الله تعالى له الدواء ، إضافة إلى

أن الأصابة ببعض الأمراض تنفع في منع الاصابة بأمراض اشد منها .

وقد روي في بحار الأنوار ان سلمان الفارسي اصيب يوماً بالزكام فجاء الى أمير المؤمنين (ع) وقد لف رأسه ووجهه بعصابة فسأله أمير المؤمنين عن حاله ، فقال : لقد زكمت . فقال أمير المؤمنين (ع) ، ان الزكام يمنع الجنون ، أي أن الزكام يفرغ الدماغ من الرطوبات ويخلصه منها ليكون مستعداً للتفكير بصورة افضل ، فلولا الزكام لبقيت هذه المواد في الدماغ ومنعت الذهن من الادراك السليم .

وهناك رواية اخرى سمعتها في سن الشباب من احد كبار العلماء عن رسول الله (ص) انه قال : كيف اكون مجنوناً وأنا أزكم في كل شهر مرة (مضمون الحديث) لأن المشركين كانوا يتهمونه بالجنون .

وعن النبي (ص) قال : لا تكرهوا أربعة فإنها لأربعة ، لا تكرهوا الزكام فإنه أمان من الجذام ، ولا تكرهوا الدماميل فإنها أمان من البرص ، ولا تكرهوا الرمد فإنه أمان من العمى ، ولا تكرهوا السعال فإنه أمان من الفالج[1] .

رماد الجعل دواء لوجع العين :

لا شيء في عالم الوجود بدون حكمة ، ولا يصح أن ننفي الحكمة والمصلحة ونقول ما فائدة ذلك الموجود بمجرد عدم فهمنا لفائدته .

الجعل حيوان يأكل النجاسة وقد ذكروا أن أحد الحكماء الذي كان يقول أنا لم أفهم فائدة هذا الجعل أصيب بمرض في عينه واستعمل في معالجة عينه مختلف الأدوية بدون جدوى فقالت له عجوز مجربة بأن لدي

---

(١) سفينة البحار ج ١ باب زكم .

دواء ينفعك فاعطته أياه فاستعمله وشفي ، فسألها عن ذلك الدواء فقالت ، إنه جعل محروق .

فقال : لقد اتضح اذن أنه لا موجود إلا وله فائدة سواء علمنا أو لم نعلم .

إذن ففي عالم المادة شرور ولكن يجب أن تعلم أنها ليست ذاتية بل عرضية ونسبية ، وايضاً فقد خلق لكل انسان ما يدفع عنه هذه الشرور وان لكل شر مصلحة كامنة اضافة إلى أن الله تعالى جعل سبباً آخر يحفظ الإنسان من الشرور وهو أمران الدعاء والصدقة .

الصدقة دفاع ضد الشرور :

ومن لطف الله وفضله على البشر أن فتح لهم باب الدعاء والصدقة حفظاً لهم من الشرور ، فباستطاعة الإنسان أن يدفع الشر عن نفسه بالصدقة فالبداء موجود في عالم التكوين وقد جعل الله هذا الأكسير الفعال تحت اختيارنا ولكننا لا نعرف قدره ، فلو وفق احد بأن يدفع في أول يومه صدقة فإنه سيكون في أمان من شرور ذلك اليوم ، ولو انه تصدق في اول ليله دفع الله عنه شرور تلك الليلة ، فكل من يدفع صدقة في سبيل الله فإن الله يؤمنه ويدفع عنه الشر .

لماذا التشاؤم من الحياة ؟

الحرص هو الذي يلقي بك في المشقة ولا يجعلك سعيداً في الحياة ، والحسد نار محرقة وكذلك حب الرئاسة ﴿ **ولكن الناس كانوا انفسهم يظلمون** ﴾ .

أيها الشبان الأعزاء ، اذكر لكم ما لدينا من تجارب في الحياة ، لماذا

يكـون الانسـان متشـائماً في الحيـاة ؟ مثله مثـل ذلـك الجـاهـل « صادق هـدايت »[1] الـذي كـانت عـاقبتـه الانتحـار ، وهكـذا حـال كـل من سـار بمسيرته .

لماذا تكون سيء الظن بعالم الـوجود وتجعـل الحياة ضيقـة على نفسـك ؟ لماذا تترك الطريق المستقيم المعبد وتوقع نفسك في مآزق ؟

اللهم عرفنا النعمة :

كل قيد يقيد به الانسـان نفسه يمنعـه الراحـة في الحياة ويصعب الحيـاة عـلى نفسه بـذلك ، فعنـدما يملكـه الحرص لا يـرى ما بيـده من عـطاء الله ، وكما قال احـد العلماء ، لا تقل أبـداً الهي زد نعمك عـلي بل قـل إلهـي عرفني نعمك لان نعم الله عليك كثيرة ولكن ما الفائدة اذا لم تعرفها ؟

عندما يفهـم الشخص ذلـك يكون قـرص الخبز لـوحده نعمـة . . الهي اجعلني راضيـاً بما قسمت لي من الـرزق في حيـاتي ، فهـو يحمـد الله عـلى مـا اعـطاه من النعمـة لا ان يتـطلع الى معيشـة الآخـرين ويـرى حيـاتـه مليئـة بـالنواقص فيسخط عـلى الحياة ويعتـرض عـلى جهـاز الخلقـة ويغفـل عن الله والآخرة ويحرمه ذلك من السعادة فلا يرتاح باله ابداً .

اللجوء إلى المخدرات فراراً من القلق :

ولـذلك تجـدون البعض يخدرون انفسهم بـالمواد المخـدرة ولم تكن هذه

---

(١) كـان « صادق هـدايت » من الكتاب الايـرانيين المتشـائمـين من الحيـاة وكـان يسلك مسلك (الهيبـز) في معيشته وقـد بدا ذلـك واضحـاً في كتـابـه (بـوف كـور) الـذي انتشر في ايـام الحكم البهلوي ويؤكد فيـه على تفـاهة الحيـاة ونكران القيم الانسـانيـة وقد انتحر في احدى حمامات لندن .

المواد سابقاً وإنما كانوا يجلسون ويستمعون إلى حكايات أحد الأفراد القصصيين فيرفهون بذلك عن همهم وحزنهم .

كن حراً ولا تكن مقيداً بالجلوس على السجاد مثلاً ، أو أن يكون دخلي اليومي مائة تومان وأن أربح في كل معاملة واحتفظ بكرسي الرئاسة ، والخلاصة فكل قيد يعد بلاء على الإنسان .

عبد الله هو كل مطلق وحر حقيقي في العبودية لله ، وما لم يصل الى هذه الدرجة لا يكون موحداً حقيقياً ولا يصل إلى السعادة الحقيقية لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فكل من كان في هذه الدنيا مقيداً واسير فهو كذلك بعد الموت[1] .

البهشتي يتخلص من المصائب :

الفئات المناوئة للثورة تحرض الفتية على اعمال التخريب وتفجير القنابل فيستشهد بذلك خيرة الأفراد ، ولكن نريد أن نعلم الضرر الذي اصاب الشهيد البهشتي والضرر الذي اصاب الاعداء فبالنسبة إلى الشهيد البهشتي ما حصل عليه هو التحرر من عالم الطبيعة والخلاص من رؤية هذه النفوس الشقية ، لأن نفس رؤيتهم بلاء ، فقد ارتاح من رؤية هؤلاء المنافقين وتخلص من مصائب عالم الطبيعة ، وقد ادت تلك القنبلة الى تخلصه من قفص الجسد ، والموت نهاية كل شخص فلو بقي حياً لمات بعد ذلك بسبب آخر ، اذن فلم يتضرر البهشتي من ذلك .

هل حصلوا على نتيجة ؟

أما مرتكب هذه الجناية ومن أعانه على ذلك من الفئات العميلة

---

(١) « ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً » .

لامريكا فماذا تضرروا من جراء ذلك ؟

أولا : انتظروا جزاءهم في هذه الدنيا بالذات حيث سيصابون بأنواع البلاء والمصائب .

وثانياً : انهم أرادوا بذلك أن يتسلموا الحكم وتسليمه الى أمريكا فهل وصلوا إلى غايتهم وغرضهم أو أن اللعنة ازدادت عليهم ، فقبل هذه الحادثة كانت كلمة « الموت لامريكا » أقل ، أما بعد الحادثة فأينما تتوجه تجد شعار « الموت لأمريكا » .

وقبل هذه الحادثة لم يكن أحد يتصور أن نهاية المنافقين تحصل بهذه السرعة ، ولكن بعد الحادثة فلا يخلو يوم إلا وينال فيه عدة من هؤلاء الكفار الملحدين الزنادقة المرتدين جزاء اعمالهم ، فقد اسرعوا في القضاء على انفسهم .

﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾(١) ، **﴿ وما اصابك من سيئة فمن نفسك ﴾**(٢) .

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٢٨٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٧٩ .

(٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

البلايا دواء معنوي :

كانت خلاصة البحث السابق هو أن الصعوبات والبلايا التي تواجه الانسان في الدنيا اضافة الى كونها من لوازم هذه الحياة المركبة من الاضداد ، فهي تدفع به في سلم الكمال وعلاج لأمراضه ، ولولا البلايا والمحن لما توصل الانسان إلى كماله المنشود بل يبقى في حده الحيواني .

وقد ورد عن رسول الله (ص) انه قال :

« لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه ، الفقر والمرض والموت » .

الفقر يمنع الطغيان :

الأول هو الفقر والفاقة ، فالفقر يمنع الانسان من الطغيان لأنه لو كان غنياً ولم يشعر بالاحتياج فأولاً : لا يوجد شخص بهذه الحالة ، ولو فرض وجود شخص كذلك فلا بد أن يكون انانياً وطاغياً ومتوحشاً ، أما لو أحس الإنسان بالإحتياج فسوف يتحمل التعب ويعمل ويجهد نفسه ويصبر وبذلك يصل إلى الكمال الانساني .

وقد ورد في الرواية ان داود نودي بأنك نعم العبد إلا إنك ترتزق من بيت المال . . فبكى داود وتضرع إلى الله فأعطاه الله عملاً وعلمه صناعة الدروع وألان له الحديد ، فكان يصنع الدرع ويبيعه ويرتزق من ذلك العمل ويأكل من عمل يده وكسبه .

العمل لسد الحاجة :

كان عمل الإمام علي (ع) هو غرس الشجر وقد زرع خمسمائة نخلة بأن غرس نواة التمر في الأرض وسقاها لعدة سنوات حتى صارت نخلاً وأثمرت فباعها جميعاً ووزع ثمنها على الفقراء . فالمقصود أنه كان يعمل ويشتغل ليرفع إحتياجه .

العمل لتأمين المعاش يكون كفارة لبعض الذنوب « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله » .

اما لو حصل على المال بدون جهد أو عمل فلا يدل على إيمان صاحبه بالشكل المطلوب .

المرض يجلب الخضوع :

الثاني هو المرض ، والحقيقة أنه نعمة عظيمة للإنسان حيث يجعله

خاضعاً ويقلل من غروره ويعلم بأنه لا أحد يدفع عنه الضرر ، وهكذا يتقرب إلى ربه اكثر بسبب المرض .

والثالث من أسباب تسليم النفس هو الموت ، بأن يلتفت أنه ميت لا محالة ، وقد ذكروا بعض الاشكالات والتساؤلات حول الموت لا بد من ذكرها والاجابة عنها بشكل مختصر .

لماذا الموت ؟

يقولون لماذا الموت ؟ فإن كان الله يريد أن يأخذ ابني ، فلماذا خلقه من أول الأمر ورزقني إياه ؟

والآخر هو أنه بعد أن قضى على الانسان بالموت ، فلماذا لم يجعل له حد معين حيث نجد أن البعض يموت في سن العاشرة والآخر في سن التسعين ؟

لماذا ينفر الإنسان من الموت ويخاف منه ؟

خلق الماء فلا بد من العطش :

ذكروا في معرفة النفس أن كل حاجة في النفس الانسانية دليل طبيعي على وجود ما يشبع هذه الحاجة وإلا لم يوجد المقتضى لها في النفس ، مثلا العطش دليل على وجود الماء فالعطش يحصل في النفس سواء اردت او لم ترد ، اذن لا بد وإن الله تعالى خلق الماء أيضاً فلو لم يكن الماء لما كان العطش .

وكذلك الجوع الذي يحس به الإنسان هو دليل على وجود طعام يشبه هذه الحاجة .

ومن الأمور الموجودة في نفس الإنسان هو حب البقاء أي أن الانسان

يحب لنفسه البقاء والخلود ويهرب من الفناء . فالإنسان ليس مستعداً لقبول الفناء . فالميل الطبيعي لكل انسان هو حب البقاء .

حب البقاء دليل على البقاء :

وهنا نستفيد فائدتين : إحداهما انه اتضح أن وجود الانسان دائمي وإلا فإن إحساسه ورغبته تكون بدون معنى ، فلو لم يكن أبدياً لما وجد في نفسه حب البقاء ، فبما أن الإنسان يحب البقاء أبداً ، أذن فهو لا يفنى بالموت .

خوف الإنسان من الموت ناشىء من تصوره الخاطىء بأن حقيقته هي هذا البدن ، ولكنه عندما يعلم بأن هذا البدن ما هو إلا مركب للروح وان حقيقته هي الروح المجردة فحينئذ سوف يترك البدن ليصل إلى كمال اعلى . فالموت للإنسان لا يعني نهاية حياته بل نهاية حياة البدن وأما الروح والذات الانسانية فهي لا تفنى بموت البدن بل هي باقية ببقاء الله تعالى .

فمنذ أن يموت البدن تنتقل الروح إلى عالم البرزخ وتبقى إلى يوم القيامة حيث تنال جزاءها .

وقد ذكر لنا الأنبياء بأن وجود اقتضاء الابدية في نفسك يعني أنك أبدي وأن ذاتك وروحك باقية وان الموت الحيواني لازم للحركة نحو الكمال .

الهدف هوالتكامل لا مجرد العيش :

اذا كان الهدف هو البقاء فلماذا لم يبق في رحم الأم ؟ ان البقاء في رحم الام يمنع الانتقال الى هذه الدنيا ، ومن هنا كان له حد محدود . إذن فللحياة الدنيوية حد أيضاً وهو السبعون أو الثمانون عاماً . وماذا يعني البقاء في الدنيا مع أن الهدف غير ذلك وهو الوصول إلى الكمال .

ولولا وجود الموت فماذا يكون عليه وضع الدنيا ؟ لو أخذنا بالاعتبار مدة خمسين ألف عاماً ولحد الآن فهل يبقى مكان في الدنيا للحياة ؟ ولا بد وأن يهرم الناس لان الهرم والشيخوخة لازم طبيعي للحياة ؟ وهكذا يصبح جميع الناس عاجزين عن العمل ، ويظل الجيل الجديد يعتني بالعديد من الأجداد فما أتعس حال من تورط بعدة آباء وأمهات عجائز بحيث يجب عليه أن يضع اللقمة في أفواههم وينظفهم .

الشيخوخة ضعف جسدي وذهني :

عندما يصل الإنسان الى سن السبعين أو الثمانين فقد اقترب من كماله فأما أن يكون كمالاً من الناحية الإيجابية أو السلبية ، فلو لم يصل الى الكمال الانساني والايجابي فإن قواه الذهنية ستضعف يوماً بعد يوم وقد يغدو سفيها ويعود الى حالته الأولى[1] باستثناء الانسان المؤمن .

وقد روي أن ابراهيم الخليل كما ورد في كتاب حياة القلوب كان راغباً في عمر طويل لتتسنى له العبادة أكثر .

وكان ابراهيم لا يأكل طعاماً بدون ضيف يأكل معه ، فأتفق في احد الأيام أن جاءه ضيف كبير السن بحيث كان يتحرك بصعوبة بالغة وكانت يداه ترتجفان اثناء الأكل وشفتاه غير قادرتين على الاحتفاظ باللقمة فكان لعابه يسيل مع الطعام على لحيته ، والخلاصة فقد رق ابراهيم (ع) لحاله كثيراً .

فقال له جبرائيل : هذه نتيجة الشيخوخة ، فقال ابراهيم (ع) :

لا أريد إلا ما قدره الله لي من العمر .

---

(١) « ومن نعمره ننكسه في الخلق » سورة يس ٢٦ الآية ٦٨ .

العمـر الطويـل له هـذه النتائـج والمصائب . إذن فـالموت نعمـة للبشر ولولا الموت لكانت الحياة تعيسة وكان كـل نفس من انفاسـه بلاء ، وقـد كان أحد الاعيان وأهل العلم يقول : بعد أن وصل سنـه إلى المائـة عام بـأن جميع أمـور معيشتي حسنـة وصحتي جيـدة ولكـني اتنفس بصعـوبـة بسبب الشيخوخة .

الله سبحـانه وتعـالى قد يحفظ بعض الأشخـاص للعبرة وإفهـام النـاس بأن العمر إنما يكون نافعـاً إذا استطاع الانسـان أن يؤدي عملاً صـالحاً ويهيء الزاد والمتاع لآخرته وإلا فـالعمر الـطويل ليس فيـه سوى التعب والتعـاسة لا أكثر .

(٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

هل الانسان مختار في افعاله أم مجبور ؟

كان الحديث في بحث العدل لحد الآن يتعلق بالمخلوقات والقسم الآخر من هذا البحث يتعلق بأفعال البشر من حيث الصدور ومن حيث الجزاء .

أما من جهة الصدور ، فالاشاعرة يقولون بما أن عاقبة الانسان ترتبط بالقضاء والقدر فلا بد أن تقع الافعال الصادرة منه طبقاً للقضاء والقدر بحيث تكون جبرية ، فكل فعل يصدر منه أو حركة فهي بإرادة الله ، ويذكرون بعض الآيات القرآنية شاهداً على أن جميع الأفعال تستند الى الله ولولا ارادة الله لما صدر ذلك الفعل .

كيف يأمر الله بالقبيح ؟

هـذه العقيـدة تسمى بمـذهب الجبـر ، أي أن الإنسـان غـير مختـار في افعاله وان الله هو الذي يدفع الانسان إلى ارتكاب الذنب .

ولكن لـو لم يكن الفعل صـادراً من الإنسان بـل من الله فلازمـه الظلم والقبح ، فكيف يأمر الله الانسان بفعل القبيح ؟ فهو من جهة يـأمر الإنسـان بعدم القتل ولكنه يدفعه من جهة أخرى إلى إرتكاب القتل !

اما مذهب العدلية فيـذهب إلى أن الله تعالى لم يجبـر الإنسان أبـداً ولن يجبره لا على فعل الخير ولا على فعل الشر .

الكثـير من المسلمـين نجـدهم تفـويضيـين فيـما يتـلاءم مـع مصـالحهم وجبـريين في مـا خالف ذلـك ، فإذا عقـد معـاملة وربـح منهـا عـد ذلـك من ذكائه وخبرته ، وأما لو أصـابه ضـرر منها فـإنه يقـول الهي لماذا تضـررت من هـذه المعاملة ؟ ويقـول : لا اعلم ماذا قـدر لي ربي في هـذه الصفقـة ؟ وعـلى كل حال فهو يرى كل خير من نفسه وما سوى ذلك فمن الله .

انظروا إلى جهة النعمة :

عنـدما يـرزقه الله ولـداً لا يشكر الله عـلى ذلك لأنـه لا يـراه من الله . وقـد ورد عن الإمام السجـاد (ع) انـه رزق مـولـوداً فسـال أولاً عن صحـة الأم وصحـة الولـد فلما اخبروه بسـلامتهما سجـد لله شكراً قبـل أن يسأل عن المـولـود ذكـر هـو أو انثى وذلـك لأن صحـة وسـلامـة الأم او الـطفـل نعمـة عظيمة .

لقـد أخبـرني الأطبـاء مـراراً عن عجـائب الخلق في وضـع الحمـل ، فالمفروض طبقـاً لحسابـات علم الطب أن يكـون الموت نصيب تسعـين بالمـائة

من النساء حال الولادة ، ولكن الواقع على العكس من ذلك فلا خطر حتى على عشرة بالمائة منهن وقد يتفق في الكثير من الحالات وخاصة لدى العشائر والقبائل المتنقلة أن تضع المرأة حملها بدون مساعدة طبيب .

ولكن عندما تلد زوجته وتتجاوز الخطر بسلام وتلد طفلاً سالماً فإنه لا يرى ذلك من الله .

وإذا بشر أحدهم بالأنثى :

لا فرق بين الذكر والأنثى ، فلو فرق أحد بينهما فقد كفر بالنعمة ، فعندما يقال له أنها انثى فإنه يتأثر ويقطب جبينه وهذه هي عادة الجاهلية قبل الإسلام ﴿ **وإذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم** ﴾[1] .

لقد كان هذا حال الجاهلية قبل الإسلام في حين أنك مسلم فلماذا تقول بالفرق بين الابن والبنت ؟ انه كفران بالنعمة ، فلو كان ذلك من جهة التعب في التربية فهما سواء من هذه الجهة ، وأما من جهة الزواج فإن كانت البنت بحاجة إلى جهاز عرس واثاث بيت فالولد كذلك ، وما أكثر البنات االلواتي كن سبباً في سعادة الأب والأم وما اكثر الأولاد الذين كانوا بلاء ومصيبة على الأب والأم والرازق في كلا الحالتين هو الله .

هو المعطي وهو الآخذ :

وعلى كل حال فعندما يرزقنا الله الأولاد لا نشكره على ذلك ولا نسجد سجدة الشكر كما كان يفعل ذلك الإمام السجاد (ع) ، ولكن عندما يموت الطفل أو يمرض فسوف نتألم ونغضب وقد يعترض الإنسان على

---

(١) سورة النحل ١٦ الآية ٥٨ .

القضاء والقدر الإلهي ويرى ذلك من الله .

الله الذي اعطى هو الذي أخذ إلا أنه عندما أعطى تراه منك وعندما أخذ تراه من الله وتقول انه قد أخذ مني أولادي ، لماذا لا تقول أن الله أخذ عبده ومملوكه ؟ فهو الذي اعطى وهو الذي أخذ لا أنه قد أخذ مالي . . اترك الـ (انا) فهو الذي يحيي ويميت ، وعلى كل حال لا يجوز للإنسان أن يكون جبرياً وتفويضياً معاً بأن يكون جبرياً فيما يخالف رغبته وميله وتفويضياً اذا وقع طبقاً لرغبته ومصلحته .

جواب الفلاح للسارق :

وافضل جواب لمثل هذا المسلك الشيطاني « أي أن يكون جبرياً عند وقوع ما يخالف مصلحته » هو جواب ذلك الفلاح الذي دخل الى حقله ورأى لصاً مشغولاً يأكل الفاكهة ويملأ جيوبه منها .

الفلاح المسكين يرى أن هذا المتجاوز يقتطف ثمار تعبه وعمله لعدة أشهر فصاح به : يا عبد الله ماذا تفعل ؟ .

فأجاب اللص : الأرض ارض الله ، والشجر ايضاً شجر الله والفاكهة ايضاً ملك لله ، وأنا عبد الله وهذه الاسنان قد نطقها الله ، فماذا تدعي أنت بعد ذلك ؟

فتعجب الفلاح وتحير في جوابه فمع كل هذه الوقاحة يلقي بالتبعة على الله ايضاً .

فكمن له الفلاح في مكان من الحقل فلما اراد اللص الخروج هجم عليه واوثقه بالحبال ورفع عصا غليظة كان قد اعدها مسبقاً وشرع يضربه بها ضرباً مبرحاً وقال مجيباً على صراخ اللص واعتراضه .

لماذا تصرخ ؟. العصـا ملك لله واليد ايضـاً ملك لله . والضارب عبـد الله وبدنك ايضاً ملك لله ، فلماذا تعترض ؟

لا بـد وأن يكون جـواب الجبري كـذلك . فلمـاذا كـان اكلك من الله أما الضرب فليس من الله بل من العبد ؟!

وطبيعي أن ما ذكرناه كـان جوابـاً ناقصاً، وأمـا الجواب العلمي والحـلي فهو ان نوضح معنى الأمر بين الأمرين .

الجبر خلاف الوجدان :

الجبر ـ وهو ان نقول ان الانسان غير مختار ـ باطل قطعاً .

ايـن كـه گـوئـي ايـن كـنـم يـا آن كـنـم
خـود دلـيـل اخـتـيـار اسـت اي صـنـم

اي ان قولك افعلٍ هذا أو ذاك هو دليل على انك مختار .

كـل انسان يـدرك بوجـدانه أنـه مريـد ومختار في افعـالـه لا أنـه مجبـور عليها ، فكل من يـذهب الى المسجد انمـا يذهب بـاختياره ، وكـل من يذهب الى مجلس الفسق فـإنما يـذهب باختيـاره ، وهكذا عنـدمـا يقـول كلمـة طيبـة يعلم انه هو الذي قالها وعندما يقول شراً فكذلك .

والمحقق القمي يقول اننا لو اقمنا الف دليـل على صحـة الجبر فـإنها لا تجدي نفعاً في مقابل الوجدان فبطلان الجبر واضـح وكل من لـه وجدان يفهم أن الذنب أو الطاعة لا يقعان بدون ارادة فلا بد وأن يكون الفاعل مختاراً .

ولكن مشيئة الله شرط لا علة :

ولكن مع ذلك فليس للموجودات استقـلال في العمل ، فليس ارادتها

هي تمام العلة بحيث يتحقق كل ما يريد لأن الشرط الأساسي لها هو ارادة الله ، إذن فارادة الله شرط لا سبب وعلة، والسبب والعلة هو ارادتك وارادتي ولكن بما أننا مخلوقات عاجزة وليس لنا قدرة من ذاتنا فلا بد وأن يعطينا الله القدرة وهو مرتبط بارادته فهي شرط اساسي سواء في الخير أو الشر .

يعطي القدرة للامتحان :

الله عز وجل يعطي القدرة في الموارد التي يراها صلاحاً ولا يعني هذا انه هو الفاعل بل أنه لا يمنع العبد ويسلب اختياره امتحاناً واختباراً له فهو يمد كلا من الطرفين[1] سواء من كان يريد الشر او من يريد الخير ، فهنا دار الامتحان ولا بد أن يكون الانسان على مفترق طرق ويتمكن من فعل الخير والشر حتى يكون مستحقاً للثواب والعقاب . وأما لو لم يكن باستطاعته إلا فعل الخير أو فعل الشر ، أو لم يكن يستطيع شيئاً من ذلك فكيف يستحق الثواب او العقاب ؟

لو لم يكن قادراً ومختاراً في كل من جانب الخير والشر لما كان هناك كمال للبشر ، لأن كمال الإنسان ملازم لاختياره في أن يرتكب خيراً او شراً .

أما ما يتعلق بالله فهو اعطاء القدرة والاختيار .

ارادتك وحدها غير كافية :

والخلاصة ان ارادتك لا هي علة تامة ولا انها غير موجودة ابداً بل

---

(١) « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » .
(سورة الاسراء ١٧ الآية ٢٠)

ان ارادتك ورغبتك لا بد أن تكون موجودة ولا بد أيضاً من افاضة القدرة والأرادة من الله ، فما اكثر الموارد التي يريد فيها الانسان أمراً ولا يقع ذلك ولا تتعلق به ارادة الله .

الله عز وجل يعطي القدرة لكل حركة اذا كان فيها صلاحاً ، وإلا لم يعط ، وهذا هو معنى الامر بين الأمرين ، فلا هو جبر بأن تسلب منه كل اختيار ، ولا هو تفويض بأن تكون تمام القدرة والعلة بيدك ، بل أنت تريد بمقدار ما يريد الله ويعطي لك القدرة عليه .

انت مسؤول على الارادة :

ولا محل هنا للتساؤل أنه لماذا اعطى الله القدرة في هذا المورد دون ذاك ؟ فأنت مسؤول عن ارادتك . وحينما لا يكون صلاحاً فسوف لا يتحقق ما تريد .

واذكر لكم قصة من كتاب (الكلام يجر الكلام) للتنوع في الحديث وهي تتعلق بما نحن فيه وهو أن يريد الإنسان شيئاً ولا يكون مصحوباً بإرادة الله .

كان أحد المالكين في نيويورك بصدد بناء عمارة ضخمة من ناطحات السحاب وقد اقترض لذلك مبلغاً كبيراً من المصارف والبنوك مع الفوائد الربوية المترتبة على القرض . وقبل أن يكتمل البناء أخذ هذا الرجل يحسب ما له وما عليه فخرج بنتيجة وهي أنه مع فرض الانتهاء من البناء ومرور الفوائد الربوية المتزايدة . فلم يجد مخرجاً من ذلك سوى الانتحار . ومن أجل ذلك شرب مقداراً من السم والقى بنفسه من أعلى تلك البناية حتى يكون موته حتمياً .

ولما كانت البناية في طور البناء وكانت الأخشاب لا تزال مثبتة على

الجدران فصادف أنْ علق بأحدها وتدلى رأسه الى الاسفل وتقيأ ما شربه من السم فأدركوه وهو على هذا الحال ونقلوه إلى المستشفى وعالجوه .

لقد اراد ان يقتل نفسه بسببين للموت حتميين إلا أن القدرة العليا شرط لازم[1] فالعالم له صاحب ومشيئته شرط اساسي ، ولا يعني هذا انك مجبور وغير مسؤول ، فأنت تريد شيئاً إلا أنه متوقف على ارادة الله فهي شرط لا علة تامة .

علم الله يتعلق بالافعال الاختيارية ايضاً :

وهناك شعر ينسب إلى بعض الجهال حيث يقول فيه بأن الله كان يعلم بأني اشرب الخمر فلو لم أفعل ذلك للزم أن يكون علمه خطأ . ولكن ما اسخف هذا اللون من التفكير وذلك لان علم الله مبني على الواقعيات فالله عز وجل يعلم منذ الأزل بأن هذا الجاهل سوف يشرب الخمر باختياره لا انهم يجبرونه على ذلك ، فعلم الله بأفعال العباد يتعلق بارادتهم لا انه يسلب الارادة منهم .

الله عز وجل كان يعلم بأن الشمر سوف يرتكب تلك الجناية بارادته واختياره لا انه مسلوب الارادة .

وقد ورد ان امير المؤمنين كان جالساً الى حائط قديم يوشك على السقوط فقام الإمام (ع) من مكانه الى مكان آخر فقال احد الحاضرين : يا أمير المؤمنين أتفر من قضاء الله ؟ فقال (ع) :

« أفر من قضاء الله إلى قدر الله » .

قضاء الله في عالم الوجود مرتبط بالعلل والاسباب ، فلو انهار الحائط

---

(١) « وهو القاهر فوق عباده » . (سورة الانعام ٦ الآية ١٨)

وكـان تحتـه شخص جـالس فسـوف يبقى تحت الـركـام وقـد يمـوت في بعض الحـالات ، وقضـاء الله يعني أنـه اذا قـام وانتقـل إلى مكـان آخـر فسـوف لا يصـاب بشيء ، وليس معنـاه مـا تتخيله من أن القضـاء الإلهي الحتمي لا يمكن الفـرار منه فيجب أن يعمـل الانسـان بوظيفته لان ارادة الله كثيـراً مـا تتعلق بالعـلل والاسباب التي اشرنا إليها .

لا استقلال ولا آلية :

وخلاصة الامر بين الامرين هو ان الانسـان لا هو فـاعل مـطلق ولا هو مجرد آلة ، والتقـدير الإلهي يكـون مع حفظ الاختيـار للإنسـان بأن يقـدر الله لك ماتختاره لنفسك فسعـادة الإنسان أو شقـائه مـرتبطان بـإختيار الانسـان ، فلا تكن جبرياً لان الله اعلى وأجـل من أن يجرد الانسـان من اختياره ويـوقعه في الشر بعد ذلك .

ومن جملة الاشخـاص الذين وقعـوا في الجبر هـو ابن ملجم ، فعنـدمـا ضـرب امير المؤمنـين (ع) بالسيف والقى القبض عليـه وجـاؤوا بـه إلى أمـير المؤمنين (ع) قال له الإمام (ع) : يا عدو الله ألم أحسن إليك ؟

أريد حياته ويريد قتلي :

وهنـا أذكر كلمـة حول إمـام الأمة وكيفيـة معاملتـه لبني صدر ، ومـاذا كان يريـد بني صدر ، فكم كـان هذا الـرجل العـظيم رؤوفاً بـه وناصحـاً له ومشفقـاً عليه وقـد زجره ونهره في الخفـاء قاصـداً خيره حتى لا يهلك ويهـلك البلاد معه ، ولكن بني صـدر كان يخـطط ليكون هـو القائـد وقد قـال في مرة من المرات ان موت الإمام قريب ولا بد أن أعمل لما بعد ذلك .

وهكـذا حـال كـل انسـان في مقابـل الله عـز وجـل : ﴿ **انت المحسن**

ونحن المسيئون ﴾ . الله عز وجل يحسن ويمهل المذنبين ولا يأخذهم بذنوبهم .

أما نحن فماذا نقابل به العالم ، وكيف نتعامل مع قائدنا الديني الذي يعلمنا ديننا ، وهكذا تعاملنا مع إمام المسلمين . . هل شكرنا هذه النعمة العظيمة ، ام لا ؟

ابن ملجم جبري :

لنرجع إلى كلام أمير المؤمنين (ع) مع ابن ملجم فقد قال له الإمام (ع) :

يا عدو الله ألم أحسن إليك ؟

فماذا كان جواب ابن ملجم سوى أن يكون جبرياً ويقول :

أفأنت تنقذ من في النار ؟ فهو يريد أن يقول ان الله خلقني جهنمياً .

ولكنه يكذب ، لأن الله تعالى لم يخلق أحداً ليلقي به في جهنم ولكنه يخلق وأنت الذي تذهب إلى جهنم بأقدامك كما هو حال من يذهب الى الجنة حيث يذهب إليها باختياره .

هل يمكن أن يزرع الانسان حبة البطيخ ثم يقطف حنظلاً مراً ، أو يزرع حنظلاً ويحصد بطيخاً حلواً ، فالحصاد يطابق الزرع وسوف تحصد ما تزرع .

لم يكن أحد يجيب ابن ملجم هل تذكر تلك الليلة التي كنت فيها مع قطام وكانت تقول لك بأن شرط الازدواج بي هو قتل الإمام علي (ع) وقبلت بذلك ، والآن وبعد أن وقعت في نتيجة عملك فصرت جبرياً فعليك أن تلوم نفسك « ظلمت نفسي » الويل لي من عبادة أهوائي .

الخير بتوفيق الله والشر بخذلانه :

اذن ـ ايها المؤمنون ـ اذا صدر منكم خيراً فقولوا الحمد لله ، وان صدر منكم ـ لا سمح الله ـ شر فقولوا استغفر الله ، فالعبادة هي بتوفيق الله والمعصية ايضاً انما هي بخذلان الله . وان الله قد تركك الى نفسك فليس من حقك أن تعترض وتقول إلهي لماذا وكلتني الى نفسي لأنك لم تشكر النعمة بل كفرت بها .

كفران النعمة يسبب الخذلان :

سألوا الإمام موسى بن جعفر (ع) : كيف أن بلعم بن باعورا في آخر أمره صار مثله مثل الكلب بعد أن كان تلامذته في درس التوحيد يبلغ عددهم اثني عشر ألف شخصاً حتى قيل انه كان أول عالم درس التوحيد .

فقال (ع) : ان الله عز وجل وكله الى نفسه لحظة واحدة ، فسأله الراوي ، وكيف وكله الله الى نفسه ؟ فقال (ع) : لم يشكر النعمة .

اذن يجب أن يشكر الانسان النعمة عند صدور كل خير منه ، نفس شهر رمضان هذا كم هو نعمة عظيمة تستحق الشكر ؟

قل الحمد لله فقد اعطاك الله نعمة العافية والسلامة والعمر والتوفيق للصوم ، وان كان الصوم شكلياً فكلنا نشبه الصائمين .

« ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً ، ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبدا ، ولا تسلبني صالح ما أنعمت به علي أبداً » .

اللهم ادم علينا نعمة إمام الأمة . اللهم لا تردنا الى السوء الذي كنا

فيه وهو حكومة الـطاغوت والكفـر والفسق بسبب كفراننـا النعمة ، اللهم لا تسلبنا نعمة الإسلام والحكومة الإسلامية .

وقد ورد في رواية ان أكثر عذاب القبر إنما هو لكفران النعمة .

(٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

التغير لازم لعالم المادة :

يجب أن يكون الفرق بين الدنيا والآخرة واضحاً حتى يتضح التفاوت في المجازاة الدنيوية والاخروية ، فهنا سنخان من الحياة ولا يمكن مقايسة الحياة في الدنيا بالحياة بعد الموت وذلك لعدة أوجه من الاختلاف .

أحدها ان الحياة المادية في عالم الدنيا متحولة ومتغيرة وفانية والموجودات في عالم الطبيعة في تحول مستمر ، فأبداننا تتغير باستمرار منذ أن خرجنا من بطون أمهاتنا فالأجزاء تتحلل وتتبدل إلى أجزاء أخرى ويكبر

الطفل ويصير شاباً ثم شيخاً كبيراً وبعد ذلك ينام في قبره .

وهكذا تلاحظون أن الحبة تنبت وتنمو وأخيراً يصيبها الجفاف . إذن فكل شيء في تغير وتحول .

وأما عالم الآخرة فهو بكيفية واحدة ولا يقبل التغير ، فالمؤمنون هناك يعيشون دائماً في عمر واحد وقدرة واحدة ولا مجال للضعف والفناء أو الحزن والهم في تلك الحياة .

لا حياة خالصة في الدنيا :

الفرق الثاني بين الحياة الدنيوية والاخروية هو أن الحياة الدنيوية خليطة وغير خالصة فالحياة فيها ممتزجة مع الموت فلا توجد حياة خالصة ، فانتم تلاحظون ان البدن ميت وقد حصل على الحياة بواسطة الروح ، وهكذا بالنسبة للنبات فهو ميت وقد حصل على الحياة ببركة الماء الذي أفاض عليه الحياة النباتية .

فالحياة ليست مطلقة والتراب الأرضي في حالة موت فإذا اختلط مع الماء والحب فسوف ينال الحياة .

وأما الآخرة فهي الحياة ، وكل شيء فيها من الأرض والنبات والحيوان والأطعمة كلها في حياة وشعور واحساس[1] فالأرض يوم القيامة لها شعور وهكذا حال المؤمن والكافر والفاسق ، فالمؤمن يعيش براحة وسعادة وأما الكافر والفاسق ,فالأرض تغلي تحت اقدامها كالفرن .

---

(١) « وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » . (سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٦٤).

الصـراط جسر يمر عـلى جهنم ويجب على الجميـع أن يمرون فـوقـه فـلا تتصور انه مثل الجسور الدنيوية التي يعبر عليها الجميع بشكل واحد .

الصراط بعدد الافراد :

ليس الجسر الذي يمر على جهنم حديـدياً أو خشبيـاً أو حجريـاً ، بل لا يمكن لك ادراكه الا بعـد أن تمر فـوقه وغـاية الامـر يكفي أن تفهم انه بعـدد افـراد البشر حيث يتلاءم مـع الشخص الـذي يمـر فـوقـه ، فـإن كـان ذلـك الشخص المار فوقه انساناً مؤمناً في الـدنيا وكـان سائـراً على الـطريق المستقيم فإنه يمر على الصراط كالبرق الخاطف فتارة يمر راكباً واخرى ماشياً أو زاحفـاً تبعاً لعمله في الدنيا حيث كان يعبد تارة ويذنب تارة أخرى .

وتختلف أرض المحشر والقيامة باختلاف الأشخاص ايضاً ، فقـد تكون عريضة وفسيحة لبعض الناس وقد تكون ضيقة كالشعرة وحادة وصعبـة كأنـه يسـير على حـد السيف فهذا يتبـع كيفية تعـاملك مع صـراط الدين في الحيـاة الدنيا .

جهنم تعرف المؤمن :

ونار جهنم لها شعور أيضاً بعـد الفراغ من كـون الجنة كـذلك حيث ان كل ورقة شجـرة فيها تسبـح الله وتمجده وأن اجمـل موسيقى هي الـتي تصدر من اشجار الجنة ، إذن فجهنم لها شعور فعنـدما يـريد المؤمن أن يمـر تنحرف عنه السنة نيرانها المتصاعـدة وتقول للمؤمن اسـرع بالعبـور لان نورك اضعف من لهبي واشتعالي .

نار جهنم تعرف المؤمن كما يذكر ذلك في القرآن الكريم :

﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾[1] .

وهكذا فإن زفير جهنم يصم الاسماع ويخلع الأفئدة من أماكنها . فهي تزفر وتدوي وتصرخ . . ويا له من عالم مهيب لا نستطيع أن نتصوره في هذه الدنيا مهما حاولنا ذلك !

الصاعقة لا تعرف الحدود :

ويمكن ادراك بعض الواقعية في هذه الدنيا من خلال نسبتنا النار العادية الى نار الصاعقة ، فمحدودية الاحراق للنار العادية واضحة ، وأما في الصاعقة فإن النار تنبعث من اصطدام طبقتين من الغيوم وتصل النار الى الأرض وتحرق كل ما تصل إليه فإذا اصابت غابة أحرقت الأخضر فيها واليابس ولشدة لطافتها انها تمر من خلال زجاج النوافذ وتحرق ما في داخل الابنية او انها تمر من خلال مياه البحار فتحرق الاسماك التي فيها فليس لها تلك المحدودية التي نراها في النار العادية .

فماء البحر لا يصدها عن الاحراق ، حيث تشوي الاسماك وهي في داخل الماء هذا مع ان الصاعقة نار دنيوية فكيف بنار جهنم وهي أدق من نار الصاعقة بعدة اضعاف وقدرتها على الاحراق أشد منها سبعين مرة ، فلا خالص محض في الدنيا .

الموجودات في ذلك العالم تكون بشكل آخر لا يمكن قيامه بعالمنا

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ الآية ١٢ .

الـدنيوي ، ففي جهنم تتـوفر جميـع اسباب المـوت والهلكة إلا أن الانســان لا يموت[1] ، فلا موت في الآخرة حتى يمكنه الخروج من الجنة أو النار[2] .

الحياة الاجتماعية في الدنيا :

الفـرق الثـالث بـين الـدنيـا والآخـرة هـو ان الحيـاة في الـدنيـا حيـاة إجتمـاعية ولـذلك يقـال أن الإنسان مـدني بالـطبع ، فـلا يتمكن الانسان أن يعيش في هـذا العالم وحـده فـالأكـل واللبـاس والمسكن والعـلاج كلهـا أمـور تستدعي حياة إجتمـاعية ، فـالأفراد الذين يشكلون مجموعـة في منطقـة معينة نجد أن كلاً منهم يعمل لخدمـة الآخرين ، فـالفلاح يـزرع وصاحب المـطحنة يطحن والخباز يخبز وهكذا في سائر الأمور .

الأعمـال الجيـدة والقبيحـة تكـون مسـريـة في المجتمـع كـما أن بعض الأمراض قد تكون مسرية أيضاً وهكذا بالنسبـة الى سرايـة المشاكـل والمتاعب إلى الآخرين هي من خصوصيات هذا العالم الدنيوي .

المليـارات من البشر يعيشـون في الـدنيـا بسـراج واحـد وهــو الشمس (السـراج الإلهي) ، وخلق لهم في الليـل سـراجـاً آخـر وهـو القمـر ، فلو لم يكن نـور الشمس فكيف يكـون حـال البشر إذا اراد كـل شخص أن يهيىء لنفسه سراجاً خاصاً ؟

الآخرة حصاد ما تزرعه في الدنيا :

وأمـا في الآخرة فهـل هنـاك قسم من النـاس يهيئـون الـطعـام والملبس

---

(١) « يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » . (سورة ابراهيم ٢٤ الآية ٧)

(٢) « ثم لا يموت فيها ولا يحيى » . (سورة الاعلى ٧٨ الآية ١٢)

والمسكن للآخرين ؟ كلا لا شيء من ذلك ، بل ان كل انسان يجد ما عمله حاضراً ، فهناك البيت الذي لا يخرجك منه أحد فالمعمار والبناء والصانع لهذا البيت هو أنت بالذات .

وقد روي عن رسول الله (ص) انه قال :

« ان الجنة قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر » .

الحياة الفردية في الآخرة :

والحياة في الآخرة فردية فيجب عليك أن تبني بيتك وتفرشه بنفسك فمفتاحه بيدك وهو قول « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » أي بأن تعلم بأن القدرة هي قدرة الله وأن قدرة كل مخلوق هو من الله ، فهذه المعرفة هي مفتاح الجنة .

والحياة الانفرادية في الجنة لا تعني أنه يعيش فيها وحده كما لو كان يعيش في منزل في الصحراء بل المقصود أن اساس الحياة واشباع الحاجات في الجنة هو بيدك أنت .

وأما بالنسبة الى الحياة الإجتماعية والعائلية هناك فقد وردت عدة آيات في القرآن المجيد تبين ذلك ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾[1] وذلك من أجل أدخال السرور على قلبه ، ومن حيث الانس فإن المؤمنين يعيشون معاً هناك ﴿ على سرر متقابلين ﴾[2] .

---

(١) سورة الطور ٥٢ الآية ٢١ .
(٢) سورة الحجر ١٥ الآية ٤٧ .

ومن الواضح أن مقام كل شخص مرتبط بعمله هو ولكل واحد مقامه ودرجته الخاصة ولا يتنافى ذلك مع تلاقيهم وزيارة أحدهم الآخر .

سراج المؤمن يوم القيامة :

فلكل انسان سراج واحد بعد الموت، ونور هذا السراج من نفس المؤمن وبأشكال مختلفة فتارة زيتياً وأخرى كهربائياً ، وقد روي انه يكره مسح بلل الوضوء بل يترك ليجف وحده لأنه نور وله أثر نوراني بعد الموت وخاصة أثره في الجبهة حيث يشرق النور اكثر من الجبهة والعينين ، والسجود نور أيضاً .

والى حد الآن كم هيأت لنفسك من النور[1] ؟

كن وصي نفسك من الآن :

فقبل أن تدفن حسرتك معك في القبر تعال الآن واقبل ما يقوله لك الله ورسوله ، وهيىء لنفسك الزاد لما بعد الموت ولا تقل سأكتب ذلك في وصيتي فمن ادراك أنهم سيعملون بوصيتك ؟ وعلى فرض أنهم عملوا بها فأين عملك الذي تعمله وأنت ترجو الحياة من عمل الآخرين بعد وفاتك ؟

وقد سمعتم الحديث الشريف الوارد عن رسول الله (ص) حيث يقول : لو أنه تصدق بتمرة واحدة لكان خيراً من تصدقه بجميع هذا التمر بعد وفاته (مضمون الحديث) .

ولكن هذا الانسان الذي يتصدق بأمواله بعد وفاته يقول ما دام انها

---

(١) « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم » .
(سورة الحديد الآية ١٢)

سوف تخرج من يدي بعد الموت فماذا يهمني اذا كانت للورثة أو لآخرين ؟ إلا أن الفضل هو في التصدق بها وهو في الحياة الدنيا ولا بأس بالوصية ، ولكن الكلام هو أنك لو تصدقت به بيدك لكان أفضل بكثير .

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... الا التي كان قبل الموت بانيها
فان بناها بخير طاب مسكنها ... وان بناها بشر خاب آويها

كتاب الإمام (ع) إلى شريح القاضي :

وكما ورد في ديوان امير المؤمنين (ع) أن شريح القاضي اشترى داراً فتألم لذلك الإمام (ع) وكتب له في مقابل ذلك :

« هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أزعم للرحيل ، اشترى منه داراً من دار الغرور ، من جانب الفانين ، وخطة الهالكين ، وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحد الأول ينتهي الى دواعي الآفات ، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ، والحد الثالث ينتهي الى الهوى المردي ، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي » نهج البلاغة رسائل أمير المؤمنين الرسالة الثانية .

ثم كتب له بعد ذلك ما ذكرناه من البيتين من الشعر حيث يقول بعد ذلك :

لكل نفس وان كانت على وجل ... من المنية آمال تقويها
النفس تبسطها والموت يطويها ... والمرء ينشرها والموت يفنيها

فما اعجب الحكمة التي ذكرها ! فمع أن الموت يهدد كل نفس بالخطر المحرق الا ان الآمال والأهواء لا تتركها ، فمتى تتهيأ لسفر الآخرة ؟

اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك .

(٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزاء الدنيوي قائم على العدل :

كان الكلام في بحث العدل الإلهي عن جزاء الاعمال فإن لأعمال الانسان جزاءاً إلهياً عادلاً ، ويمكن تصوير الجزاء المترتب على عمل الإنسان على ثلاثة أقسام :

الأول : الجزاء المقرر أي ان الانسان لو شرب خمراً فجزاؤه أن يضرب ثمانين سوطاً ، ولو أن شخصاً أفطر في شهر رمضان علناً وبدون أي عذر وجب أن يضرب ٢٥ سوطاً ، ولو زنى رجل أو امرأة طواعية فإنه وبعد اثبات ذلك يضرب كل واحد منهما مائة سوط .

وقد أثبت الشارع المقدس هذا الجزاء الدنيوي لما فيه صلاح الجاني وصلاح عامة الناس وحتى لا يسري هذا الأمر للآخرين ، فلو ترك الشخص المتعمد للأفطار العلني في شهر رمضان فسوف يتجرأ الآخرون أيضاً ، ولكن لو ضرب ٢٥ سوطاً أمام الملأ العام فإن الآخرين سيأخذون العبرة من ذلك ، فالعدل هو أن يضرب ٢٥ سوطاً ليكون كفارة لذنبه من جهة ولضمان عدم رجوعه إلى إرتكاب الذنب مرة ثانية من جهة أخرى ، إضافة إلى أن ذلك يؤدي إلى أن لا يتجرأ الآخرون على هتك حرمات الله .

الترحم على المجرم خطأ :

ومن الموارد التي تكون فيها الشفقة أمراً خاطئاً هو مورد الحد فلا محل هنا للترحم سواء أكان رجلاً أو أمرأة كما ورد ذلك في القرآن الكريم :

﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾[1] .

فعندما يقام الحد على الزاني أو الزانية ويضرب كل منهما مائة سوط فلا تقل لماذا يضرب هؤلاء المساكين بهذه الصورة ؟ أخي اننا الآن امام أمر واقع والحكمة تقتضي أن تضرب المرأة مائة سوط ليكون ذلك كفارة لذنبها وان لا تعود هي أو الآخرون الى ارتكاب الذنب مرة أخرى .

وإذا كنت تترحم على السارق واقعاً فيجب أن تريد له عدم العود الى السرقة وذلك بأن تقطع اصابعه وتقيم الحد عليه ليكون ذلك ضماناً للنظام الاجتماعي الاسلامي ومنعاً للفساد .

إذن فالحدود والقصاص هي الدنيا هي عين العدل .

---

(١) سورة النور ٢٤ الآية ٢ .

الأثر الوضعي نوع من الجزاء :

الثاني من الجزاء والعقاب الذي يترتب على الذنوب هو الآثار الوضعية لها أي العلة والمعلول والأثر والمؤثر فالشخص الذي يشرب الخمر مثلا فان من آثاره الوضعية هو الاسكار وزوال الشعور وتارة يبلغ به الأمران يحمل بندقية ويقتل بها زوجته وأولاده فالسكر هو أثر وضعي للخمر وكذلك من آثاره الوضعية المصائب التي تحدث من جزاء السكر ، فالحد من آثاره الجزائي والاسكار من آثاره الوضعية .

ومن آثاره الوضعية أيضاً أنواع الأمراض التي تكون حصيلة شرب الخمر مثلاً والتي قد تصيب معظم اعضاء الجسم وقواه .

العذاب الأخروي يوم القيامة :

الأثر الثالث هو العذاب الأخروي فعندما يرد شارب الخمر الى المحشر يرد وهو سكران ويبقى في العذاب خمسمائة عام وبعض الذنوب تبقيه في العذاب الف عام والبعض مائة ألف عام حتى يصل الأمر إلى الخلود في جهنم .

وهنا يقال أن الشخص الذي ارتكب المعاصي خمسين سنة لماذا يبقى مخلداً في العذاب آلاف السنين ؟ والأمر الآخر هو ان بدن الانسان الذي لا يتحمل نار الدنيا فكيف يتحمل نار جهنم التي هي اشد من نار الدنيا آلاف المرات ؟

أنواع العذاب الشديد :

القرآن الكريم يقول :

﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾[1] .

كيف تتحمل رقبة الانسان هذا العذاب الشديد حيث يغلون جبهته وشعره الى ركبتيه ويلقون به في جهنم ؟

كل ما يتصور من العذاب موجود في جهنم وهو غير قابل للضعف والقلة بل يزداد ويشتد كما صرح بذلك في القرآن المجيد :

﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾[2] و **﴿ وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذقوا العذاب ﴾**[3] .

اذن فهناك سؤالان : احدهما ان عمر الانسان في الدنيا محدود والعذاب الاخروي غير محدود ، والآخر كيف يتحمل بدن الانسان كل هذا العذاب العظيم وقد ورد في دعاء كميل : « وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض » فكيف بهذا البدن الضعيف ؟

غلبة الباطن على الظاهر في الآخرة :

أما جواب ذلك فهو ان عالم الآخرة يتغلب فيه المعنى على الشكل الدنيوي ، فالإنسان في الدنيا له ظاهر وباطن وأما في الآخرة فإن الباطن يتحد مع الظاهر .

ظاهر الإنسان في هذه الدنيا عبارة عن اللحم والجلد والعظم فهو ضعيف الى درجة أن ميكروب الملاريا الذي لا يرى بالعين المجردة يصيب

---

(١) سورة الحاقة ٦٩ الآية ٣٠ .

(٢) سورة النبأ ٧٨ الآية ٣٠ .

(٣) سورة النساء ٤ الآية ٥٦ .

هذا البدن بالمرض ويهدم قواه ، ولا طاقة له على شرارة واحدة .

واما الباطن فكيف ؟ تارة تكون نفس الإنسان قاسية وخشنة إلى درجة أن القرآن الكريم يعبر عنها : ﴿ **كالحجارة أو أشد قسوة ، وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** ﴾[1] فهو لا يتأثر ولا يكف عن الشيطنة أبداً ، فالحديد والحجر قد يتأثران أما هذه النفس الشقية فلا تتأثر بالموعظة والنصيحة أبداً ، ولا توجد أي رحمة أو شفقة في قلوب الكفار بل هي أوحش من كل وحش .

علي (ع) يتألم لظلم يهودية :

عندما أغار جيش معاوية على الأنبار وقتلوا ونهبوا حتى الحجال من أقدام النساء صعد أمير المؤمنين منبر الكوفة وخطب الناس :

« ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها .. فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً »[2] .

وهكذا نجد أن أمير المؤمنين يتألم لظلم وقع على امرأة يهودية لأن المؤمن يكون قلبه رقيقاً ولطيفاً .

الحادثة التي وقعت قبل اسبوعين ومقتل ٧٢ شخصية زاهرة وعلى رأسهم آية الله بهشتي ، بعض الأفراد لم يهتموا لذلك فبماذا يشبهون علياً (ع) ؟

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٧٤ .

(٢) نهج البلاغة : خطبة ٢٧ .

الجنة مكان الرحماء وأهل الشفقة ، والنار مكان القساة وغلاظ الطباع . علي (ع) يتألم بتلك الصورة من ظلم وقع على امرأة ذمية ، والمنافقون يرتكبون كل هذه الجرائم والظلم ويفتخرون بذلك .

التأثر لازم للإنسانية وعدمه دليل على الحيوانية والويل اذا كان فرحاً ايضاً ؟

ظاهر الانسان هو جسمه وباطنه نفسه فقد يكون ظاهره رقيقاً وحساساً حتى أنه يقع في الفراش بمكروب واحد إلا أن باطنه أقسى من الحجر .

قساوة نفوس المنافقين :

في الآونة الأخيرة اصدر بني صدر أمراً بالمقاومة حيث يدل هذا على توحشه وغلظة طبعه وذلك لأنهم قالوا له انك منذ الآن لست رئيساً للجمهورية طبقاً للقانون فكان ذلك مبرراً لكي يقتل الناس بالسكاكين بواسطة المنافقين ، كل ذلك بسبب القساوة والتوحش في نفوس هؤلاء .

أما في يوم القيامة فليس للإنسان ظاهر وباطن بل هو شيء واحد ، فإن كان باطنه لطيفاً ومنيراً ورحيماً فإن ظاهره يكون مشرقاً كذلك ، وأما لو كان باطنه غليظاً وقاسياً فإن ظاهره يكون حاكياً عن قساوة ذلك الباطن وخشونته .

فكيفية الظاهر بمقدار ما للباطن من اللطافة او القساوة ، وقد ورد في كتاب عين اليقين أن الكافر يحشر يوم القيامة وكل واحد من أسنانه بمقدار جبل أحد وذلك لما يكون عليه باطنه من القساوة وغلظة الطبع .

قلوب المؤمنين عطوفة :

فعندما يقول القرآن الكريم ان الكافر يغل بسلسلة طولها سبعون ذراعاً، الى عنقه فذلك يدل على أن نفسه تظهر بهذا المظهر يوم القيامة فالبدن هناك هو النفس ، وبدنك يوم القيامة يحكي عن نفسك والحقوق التي ضيعتها .

سن الكافر مثل جبل أحد فلا تتصور أن الحالة هناك كما هي في الدنيا . . هناك العدل .

كل من يسمع بعذاب جهنم في هذه الدنيا ،ويخاف ويرتجف فهو ليس من أهل النار ، فالمؤمن لطيف عطوف ، وأما المتكبر المغرور فهو أهل للعقاب فكل وحشي في جهنم وكل شفوق في الجنة تحقيقاً للعدل .

عندما تأخذ كل طائفة من أهل الجنة وأهل النار مكانها المخصوص ﴿ قيل الحمد لله رب العالمين ﴾[1] أن نال كل أحد جزائه .

لماذا يعذب الطيبون ؟

عندما بدأت الحرب التحميلية أخذت النساء القرويات يخبزن الخبز بكامل الاخلاص ويجمعن الاموال لمساعدة الجبهة في مقابل الوحشية والقساوة لدى جنود الاعداء .

إذن فعذاب جهنم عدل (يا من عذابه عدل) فكل شيء يوضع في المحل المناسب فالعذاب الشديد لذوي القلوب القاسية ، كما أن النعمة

---

(١) سورة الزمر ٣٩ الآية ٧٥ .

والرأفة والرحمة للمساكين وأهل التسليم الذين لا يدعون لـذاتهم شيئاً فلمـاذا يعذبون ؟

« لـك العتبى حتى تـرضى » إلهي لـك الحق حتى لـو عـذبتني إلى أن تـرضى ، ويقـول الإمام زين العابـدين في الصحيفـة[٢] : « إلهي لـو بكيت إليـك حتى تسقط أشفـار عيني . وانتحبت حتى ينقـطع صلبي ، وسجـدت لك حتى تتفقأ حـدقتاي ، وأكلت تراب الأرض طول عمـري ، وشربت مـاء الرماد آخر دهري وذكرتك في خـلال ذلك حتى يكـل لساني ثم لم أرفـع طرفي إلى آفـاق السماء استحيـاء منك مـا استـوجبت بـذلـك محـو سيئة واحـدة من سيئاتي » .

وأمـا لمـاذا صـار مخلدا في العـذاب مـع أن مـدة عمـره كـانت محـدودة وقصيـرة فسوف نجيب عن ذلـك غـداً ان شـاء الله ، وقـد اتضـح لحـد الآن الجواب عن الاشكال المتقـدم وهو أن العـذاب الشديـد هل ينـافي العدالـة ؟ ارجو ان يكون الجواب قد أتضح بهذا البيان .

---

(١) الـدعـاء الســادس عشر في التضـرع وطلب العفو .

(١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم ﴾ .

مراعاة العدل في تشريع العدل :

لقد ذكرنا العدل في الأمور التكوينية وعالم الطبيعة بالتفصيل . وقد بقي العدل في الأمور التشريعية وأحكام الدين الإسلامي والجزاء الأخروي من الثواب والعقاب ، فهذه الأمور أيضاً مطابقة لميزان العدل .

وفي مذهبنا أن الله تبارك وتعالى كلف عباده بتكاليف وهذه التكاليف أولا : تكاليف ذات هدف وغاية وليست مجرد اوامر ونواهي غير هادفة ، والهدف منها يرجع إلى الانسان نفسه فكل ما أمره به يعود بالفائدة

والمصلحة للإنسان ، وكل نهي نهاه عنه ففيه ضرر يعود على الانسان نفسه ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾[1] وإلا فإن هذه التكاليف لا تؤثر شيئاً بالنسبة إلى الذات الأزلية المقدسة .

التكليف بأقل من الطاقة :

لو صلى جميع البشر وصاموا لما زادوا في ملك الله شيئاً ولو انهم ارتكبوا المعاصي باجمعهم لما نقضوا من ملك الله شيئاً فكل نفع أو ضرر يعود على الانسان نفسه .

ومع أن الأمر والنهي من أجل مصلحة الانسان إلا أنه قد روعي فيها جانب العدل أي أنها بمقدار قدرة الإنسان وطاقته بل أقل من ذلك . ونقرأ في دعاء العديلة[2] :

(لم يكلف الطاعة الا دون الوسع والطاقة) فمع أن الإنسان قادر على اكثر من هذا إلا أن التكاليف وردت بأقل من ذلك وكمثال على ذلك لاحظوا هذه الصلاة اليومية وهي سبع عشرة ركعة فما أسهلها على الانسان وبإمكانه أن يطيل فيها أو يختصرها ، فلو أن الله تبارك وتعالى أوجب عليه مائة ركعة لكان قادراً على الاتيان بها إلا أن لطف الله اقتضى أن تكون التكاليف سهلة وخفيفة كماً وكيفاً .

وقد ورد في الروايات ان الإمام (ع) نهى عن نذر تكاليف بأن يوجب الإنسان على نفسه صلاة بواسطة النذر لأنه قد صعب على نفسه ما سهله الله له .

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٢٨٤ .

(٢) وهو دعاء قال عنه المحدث الميرزا حسين النوري أنه من مؤلفات بعض أهل العلم / راجع في ذلك مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي .

المترجم

لقد جعل صلاة الليل مستحبة حتى لا يشق ذلك على أحد مع ان الفائدة منها كبيرة جداً فكل انسان يصل إلى أي مقام معنوي فهو ببركة صلاة الليل ، وفي بداية الإسلام كان من الواجبات ان يقضي المسلم قسماً من الليل بالعبادة ولكن الله عز وجل سهله بعد ذلك للمشقة والعسر على بعض الناس كالمريض والمسافر ورفع ذلك الوجوب[1] ليكون سهلاً على الجميع .

اذن فقد روعي في التكاليف جانب العدل .

سهولة التكليف في العبادات البدنية والمالية :

وبالنسبة إلى الصوم فقد أمر بالامساك من آذان الفجر الى الغروب وهو أمر ميسور حتماً وحتى لو أمر بالامساك مدة ٢٤ ساعة لكان ذلك ممكناً ، إلا أنه عين النهار فقط للصوم تسهيلاً وتخفيفاً .

وكل عبادة نلاحظها نجدها أقل من طاقة الإنسان وقدرته على التحمل .

وبالنسبة الى الحقوق المالية الشرعية فمقدار الزكاة عشر ونصف العشر وهو لا يعد شيئاً مهماً ، أو واحد من عشرين كما في الذهب المسكوك الذي وصل الى حد النصاب أو واحد من أربعين ، فهذه لا تعد شيئاً حيث تأخذ لنفسك تسعة وثلاثين قسماً وتعطي واحد .

وبالنسبة للخمس ، فأنت تنفق من أموالك من أول السنة إلى آخرها على مخارجك الشخصية والتي لا تعد اسرافاً ، فإن بقي في آخر السنة فانه

---

(١) « علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض »
(سورة المزمل الآية ٢٠)

يدفع خمسها ، فإن لم يبق منها شيء لم يؤخذ منك شيء ولو زاد شيء فلا أحد يقول ادفعه كله أو نصفه بل ادفع خمسه .

فكل واجب تلاحظونه تجدونه أقل من طاقة الانسان وسهلا عليه .

وضوء الجبيرة لرفع الحرج :

نقل الشيخ في الرسائل رواية بأن أحد الاشخاص جاء إلى الإمام الصادق (ع) فقال : عثرت فانقطع ظفري فجعلت على اصبعي مرارة فكيف أصنع بالوضوء ؟ قال (ع) : يعرف هذا واشباهه من كتاب الله عز وجل ، قال الله عز وجل : ﴿ **ما جعل الله عليكم في الدين من حرج** ﴾ امسح عليه[1] .

أي واجب في الشريعة نجده صعباً على الانسان ؟

وهكذا الامر بالنسبة للمحرمات فتركها ليس عسيرا وشاقاً على الانسان .

الاعتياد سبب الصعوبة :

وكل نهي ورد في الشريعة فهو لمنفعه الإنسان فمثلا لا تشرب الخمر . . اترك المواد المخدرة . . اترك القمار لا تنظر إلى المرأة الاجنبية . . فلا يوجد تكليف اكبر من طاقة الانسان .

ومن الطبيعي أن يكون ترك بعض هذه الأمور صعباً على بعض الناس مثلاً الشخص الذي اعتاد على النظر إلى المحرمات أو ترك لسانه يتكلم حيث يشاء فهو ينظر لكل ما يشتهي ويتكلم كل ما يريد فإن ذلك

---

(١) كتاب الكافي والتهذيب والاستبصار باب وضوء الجبيرة

يكـون الالتزام عليـه صعباً لأنـه عود نفسـه منـذ البداية عـلى هـذا الحـال ولم يتمرن على التقوى وإلا لكان سهلاً .

كـان بعض المسلمين في صـدر الإسـلام يضـع في فمـه حصـاة عنـدمـا يخـرج من بيتـه للتمـرن عـلى التقـوى وكـان لا يخـرج الحصـاة إلا في المـوارد الضرورية للكلام ثم يعيدها مرة أخرى إلى فمه .

وهـذا أمر صعب لكنـه قابـل للتحمـل ولا يمكن الحصـول عـلى الكنـز بـدون تعب ، فلو تمكن أحـد من ضبط لسـانـه عـلى الخصـوص فهـو في أمن وأمـان لا بأس بـه لأن عمدة الآفـات الانسـانيـة في عـالم المعنى هي من هـذا اللسان .

سقوط التكاليف الحرجية :

فتحصـل من خلال الحـديث أن كل تكليف من أمـر أو نهي هـو عـدل وليس فوق طاقة الانسان .

وقد عين لنا قانوناً كلياً ايضاً وهو أن كل حكم صـار شاقـاً وحرجـاً فهو ساقط .

مثـلا سن البلوغ للبنت تسعة اعـوام كـاملة فيجب عليهـا الصـوم بعدها ، ولكن لـو لم تكن رشيدة ولم تكن قـادرة على الصـوم فإنـه « ما جعـل عليكم في الـدين من حرج » فيجـوز لهـا أن تفـطر وتقضي بعـد ذلـك ، فلم يجعل الله عز وجل في الاسلام حكماً لا يطاق .

وهكذا الحال بـالنسبة إلى الشيـخ والشيخة فحتى لـو لم يستطيعـا قضاءه بعد ذلك فلا إشكال (لم يكلف الطاعة إلا دون الوسع والطاقة) .

رعاية اليسر في الكفارات :

وفي بـاب الكفارات كـذلـك ، فـإذا كـان قـد أفـطر متعمـداً في أوائـل بلوغـه فيجب عليه القضـاء ، وإن لم يتمكن من اداء كفارة كـاملة بأن يصـوم شهـرين متتابعـين أو يطعم ستين مسكينـاً فإن الكفـارة تقل إلى صيـام ثمانيـة عشر يـوماً او اطعـام ثمانيـة عشر نفراً حتى يصـل الأمر مـع عدم الاستـطاعة إلى الواحد فإن لم يستطع كفى الاستغفار . فمثلا لـو وصل سنـه الى الثمانـين والتسعـين ثم علم وتذكـر أنه كـان قد أفـطر متعمداً في أوائـل شبـابـه وليس لـديه مـال يكفي للإطعـام ولم يكن يملك حتى كيلو واحد من الـطحـين فـإنـه يستغفر .

تجب رعاية العدل في القصاص :

تأملوا في الأحكام الجزائية لـلإسلام كـالقصاص في الجنـاية العمـدية . فلو قتل شخص انساناً فان ورثة المقتول بالخيار بـين القصاص أو أخـذ الديـة أو العفو ، وهكذا القصاص في الاعضاء .

لـولا وجود المجـازات بين البشر لأمتـلأ العـالم بـالفسـاد واختـل نـظام الحياة ، فعندما يعلم انه مهما فعل فلا أحد يحاسبه على أفعالـه فسوف يسـرق ويهتك الحرمات ويقتل و . .

ولا بـد في القصاص من رعـاية العـدل فالقصـاص في العين وفي سـائر الأعضـاء لا بد وأن يكون بنفس المقـدار ﴿ **ولكم في القصـاص حيـاة يـا أولي الألباب** ﴾ فلولا القصاص لازداد القتل بين الناس .

اعتراض على لائحة القصاص :

قبل مدة تم تقديم لائحة القصاص إلى مجلس الشورى الإسلامي بواسطة الشهيد المظلوم آية الله البهشتي ، ولكن الرئيس المعزول بني صدر اعترض على ذلك في مقابلته الصحيفة . فهذا الجاهل لا يعلم أن اعتراضه كفر وقد دفعه غرور الرئاسة الى أن يذكر القصاص على أنه خشونة يلزم من ذلك قطع يد ثلاثين مليون انسان !

هل أن ثلاثين مليون انسان لصوص ؟

ويقول أنه لا بد من تثقيف الناس وإيجاد فرص العمل لهم حتى تنتهي السرقات . . ولكنه باعتراضه على احكام القصاص يوجد عذراً للصوص وعلمهم بأن يقولوا عندما يلقي القبض عليهم بأن المقصر هو الحكومة لأنها لم توجد لي عملا حتى أمتنع من السرقة .

الاعتراض على آية قرآنية بمنزلة الكفر :

كان بني صدر يعتمد على المغالطة في الكلام ، والحمد لله أن رفع شره عن الناس .

ويقول الوطنيون أن احكام الاسلام غير نافعة في هذا الزمان !! الجبهة الوطنية هم من المصلين الذين تنطبق عليهم هذه الآية الشريفة : ﴿ **نؤمن ببعض ونكفر ببعض** ﴾[1] فهم يقبلون الصلاة والذكر والدعاء

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٠

ولكنهم يرون أن أحكام الإسلام السياسية تتنافى مع التمدن لأن الأروبيين يستهزئون بنا ، ولكنهم يجب أن يعلموا انهم مصداق ﴿ **اولئك هم الكافرون** ﴾ فهم كفار وكل من أعترض على آية واحدة من القرآن فهو كافر . واحكام القصاص التي ترتبط بها حياة وبقاء المجتمع هي من أحكام القرآن الضرورية

معالجة السرقة لا تشجيع اللصوص :

هناك خمسة عشر شرطاً لقطع يد السارق . فإذا اجتمعت الشروط وقطعت أصابعه الأربعة فسوف لا يجرأ من يراه على السرقة ويمتنع عنها كل من سمع بخبره خوفاً على يده من القطع .

وأما لو قلنا بالسجن فكيف يمتنع من السرقة إذا وجد الراحة في سجنه ؟ بل أنه عندما يخرج من السجن يكون قد تكامل في السرقة فيسرق بشكل أفضل .

قطع يد السارق خلاف الرأفة ، ولكن اصدار الأمر الى الفئات المناوئة لينزلوا الى الشوارع فيقتلوا الأبرياء والمساكين طعناً بالسكاكين لا يعد خلاف الرأفة بل أمر واجب !!

قتلوا الشاب الصالح نوروزي واحتزوا رأسه بالسكين ، فجروا قنبلة فاستشهد بسببها اثنان وسبعون مؤمناً ، فماذا كان ذنبهم ؟

كل هذه الجرائم لا إشكال فيها ولكن قطع يد السارق خلاف الرأفة !!

لماذا لم تشجبوا الجناة ؟

كم جنى العدو اللعين طيلة هذه المدة وسفك دماء آلاف المسلمين وقطع آلاف الأيدي والأرجل ولكن هؤلاء المتجددين الوطنيين الذين ينادون بحقوق الانسان لم ينطقوا بكلمة واحدة وأما بالنسبة الى لائحة القصاص فقد هاجوا وماجوا ويعتبرونها ظلماً وقساوة فاتضح انهم يخافون من الإسلام ، فهم يعلمون يقين بأن الإسلام لو استقر في إيران فمن المحال أن يبقى لامريكا وروسا موضع قدم فتقتلهم الحسرة بسبب ذلك .

لقد كانوا يأخذون ملايين الدولارات سنويا من الشاه وقد أعلن قبل فترة أن الشاه أعطى لبريطانيا مائتي مليون دولار كمساعدة بدون مقابل وبالمجان نعم يسمونه كذلك في الظاهر إلا أنه في الحقيقة ضريبة يدفعها الشاه إلى أربابه ويسرقون أموال المسلمين مقابل بضائع راكدة عندهم لا يشتريها أحد ، فكم قد سرقوا من النفط فلا بد وأن يعترضوا الان ويصرخوا لأن منافعهم قد قضي عليها .

لقد كان مدراء الادارات على هذه الشاكلة بل حلقات منظمة من اللصوص وقد اقتربت نهايتهم والحمد لله ولذلك فهم يتجرعون الغصص ويعادون الثورة وينفقون ملايين الدولارات على المنافقين لاسقاط هذه الحكومة حتى يتسنى لهم العودة مرة اخرى إلى تلك المائدة العريضة . . انهم يحاولون الآن العودة عن طريق طرح مواضيع مثل لائحة القصاص والتباحث فيها وردها .

لقد دفعوا بني صدر قبل فترة للحديث عن التعذيب في السجون ولكن والحمد لله فشلت مؤامرتهم كاملاً .

الإسلام ينتصر بيد المستضعفين :

الغزالي يذكر رواية أن سعد بن أبي وقاص الذي كان رجلاً شجاعاً ومشهوراً اراد ان يظهر نفسه ويفتخر أمام رسول الله (ص) فكان يتحدث في مسجد الرسول (ص) بأننا فعلنا كذا وكذا وضربنا بسيوفنا ورماحنا وأزلنا العقبات التي كانت في طريقنا .

فقال رسول الله (ص) : « ان الله ايد هذا الدين بضعفاء الأمة ، باخلاصهم وصلواتهم ودعواتهم ونياتهم » . فماذا تقولون أيها المنافقون ؟ رسول الله (ص) يقول أن هذا الدين مؤيد بضعفاء الأمة ودعائهم وقولهم يا الله بقلوبهم الصافية . . لقد أوصلوا الأمر إلى هذه المرحلة بدعائهم وتكبيرهم .

الامداد الغيبي في الجبهات :

والآن بماذا يتقدم مقاتلونا في جبهات القتال ؟ هل يتقدمون بالاسلحة التي يعطوها العدو اكثر من اسلحتنا بعدة أضعاف فهم يساعدونه من كل جانب .

وأما هذه الانتصارات والفتوحات فتكون بعدة افراد يقومون بهجوم مباغت ويأسرون الكثيرين منهم ، فماذا فعلتم أنتم ؟

الحالة الآن نظير غزوة بدر حيث كان عدد المسلمن ٣١٣ نفراً وكان اكثرهم من الضعفاء الذين لا يملكون مركباً ولا سلاحاً بينما كانت الملائكة تمسك بأفراد العدو فيأتي المسلمون ويجردوهم من اسلحتهم ويأسرونهم .

وكذلك الحالة الآن في جبهات القتال فإن القوة الغيبية هي التي تعمل وتساعد جيش الإسلام .

(١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

اجزاء الحدود والاطمئنان القلبي :

موضوعنا هو مسألة العدل وأن العدل التشريعي في الإسلام قد روعي في التكاليف وفي الجزاء ايضاً ، فأما في أصل التكليف فإن أي شخص يتحقق في هذا الموضوع يرى مقدار التسامح والتساهل في الواجبات والمحرمات .

وأما جزاء الأعمال ففي بعضها منحصر في الآخرة وفي بعضها الآخر

جعل له جزاء دنيوي أيضاً ، وكلاهما عدل .

أما المجازاة الدنيوية فقد شرعت في موارد معدودة احدها السرقة حيث تقطع اصابع السارق بعد اجتماع خمسة عشر شرطاً .

ونتيجة هذا الحد هو الاطمئنان الذي يحصل لدى المسروق منه حيث يتخلص من الحقد والرغبة في الانتقام ، والشيء الآخر هو الامتناع عن السرقة سواء من اللص نفسه أو من الآخرين ولذلك قالوا بأن الحد يقام على السارق في ملأ عام ليكون عبرة للآخرين .

وبالنسبة للزاني وشارب الخمر فإنهم يضربون بالسوط مع اجتماع شروط معينة وفي هذا المورد لا محل للرأفة بهم حتى يمتنع الناس من السير في طريق الفسق والفجور فيهلكوا .

اذا جلدوا الزانية بمائة سوط امتنعت بقية النساء من ارتكاب الفاحشة ، فكل هذه الحدود من أجل القضاء على الفساد .

الموعظة غير كافية :

أما ما يقوله المعترضون من أنه لا بد من اصلاح ثقافة الشعب واصلاح محيط المجتمع وعدم التوسل بالشدة فجوابهم هو أن هذا الكلام صحيح فلا أحد ينكر ضرورة اصلاح المجتمع من الناحية الثقافية ولكن كيف يمكن أصلاح المجتمع من خلال الأعلام والتثقيف فقط ؟ أي مجتمع متمدن تعرفونه غير محتاج إلى العقوبات ؟

الدول المتمدنة بالظاهر والتي تعترض على اجراء احكام الإسلام اكثرها لصوص وقطاع طرق . اللص المذموم هو الذي يسرق الناس في

الطرقات ، وأما اولئك الأشخاص فهم يجلسون على الكراسي وخلف الطاولات ويسرقون بأقلامهم والسنتهم بكل احترام وينهبون اموال الشعب المستضعفة والمظلومة .

الحكومة البريطانية والسرقة :

انكلترا نفسها كانت قبل أربعمائة عام لصاً دولياً فكم سرقوا من اموال وثروات الشرق الأوسط وخاصة ايران بالذات حتى انهم في السنوات الاخيرة عندما عزلوا رضا خان وأرادوا نفيه إلى جزيرة موريس قيل أنه أخذ معه جميع المجوهرات التي سرقها مدة عشرين عاماً من حكمه خصوصاً ما سرقة من مرقد الإمام الرضا (ع) .

فلما وصل إلى ميناء بندر عباس كانوا قد أعدوا له سفينتين واحدة ليصعد بها هو وأقرباؤه والثانية حملوا إليها الأموال والمجوهرات المسروقة من بيت المال أمام عينه . فلما اقتربوا من جزيرة موريس اتجهت السفينة التي تحمل الأموال والجواهر الى لندن ونزل هو ومن معه في الجزيرة . وهكذا أخذت المجوهرات الثمينة والنادرة التي سرقها البهلوي طيلة مدة حكمه مكانها في متاحف لندن .

أجل هكذا تكون السرقة المحترمة التي لا يعترض عليها أحد .

الاعتماد في السرقة على اللص الأكبر :

فعلى هذا اتضح جواب هؤلاء المتغربين الوطنيين في اعتراضهم على لائحة القصاص وقولهم أن لائحة القصاص غير انسانية وانه لا بد من تثقيف الناس للقضاء على السرقة . فنحن نسألهم : أي دولة في العالم توصلت بالتعليم والتثقيف إلى القضاء على السرقات ؟ في حين أنهم لو

قطعوا أيدي عدة اشخاص من رؤسائهم لتمكنوا من القضاء على السرقة .

ولكن كلام هؤلاء المتغربين في الجامعات الداخلية والخارجية هو من أيحاء عملاء أولئك اللصوص الدوليين ، وهم الذين يقولون انه لا ممكننا أن نعيش من دون الاعتماد على احدى القوتين الكبيرتين . اجل فكل من اراد السرقة عليه أن يعتمد على لص اكبر منه .

العقوبة أقل من الاستحقاق :

مقصودي هو بيان المغالطة في كلام هؤلاء الأشخاص ، فكيف يمكن توفير الامن للمجتمع بدون قوانين جزائية ؟ فلو لم يجد الانسان مانعاً يمنعه عن السقوط لغرق في الفساد ولزال الامن من المجتمع فمن الذي يمتنع عن السرقة إلا من كان مؤمناً متقياً لا يسرق في جميع الحالات .

الاحكام السياسية للإسلام في هذه الدنيا هي عين العدالة فلا بد من القصاص والحدود للحفاظ على النظام والعدالة ، بل هي أقل من استحقاق المجرم ففي بعض الموارد يكتفي الإسلام بثمانين سوطاً مع أنه لو ضرب مائتين أو خمسمائة سوطاً لما كان ذلك ظلماً .

رعاية العدل في كيفية اجراء الحد :

لقد روعي العدل في كيفية اجراء الحدود أيضاً فباستثناء حد الزنا[١] ورد عدم الضرب الشديد في الحدود وعدم الضرب على الوجه والرأس وعدم تجريد المرأة من ثيابها . اضافة إلى أنه لو تاب قبل القاء القبض عليه

---

(١) يقال ان احد الميكروبات التي تصيب الرجل او المرأة بسبب الزنا يتم القضاء عليه بواسطة ايجاد حرارة شديدة في بدن المصاب ، ولعل هذا الحد الحكم في الضرب الشديد في مورد الزنا .

وإقامة الشهود فإنه لا يقام عليه الحد ، نعم الى هذا الحد روعي العدل في الإسلام .

فلو ندم وتاب السارق مثلا قبل اثبات الجرم وأرجع المال الى صاحبه فسوف لا تقطع يده .

اجراء الحد يمنع العقاب الأخروي :

وفي كل مرة يقام الحد الاسلامي وتقطع يد السارق مع اجتماع الشروط فإن العذاب الأخروي يرتفع عن ذلك الشخص وذلك لتلافيه في الدنيا .

ولو جيء بشارب الخمر وثبت عليه الجرم فإنه يضرب ثمانين سوطاً ويرتفع عنه العذاب الاخروى لانه كما قال أمير المؤمنين (ع) « ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا الا كان أجود وأمجد من أن يعود في عقابه يوم القيامة »[1] .

ولكن في صورة عدم اجراء العقوبة الدنيوية فإن سقوط العقوبة الاخروية مشكوك . ولذا ورد في بعض الروايات والحوادث التاريخية أن بعض الأشخاص الذين ارتكبوا جرماً معيناً كانوا يأتون إلى رسول الله (ص) أو إلى أمير المؤمنين (ع) في أيام حكومته ويطلبون اجراء الحد عليهم وتطهيرهم من الذنب لكي يتخلصوا من العذاب الاخروي .

ومما يرتفع به العذاب الاخروي ايضاً التوبة التي تتوفر فيها شرائط القبول وان لم يجر عليه الحد .

---

(١) تحف العقول ص ١٤٨ .

شدة العذاب في الآخرة :

والاشكال الآخر المذكور في بحث العدل حول العذاب الاخروي هو ان البشر كيف يعذب في جهنم ذلك العذاب الذي لا تطيقه السماوات والأرض ؟ وكنموذج على ذلك الحميم . وهو ماء الشرب في جهنم ويقول عنه القرآن الكريم : ﴿ **وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه** ﴾ فقبل أن يقربه من فمه ليشرب يشوي وجهه لشدة حرارة الحميم ، وعندما يشربه اهل النار يقول القرآن الكريم : ﴿ **فقطع أمعاءهم** ﴾ .

وكذلك ما ورد في الروايات من أن أقل العذاب هو نعل من نار يشوي الدماغ .

أو ما ورد في حق من نظر حراماً (اي نظر الى غير زوجته الشرعية بشهوة) ان رسول الله (ص) قال : ومن ملأ عينيه من امرأة حراماً حشاهما الله عز وجل يوم القيامة بمسامير من نار[١] .

وإلى غير ذلك من أنواع العذاب والعقاب الشديد هذا من جهة الكيفية .

وأما من جهة الكمية والمقدار فإن ساعة واحدة يقضيها مع امرأة زانية قد تؤدي به إلى الخلود في جهنم أو البقاء مدة طويلة ولكن هل يكون ذلك عدلاً ؟ نعم أنه عدل . وأما لو قال انني اغتبت مؤمناً لعدة دقائق فلماذا اعذب في البرزخ والآخرة بأكل لحم الميتة باستمرار ؟

الأثر الوضعي كذلك :

فجوابه أن الزنا وإن كان لدقائق معدودة إلا أنه قد يستلزم الاصابة

---

(١) تحف العقول ص ٣٣٨ .

بالامراض الجنسية لعدة سنوات ، وهذا من آثاره الوضعية فلا يقال انني لم أرتكب ذلك الجرم الا لعدة دقائق . لأن الأثر الوضعي ليس معاملة حتى تقول أنه خلاف العدل .

ومثال آخر على أن مدة الذنب قد تكون قصيرة إلا أن مدة العقاب طويلة هو أكل السم حيث لا يستغرق دقيقة واحدة ولكنه سوف يلاقي سكرات وآلام الموت مدة من الزمان ثم يلاقي الموت نفسه فلا يصح أن يقول انني شربت السم لمدة دقيقة فلماذا كل هذا العذاب ؟

لو عبث لعدة دقائق مع ثعبان فيحتمل أن يلدغه ويقع في البلاء لمدة من الزمان . إذن لا بد وأن تنظر لما بعد الفعل إلا ان تنظر إلى لذة الذنب وزمانه المحدود .

رأس الحية بيد طفل :

ذكروا أن أحد المسافرين وصل إلى قرية فرأى طفلاً جالساً وحده وأمامه اناء فيه لبن ، فجاءت حية وأدخلت رأسها في ذلك الاناء فامسك الطفل بالحية وهو يتصور انها ملعقة لنعومتها ولطافتها فكان يضع رأس الحية في الاناء ثم يضعها في فمه ليشرب بها اللبن .

فهذا الطفل لا يدرك ما يفعل وأما أنت فتفهم وتدرك ، وترى لطافة ونعومة الحية والوانها الجميلة ولكن ينبغي النظر إلى ما تحمله معها من السم المهلك .

لحظة واحدة من العبث واللهو تتجرع بعدها آلام السم مدة من الزمان .

قبل أن تتكلم كانت الحالة طبيعية ولكنك بكلمة واحدة اشعلت النار

في الهشيم وأثرت الاحقاد والعداوات بين الناس فكل ما تلاقيه بعد ذلك فهو بسببك أنت .

الآثار الوضعية لبعض الذنوب عجيبة وخاصة بالنسبة إلى الأب والام ، وقد ذكروا عن الأثر الوضعي لقاتل الاب أو الام أنه حتى لو كان قتلهما حقاً فإن الأثر الوضعي مترتب لا محالة .

قاتل المتوكل وسرعة الأجل :

واذكر لكم قصة كشاهد على ذلك وللتنوع في الحديث والخروج بنتيجة اخلاقية وتذكيراً بحق الوالدين على الابناء حتى بعد موتهم من الدعاء لهم وذكرهم والتصدق عنهم وفعل الخيرات نيابة عنهم .

لقد كان المتوكل من اشقى الخلفاء العباسيين واكثرهم عداوة للإمام علي (ع) وحتى انه كان يعادي فاطمة الزهراء (ع) ايضاً ، وفي احد الايام شتم الإمام علي (ع) والزهراء (ع) وكان ابنه المنتصر حاضراً فسمع ذلك وصعب عليه ، فسأل القاضي عن حكم من سب الإمام علي والزهراء عليهما السلام . فقال : ان قتله جائز .

فقال المنتصر : حتى لو كان الشاتم هو الخليفة ؟ فقال القاضي : نعم . ولكن قتله وان كان حقاً إلا أنه يجعل عمرك قصيراً . فقال : لا بأس بذلك ، فإني سوف اقتل هذا الشقي وليكن ما يكون . ثم ان المنتصر اخذ معه بعض الاتراك ودخل على المتوكل وقتله ، لكنه لم يعش بعدها الا لستة أشهر ثم مات .

اردت ان ابين الآثار الوضعية للذنوب ، فلو كان الأثر الوضعي للذنب في الدنيا طويلا فهذا لا يعني انه خلاف العدل ، فعندما ترى أن الوضع بهذه الصورة فلماذا ترتكب الذنب ؟

طول الزمان في العالم الآخر :

واما من جهة الأثر الاخروي فهو لا يمر بدون حساب فبعض الذنوب جزاؤها ساعة واحدة من العذاب ولكنها ساعة برزخية من باب بسط الزمان ، فإن نصف ساعة من الذنب . عندما تأتي في عالم البرزخ والملكوت وبسط الزمان فستكون عدة سنوات ، وهذه من الاسرار التي لم تكشف لنا فالزمان في العالم الآخر له وضعية أخرى .

والحياة بعد الموت ليست كالحياة في الدنيا التي يزرع فيها ويبني بيتاً ويجمع اموالاً ، فهذه الحياة تختلف عن الحياة بعد الموت بعدة أمور فهما نحوان من الحياة لأن كلا منهما في عالم خاص يختلف عن الآخر في الكيفية والكمية .

اتباع الموضة عند النساء :

فالتغير والتحول من اللوازم القطعية للحياة الدنيوية ، فالجميع يعلم أنه لا يوجد في الدنيا شيء ثابت ولن يوجد في المستقبل فكل حادث متغير ، وكل متغير حادث .

كانوا يستوردون أقمشة من الخارج ، وكانت النساء في زمان حكومة الشاه يتبعن الموضة في الأزياء فكم انفقوا من الأموال لشراء ملابس تطابق الموضة إلا أنهم لم يلتفتوا إلى أنها تتغير في السنة القادمة ولا تبقى على حالة واحدة .

والطعام مهما كان لذيذاً وطيباً إلا أنه وبعد مرور عدة أيام يتعفن ويتفسخ .

نتيجة المتاع الدنيوي :

كيف كان الشاه قبل سنتين وكيف هو الآن ؟

كيف كان بني صدر قبل شهر واحد وكيف حاله الآن ؟

يا من تتصور نفسك جميلاً انتظر فترة وسترى كيف سيتجعد وجهك ويشيب شعرك إلى درجة يستوحش منك كل من ينظر إليك .

استمرار النعيم في الجنة :

وأما الآخرة فعلى العكس من ذلك فهي على وتيرة واحدة فكل ما فيها ثابت فحور العين تبقى في سن السادسة عشر فجميع نساء الجنة من البنات الشابات وليس في الجنة عجائز .

وأما الرجال فإذا صاروا من أهل الجنة فإنهم يبقون في سن الثانية والثلاثين من العمر ولا تضعف قواهم بل تبقى قواهم نشطة وطرية وبهيجة بل وتزداد ايضاً (ولدينا مزيد) .

وعندما يذهب المؤمنون في الجنة الى لقاء الله ويرجعون تقول الحوريات وما هذا النور الجديد الذي يسطع منكم ؟ فيقولون : انه من عطاء الله ولقائه .

أملي في الأشخاص الذين يترددون على المساجد أن ينالوا لقاء الله في ذلك اليوم .

وعلى كل حال فإن أي انسان يجب أن يترك ما بيده في هذه الدنيا ويرحل ولكن كل ما عمله لآخرته فسوف يبقى له الى الأبد .

(١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الآخرة دار الجزاء :

كـان الحـديث حـول العـدل في الجـزاء الاخـروي لأعمـال الإنسـان . فلكـل عمل يصـدر من الانسان جـزاء في الآخـرة حتى ان الآخـرة تسمى دار الجزاء وما الـدنيا الا مقـدمة لـدار الجزاء حيث يعيش الانسـان في دار الدنيـ لعـدة أعوام ثم يـلاقي نتيجة اعمـاله ان خيـراً فخير وان شـراً فشر . والجزاء يـأتي ايضاً من معـاني الدين ﴿ مـالك يـوم الـدين ﴾ فـالله عـز وجـل ملك او مالك يوم الجزاء أي يوم القيامة .

وعلى كل حال فإن عالم الجزاء إما عدل أو فضل فعقابه عدل وثوابه فضل .

السجن لثلاثمائة عام مع العقارب :

قلنا انه لو اشكل احد على ان هذا العذاب الشديد والطويل كيف يتلاءم مع العدل وقد ورد عن أمير المؤمنين ان بعض المؤمنين والشيعة يعذبون ثلاثمائة الف عام إلى ان تنالهم الشفاعة ؟

لقد تحدثنا بالامس عن كيفية عذاب جهنم وما جعل الله فيها من البسة النار واطعمة الزقوم والضريع وماء الحميم الذي يمزق الامعاء قطعة قطعة وتحيط به الحيوانات الجهنمية حيث يقول الإمام في الصحيفة السجادية : (وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة افواهها) وفي رواية ان الواحدة منها أكبر من البغلة وألم اللدغة يبقى سبعين عاماً .

إذن ، كيف يتحمل هذا البدن الضعيف كل هذا العذاب ؟

وقد اجبنا عن ذلك بأن البدن يكون بشكل آخر فهو وإن كان اصله واحداً إلا أن الشكل يتغير بما يطابق ذاته أي يتغلب المعنى على الظواهر المادية فكل من كان في الدنيا اكثر قساوة فإن بدنه يكون أشد بما يتناسب مع ذلك العذاب المعد له .

الملك والملكوت بالنسبة للاعمال :

أما ما يقال من أن زمان المعصية محدود وقد لا يستغرق الا دقائق معدودة فكيف يكون جزاؤه كل ذلك العذاب الشديد الذي يعبر عنه القرآن الكريم :

﴿ ولهم مقامع من حديد ، كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾[1] .

فاعلم أيها الانسان ان كل عمل تقوم به أو كلام تتكلم به فإن له ملك وملكوت ، فاثره الخارجي هو الملك حيث يقال بأن هذا الكلام كذب أو تهمة وأما اثره الملكوتي فهو الأثر الباطني فإن كان كلامه حسناً كان أثره الباطني نوراً ورائحة زكية وأما لو كان بذيئاً وقبيحاً فسيتحول في باطنه الى ظلمة ورائحة خبيثة .

رائحة الكذب تبلغ السماء :

وقد روى عن خاتم الأنبياء محمد (ص) انه قال : ان المؤمن اذا كذب بغير عذر لعنه سبعون الف ملك وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش . . . »[1] .

ما اقبح هذا الكذب الذي يحصل منه كل تلك الرائحة الخبيثة ؟ ولعله من نوع تلك الأكاذيب التي يقولها المنافقون او التي يكتبونها على قصاصات الورق ويبثون الشائعات بين الناس فالآثار الخارجية لهذه الأكاذيب تتعلق بعالم الملكوت فهي روائح خبيثة وعفنة تتأذى منها الملائكة وتلعن ذلك الكاذب وبما أن هذه العفونة تتعلق بعالم الملكوت فإن زوالها لا يكون بتلك السهولة .

وما في عالم الملك فإن اللسان يقول شيئاً ويزول أثره بسرعة ، وأما الملكوت فله حكم آخر ويستغرق مدة طويلة لإزالة ذلك الأثر فقد تستغرق الكذبة دقيقة واحدة إلا أن أثرها الملكوتي قد يتجاوز السنة وقد يستمر لعدة

---

(١) سورة الحج ٢٢ الآية ٢١ .
(٢) المستدرك .

سنوات حتى يزول ذلك الأثر وتزول تلك الظلمة في باطنه ويموت ذلك الحيوان الذي اوجده في باطنه .

ولو تكرر الكذب أو تكررت سائر الذنوب الاخرى فسوف تصل إلى درجة تتبدل فيها الذات وتنقلب ولا ينفع مغها العلاج بعد ذلك .

استمرار المعصية يطفىء نور القلب :

ويقول في القرآن الكريم : ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ .

فعندما تنقلب ذات الإنسان في هذا العالم وتحيط بقلبه المعاصي والذنوب فمتى يذكر الله ؟ وما لم يذكر الله يوم القيامة فمن المحال أن يحصل على الفرج ، فلولا ذكر الله وشفاعة الأولياء فلا أمل في النجاة بل يكون في العذاب الدائم .

أيها المسلمون : ليس العذاب الاخروي كالعقوبات على مخالفة القوانين الدنيوية حيث يأخذون المجرم ويلقوه في السجن بل أن كل شخص هناك يحشر مع عمله فهو مع نيران عمله التي تشتعل منه .

وفي القبر أي في عالم البرزخ كذلك ، فأما أن تذهب إلى هناك مع الورود والرياحين أومع ألسنة النيران فكل ما تجده انما هو من عندك . ويستفاد هذا المعنى في بحث تجسم الأعمال من خلال الآيات والاحاديث الشريفة الكثيرة .

تجسم الأعمال يعني أن لكل عمل يصدر من الإنسان في الدنيا شكلاً وهيئة في عاله الملكوتي ، والقرآن الكريم يقول :

﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾[1] .

فيوم القيامة يجد كل شخص عمله حاضراً ويرى حقيقة عمله ظاهراً على شكل حيوان مثلا . فهو انسان في هذه الدنيا ظاهراً أما باطنه وملكوته فذئب مفترس ويحشر يوم القيامة بهذه الصورة .

الشكل الباطني يصحب الانسان :

او تلك المرأة التي كانت جميلة في الدنيا إلا أنها وبسبب اتباع الشهوات تحشر يوم القيامة على شكل خنزير أو أقبح فكل من ينظر إليها يدرك ما كانت تعمل ، إذن فالشكل الباطني للأعمال يصحب الانسان يوم القيامة ويأتي معه الى المحشر .

ويقول في آية أخرى :

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾[2] .

فيكون نفس العمل اي ملكوته صاحبه يوم القيامة فملكوت صلاتك وصومك يأتي معك وكذلك كلامك الحسن وحبك للغير ويتمنى الانسان يومئذ أن تتركه اعماله القبيحة .

العمل بصورته الملكية يفني في هذه الدنيا وأما ملكوته فيبقى فإما نور أو ظلمة . . عطر أو عفونة . . جميل أو قبيح فأما ان يكون بأجمل الصور أو بأقبحها . ويقول القرآن الكريم .

﴿ يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم ﴾ .

---

(١) سورة الكهف ١٨ الآية ٤٩ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٣٠ .

ملكوت الاعمال مرتبط بالانسان نفسه فإن كان حسناً فانه يسر لذلك ويفرح وان كان سيئاً يتألم ويتأذى .

المقصود هو أن تجسم الاعمال اعلى من العلة والمعلول ، فلا يصح أن نقول كيف يحشر الإنسان مع لحم الميتة لمجرد الغيبة لأن الغيبة هي اكل لحم الميت فإن تعلم أن لكل عالم ظاهراً وباطناً فباطن الغيبة هو اكل لحم الميتة .

أكل لحم الميتة بسبب حديث النفس :

يذكر ابو الفتوح الرازي في تفسيره خبراً عن احد الاشخاص انه قال : كنت في احد المقابر فرأيت رجلاً فقلت في نفسي انه من الاراذل ، فلما كان الليل رأيت في المنام كأن احداً أحضر لي لحم ميتة وهو يقول : كل هذا اللحم . فقلت : لقد تركت اكل اللحم فأنا لا آكل اللحم الحلال فكيف باللحم الميت ؟

فقيل لي ان هذا اللحم هو ما أكلته هذا الصباح ! فقلت : وكيف ذلك ؟ فقيل : هو تلك الغيبة (حديث النفس) التي كنت تحدث نفسك عن ذلك الرجل .

ثم قال انني ذهبت في الغد إلى المقبرة لأرى ذلك الرجل وأطلب منه العذر فلم أجده حتى مضى عام كامل ثم رأيته فابتدأني قائلاً : اذا ثبت من ذلك فإن الله يتوب عليك .

رائحة فم الصائم احسن العطور :

العمل الذي يستغرق في هذا العالم دقيقة واحدة ويزول قد يستمر في عالم الملكوت عام كامل أو مائة عام لأن مقتضى كل عالم بما يتلاءم معه ،

فعالم المادة سريع الـزوال وعالم الملكـوت بطيء ويعلم الله كم يستمـر ويطول حتى يطهر من الـذنب ، وعلى كـل حال فـإن عملك ملازم لـك فأنت الـذي تضـرب نفسك وتصحب معـك النيران او تصحب معـك الورود والـرياحـين الى القبر فكل شيء ناتج منك حيث تصحبه معك إلى ذلك العالم .

الرائحة الطيبة في القبـر هي نفسها رائحـة فمك في شهـر رمضان بـالرغم من أنها رائحـة غير طيبـة في هذا العـالم فإن فم الصـائم يكون ذا رائحـة كريهـة لفراغ المعدة إلا أنـه يكون من أزكى الـروائح في عـالم الملكوت حيث يصحبـه معك ان شاء الله كما هو مفاد الروايات الشريفة .

اذن فجهنم تـابعـة لعمـل الإنسـان وهكـذا حـال الجنـة ، وقـد وردت آيـات عديـدة في القرآن الكـريم حول هـذا الموضـوع وان مقـام ودرجـة كـل انسان بيده واختياره ومرتبطة بكيفية حركته في هذا العالم .

انت رهين عملك :

الصدوق عليه الرحمة ينقـل في كتابـه معاني الأخبـار رواية مشهـورة عن رسـول الله (ص) عندمـا جاء اليـه قيس بن عاصم وقـال لـه : يـا نبي الله عظنا موعظة ننتفع بها فـإنا قـوم نغير بـالبريـة . فقال رسـول الله (ص) : يا قيس ان مـع العز ذلا ، وإن مـع الحياة مـوتاً ، وإن مع الدنيـا آخـرة . وان لكـل شيء حسيباً وعـلى كل شيء رقيبـاً ، وان لكل حسنـة ثوابـاً ولكل سيئـة عقاباً ، ولكل أجل كتاباً وأنـه لا بد لـك يا قيس من قـرين يدفن معـك وهو حي وتـدفن معـه وأنت ميت ، فـإن كـان كـريمـاً أكـرمـك وإن كـان لئيـماً اسلمـك ، ثم لا يحشر إلا معك . ولا تبعث إلا معـه . ولا تسأل إلا عنـه ، ولا تجعله إلا صـالحاً فـإنه ان صلح انست بـه وان فسـد لا تستـوحش الا منه

وهو فعلك[١] .

فالحذر من أن كون لسانك مثيراً لنيران الفتنة التي تحرق ثيابك في النهاية .

وبعد أن يصل الإنسان إلى الإدراك الروحي بعد الموت سيرى كل ما عمله وما قاله من أول عمره إلى آخره بعين الواقع ، فالدنيا في حركة مستمرة ووجود وعدم في كل لحظة فهي تظهر وتزول وأما الملكوت فهو متصل وثابت باستمرار .

وعملك معك في القبر والبرزخ ويوم القيامة وجميع العوالم . وللتنوع في الحديث وازالة الكسل اذكر لكم قصة .

قصة لطيفة عن موت احد الطلبة :

ينقل عن العلامة الحلي انه كتب بخطه المبارك انني ذهبت عصر احد الايام الى مقبرة مدينة الحلة لقراءة الفاتحة لأهل القبور فشاهدت اسماً على احد القبور ولم يكن من أهالي الحلة لأنه كان أسماً أعجمياً وقد كتب عليه انه من أهل العلم فتمنيت ان اتعرف عليه فدعوت الله ان يعرفني على صاحب هذا القبر .

وفي تلك الليلة رأيت في عالم الرؤيا سيداً جليلاً ذا وجه نوراني فقال

---

(١) ثم أن قيس أنشد كلام رسول الله (ص) شعراً في ذلك المجلس وقال :

تخير قريناً من فعالك انما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من أن تعده ... ليوم ينادي المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... ومن قبله إلا الذي كان يعمل
الا إنما الإنسان ضيف لاهله ... يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل

انا صاحب ذلك القبر الذي قرأت له الفاتحة وأنا اشكرك على ذلك .

فسأله العلامة : من أنت ؟ فقال : أنا رجل إيراني وقد جئت إلى الحلة طلباً للعلوم الدينية ـ وقد كانت الحلة في ذلك الزمان مركزاً دينياً بعد زمان السيد ابن طاوس الذي كان في الحلة حيث كان فيها المحقق صاحب الشرائع وكثير من العلماء ـ وبعد مدة مرضت في المدرسة التي كنت فيها واشتد مرضي إلى درجة أني لم اعد استطع الخروج من الغرفة وكان حالي وخيماً وكنت أحس بالألم في جميع بدني .

وفجأة شممت رائحة طيبة ورأيت وجهاً جميلاً وجذاباً فسررت بذلك فسأل أحوالي فقلت له اني احس بالألم من رأسي إلى أخمص قدمي . فقال : الا تريد ان اجلب لك الطبيب لترتاح ، فقلت : وهل هناك احسان اعظم من هذا ؟

ولم تمر فترة حتى جاء الي شخص آخر وكان جميلاً ومعطراً فسأل عن حالتي بكل لطف وحب : أين تحس بالألم ؟ فقلت : من رأسي الى أخمص قدمي .

فوضع يده على قدمي وأخذ يمسح عليها بيده إلى الأعلى فقلت لقد زال الالم الى هذا الحد ، فما زال يمسح صاعداً وأنا أقول : الى هنا زال الألم حتى انتهى الى رأسي فرأيت نفسي جالساً الى جانب الغرفة وبدني ملقى على الأرض .

وفي ذلك الوقت دخل احد طلاب المدرسة ووضع يده على بدني ثم قال : آه لقد مات السيد .

ثم رأيت بعد ذلك انهم حملوا بدني إلى المغتسل ثم كفنوه ولكني شعرت بالخوف عندما أرادوا دفنه في القبر فرأيت ذلك الشكل الجميل الذي رأيته أول مرة فسررت لذلك فقال لي ، ألا تعرفني ؟ فقلت : لا . فقال :

انا عملك الصالح وذلك الطبيب هو ملك الموت عزرائيل الذي قبض روحك وذهب وأما انا فسأكون معك دائماً .

ان ما كتبه العلامة يعتبر من معتقداتنا نحن الشيعة الإمامية . وهو ان الأعمال تتجسم بشكل ملكوتي فأما بصورة جميلة أو قبيحة . وهذه البقعة من المسجد نفسها تشهد لك يوم القيامة كما ان الأيام والساعات تشهد ايضاً .

ملكوت المال يتمثل للمحتضر :

ومما ذكر في تفسير علي بن ابراهيم القمي والكافي وكتب أخرى ان المؤمن إذا جاء اجله تجسم أمامه ملكوت ثلاثة اشياء : الأول ملكوت امواله .

فكل انسان عندما يحين أجله يظهر أمامه كل ما لديه من أموال وخاصة ما جمعه وتعلق به قلبه فيلتفت إلى ما جمعه واتعب نفسه عليه ويقول له بلسان الملكوت : ايتها الأموال لقد تعبت في سبيل تحصيلك وأنا الآن في ساعة شدة وعسر فبماذا تعينيني ؟

فيقول ملكوت الأموال : انا لا استطيع مساعدتك الا بمقدار كفنك .

والثاني ملكوت الأهل والأولاد وهم الذين يضحي بعض الناس بدينه فداء لهم فيتمثلون أمامه فليتفت إليهم ويقول :

ما أكثر ما عملت وتعبت وتحملت من أجل تربيتكم واعاشتكم فماذا يمكنكم أن تفعلوه من أجلي في هذا اليوم ؟

فيجاب : مع الأسف اننا لا نستطيع سوى مشايعتك إلى القبر .

والثالث ملكوت الأعمال فعندما يرى اعماله الصالحة يقول : كنت

متماهلاً في حقك فعندما يعرض على عمل لله اتكاسل واطلب المعاذير وأخشى الانفاق خوفاً على اموالي من النفاذ وعلى كل حال كنت مقصراً في الخيرات فماذا تستطيع أن تفعله من أجلي ؟

فيقول ملكوت العمل : أبشر فإني معك ولن اتركك مطلقاً . وهنا يتحسر المؤمن ، يا ليتني قدمت لعملي ما كنت اقدمه بكل تعب ومشقة للآخرين .

(١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الظاهر يفنى والباطن يبقى :

كان الكلام في يوم أمس حول عمـل الانسان وقلنـا ان للأعمـال ملك وملكوت ، ظاهر وباطن . فمثلاً قراءة القـرآن لها ملك وهـو الالفاظ الجـارية على اللسان والنظر إلى القرآن وهذه الجهة غير باقية بل تـوجد وتنعـدم وتظهـر وتختفي .

أمـا الملكوت فهـو نـور يضيء في البـاطن ويبقى ، وهكـذا لـو ارتكب ذنب لا سمح الله فله ملك وظاهـر حيث يقبـل الـزوال والفنـاء إلا أن أثـره

الباطني والملكوتي وهو الظلمة والعفونة التي تنشأ مع الذنب في نفس اللحظة باقية .

ولو انه استمر على ذلك العمل وارتكب ذنوباً اخرى وتراكمت على قلبه فإن أثره وملكوته يبقى في ذاته ولا يزول بعد ذلك .

الندم لمخالفة أمر الله :

عندما يرتكب الانسان ذنباً فإنه يحدث في ذاته ظلمة معنوية لا تدرك بالعين ولا تطهر إلا بالتوبة اي الندم الحقيقي من الذنب ومخالفة امر الله تعالى وأني لماذا تركت امر الله وراء ظهري ، ولماذا عصيت الله تعالى ؟ وليست التوبة أن يقول استغفر الله فقط .

وهذا شرط صحة التوبة فالإنسان تارة يذنب فيقع بعد ذلك في مشكلة فيندم فلا يعتبر ندمه هذا توبة .

قبل عدة أيام جاء الي شاب كان عضواً في منظمة المنافقين وكان يريد التوبة فقلت له : اذا كان ندمك لله فقط ولان ذلك التنظيم منحرف ومعاد للإسلام وهم مفسدون ويأمرون الناس بالفساد فهو حسن ، وأما لو كان ندمك لأنك رأيت الناس يبحثون عن اولئك المنافقين وقد أحدق بهم الخطر من كل جانب فشعرت بالخطر على نفسك وندمت فإن هذا لا يعد توبة .

التوبة تلازم جبران ما فات :

لو أن أحداً شرب الخمر وسكر ثم قتل انساناً وندم على ذلك بأن قال يا ليتني لم اشرب المسكر فاقع في هذه الورطة ، فإن هذا لا يعد توبة .

ولكن ندمه يكون توبة فيما إذا كان نادماً على مخالفة امر الله ويعمل على جبران ما فات منه فالتوبة حينئذ توجب محو السيئات واقعاً . فلا بد أن

يكون نادماً فيما بينه وبين الله ثم يشرع باصلاح ما افسده ، فمثلا يتوجه إلى كل شخص كان قد اضله وصيره مع جماعة المنافقين فيرشده الى انحراف هؤلاء المنافقين ويهديه .

يجب عليك أن تفضحهم حتى لا يقع الآخرون في مصيدتهم كما حصل ذلك قبل عدة أيام عندما ظهرت تلك البنت على شاشة التلفزيون وفضحت هؤلاء المنافقين وبينت كيفية اغوائهم للفتيات واخراجهن من محيط العائلة والاختلاط مع الشبان في بيوت المنظمة حتى انهم قتلوا فتاة حاملة خوفاً من الفضيحة .

فالمقصود أنه يجب عليه بعد التوبة ان يكشف عن فساد هؤلاء المنحرفين ويظهر الحقائق للناس حتى لا يقع اشخاص آخرون في حبائلهم فالندم والاستغفار بحاجة الى جبران ما فات ، فإن كان ما فاته عبادة فعليه القضاء لتكون التوبة مطهرة له من الذنوب .

(التائب من الذنب كمن لا ذنب له) ، واما لو استمر على الذنب واصر عليه لا سمح الله حتى اصبح جزءاً من ذاته وثبت في نفسه فالله اعلم ماذا ستكون نتيجته ، ويتضح ذلك من الرواية التي سأذكرها لكم ، يقول الإمام الباقر (ع) : ما من عبد إلا في قلبه نكتة بيضاء ، فإذا اذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء ، فإن تاب ذهب تلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى غطى على البياض ، فإذا غطى البياض لم يرجع إلى خير ابداً ، وهو قول الله عز وجل « كلا بل ران على قلوبهم »[1] .

---

(١) البحار ج ٧٣ ص ٣٣٢ .

القلب المحجوب يبقى كذلك :

ومثل هذا الانسان لا يذكر الله حتى بعد الموت ، فكل من كان غافلاً عن الله في هذه الدنيا سيكون كذلك بعد الموت ايضاً لأن قلبه محجوب .

ولا يعترض أحد ويقول لماذا يخلد هذا الشخص في العذاب مقابل خمسين عاماً من المعصية ؟ وذلك لأنه جعل في ذاته أمراً ثابتاً طيلة هذه المدة فلا علاج له بعد ذلك **﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾**[1] .

وعندما يسأل منهم لماذا صرتم من أهل النار ؟ **﴿ قالوا لم نك من المصَلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نكذب بيوم الدين ﴾**[2] كنا نستهزىء عندما نسمع بنار جهنم .

الشخص الذي أدى به الانحراف إلى أن يكذب بالله وبالآخرة ويستهزىء بذلك فهل جعل له طريقاً للخلاص ؟ وهل ابقى في قلبه ذرة من الايمان ؟ لقد أصر على المعاصي ولم يتب منها حتى صار ذلك ملكة وخلقاً في ذاته ، والخلق لا يقبل التغير .

لا علاج للطبع الوحشي :

الشخص الذي أدمن على الكلام البذيء الفاحش ولم يتب من ذلك فإن عاقبته بعد عدة سنوات أن ينقلب باطنه الى كلب فعندما يرى كلباً في الطرف الآخر من الزقاق يريد المرور يشتبك معه في نزاع وعواء ، وهكذا يكون الخلق الحيواني والمتوحش ملكة في الإنسان فلا يقبل العلاج بعد ذلك .

---

(١) سورة المدثر ٧٤ الآية ٤٨ .

(٢) سورة المدثر ٧٤ الآية ٤٤ .

لقد ذكرت مراراً ان من صار الفحش ملكة له فإنه في ساعة الموت سيشتم ملك الموت أيضاً ويشتم في القبر منكراً ونكيراً وهكذا الحال في يوم القيامة فلا يعذب بسبب فحشه لفترة معينة من الزمان لأن الفحش صار ملكة في ذاته كالتوحش في الحيوان فهو معه دائماً يعذب بنيرانه الملتهبة .

وهكذا الحال في البرزخ ولا بأس أن أذكر حديثاً حول هذا الموضوع حيث يشتمل على المعجزة ايضاً .

روح الشامي تكشف عن المال :

في أحد الأيام جاء شاب الى الإمام جعفر الصادق (ع) وكان محباً للإمام (ع) فقال له : كان أبي من أهل الشام وكان معادياً لأهل البيت (ع) وكان له مال كثير ، ولأني كنت أحبكم ولذلك أخفي امواله لكيلا احصل عليها ومات بعد ذلك في حين أنني محتاج إليها .

وخلاصة الحديث الوارد في المجلد الحادي عشر من البحار أن الإمام (ع) كتب شيئاً وقال له : أذهب هذه الليلة الى البقيع ونادى الاسم الفلاني (الذي كتبه الإمام في الورقة) وتقول له ان الإمام يقول لك ان يحضر أباك .

فذهب الشاب الى المقبرة طبقاً لكلام الإمام ونادى باسم ذلك الشخص فظهر أمامه شخص وسأله ماذا تريد ؟ فقال له الشاب : أريد أبي لكي اسأله .

ولم تمض مدة حتى حضر امامه كلب مخيف والعجيب أن كل شخص بإمكان التعرف عليه في عالم البرزخ مهما كانت صورته ، فما أن رأى الكلب حتى عرفه ونال : أيه ماذا حصل لك ؟ فقال : لقد صرت بهذا الحال نتيجة عداوتي لأهل البيت (ع) وأما أنت فلا تقصر في حبهم .

وأما المال فكان عندي مائة الف درهم ودفنتها في الحديقة إلى جانب شجرة الزيتون حتى لا تصل إليك وأما الآن فخذ نصف المال لك واحمل النصف الآخر واعطه للإمام الصادق (ع) .

فذهب الشاب وأخرج المال طبقاً العلامة واعطى نصفها للإمام (ع) والإمام ادى بعض ديون السادات بذلك المال .

والراوي يسأل الإمام (ع) : هل ان عمله هذا يعني تقديمه نصف امواله الى الإمام ينفعه في ذلك العالم ؟

وكان خلاصة جواب الإمام (ع) انه قال : سيكون تخفيفاً عليه من العذاب .

اردت ان اقول انهم لم يجعلوا ذلك الشخص كلباً وانما عداؤه لأهل البيت (ع) هو الذي جعله كلباً ، فماذا صنع علياً (ع) سوى أنه كان مثال العدالة الحقيقة ؟ وما هو سبب ذلك العداء ؟

العداء للحق يقلب الباطن حيواناً :

وفي زماننا هذا نجد ان الناس عرفوا امام الامة منذ سنوات عديدة فهل شاهدوا منه خلافاً او اتباعاً للهوى ؟ وهل رأوا منه حباً للذات او طلباً للرئاسة ؟ لقد وضع روحه على كفه من اجل الإسلام والمستضعفين .

ماذا تتوقعون ان يكون الأشخاص الذين يعادون هذا الرجل ؟ انهم كلاب في عالم الملكوت لأن العداوة للحق تجعل باطن الانسان كذلك .

المرحوم الآخوند الكاشي الذي كان استاذ آية الله السيد البروجردي في الفلسفة كان في مدينة اصفهان وقد ذكر لي ان المرحوم كان من اصحاب المكاشفة حيث كان يدرك الملكوت في بعض الأحيان .

وفي احد الأيام دخل الى مجلس فاتحة فقام أحد الأعيان احتراماً للشيخ وفسح له مكاناً للجلوس الى جانبه ولكن الأخوند خاف ،وهرب منه وجلس الى زاوية المجلس .

وبعد مدة التقى ذلك الشخص بالآخوند وعاتبه على تصرفه بأني كنت في ذلك المجلس وقمت اليك احتراماً وفسحت لك مجالاً للجلوس ولكنك هربت وجلست في مكان آخر .

فأجابه الأخوند : عجيب ! ! اذن لقد كان ذلك الدب هو انت .

واتضح أن باطن ذلك الشخص وملكوته كان على شكل دب وقد ظهر للشيخ ورآه .

ظاهر ش چون كور كافرپر حلل   باطنش قهر خدا عز وجل

اي انه كقبر الكافر المليء بالزينة في الظاهر ولكن باطنه غضب الله عز وجل .

اذا صار انساناً . .

ما اكثر الظواهر الجميلة التي لها بواطن شيطانية وقبيحة لا تحمل معها سوى البلاء والفتن . . الله عز وجل ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم فاصلحوا قلوبكم وهذبوا اخلاقكم بأن لا تكون اخلاقاً حيوانية فالجنة لا يدخلها الحيوان .

وقد تقرؤن ان الانسان لو صلى الصلاة الفلانية او قرأ الدعاء والاستغفار الفلاني وجبت له الجنة .

وهذا صحيح إذا كان ذلك الشخص انساناً وإلا فما علاقة الحيوان بالجنة ؟

فالحذر ان تكون بواطنكم بشكل آخر وبصورة رهيبة وموحشة بحيث يخاف الشخص من نفسه ايضاً .

عليكم السعي الى التوبة بعد كل ذنب حتى لا يتحول الى خلق وملكة فلا يقبل العلاج بعد ذلك ويكون شيطاناً مكاراً ومحتالاً بالرغم من الظاهر الجميل .

القرب من الله لا يكون إلا للإنسان ولا يكون للحيوان المتوحش ولا لأولئك الأشخاص الانانيين وطلاب الدنيا .

حب الظهور في الحيوانات يتمثل في الطاووس ، والاحتيال في الثعلب ، فلو كان الانسان مرائياً ومحتالاً فهو حيوان في الباطن فهو يفسد ويلقي باللوم على الآخرين .

احتيال الدول الاستعمارية :

بريطانيا هي الحيوان الأكبر ، فأنا أتذكر جيداً قبل خمسين عاماً جاءوا بالبهلوي ليحكم في ايران ونوري السعيد وغازي في العراق ومصطفى باشا في تركيا كل ذلك بالخداع والحيلة ، وقد كان المرحوم الشيخ محمد كاظم الشيرازي يقول : أليس هناك من يقول لهم ـ للانكليز ـ تعلوّا واحكموا بانفسكم فلماذا هذا الخداع والدجل ؟

وهكذا كانوا يخلعون الشخص الذي جاؤوا به الى الحكم لمجرد انه خالف سياستهم أو كان زواله افضل بالنسبة لهم فيدفعون إليه من يقتله ويأتون بشخص آخر ، ويظهرون للناس أنه مع روسيا أو مع امريكا ولكنه في الخفاء يعمل للانكليز .

هؤلاء قردة هذا الزمان والحمد لله إن أصيبوا بمثل ما كانوا يفعلونه

في الـدول المستضعفة فقـد كـانـوا يلقـون بـالفتن والاختـلافـات بـين الـدول ويـزرعون الفســاد والآن توجـد ثـورة في ايـرلنـدا ضـدهم وهي التي تقـع إلى جوارهم .

الميزان هو العقيدة والعمل لا الشخص :

كل انسان سلك طريق الحيلة والمكر فقـد سلك طريق الحيـوانية وتـرك طـريق الانسانيـة ، وطبعاً فـإن لعبـاداتـه ثواباً ولكنـه يفقـد مقـام الإنســان والانسانية فليس الميـزان هو الشخص نفســه ، بل الميـزان هو اخـلاقه وعمله وطـريقه ، فـطريقه هـو المنافـع الشخصية وحب الـذات فهـو يـطلب راحتـه الشخصية واذى الآخرين .

أما الإنسان الحقيقي فهـو الخادم لنـوعه . فـالحيوان منفصـل من نوعـه فعندما يسقط خروف من القطيـع يمر من جـانبه خـروف آخر دون أن يعـير له اهتمـاماً ، وهكـذا حال كـل حيوان بـالنسبة الى الحيـوان الآخر فكـل واحـد يعيش لـذاته فلو صـار الانسان كـذلك بـأن رأى شخصـاً محتـاجـاً ولم يسعفـه فمـاذا يختلف عن الحيوان ؟ وأين هي الإنسـانية ؟ فهـذا التباين شـاهـد عـلى الابتعاد عن الانسانية .

الحيوان لا يقتل بني جنسه ، اما المنافق . . . :

الحيـوان لا يقتـل بني جنســه فـالكلب لا يقتــل الكلب ، والـذئب لا يفتـرس الذئب ولكن مـاذا يفعل هـذا الانسان ؟ . . انـه يلقي بالقنـابل عـلى جنـوب لبنـان فيقتـل النسـاء والأطفـال والشيـوخ ولهـذا لا يصـح أن نسمي الصهاينة والامريكان بشراً ، انهم ارذل الحيوانـات ، وهكذا شـأن كل عـديم الرحمة .

ألم يسقط المنافقون من الانسانية وهم الذين نزلوا الى الشوارع بالسكاكين الحادة وأخذوا يطعنون بها المارة ؟ من أي ذئب رأيتم مثل هذه الافعال ؟ وماذا ارتكب هؤلاء المارة ؟

كانوا يريدون بث الرعب بين الناس وازالة الامن . . هذا واقعهم ، فكل ما يصدر منهم من خير فهو ظاهري وغير حقيقي وباطني .

قد ذكرت ان الروايات الواردة في فضيلة الدعاء والصلاة تبتدىء بكلمة (من) بفتح الميم أي من عمل العمل الفلاني فله كذا من الأجر ، وكلمة (من) للعاقل فلو أن الحيوان عمل هذه الأعمال فلا يعلم ترتب ذلك الأثر ايضاً ، لان موضوع هذا الصنف من الروايات هو الإنسان لا الذئب الكاسر والحيوان الذي ليست في قلبه الرحمة والعاطفة والانصاف فلا طريق لمثل هذا الشخص الى تلك الساحة المقدسة .

التوبة تزيل آثار الذنوب :

التأكيد الوارد في التوبة وقول الإمام زين العابدين (ع) في الصحيفة السجادية ما مضمونه انه لو لم يكن من رحمة الله سوى باب التوبة لكفى ، والاصرار على المسارعة في التوبة والاعتذار من الشخص المعتدى عليه كل ذلك من أجل ان لا تتراكم الذنوب وتصير ملكة ويكون حيواناً مفترساً .

وفي باب الأكل والشهوة إذا أفرط الإنسان ولم يهتم للحلال والحرام فعاقبته انه يصير خنزيراً .

نحن لا نقول أن الإنسان لا بد وأن يكون معصوماً بل نقول يجب ان تسرع في التوبة ولا تسمح ان تثبت في ذاتك ملكة وطبع بسبب الذنوب فيغدو الامر مشكلاً وصعباً ولا يمكن الخلاص منه بسهولة .

وقد ورد في رواية ان مدة بعض العقوبات ثلاثمائة الف عام ، هذا اذا كان معه ايمان .

تارة يكون للإنسان خلق حسن ولكنه يحمل معه خلقاً رديئاً ولكل واحد منهما اثره الخاص به ، وتجسم الاعمال من مذهبنا .

ينبغي أن لا نحسن الظن بأنفسنا بل نسيء بها الظن[1] . فكيف يحصل لنا اطمئنان بأنفسنا ولعلها كانت تحوي على الكبر والحسد والبخل والحرص والعداوة ؟ فينبغي ان نلتجىء الى الله .

الإمام زين العابدين (ع) يقول :

« ولا تدع خصلة تعاب مني الا اصلحتها ، ولا اكرومة في ناقصة الا اتممتها » .

بشرط ان تطلب ذلك بنفسك وتتجنب طريق الحيوانية وتسلك طريق الإنسانية .

النبي (ص) منبع الاخلاق الفاضلة :

الاصل في الصفات الكمالية هو من آل محمد (ص) ـ اللهم قربنا منهم ـ رسول الله (ص) منبع الاخلاق الحسنة ، فكل من اقترب من رسول الله (ص) أكثر فإنه يكتسب أخلاقاً حسنة أكثر ، فالكافر السخي أقرب الى الجنة من المؤمن البخيل أي أن بخله يجعله جهنمياً في النهاية .

ماذا فعل ابن ملجم مع كل ذلك الاحسان الذي احسن له علي بن أبي طالب (ع) ؟! ولكن الإمام (ع) عندما كان في فراش المرض أوصى

---

(١) « ان المؤمن يصبح ويمسي ونفسه ظنون عنده » .

بأن يطعم ابن ملجم من نفس الطعام الذي يأكله هو ، فهو مظهر رحمة الله « اي من سبقت رحمته غضبه » .

يا أمير المؤمنين هذا احسانك الى قاتلك ابن ملجم ، يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله .

(١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ﴾[١] .

هل أن الشفاعة تتنافى مع التوحيد والعبادات ؟

احدى الشبهات والاشكالات المطروحة في باب العدل هو مسألة الشفاعة التي تعتبر في مذهب الشيعة من الضروريات حيث يشفع الأنبياء والأئمة والقرآن والعلماء والسادات يوم القيامة وذلك للآيات والروايات

(١) سورة البقرة آية ٤٨ .

المتواترة والمسلمة عندنا .

وقد ذكروا عدة اشكالات على ذلك حيث يقولون ان الشفاعة تتنافى مع التوحيد في العبادة ، وتتنافى مع العدل وان الشفيع يكون معبوداً من دون الله .

يقولون لو ان احد الأشخاص لم يكن مصلياً ولا صائماً وكان يرتكب جميع الذنوب ولكنه انفق مقداراً من المال للسفر إلى كربلاء فإنه سينال شفاعة الحسين (ع) ويدخل الجنة ، وهناك مؤمن آخر مصل وصائم وتارك للذنوب إلا أنه لم يستطع الذهاب الى كربلاء للزيارة فهل من العدالة ان يكون ذلك الشخص الذي يدخل الجنة بشفاعة الحسين (ع) مع هذا الانسان المؤمن على حد سواء ؟ إلا يعني هذا ان الشفاعة نقض للقانون حيث تكون طريقاً في مقابل الدين ويكون للإنسان طريقان للدخول الى الجنة :

احدهما الإيمان والعمل الصالح واتيان الواجبات وترك المحرمات ، والآخر هو ان يفعل كل ما يشتهي ويرتكب كل ذنب ويترك كل واجب ثم يلطم على الحسين أو يذهب إلى كربلاء لزيارته ، وهذا يعني أنه طريق في مقابل الدين وأنه نقض للدين وخلاف للعدل .

الحسين (ع) استشهد لاقامة الدين :

لو كان واقع المسألة كذلك لكان ذلك الكلام صحيحاً فهو طريق في مقابل الدين ، ولكن من الشيعة المعتقد بالشفاعة يقول بهذا الكلام وهو ان كل شخص يذهب إلى كربلاء فإنه سيدخل الجنة حتى لو ترك واجباته وارتكب المحرمات ؟ في حين ان الإمام الحسين (ع) استشهد من اجل

الصلاة . فالحسين (ع) لا يرضى بهذا الكلام الخاطىء والشفاعة لا تعني نقضاً للقانون وطريقاً آخر مقابل الدين وإلا فهي باطلة في الدنيا فكيف الأمر بالآخرة ؟

هل من الصحيح أن يذهب احد الى شخص مسؤول ليتوسط له في أمر يخالف القانون ، أو يتوسط لاحد اقربائه بنقض لقانون الجمهورية الإسلامية ؟

أنتم تذكرون ما قاله إمام الأمة قبل عدة أيام من أنه لا بد من مجازاة المخالف طبقاً للقانون حتى لو كان من اقربائي . فلا فرق بين اقرباء الإمام والأفراد العاديين فالجميع سواسية أمام القانون .

وكذلك قوله بعدم قبول توصيات أي واحد من اقربائي في الإدارات، فالوساطة في الأمور الدنيوية غلط فكيف بالامور الآخروية ؟ كل مخالفة للقانون سواء أكانت من طريق الأموال او القوة والنفوذ والقرابة منهي عنها في الإسلام .

وبمناسبة يوم (٢٠ رمضان) اذكر لكم حديثاً عن زهد علي (ع) مذكور في المجلد التاسع من بحار الأنوار :

استعارة قلادة من بيت المال :

روى الشيخ الطوسي (ره) في التهذيب عن علي بن ابي رافع انه قال :

كنت على بيت المال أيام خلافة علي بن أبي طالب (ع) وكاتبه وكان في بيت المال عقد لؤلؤ كان اصابه يوم البصرة ، فأرسلت لي بنت علي بن أبي طالب (ع) (أم كلثوم) تقول لي بلغني ان في بيت المال (ع) عقد

لؤلؤ وهـو في يدك وأنـا أحب أن تعيرنيـه اتجمل بـه في أيـام عيـد الأضحى .
فقلت لهـا : عاريـة مضمونـة مـردودة يـا بنت أمـير المؤمنـين . فقـالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثـلاثة ايـام . فدفعتـه إليها . ثم ان امـير المؤمنين رآه عليها فعرفه فقال لها :

من أين صار هذا العقد إليك . استعـرته من عـلي بن أبي رافع خـازن بيت امير المؤمنين لأتزين به في العيد ثم أرده .

فبعث إلي أمير المؤمنين (ع) فجئتـه فقال لي : أتخـون المسلمين يـا بن أبي رافع ؟ فقلت له : معاذ الله ان اخون المسلمين .

فقال (ع) : كيف أعرت بنت أمـير المؤمنين العقـد الذي في بيت مـال المسلمين بغير اذني ورضاهم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنـين إنها ابنتك وإنها سـألتني أن أعيرهـا إياه تـتـزين به فأعـرتها إيـاه عاريـة مضمونـة مردودة فضمنتـه في مالي وعـلى أن أرده سليماً إلى موضعه .

قـال (ع) : فـرده من يـومـك وإيــاك ان تعـود لمثــل هـذا فتنــالـك عقـوبتي . ثم أولى لابنتي لو كـانت اخذت العقـد على غـير عاريـة مضمـونـة مردودة لكانت إذاً اول هاشمية قطعت يدها في سرقة .

فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له يا أمـير المؤمنين أنـا ابنتك وبضعـة منك فمن أحق بلبسه مني ؟ فقال لها أمير المؤمنين (ع) :

يـا بنت علي بن ابي طـالب لا تـذهبن بنفسـك عن الحق . أكـل نسـاء المهاجرين تتزين في هذا العيد بمثل هذا ؟

قال فقبضته منها ورددته إلى موضعه[1] .

والخلاصة انه لا فرق في القانون بين بنت الإمام علي (ع) وبين بنت العامل الفلاني .

توبيخ الإمام لإبن عباس :

الظاهر ان ابن عباس كان مؤيداً من قبل الإمام ومورداً لعنايته وكان عامله على البحرين ، وفي احد المرات اخبروا علياً (ع) عن وجود بعض الافراط في مسألة الأموال لدى ابن عباس ، فما كان من الإمام الا أن كتب إليه رسالة مطولة مذكورة في نهج البلاغة وقد ورد فيها :

« فإنك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك ، ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احداً الا دخل النار » .

الإمام يكلم ابن عمه وابن عم الرسول (ص) بهذا الكلام وابن عباس فقيه ومفسر وعالم جليل الشأن .

رسول الله (ص) يقول في حد السرقة : « لو سرقت فاطمة لقطعت يدها » اي ان الجميع سواسية مقابل القانون فليس هذا مورد الشفاعة والوساطة بل هو عدل محض وجميع البشر سواسية امام القانون الإلهي سواء الفقير أو الغني ﴿ **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** ﴾[2] هذا هو حكم الإسلام .

الشفاعة لا تعني الوساطة بالباطل :

اذا كان قصدكم من الشفاعة هو التلاعب والاحتيال فلا أحد من

---

(١) حلية الابرار ج ١ ص ٣٨٣ .
(٢) سورة النساء الآية ٥٨ .

الشيعة يعتقد بذلك ، وطبعاً قد يصدر هذا الكلام من بعض الأشخاص الجهال ولكن أي مجتهد عالم قال ذلك بلسانه أو كتبه بقلمه ؟

ان من الاحاديث التي سمعتموها مراراً حديث أم حميدة التي قالت للراوي : يا ابا محمد لو رأيت ابا عبد الله (الصادق) (ع) عند الموت لرأيت عجباً ، قال : اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة . قالت فلم نترك احداً الا جمعناه . فنظر إليهم ثم قال :

(لا تنال شفاعتنا من استخف بصلاته)[1] .

لماذا استدعى اقرباءه ؟ لأنهم يرون انفسهم من السادات اولاد الرسول (ص) وقد يتصورون لو أن أحدهم ترك الصلاة فلا شيء عليه ، كلا الأمر ليس كذلك .

الإمام لم يقل (تارك الصلاة) بل قال (المستخف بالصلاة) وهو الشخص الذي يصلي تارة ويترك الصلاة اخرى وإذا طلعت عليه الشمس من دون ان يصلي فلا يهتم لذلك والويل لو كان تاركاً للصلاة .

للسادات عقابان :

في كتاب الوافي ينقل حديثين احدهما عن الإمام السجاد (ع) والآخر عن الإمام الصادق (ع) بأنه (للمحسن منا اجران وللمسيء منا عقابان) فللسيد المتقي ثوابان احدهما على عمله والآخر لشرافة نسبه ، وكذلك لو كان مذنباً فله عقابان ايَضاً احدهما لارتكاب الذنب كما للآخرين والآخر لأنه اساء الى سمعة جده فعندما يذنب السيد يقول الآخرون : لماذا يفعل ذلك وهو من اولاد الرسول (ص) ؟

---

(١) ثواب الاعمال وعقاب الاعمال .

نحن نقول بأن اقرباء الرسول (ص) يعاقبون بعقابين في حالة المعصية فكيف نقول بالشفاعة بذلك المعنى ؟

لقد ورد في فضائل السادات ان النظر الى الذرية الطيبة عبادة ففي كتاب عيون اخبار الرضا أن الإمام الرضا (ع) قال : النظر إلى ذريتنا عبادة . فقيل يا بن رسول الله النظر إلى الأئمة منكم عبادة او النظر إلى جميع ذرية النبي (ص) ؟ قال : بل النظر إلى جميع ذرية النبي (ص) عبادة ما لم يفارقوا منهاجه ولم يتلوثوا بالمعاصي . فالسيد التارك للصلاة لا يشمله هذا الحكم بل يكون النظر إليه مصيبة .

الحسين (ع) ثار من أجل الأمر بالمعروف :

نحن لا نقول مطلقاً بهذا اللون من الشفاعة لأهل البيت (ع) ، فكيف يعقل ان يفتح الحسين (ع) سبيلاً مقابل الدين بحيث أن الشخص يفعل ما يريد ثم يأتي الى كربلاء فيصلح أمره ؟

الحسين (ع) ثار من أجل الصلاة فكيف يجعل طريقاً للتسامح والتساهل في الصلاة وابطالها ؟

عندما خرج الحسين (ع) قال : « انما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر » ومع ذلك يقولون اننا نفعل ما نشاء ونرتكب الذنوب ثم نأتي ونقول يا حسين وينتهي كل شيء !

وأما مسألة غفران الذنوب لمن بكى على الحسين أو لمن زار الحسين (ع) فهي ترتبط بالشخص الباكي أو الزائر وهو من له القابلية على أن يكون من أهل الجنة ، وإلا فمهما بكى فلا يجديه بكاؤه شيئاً فكيف يمكن أن يدخل الحيوان الجنة ؟ وكيف يمكن أن يدخل الجنة من يفترس الآخرين من الصباح إلى الليل ثم يبكي بعد ذلك ؟ وكيف يدخل الجنة من ملىء

قلبه بالنفاق والحقد ؟ انه يحمل جهنماً معه ما دام في قلبه حقد .

والخلاصة أن أصل المسألة صحيح وهو أن من يبكي على الحسين (ع) فهو من أهل الجنة ولكن اذا كان توجهه الى الجنة وله قابلية الدخول فيها لا من اعرض بوجهه عن الله .

الشفاعة لا توجب الغرور :

اذاً فهذه الشفاعة باطلة وهي نقض للقانون الإلهي كمن يأخذ الرشوة على عمل معين ويخالف بذلك قوانين الله وكل اشكالات تنشأ من هذا الفهم الخاطيء فبهذا الشكل من الشفاعة لا يبقى معنى للتوحيد في العبادة ، فمن يقول بهذا الشكل من الشفاعة للإمام الحسين (ع) فهو قائل بعبادة الحسين من دون الله . ونحن لا نقول بذلك بل هو خلاف التوحيد وخلاف العدل .

وهناك اشكال آخر حيث يقولون ان الشفاعة التي تقولون بها انتم الشيعة تؤدي إلى الغرور والتجري . نعم لو كنا نقول بهذا المعنى من الشفاعة الباطلة فهو يؤدي الى الغرور والتجري ونعوذ بالله . ولكن الإمام الحسين (ع) لم يفتح له متجراً في مقابل الله عز وجل ، ولم يكن يرضى بغير دين الله فكيف تريد أن تكون مع الحسين (ع) وأنت ترتكب المعاصي ؟

يروي الشيخ الطوسي في كتاب التهذيب انه اتى رجل أمير المؤمنين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين والله اني لأحبك فقال له : ولكني ابغضك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تبغي في الآذان كسباً وتأخذ على تعليم القرآن أجراً .

مع حب الإمام علي (ع) لا يكون الضرر ذاتياً :

« حب علي حسنة لا تضر معها سيئة » وورد حديث بنفس هذا المضمون في الإيمان :

« الإيمان حسنة لا تضر معه سيئة » .

يجب فهم معنى الحديث وكيف أن الذنب لا يؤثر مع حب علي ومع الإيمان ، فالإنسان امام مفترق طرق فأما أن يحب نفسه أو يحب علياً ، فلو صار عاشقاً للإمام علي (ع) بحيث ذابت ذاته في الإمام (ع) فحينئذ لا يكون للذنوب ضرر ذاتي بل ضررها عرضي وقابل للإزالة .

فالكلام هو أن الحب هل هو ذاتي أو غير ذاتي ؟ فما أكثر الأشخاص الذين يحبون علياً (ع) لأجل الدنيا والماديات فلهذا لا يكون حباً لعلي بل حباً للدنيا .

حب المال لاحب أبي الفضل (ع) :

كان أحد الحمقى يقول : اني احب ابا الفضل العباس (ع) كثيراً بل اكثر من الحسين (ع) لأن العباس عطوف ويقضي حاجاتنا بسرعة . كان المفروض ان يقول بأني احب الدنيا وهو يقضي لنا حوائجنا الدنيوية من المال أو الجاه والمقام ، فهذا من حب الذات لاحب الحسين ولا العباس ولا علي ، نعم لو كان حب الإمام علي (ع) ذاتياً لما أضره ارتكاب الذنب .

وما دام الانسان ناظراً إلى نفسه فإن أفضل العبادات لا تساوي شيئاً إذا كانت مع حب الذات وكانت للتظاهر والرياء لأظهار أنا العالم وأنا

المفسر والمحقق ، فلذلك لا يبقى له شيء بل ان درجات المنبر تكون مرقاة إلى جهنم .

عندما يعطي مليون تومان لبناء مستشفى ولكن مع الـ (أنا) أي أنا الذي اعطيت مليوناً فإنه لا يساوي ديناراً واحداً لأنه اراد ذاته . وأما لو ترك هذه الذاتية وسار في طريق الحب الصادق لعلي والحسين فإن كل ذنب يصدر منه يكون قابلاً للعفو عنه لأنه أمر عارض يطهر بنظرة رحيمة من أولياء الله .

المحب للإمام علي (ع) لا يرتكب الذنب عن اصرار وعناد بل يكون أرتكابه للذنب اتفاقياً وتصادفياً وناشئاً من غلبة الشهوة .

وعلى أي حال أردت أن أقول أن هذه الروايات صحيحة ولكن يجب فهم المقصود من الشفاعة ولعنة الله على منكر الشفاعة فيجب معرفة معنى الشفاعة ولذلك فأنا أذكر جملة في معنى الشفاعة .

المستفاد من كلمات العلماء هو أن الشفاعة على مرحلتين ، فهناك شفاعة في الإمامة والطاعة وشفاعة اخرى في غفران الذنوب التي هي محل بحثنا .

فأما الشفاعة الأولى فهي أن كل مأموم وتابع له أمام وقائد وقدوة يشفع له .

(١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

هل يصير مشركاً بمجرد القول يا محمد ؟

وصل كلامنا في باب العدل الى الشفاعة ، وقلنا ان الشفاعة هي من ضروريات المذهب وهي شفاعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والقرآن والعلماء وذكرنا انهم اشكلوا على الشفاعة بعدة اشكالات منها ان الشفاعة تتنافى مع التوحيد في العبادات ويعيرونه أهمية بالغة الى درجة ان من يقول يا محمد ويا علي يعتبرونه مشركاً .

قبل عدة سنوات كان احد الهنود عند قبر الرسول (ص) يقول :

يا محمد ، فجاء اليه الشرطي ووضع منديلاً في فمه وضربه على رأسه وقال « اشركت » .

يقولون انكم تعبدون الشفيع عندما تدعون علياً ليحل لكم المشكلات او يغفر الذنوب فهذا شرك ولا بد أن تقولوا يا الله بدل يا علي .

هل ان الشفاعة تخصص جميع الأحكام ؟

الأشكال الآخر هو انهم يقولون ان الشفاعة التي تقولون بها يلزم منها طرح جميع قوانين الإسلام . وبعبارة علمية أنه تخصيص للأكثر ، فمثلاً الصلاة واجبة وتارك الصلاة من أهل النار إلا أن يذهب إلى كربلاء ويبكي على الحسين (ع) !

وهكذا حال التارك للصوم والمحتكر وغير ذلك والخلاصة أن الشفاعة تخصص جميع موارد ارتكاب الذنوب وترك الواجبات وهو نقض لقوانين الإسلام حيث لا مؤاخذة على الافعال ، وبعبارة اخرى ان الإمام الحسين (ع) يفتح له سبيلاً مقابل الإسلام والدين فعلى من اراد النجاة اما ان يكون متديناً أو لطم على الحسين ويفعل ما يريد .

وهكذا يتهمون الشيعة بهذه الأتهامات ويفسرون الشفاعة بذلك المعنى حتى في اذاعاتهم وفي مكبرات الصوت في مراسم الحج وصلاة الجمعة ، وقد كنت حاضراً شخصياً عندما كان أمام جمعتهم يقول في خطبته ان الشيعة يطوفون حول مراقد الأئمة (ع) في اوطانهم بدلا من الطواف حول الكعبة ، ويقول بأن الشيعة لا يصلون صلاة الجمعة بل يذهبون الى القبور والأضرحة ويدورون حولها على انها اصنام .

اشكالات اخرى على الشفاعة :

الاشكال الثالث هو ان لازم الشفاعة التبعيض وهو خلاف العدل فلو كان هناك شخصان في النار واراد الحسين أن ينقذ احدهما من العذاب ويترك الآخر فسيكون هذا التبعيض خلاف العدل ولا يليق بالساحة الإلهية فلا بد أن ينقذهما معاً .

والأشكال الآخر على الشفاعة هو قولهم ان لازمها هو أن يكون الله تعالى محكوماً ومتأثراً لأن المولى اذا اراد تأديب عبده فتدخل شخص آخر له نفوذ عند المولى ومنعه من ذلك فهذا يعني أن الساحة الإلهية تقع مورداً للتأثير والتأثر والفعل والانفعال .

والأكثر من ذلك انهم يستشهدون بآية من القرآن الكريم :

﴿ يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾[1] .

فاستفادوا من هذه الآية الشريفة عدم الشفاعة .

وقد ذكرنا لحد الآن عدة أمور ولنسمع الجواب أولاً عن الشبهة الأخيرة .

الشفاعة تكون بإذن الله ورضاه :

لقد قرأوا آية واحدة في حين أن هناك عدة آيات أخرى تصرح بالشفاعة ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ و ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨ .

بـإذنـه ﴾ إذن فـالشفـاعـة مـوجـودة غـايـة الأمـر أنها لا تكـون إلا بـإذن الله ورضاه .

وأمـا ما ورد في الآيـة السابقـة من أنه لا قبـل منها شفـاعة فهـو فيما إذا اتخذ لنفسه شفيعـاً ، والآيات التي تثبت الشفـاعة هي فيـما اذا اختار الله لهم شفيعاً .

ومن هـذا البيان المختصر يتضـح الجواب عـلى بقية الاشكـالات . إذن فالشفاعـة الباطلة هي ان الشخص يـرتكب ذنباً ثم يحتـال بالمـال والرشـوة او الاستفادة من نفوذه لمنع اجراء القانون .

ولا يوجد في الإسـلام هذا النـوع من الشفاعـة بأن يستفيـد المجرم من قـدرته أو قـدرة شخص آخـر ليمنـع اجـراء القـانـون ، لا في الـدنيـا ولا في الآخرة فلا احد يستطيع أن يجد لنفسـه شفيعاً ، والشفـاعة يـوم القيامـة شيء آخـر لا يشبـه مـا في الـدنيـا من ذهـابـه إلى شخص كبـير وذي نفـوذ فيجعله واسطة مقابل القانون .

الشفيع يسعى الى المذنب :

ولا يكـون الشخص شفيعاً إلا من كـان مقامـه رفيعاً عنـد الله وحينئـذ فكيف يمكن الوصول إليه وطلب الشفاعة منه ؟

المسألة هنـاك معكوسـة حيث ان الشفيع يسعى إلى المـذنب بأمـر وإذن من الله وتفضل منه فينقذه من العذاب .

وحقيقة الشفاعة هي أن الله عز وجل كريم ورحيم بعبـاده ومهما عمـل الإنسان من الطاعات ومهما تاب واستغفر فـإنه لا يعلم أنـه سوف يمـوت نقياً من الـذنـوب ، ومن ذلـك الشخص الـذي يغـادر الـدنيـا من دون ذنب ومعصية ؟ فحتى الاخيار يحتاجون الى الشفاعة

الرسول (ص) يؤمر بالشفاعة :

في مقابل ذنوب العباد وسقوطهم نجد رحمة الله الواسعة ، فإن حبه وحنانه اكثر من حنان الام على ولدها آلاف المرات بل ان حنان الام لولدها من حنانه ورحمته أيضاً .

ولذلك ومن رحمته على عباده المساكين يأذن إلى النفس الكلية الإلهية أن تنقذ هؤلاء المساكين .

من الذي لم يرتكب أية معصية باستثناء محمد وآل محمد عليهم السلام حيث يؤمر رسول الله (ص) من قبل رب العالمين ان يجيب استغاثة العباد .

الاستقلال في الشفاعة شرك :

الله سبحانه وتعالى اجرى الأمور باسبابها فالأفعال الإلهية تبتنى على الأسباب وتطهير الذنب يحتاج إلى واسطة وسبب . . يحتاج الى نور يضيىء في قلب العبد المظلم وذلك النور هو نور محمد وآل محمد (ص) ، الشفاعة يوم القيامة تختلف عن الشفاعة التي تتصورها في الدنيا .

وما ينسبه الوهابيون من الشرك الى الشفاعة بذلك المعنى صحيح وهو الاعتقاد بأن الشفعاء مستقلون في الشفاعة ، ولكن متى عبد الشيعة ائمتهم ؟ عندما يمد الشيعي يده نحوهم فهو يعلم أنهم لا يفعلون شيئاً بدون اذن الله ، وقد أمر الله عز وجل في القرآن بإتخاذ الوسيلة ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾[1] كما نحتاج الى الوسيلة في الماديات ، فلو مرض الانسان

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٥ .

فلا يصح ان يجلس في البيت ويدعو الله عز وجل طالباً منه الشفاء ، بل يجب أن يذهب إلى الطبيب ويتناول الدواء بأمل ان يشافيه الله عز وجل .

وهكذا في الأمور المعنوية فانها تحتاج الى وسيلة فقلب الميت يحتاج الى نفس عيسى (ع) ليحييه غاية الأمر أن الوسيلة في الأمور المادية تكون بالتجربة فالانسان يدرك ما ينفعه لعلاج ذلك المرض .

الشفاعة كالدواء في التأثير :

وبالنسبة للامور المعنوية فلا علم لنا بها ولذلك يجب التوسل بالأولياء عليهم السلام ، ويقول تبارك وتعالى في الآية الشريفة :

﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾[٢] .

إذاً فاعظم وسيلة للتخلص من العقاب والعذاب البرزخي والقيامتي هو التمسك والتوسل بمحمد وآل محمد عليهم السلام .

وعندما نتمسك بحبلهم فهذا لا يعني اننا نعتقد باستقلالهم في التأثير والعمل ، بل كما نذهب الى الطبيب ويكون الشفاء من الله وإنه هو الذي يعطي خاصية التأثير للدواء فلا ننسب الشفاء للطبيب بل يجب أن نذهب إلى الطبيب بعنوان أنه وسيلة لتحصيل الشفاء من الله .

ونحن مذنبون ومحتاجون ولذلك نذهب الى الوسيلة ونقول يا محمد ويا حسين . . ولكننا نطلب العطاء من الله .

النذر والذبح لله :

النذور التي ننذرها الى الأئمة وأولادهم يشترط في صحتها ان تكون

---

(١) سورة والضحى الآية ٥ .

لله ، فنقول « نذرت لله » لا كما يفعل عباد الاصنام حيث ينذرون للصنم من دون الله ..

نحن نقول ان الذبيحة اذا ذبحت ولم يذكر اسم الله عليها فهي ميتة نجسة وهكذا لا يكون النذر صحيحاً إلا إذا كان فيه اسم الله ، فلو نذر لغير الله ولم يذكر الله فالنذر باطل .

هل يمكن أن يفعل أحد شيئاً بدون أذن الله ؟ فما لم يكن اذن الله ومشيئته لا تسقط ورقة واحدة من أية شجرة .

ومصارف الخير لا تكون إلا باسم الله ، فالاطعام للحسين أو النذر الى أبي الفضل العباس هو بأن يقول (لله علي نذر أن لو أستجاب الله حاجتي سأذبح ذبيحة مثلا وأهدي ثوابها الى ابي الفضل العباس) .

نحن أهل لا إله إلا الله ومذهبنا هو مذهب التوحيد ببركة أهل بيت العصمة والطهارة .

كل الموجودات من الله ، والشفاعة ايضاً لأن رحمته واسعة .

الأمة المرحومة مورد محبة الله :

روي عن رسول الله (ص) أن رسول الله (ص) دعا الله عز وجل أن يفوض حساب امته إليه ، فنودي : لم ؟ فقال (ص) : لا أريد أن تفتضح أمتي . فنودي أن يا محمد نحن نحب أمتك أكثر منك حتى أننا أخفينا بعض ذنوبهم عليك أيضاً .

(مضمون الحديث)

ان نسبة الرب مع المربوب وعلاقة الله بعباده أعظم من جميع العلائق الاخرى ، فالحنان الإلهي هو الذي يختار الشفعاء يوم القيامة لا أنا وأنت .

نحن احقر من أن نفعل شيئاً لننال بذلك شفاعة الحسين (ع) ولكن الله تعالى يحبنا أكثر من حبنا انفسنا ، وعندما يرى عبده في ضيق وشدة فإنه يشمله بلطفه ورحمته ويأذن للشفيع بأن يشفع له لا بتلك الشفاعة الباطلة وهي التي تكون من الأسفل إلى الأعلى ومجرد تلاعب واحتيال ومخالفة للقانون ، بل تصدر من الأعلى الى الأسفل فمغفرة الله ورحمته هي التي توجد الشفيع وترسله الى العبد .

النبي (ص) يبحث عن زوار الحسين (ع) :

الشيخ الشوشتري يذكر في كتاب الخصائص في باب ثواب زيارة قبر الحسين (ع) رواية عن رسول الله (ص) لما اخبر النبي (ص) ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاء شديداً وقالت : يا أبت متى يكون ذلك ؟ قال : في زمان خال مني ومنك ومن علي ، فاشتد بكاؤها وقالت : يا أبت فمن يبكي عله ؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له ؟

فقال النبي : يا فاطمة ان نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي ، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة .

الشفاعة الصحيحية والمقبولة هي مجيء رسول الله (ص) الى العبد فالله عز وجل يرسل برحمته الواسعة رسول الله (ص) للشفاعة لا أنه مسببة من قبل العبد .

كيف يصح التبعيض في الشفاعة ؟

الاشكال الذي يذكرونه هو ان لازم الشفاعة التبعيض . فمن ذهب الى كربلاء للزيارة فسوف ينال الشفاعة ، وأما من كان ذنبه أقل ولم يذهب للزيارة فإنه يبقى في العذاب .

والاشكال الآخر هو أن الشفاعة نقض للقانون . وفي الحقيقة ان هذين الاشكالين يعودان الى مطلب واحد .

والجواب عن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولله الشفاعة جميعاً** ﴾ فأصل الشفاعة من الله ومن رحمته الواسعة ومغفرته التي تصل إلى المذنبين بواسطة الرسول (ص) .

يقولون أن هذا الكلام يؤدي الى تجرؤ الناس في ارتكاب المعاصي ثم الذهاب الى كربلاء حتى تغفر جميع الذنوب .

والجواب : ان الأمر لو كان بصورة عامة لكان مؤدياً الى الجرأة ، إلا أن الشفاعة حالة بين الخوف والرجاء ، فلا أحد يعلم يقيناً بأنه سينال الشفاعة لأن الاحتمالات والشروط في الشفاعة لا تدع أحداً يحصل له اليقين بذلك .

ومجمل الكلام هو ان الشفاعة موجودة ولكن ليست بشكل عام حتى تسبب الجرأة ، فلا أحد يتجرأ على ارتكاب الذنوب بسبب ذهابه الى كربلاء ، وقد ينال الشفاعة من دون ذهابه الى كربلاء .

المستحب لايعوض الواجب :

بعض الذنوب يجب تداركها . فمثلا يجب قضاء ما فات من الصلاة

والصيام ، ومن ضروريات فقه الشيعة ان المستحب لا يكون بدلا عن الواجب فالاتيان بألف مستحب لا يعوض واجباً واحداً فات منه .

إذا نام من أول الليل واستيقظ في الصباح وأتى بصلاة الصبح فذلك افضل من القيام من أول الليل والسهر والمناجاة والدعاء والبكاء الى الصباح والنوم بعد ذلك من دون صلاة الصبح .

بل أن هذه المستحبات قد تكون بدافع من الهوى والنفس .

اذاً فشفاعة النبي والأئمة ليست حيلة يتمسك بها المذنب بأن يبحث عن الإمام لينقذه بل هي رحمة من الله تعالى حيث يرسل النبي (ص) للشفاعة . وهي نظر لطف من الله عز وجل الى عبيده المذنبين . فلعل النبي (ص) ينظر إلينا بعينه الكريمة بإذن الله فيزيل عنا جميع الظلمات والحجب وذلك يكون بإذن الله ومشيئته .

شفاعة النبي هي رحمة الله ومغفرته التي تجري على يدْ محمد (ص) .

عندما يأخذ الحسين (ع) بيد المذنبين وينقذهم ويخلصهم فذلك يكون بإذن الله ، وهذه عقيدتنا في باب الشفاعة .

نحن لا نقول بالشفاعة بشكل مطلق وأن كل من بكي على الحسين (ع) فسوف تغفر جميع ذنوبه مطلقاً حتى لو كان في ذمته حق الناس ولم يكن مصلياً ولا صائماً وكان عاقاً لوالديه ومحتالاً ومحتكراً ومع كل ذلك ينال الشفاعة ويدخل الجنة .

معنى غفران ذنوب مائة عام :

يجب أن نفهم معنى الروايات الواردة في بعض الكتب والتي تقول : لو قرأت الدعاء الفلاني فسوف يغفر لك ذنب مائة عام .

اكثر تلك الذنوب هي التي تكون ناشئة من الغفلة ، فتارة يكون الانسان ٢٤ ساعة مرتكباً للذنب وهو ترك التوبة مثلا ، فالاستمرار في الذنب يعني تعدد الذنب .

والمثال على ذلك لبس الرجل خاتماً من الذهب فهو حرام ويعني ان الرجل عندما يضع في أصبعه خاتماً من الذهب فهو في كل لحظة مذنب ويجب عليه نزعه من يده وإلا فهو غارق من الذنب بعدد أنفاسه .

فالشفاعة والغفران قد تكون لذنوب بعدد رمال الصحراء ولكن ليست تلك الذنوب الكبيرة التي لا علاج لها بغير التوبة والاصلاح . وهكذا تكون الشفاعة سبباً لبث الأمل في النفوس .

وتارة يستعير الشخص ثوباً من أحد أخوانه ولكن بدون رضاه وكما يصطلح عليه أنه مأخوذ حياءاً ، فهو مأمور بنزع الثوب في كل لحظة وهو في ذنب مستمر في كل لحظة وهو ذنب الغصب لأنك تعلم أنه غير راض وان كان يقول بلسانه أنا موافق ، فماذا سينفعك البكاء على الحسين بدون ارضائك لذلك الشخص ؟ إلا أن يدفعك البكاء على الحسين في السعي لأرضائه .

ولذلك فالأمل موجود يوم القيامة بأن يرضي الشفعاء ذلك الشخص ولكن على أي حال لا يمكن ان تؤدي الشفاعة إلى الجرأة على المعاصي والذنوب لانها مشروطة وكذلك غير قطعية .

شرط عدم وصول السم الى القلب :

وكما ذكرت في مثال من بلع السم أو لدغه حيوان حيث يأتون به الى الطبيب لأخراج السم من بطنه ومعالجته ما لم يصل السم إلى القلب فإن وصل إلى القلب فلا جدوى في معالجة الطبيب .

المرتكب للذنب كمن تجرع السم والطبيب هو النبي والأئمة عليهم السلام وبالكيفية التي ذكرناها وهي أن النبي (ص) والأئمة هم (ع) رحمة الله ومغفرته ولكنهم لا يشفعون إلا بإذن الله وذلك بأن يرحمنا الحسين (ع) بإذن الله .

وفي مثال السم هل يتجرأ أحد على مد يده الى الثعبان أو العقرب بأمل الطبيب والمستشفى ؟ وهل يفعل العاقل ذلك ؟ كلا ، لأنه من قال اني سوف أصل الى الطبيب ؟ فقد يكون السم قوياً ومؤثراً إلى درجة أن الشخص يموت قبل الوصول إلى الطبيب . فهل تمد يدك ليلدغك العقرب لان ابنك طبيب ؟

ايها المذنب ، كيف تتجرأ على المعصية بسبب ذهابك الى كربلاء او اقامتك العزاء على الحسين (ع) ؟ علم الله كم ستبقى في عالم البرزخ .

اني اخاف عليكم من البرزخ :

ورد في المجلد الثاني من البحار عن امير المؤمنين (ع) أن بعض الناس قد تطول بهم المدة ثلاثمائة الف عام لكي يصلوا إلينا وينجوا من العذاب .

والرواية المعتبرة الاخرى الواردة عن الإمام الصادق (ع) عندما كان الراوي يتحدث عن الشفاعة للشيعة ويقول : ان ذنوبنا كثيرة ، فيقول الإمام (ع) :

أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي ولكن والله أتخوف عليكم في البرزخ . فقال : وما البرزخ ؟ قال (ع) :

منذ حين موته إلى يوم القيامة[1] .

إذن فلا يمكن أن تكون الشفاعة سبب الجرأة على المعاصي ، فالمؤمن بين خوف ورجاء ، فهو يأمل أن ينال الشفاعة ويخاف أن تتأخر في الوصول إليه .

الاشخاص غير القابلين للرحمة :

وأما مسألة التبعيض وإنه لماذا ينال الشفاعة من ذهب إلى كربلاء ويبقى في جهنم من كانت ذنوبه أقل من الأول ؟

فالجواب هو أن رحمة الله بواسطة النبي والامام غير محدودة ولا تختص بالكربلائي والمشهدي فهي تشمل الانسان بشرط وجود القابلية فكل من كان قابلاً للرحمة والمغفرة فسوف تصل إليه الرحمة والمغفرة بواسطة أهل البيت وسائر الشفعاء .

فالميزان هو القابلية للرحمة .

وتسأل : هل يوجد شخص غير قابل للترحم ؟

نعم ، فالآية الشريفة تقول : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ .

ويذكر في الآيات التي قبلها : ﴿ **قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين** ﴾[2] .

فماذا تنفع الشفاعة مع ذلك الشخص المتكبر والمغتر عن الذي لا يؤمن بالله وليس في قلبه محبة الله ؟

---

(١) سفينة البحار ج ١ .

(٢) سورة المدثر ٧٤ الآية ٤٤ - ٤٨ .

أو ذلك الإنسان الذي يستهزىء بالقيامة ويقول : من الذي رجع إلينا من ذلك العالم وأخبرنا ؟

ان مثل هذا الإنسان أعمى بشكل مطلق وميت حقيقي فكيف يحصل على الشفاعة ؟ وما لم يكن للإنسان حالة التسليم أمام الحق فسوف لا ينال الشفاعة مهما بكى على الحسين ، وقلنا ان الحسين (ع) لا يفعل أمراً من دون اذن الله ومغفرته ، فكيف تصل رحمة الله بواسطة الإمام الحسين (ع) الى ذلك الشخص الذي لا علاقة له بربه ؟

لا أحد يضع الدواء على غير الجرح ، فما لم يكن القلب منكسراً لا تشمله رحمة الله ، فكيف تشمله الرحمة الإلهية وهو لم يطلب ذلك ؟ ولا يمكن أن يكون الدخول إلى الجنة بالاجبار ، فما لم يسلك بنفسه وباختياره طريق الجنة فسوف لا يصل إليها .

وهكذا الحال في البرزخ فكل من صار من أهل النار فقد ذهب إليها بقدمه واختياره .

(١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا ثواب إلا بالعمل :

ورد في المجلد السادس من بحار الانوار ان رسول الله (ص) صعد المنبر قبل أيام معدودة من وفاته وقال :

« ليس بين الله وبين احد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف به شراً الا العمل ، لا يتمن متمن ولا يدع مدع والذي بعثني بالحق نبياً لا ينجي إلا العمل مع الرحمة وإني لو عصيت لهويت » .

فلا تتصور انك تدخل الجنة بنسبك وإنك سيد مثلاً أو عالم وأن الانسان اذا درس وصار عالماً فسوف لا يدخل النار كلا . . فلا شيء يوصل

الإنسان الى السعادة الا العمل ، فكل من نال حظاً من السعادة فقد ناله بعمله ، وكل من حرم من ذلك فبسبب عمله ، وكل من دخل الجنة فقد دخلها بعمله وكل من دخل النار فقد دخلها باعماله .

الشفاعة لا تكون بدون عمل ، فلا بد من العمل حتى تنال رحمة الله وتصل الى المقصود ، وإلا فلا معنى للحصاد بدون الزرع .

ثم ان رسول الله (ص) يقول : « واني لو عصيت لهويت » فلا يقال غداً يوم القيامة بأن النبي نال تلك الدرجة لانه نبي بل ان الناس جميعاً سواء من هذه الجهة حيث يطالبون بالعمل جميعاً فلا يتصور عالم أو سيد إنه يدخل الجنة مع ارتكاب المعاصي .

خادم الاموال وليس خادم الحسين (ع) :

الكثير من الناس بسبب جهلهم يدعون أنهم خدام الحسين (ع) فأنت تدعي انك خادم الحسين (ع) ولكنك في الحقيقة خادم المال فلو اعطوك في أحد الأماكن مالاً قليلاً لقراءة التعزية فسوف لا تذهب ، أو تعترض على ذلك ومع ذلك تتصور انك بقراءتك للتعزية اصبحت ذا مقام ودرجة لا يضرها ارتكاب المعاصي .

كلا ، فالرسول يقول « واني لو عصيت لهويت » .

أنا أذكر هذه الأمور جواباً على اولئك الذين يتعرضون لنا ويتهمون المذهب الشيعي مختلف التهم .

محاربة الإسلام والتظاهر بالزيارة :

لقد استخدم رضا خان وابنه الإسلام لمنافعهم الخاصة لمدة خمسين عاماً ولخصوه وفي التظاهر بطبع القرآن الكريم وبعض الشعائر ، فعندما

كان الشاه يقوم بقتل أو فساد كان يذهب إلى مشهد للزيارة وملاقاة بعض وعاظ السلاطين ليغطي على مساويه ولكي يقال بأن الشاه الشيعي جاء للزيارة .

وقد كان يأتي إلى هنا أيضاً ـ أي الى شيراز ـ لزيارة مرقد شاهجراغ وفي نفس الوقت يقوم بقتل الطلبة في المدرسة الفيضية ، فقد كان يتظاهر بهذه الأمور ليغطي على تلك الجنايات ويكون الإسلام والقرآن والواجبات والمحرمات في جانب والزيارة في جانب آخر .

في مثل هذا الشهر المبارك شهر رمضان ورد خبر بأن الملكة تريد المجيء الى شيراز فذهب بعض وعاظ السلاطين لملاقاتها . وبعد ذلك صنعوا ما صنعوا من هتك حرمة الاسلام في شهر رمضان المبارك في احتفال الفن والثقافة حيث كانوا يعرضون الاعمال الجنسية أمام الملأ بعنوان أنها مسرحية .

لقد اتخذوا الدين هزوا ولوثوا سمعة الشيعة .

كان الشاه يقيم مجلس العزاء في يوم عاشوراء ويشارك بالحضور ومن جهة اخرى يلقي بعلماء الاسلام والسادات في السجون ويعذبهم .

هارون الرشيد كان كذلك أيضاً ، فقد كان يزور قبر رسول الله (ص) وفي نفس الوقت يلقي بموسى بن جعفر (ع) في السجن وهكذا يغطى على هذه الجناية بالزيارة .

حصر الدين بالامور الظاهرية :

وأخيراً اشتغلوا ببناء وتعمير المراقد المقدسة لأولاد الأئمة (ع) وأشغال الناس بالنذر والزيارة للايحاء بأن الدين هو هذه الأمور في حين ان الجهاد من الفرائض الإلهية الهامة فكيف تكون التعزية لوحدها كافية

لأدخالك الجنة ؟

العلماء يصرخون بأن امريكا تهدم الإسلام بواسطة الشاه وبطانته وأنهم يلخصون الدين بالظواهر فقط ومع ذلك نجد أن سفرة العباس متداولة !!

النذر للعباس (ع) والاطعام يتنافى مع ترك الصلاة فلا بد من أداء الصلاة إلا انهم احكموا الخطة بشكل جيد لتضعيف اعتقاد المسلمين واضلالهم عن الطريق المستقيم واشغالهم بهذه الأمور .

لقد لخصوا الدين في العزاء للحسين (ع) في حين أن الحسين (ع) قتل من أجل الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يرى سلطاناً جائراً يحلل ما حرم الله ويحرم ما احل الله ويسكت على ذلك فسوف يحشر معه يوم القيامة .

ولكن الحمد لله رب العالمين أن عرف الشعب الايراني اولئك الشياطين اكثر من الجميع في حين أن أمريكا مع تلك المنظمة الجاسوسية ومعها بريطانيا لم تعرف هذا الشعب .

معرفة الشعب الايراني وذكائه :

لقد عرف رسول الله (ص) هذا الشعب وقال قبل اربعمائة عام في مجلس كان سلمان الفارسي بل سلمان المحمدي حاضراً فيه .

« لو كان العلم في الثريا لناله رجال من الفرس » .

لقد رزق الله هذا الشعب ذكاءاً اكثر من سائر الشعوب ، ففي الشعب الايراني قابلية كبيرة لمعرفة الحقائق والواقعيات وما وراء الطبيعة .

وفي رواية اخرى « لو كان الايمان في الثريا » وهي بنفس ذلك المضمون ، فالعلم والإيمان شيء واحد فالايرانيون لهم قابليات كبيرة وذكاء

جيد فلو نظرتم إلى التاريخ لوجدتم أن خدمة جميع الدول الإسلامية على سعتها في كفة وخدمة الايرانيين في كفة اخرى حتى ان كبار علماء أهل السنة هم من الايرانيين .

وعلى أي حال فكلما اراد الاعداء أن يضلوهم عن الصراط المستقيم لم يفلحوا حيث كانوا يرجعون بذكائهم الذاتي وفطرتهم السليمة إلى الدين .

ولأجل التنوع في الكلام أذكر لكم طريفة .

أقسم بالعباس انني مسيحي :

قبل عدة سنوات افتتحوا في شيراز مستشفى للمسيحيين وكذلك بنوا كنيسة أيضاً واغروا أحد الاشخاص بالاموال فصار مسيحياً حتى انهم سلموه امور الكنيسة بعد ان اطمأنوا من كونه مسيحياً كاملاً وموردا للاعتماد .

وبعد مضي فترة من الزمان زار الكنيسة قسيس لتفقد الاوضاع فيها فسأل هذا القسيس مسؤول الكنيسة : هل انت مسيحي واقعي ؟

فأجاب ذلك المسكين : أقسم بالعباس انني مسيحي واقعي . فضحك ذلك القسيس بعد أن علم أنه ليس بتارك ما هو في فطرته وذاته .

الفرد الايراني يكبر مع حب اهل البيت ويحيى ويموت على ذلك ، فمع فقره واحتياجه والأموال التي اغروه بها إلا أنه يقسم بالعباس على أنه مسيحي ، فلو كنت مسيحياً فما أنت والعباس ؟

نداء « الله اكبر » يهزم امريكا :

امريكا وعملاؤها من المنظمات المنحرفة يهدفون الى اسقاط هذه

الثورة الدينية ، وهم يعلمون ان الدين قائم بالروحانيين والعلماء فالقرآن لوحده لا يستطيع ان يكون ديناً ، بل لا بد له من شارح ومفسر ومن يوصل علومه إلى الناس ، فالمذهب قائم بالروحانيين وعلماء الدين ولذلك فهم يدركون ان الطريق الوحيد لرجوع امريكا الى إيران هو اسقاط علماء الدين وفصلهم عن الناس فتزول بذلك قدرة الدين فلا يمكن لأي شيء بعد ذلك أن يقف أمام امريكا سوى قدرة الله اكبر .

احد الاشخاص ينقل عن صديق له مهندس كانت له صداقة مع رجل امريكي في اوائل انتصار الثورة وقبل احتلال وكر التجسس الامريكي في طهران ان ذلك الامريكي سأله يوماً :

ـ ماذا تعني الله اكبر ؟

يقول فترجمت له معنى كلمة الله اكبر . فقال : ليس هذا اقصد بل أريد أن أعرف ما هو المقصود من كلمة الله اكبر ؟

فقلت : وماذا تعني ؟

فقال : ان هذا النداء صدع رؤوسنا والقى الرعب في قلوبنا .

اغتيال الشخصية بدل اغتيال الشخص :

فما هذه القوة المعنوية الكامنة في هذه الكلمة ؟

لقد علموا أن قوة الثورة في الدين وهو قائم بعلماء الدين فكيف يمكن التغلب على الدين ؟ لا بد من ازالة حملة القرآن وازاحة العلماء المناضلين من الطريق ، ولا يكفي اغتيال الاشخاص في ذلك لانه سوف يحل محلهم اشخاص آخرون ، بل لا بد من اغتيال الشخصية، وهذا الامر غير ممكن ايضاً بالنسبة لإمام الأمة ، فالإمام كماء الكر لا تتأثر شخصيته بأية تهمة أو

ولـذلك تـوجهوا لمحـاربة آيـة الله الشهيد المـظلوم بهشتي والاسـاءة الى سمعته ، فكان المنافقون يبثون الشائعات بين النـاس ويتجاسـرون على ذلـك الرجل الجليل وهدفهم من ذلـك هو تضعيف الثـورة وعلماء الدين لا شخص بهشتي .

كـانوا يـريدون بـذلك ابعـاد الناس عن العلماء فكـانوا يحـاربـون أئمـة الجمعة في كل مدينة ويتهمونهم بمختلف الاتهامات .

أجل ، هكذا كانت خطة امريكا التي كـانت تنفذهـا بواسـطة عملائهـا من المنافقين .

لا تتبعوا الشائعات :

يجب عـلى الناس منـذ البدايـة ان لا يتبعـوا الشـائعـات (ولا تقف مـا ليس لك به علم) .

امريكا تريد دحر الروحانيين فـلا تكونـوا اداة بيد اعـداء الإسلام فهم ليسوا اعداء البهشتـي او الرفسنجاني او إمـام الجمعة بـل هم اعداء الإسـلام واعـداء صلاة الجمعـة ، إنهم يريـدون القضـاء عـلى رجـال الإسـلام وابعـاد الناس عن علماء الدين حتى يتسنى لهم العمل بدون مانع أو مزاحم .

انها مؤامرة تقوم امريكا وبمسـاعدة بعض الأشخـاص الذين استـدعتهم ليقفـوا مقابـل علماء الدين ، وقـد اعـانها عـلى ذلـك بعض المتعبـدين وبعض اصحاب العمائم الجهال فوقفوا مقابل البهشتي وكان ذلـك هو مـراد أمريكا ، فقـد خدعـوا رئيس الجمهوريـة بني صـدر وجعلوه يقف مقـابـل علماء الـدين فكان يتجاسر على القوة القضـائية ويكيـل الاهانـات الى مجلس الشورى وقـد نصحـه الإمام كثيـراً إلا أنه كـان يعتمد عـلى (١١ مليون) رأي في حـين أن

الشعب أدلى بآرائه إليك بإرشاد من علماء الدين .

في ذلك الوقت كتبت إليه بأنه إذا اظهرت مخالفتك فسوف نقول للناس بأن حكومتك حكومة طاغوت فلا يؤيدك أحد بعد ذلك .

لم يدركوا الثورة الإسلامية :

هؤلاء المتغربون لا يفهمون ان ايران دولة دينية ودولة الإمام علي وصاحب الزمان ، ودولة نائب الإمام ، وان الناس يفدون أنفسهم لمرجع تقليدهم وإمامهم .

لقد تصور بني صدر أن المسألة أحزاب سياسية مثل فرنسا وأمريكا وأن الثورة هنا لا تختلف عن الثورات في بقية الأماكن الاخرى .

ولكن المؤامرة كانت دقيقة جداً وخطيرة للغاية حيث يجعلون من هذا الشخص شرطياً في المنطقة ويتم ازاحة ولاية الفقيه واستبدالها بنظام كالنظام السابق أو أسوأ غاية الأمر ان كلمة الشاه تتبدل الى كلمة رئيس الجمهورية وتضيع بذلك دماء ستين الف شهيد وتذهب أتعاب هذا الشعب طيلة هذه السنوات هدراً حتى انهم تصوروا ان عزل رئيس الجمهورية سيؤدي الى حمامات الدم في الشوارع .

الخليفة في داخل الكيس :

قيل ان هولاكو عندما قبض على الخليفة العباسي في بغداد ـ المعتصم ـ وأمر بقتله قال بعض الاشخاص أنه لا يصح قتل الخليفة لأن السماء سوف تسقط على الأرض ونهلك جميعاً ، وهكذا حاولوا اخافته ليعدل عن قتله ، فأرسل هولاكو إلى الخاجة نصير الدين الطوسي ليأتي إليه فأشار إليه الخاجة بأن يضعوا الخليفة في كيس ويسحقوه بأقدامهم ويقف احد الأفراد ينظر الى السماء فإذا رأى أن السماء تريد أن تنشق أمرهم بالكف

عنه .

وهكذا كان لا بد من اتباع هذه الطريقة مع هذا الرجل ، وبذلك سحقوا الخليفة بأقدامهم حتى مات ولم تنشق السماء .

وهكذا كا حال بني صدر فقد جعله مجلس الشورى في داخل الكيس حتى انهم قالوا له دافع عن نفسك بعد أن عزل من قيادة القوات المسلحة ، وأخيراً اصدروا القرار بعدم لياقته لرئاسة الجمهورية ولم تجر حمامات الدم ولا سقطت السماء .

ولكن هل تركوا التآمر ؟ كلا ، فهم يتصورون ان المجلس هو الذي عزل بني صدر في حين أن الإسلام و٣٥ مليون مسلم هم الذين عزلوه . نائب الإمام هو الذي عزل بني صدر .

بعد ذلك تقرر أن يكون يوم الثاني من شهر مرداد موعداً لانتخاب رئيس الجمهورية . . ولكن هل يستطيع احد أن يدلي برأيه ؟ فالجميع في خطر والانفجارات ستشمل إيران كلها من اقصاها إلى أقصاها وستعم الفوضى وو . . هكذا اخذوا يبثون الشائعات يهددون الناس حتى لا يتجرأ احد على الاشتراك في الانتخابات . . كل ذلك ناشيء من عدم معرفتهم بهذا الشعب .

فما ان حل يوم الجمعة من شهر رمضان وهو الثاني من مرداد حتى كانت جموع الناس تقف صفوفاً متراصة اطاعة لأمر امام الأمة « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » .

وهكذا يمكرون ويمكر الله « هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » . حيث أيده بهذا الشعب المتفطن ؛ ورحم الله هذا الشعب الشريف الذي فضح مؤامرات الاعداء واحبطها بذكائه وفطنته ورشده العقلي والإجتماعي .

للكلب سبعة أرواح . . أما أمريكا :

هؤلاء الوطنيون أيضاً كانوا يقولون ان الإسلام غير قابل للتطبيق في هذا الزمان فيجب الاكتفاء بأحكامه العبادية ، وأما في الأمور السياسية فلا بد من اتباع الغرب .

والحمد لله ان هذا الشعب اعلن تأييده للإسلام عدة مرات وأنه لا شرقية ولا غربية . . جمهورية اسلامية .

لقد كان اليوم الثاني من مرداد يوم موت امريكا وبريطانيا وبني صدر لأنهم اشتركوا جميعاً في التخطيط للقضاء على الاسلام وعلماء الاسلام والمجيء بحكومة امريكية .

ولكن لا بد من الحذر ، فقد قيل ان للكلب سبعة ارواح ولكن أمريكا لها سبعين روحاً وقد جاوزت لحد الآن العاشرة ولكن ما دمتم متواجدين في الميدان فانتظروا موت امريكا باستمرار ، فهم يريدون الخدعة وانتم لا تنخدعوا فعليكم ان تفضحوهم ويوم القدس العالمي على الابواب فتقربوا إلى الله في ذلك وأنتم صيام . ففي كل خطوة حسنة وفي كل حركة تغيظ أمريكا حسنة .

وقد ورد هذا المعنى في سورة التوبة : ﴿ لا يصيبهم ظمأ ولا مخمصة ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[1] .

الولاء للإسلام يلازم العداء لامريكا :

وهذا هو معنى التبري ، فالإيمان مضافاً إلى التولي بحاجة إلى

(١) سورة التوبة الآية ١٢٠ .

التبرّي ، فما لم تكن عدواً لامريكا لا يمكنك أن تكون موالياً للإسلام ، فهؤلاء الصهاينة هم اعداء نبي الإسلام ، وهذا السادات الملعون هو الذي أذل المسلمين في مصر ولوث كرامتهم وباع فلسطين وارتكب كل هذه الخيانات وبعد ذلك يسمي نفسه مسلماً !!

لقد كانت الثقافة الغربية والإسلام الامريكي والدين الشاهنشاهي حاكماً على هذه البلاد خمسين عاماً ، ولكن فطنة الشعب الايراني الربانية انتصرت في النهاية وسارت في خط الإمام ولم تتمكن سياسات الشرق والغرب من تغيير مسار الثورة .

عثمان بن مظعون كان أول مسلم يدفن في البقيع وكان أخا النبي (ص) في الرضاع وعندما مات قبله رسول الله في فمه قبل دفنه وشارك في تجهيزه وتشييعه ، فقالت ، امرأة من معارفه :

ـ هنيئاً لك الجنة . فالتفت رسول الله (ص) وقال :

ـ من هذه المهنئة ؟ فقالت : انا يا رسول الله . فقال :

ـ ومن أين علمت أنه من أهل الجنة ؟ فقالت : لما رأيته من فعلك ومن مجاهداته في الإسلام . فقال (ص) :

اني رسول الله اليكم ولا ادري ما يفعل بي ولا بكم » .

كل انسان يتخيل لنفسه شيئاً وقد يتصدق بشيء على الفقراء فهل يكون هذا دليلا على انه من اهل الجنة ؟

القرآن الكريم يقول : **﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾**[1] .

---

(١) سورة الاحقاف ٤٦ الآية ٩ .

لا يقال : ألم يعده الله بالمغفرة ووعده بأن يعطيه الشفاعة حتى يرضى ؟

أجل ، فهذا وعد الهي ، ولكننا عندما يحاسب نفسه تتملكه الحيرة فيما سيحدث غداً ، فالوعد الإلهي لا يجلب الغرور للعظماء ولا ينسيهم عجزهم وضعفهم واحتياجهم . فهم لا يغترون بوعد أو رؤية حلم .

هكذا تكون العبادة لله :

لقد ورد أن من يرى رسول الله (ص) في المنام فهو حلم صحيح ولكن الاحلام لها وجوه عديدة واكثرها من خيالات الشخص نفسه التي لا تطابق الواقع غالباً فلا بد من وجود التناسب والقابلية لكي يتصل بالروح الكلية الإلهية .

وعلى كل حال فرسول الله (ص) يقول (ولا ادري ما يفعل بي ولا بكم) أنس يقول لقد رأيت رسول الله (ص) في احد ازقة المدينة رافعاً رأسه وقد ملكه الخوف والخشوع وهو يقول « رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابداً » ورأيت رسول الله وهو يكاد يقع على الأرض من هيبة الله .

يقول طاووس اليماني « كنت أطوف حول الكعبة ليلة فإذا شاب يناجي ربه ويتعبد ويبكي حتى أغمي عليه فدنوت منه وعرفته أنه الإمام زين العابدين ورفعت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده ، فاستوى جالساً وقال :

من الذي أشغلني عن ذكر ربي ؟ فقلت : أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع ؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون ، أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله (ص) ! فالتفت الي وقال : هيهات هيهات يا طاووس دع عنك حديث

أبي وأمي وجـدي خلق الله الجنة لمن اطـاعـه وأحسن ، ولـو كـان عبـد حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً »[1] .

هذه هي عقيدة الشيعة ، فلا بـد من العمل في هـذه الدنيـا ، فالسيـد المذنب يدخل النار وهكـذا العلوية التي تخـرج سافـرة بدون حجـاب مع انهم يسألون الزهراء (ع) عن سعادة المرأة فيم تكون ؟ فتقول :

- « في ان لا تـرى رجـلاً ولا يـراهـا رجـل » فكيف يمكن للمـرأة أن تتوقع عدم العقاب وهي تعرض نفسها على هذا وذاك ؟

---

(١) البحار ج ٤٦ باب مكارم علمه وأخلاقه .

(١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أن كل كافر في النار ؟

من جملة الأسئلة الواردة في بحث العدل سؤال يتعلق بعذاب الكفار يوم القيامة ، وسؤال آخر عن السبب في عدم ترتب الثواب على عمال الشخص غير المؤمن .

ولا بد من معرفة الجواب عن هذين السؤالين فكثيراً ما ترد مثل هذه الاسئلة في الاذهان هذه الأيام .

فمثلا يسألون : ان عدد نفوس البشر في هذا الزمان أربعة مليارات نسمة ربعهم من المسلمين ، وربع المسلمين هم من الشيعة ، والشيعة

بدورهم على اتجاهات مختلفة والأشخاص الصالحين يشكلون اقل القليل منهم ، فهل ان جميع هؤلاء الناس يدخلون النار سوى أفراد قلائل ؟ هل يعقل مثلا أن يدخل الشعب الصيني بمئات ملايينيه الى النار باستثناء عدة آلاف شخص يدخلون الجنة في حين ان الكثير منهم لم يسمع باسم الإسلام ؟

والسؤال الآخر يتعلق بالعمل ، فكم من الأشخاص من غير المسلمين ومن غير المؤمنين لهم اختراعات واعمال نافعة وخيرة كبناء المدارس والمستشفيات والمختبرات وانواع الأختراعات والاكتشافات كاكتشاف الكهرباء والمكروبات وغيرها من الخدمات الكثيرة فهل يمكن أن نقول بأن أعمالهم كلها باطلة لمجرد أنهم ليسوا بمسلمين ؟

في حين أن المسلم يدخل الجنة مهما كانت اعماله قبيحة ومضرة لمجرد أنه مسلم ، ويدخل غير المسلم النار مع أن أعماله نافعة وخيرة ؟ ان مقتضى العدل ان يكون الجزاء على العمل الصادر من أي فرد وبأي عقيدة كان .

لا بد ان نشرح هذين البحثين بالتفصيل ، واليوم نذكر الجواب عن الأول .

الاحكام الظاهرية للإسلام والكفر :

الكفار في الدنيا أكثر من المسلمين بكثير ولكن كلمة الإسلام والكفر لهما اطلاقان : دنيوي وأخروي .

الإسلام في الدنيا هو هذا الإسلام الظاهري ، فكل من كان مسلماً فهو طاهر وعقد زواجه صحيح ويأخذ الارث ، فهذه الاحكام تتعلق بالانسان الذي اعترف باحكام الإسلام وتشهد الشهادتين وقبل القرآن

والمعاد وهذا هو الإسلام الظاهري . ويقابله الكفر الظاهري فالكافر نجس ولا يورث ويحرم الزواج منه وهو كل من لم يعترف بنبي الإسلام أو لم يقبل المعاد أو كان ماركسياً لا يعترف بالله ولا بالمعاد بعد الموت بل هو كل منكر لاصول الدين .

وهكذا لو كان يقبل البعض دون البعض الآخر فهو كافر ايضاً كما هو حال المنافقين (منظمة مجاهدو الشعب اليسارية) الذين يأخذون من أحكام الإسلام بما يوافق ميولهم ورغباتهم فقط .

الإسلام الواقعي هو التسليم بالقلب :

وأما في الآخرة فالإسلام والكفر اللذان هما ميزان الثواب والعقاب بحيث يعطي الثواب والمنزلة إلى هذا الإنسان لاسلامه ، ويعاقب ذلك الشخص في النار لكفره فهما شيء آخر .

أما الإسلام فهو عبارة عن التسليم القلبي وليس مجرد التسليم العقلي واللفظي والبرهاني ، فالكثير من التصديقات تقليدية حيث يكون قد كبر في عائلة مسلمة فصار مسلماً ايضاً . اما الإسلام الذي ينفعك في الآخرة فهو التسليم لله بالقلب بأن يرى نفسه عاجزاً وذليلاً ويرى ربه قادراً مطلقاً لا أن يكون مسلماً بالمنطق والتقليد فقط أما قلبه فغير مستسلم للحق .
تارة يكون الإنسان حكيماً وفيلسوفاً ولكن لا يوجد في قلبه تسليم لله أو خوف من يوم القيامة . فهو يقيم الادلة المتعددة على وجود الجنة والنار إلا أن قلبه غير خائف من النار فكلامه مجرد اخبار عنها لا اكثر .

الإسلام انما يكون نافعاً يوم القيامة فيما اذا كان مصحوباً بالتسليم القلبي ، وأذكر مثالاً ليتضح الفرق بين التسليم العقلي والقلبي .

إيمان القروي والواعظ :

جاء في كتاب لآلىء الأخبار أن أحد القرويين كان يأتي الى المدينة لحضور مجلس الوعظ ، وكان في طريق هذا الرجل المؤمن نهر لا بد من عبوره كل يوم وقد يتأخر عن الحضور أحياناً بسبب عدم وجود زورق أو تأخره .

وفي أحد الأيام كان الواعظ يتحدث عن أهمية (بسم الله الرحمن الرحيم) فمن جملة ما قال : ايها الناس ان هذه الآية تحتوي على الاسم الأعظم وهي اقرب الى الاسم الأعظم من بياض العين إلى سوادها حتى ان الانسان إذا قرأها يستطيع السير على الماء .

ففرح هذا القروي البسيط لذلك . فلما كان الغد لم يجد زورقاً ينقله إلى الجانب الآخر من النهر فقرأ بسم الله وسار على الماء وعبر النهر وكانت المسألة عنده طبيعية فهو مؤمن بقدرة اسم الله .

وبعد مدة أخذ يفكر في دعوة هذا الواعظ الذي سهل له أمره إلى ضيافته ، واجابه الواعظ لذلك فسارا سوية حتى وصلا الى النهر ولم يكن الزورق حاضراً فقال القروي « بسم الله » وعبر النهر وبقي الواعظ واقفاً في مكانه فناداه القروي من الطرف الآخر من النهر ، لماذا لا تعبر ؟ فقال الواعظ : كيف اعبر النهر ؟ فقال القروي : اقرأ ما علمتني إياه واعبر النهر . فقال :

ـ صحيح ما تقول ، ولكن ما عندك لا يوجد عند ، اي اني افتقد ذلك الإيمان والصدق والاخلاص الذي عندك ، لانه قرأ ودرس بعض المعلومات وتصور نفسه عالماً في حين أن ذلك القروي اشرف منه .

الأمر النافع يوم القيامة هو التسليم لله كما يقول القرآن الكريم :

﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾[1] .

هل يصح الحكم على الآخرين ؟

وكذلك لا يمكن الحكم على الاشخاص بأن هذا الانسان هو من اهل الجنة أو النار فقد يتصور احدناً ان الشخص الفلاني من أهل النار أو بالعكس يتصور أنه بمرتبة سلمان الفارسي في حين أن مكانه مع ابن ملجم .

لقد قال إمام الأمة في بعض خطبه ان بعض اصحاب المحاضرات اسوأ من الشمر فليس في قلبه ذرة من الرحمة والانصاف .

فالمقصود أنه لا يحق لاحد أن يحكم بالايجاب او السلب على احد بل يقول لا علم لي .

لقد سألوا المرحوم الشيخ الانصاري عن حال الملا الرومي هل هو من الناجين أم من الهالكين ؟ فقال الشيخ : لقد بلغ بي العمر ثمانين عاماً ولحد الآن لا أعلم أنني إذا مت فمن أهل اليمين أو من أهل الشمال ؟ فعندما لا أعلم بنفسي وحالي فكيف استطيع الحكم على رجل مات قبل مئات السنين ؟

وقد ورد في الكافي ان بعض الناس يسيرون في طريق الجنة خمسين عاماً ولكنهم في آخر الامر يصيرون من أهل النار .

---

(١) سورة لقمان ٣١ الآية ٢٢ .

نعم يستثنى من ذلك من وردت سعادته او شقاوته من طريق المعصوم (ع) مثل سلمان وابي ذر ، أو قتلة ابي عبد الله الحسين (ع) الذين ورد لعنهم من الأئمة فهم من أهل النار قطعاً ، وأما أن نحكم من عند انفسنا على الآخرين أنهم من أهل الجنة أو النار فهذا غير صحيح .

أيهما افضل عند الله ؟

بعض الافراد يجلسون ويحسبون حسابات خاطئة . مثلاً أي واحد من اصحاب الحسين (ع) افضل من الآخر ؟

أنا الذي لم أعرف نفسي لحد الآن بعد كل هذا العمر فكيف أتجاوز حدودي وأحاول أن أحكم على اصحاب الحسين ايهم أفضل من الآخر ؟ هل ان العباس افضل ام علي الأكبر ؟ عليك أولاً أن تتعلم احكامك الفقهية فما أنت وهذه الاسئلة ؟ نعم ، لو وصل إلينا شيء عن المعصوم فلا بأس ، وإلا فلا يمكن ولا يصح لأحد أن يحكم بأن الابن الفلاني للإمام اقرب عند الله لانه يقضي الحاجات أسرع ويتصور أن كل من يقضي الحاجة اسرع فهو أقرب عند الله في حين أن هذا لا يمكن أن يكون ميزاناً للقرب من الله عز وجل .

اذن ، فعندما لا يكون الانسان عالماً ومتأكداً من حالة ذلك الشخص يجب عليه أن يحكم بشكل تعليقي فيقول مثلا « ان الشخص الفلاني فاسد وإذا مات على هذه الحالة فهو من أهل النار » .

وعلى أي حال فالإسلام الذي هو ميزان الثواب يوم القيامة هو تسليم القلب والاعتقاد بالعبودية لله وقبول أوامره ، فهذا الايمان هو الذي سوف ينفعه يوم القيامة .

الكافر المعاند مخلد في النار :

وفي مقابل ذلك فأي كفر يجعل الانسان من أهل النار ؟ هل هو الكفر بمعنى مطلق ؟ . . . كلا ، فالملايين من الكفار لا يدخلون جهنم ، وهم الذين لم تتم عليهم الحجة ، فلو كان شخص في أقصى بلاد الصين لم يسمع بالإسلام وبإسم محمد (ص) مطلقاً فالحجة عليه غير تامة ، فهو كافر ولكنه ليس كفر الجحود ، فلو أخبروه بذلك ولم يقبل عامداً فعند ذلك يكون مستحقاً للعقاب .

الكفر بمعنى العناد هو الذي يؤدي بالشخص الى النار وذلك عندما يدرك الحق وتتم الحجة عليه ومع ذلك لا يؤمن به ، وهذا هو حال المنافقين .

الم يعرف هؤلاء المعاندون أمام الأمة ؟ هل عرفوا فيه ذرة من الانانية ؟ هل فيه غير الحب للناس والاهتمام بأمورهم ؟ اذن لماذا كل هذا العداء للإمام ولعلماء الدين ؟ ماذا اراد العلماء غير الإسلام ؟

أنتم تعرفون البهشتي[1] ، فهل قتلوه دون ان يعرفوه ؟ كلا ، فقد كانوا يعلمون انه انسان مؤمن ، ولكنه كان مرشحاً لعضوية مجلس الشورى من قبل اهالي مدينة اصفهان وكان الناس يريدونه ويحبونه . فهل يحلل هذا سفك دمه ؟ ولكن كما قال الحسين (ع) :

« فبم تستحلون دمي » ؟ .

---

(١) كان المرحوم البهشتي رئيساً للمحكمة في شيراز وإمام جمعة اصفهان المؤقت ومرشحاً لعضوية المجلس عن أهالي اصفهان حيث اغتاله المنافقون في مدينة اصفهان وهو غير آية الله البهشتي رئيس مجلس القضاء الأعلى .

عالم ولكن غير مؤمن :

المصيبة في العلم بدون الايمان بأن يكون عالماً ولكن غير خاضع للحق . صدقوني انه لا يوجد روحاني واحد في إيران لم يعرف امام الامة . اذن لماذا يقف البعض في مقابله ؟ السبب هو انهم علماء ولكن غير مستسلمين للحق ويمنعهم عن ذلك الحسد والهوى وحب الرئاسة .

واختم كلامي بحديث شريف يدل على أن الإنسان يمكن أن يكون عالماً وعارفاً بالادلة العقلية إلا أنه غير مؤمن ولا خاضع للحق . فقد ورد في المجلد ١٤ من بحار الأنوار في باب الشيطان والملك روايات من جملتها رواية مشتملة على فضائل أمير المؤمنين (ع) وهي :

ان احد اصحاب الإمام الصادق (ع) ـ ولا اتذكر اسمه فعلاً ـ كان قد سافر في البحر سفراً طويلاً فلما رجع إلى المدينة جاء الى الإمام الصادق (ع) وقال :

لقد رأيت في هذا السفر آية عجيبة وحادثة مدهشة فقد رأيت في وسط البحر شخصاً واقفاً على الماء رافعاً يده للدعاء وهو يقول :

الهي اذا كان يوم القيامة والقيت بي في النار وفاء بوعدك فاقسم عليك بجاه علي بن ابي طالب الا ما انقذتني .

فلما سمعت ذلك ظننت ان الرجل ذو مقام ومنزلة فناديته :

ايها العبد الصالح أسألك بحق الله عليك ألا ما عرفتني بنفسك وبما اقسمت به .

فقال : انا ابليس . فقلت : وكيف تقسم على الله بجاه علي (ع) ؟

فقال : إني اعلم بجميع الأمور واعلم أنه لا أحد أقرب الى الله من

علي بن أبي طالب .

ولعله لا أحد يعرف علي بن أبي طالب مثل إبليس وبذلك كان يقسم على الله به .

فقال : لما سمعت ذلك من إبليس وأنه كان قبل آدم بآلاف السنين ويعلم الكثير ولذلك أقسم على الله بعلي (ع) قلت له :

أسألك بحق علي (ع) الا ما نصحتني . فقال له ابليس جملتين بشكل مختصر احداهما للدنيا والثانية للآخرة ولكنها في نفس الوقت عين الحقيقة .

القناعة وحب علي (ع) :

ـ « استعن لدنياك بالقناعة » .

فلو أردت الدنيا وسعادة الدنيا فعليك بالقناعة وعدم الحرص . فإن اساس المشكلات ناشئة من الحرص ، وأما القناعة فهي تجلب الطمأنينة للإنسان . وقد ورد في الرواية أنه يستحب للإنسان إذا حضر الخبز والملح على المائدة ان لا ينتظر شيئاً آخر ، أي يكون قانعاً بذلك ولا يقول : لماذا لم تجلبوا الطعام ؟

عندما جاء رسول الله (ص) يوماً الى صفية ابنة عمه احضرت له مقداراً من خبز الشعير وقليلا من الخل والزيتون فوضعته أمام رسول الله (ص) واعتذرت لذلك . فقال لها رسول الله (ص) : لقد اتيت لي بطعام الأنبياء . أي ان هذا هو طعام الأنبياء ولا طعام أحسن منه .

والجملة الاخرى التي ذكرها الشيطان وهي التي تنفعك لآخرتك :

« واستعن لآخرتك بحب علي بن أبي طالب » .

علي (ع) سلطان البرزخ والقيامة ، فكل من تعلق قلبه به فسوف لا يواجه أية مشكلة فهو حلال المشاكل ويد الله الباسطة .

ولما قال الرجل هذا الكلام للإمام الصادق (ع) قال :

ـ لقد قال هذا الملعون ما يعلم ولكن قلبه لم يؤمن به .

لقد عرف علياً (ع) جيداً ولكنه لا يطيعه . وهو يعرف الله كذلك ولكنه لا يستسلم للحق .

(١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

العذاب بعد اتمام الحجة :

كان الكلام في مسألة الكفر والايمان يوم القيامة وأن أي كفر يكون معه الإنسان مخلداً في العذاب . وأي إيمان يكون معه الإنسان في سعادة دائمة ومخلداً في الجنة ؟

لقد تحدثنا بالامس حول هذا الموضوع ، وبما أنه موضوع مهم فسوف نتكلم عنده ببيان آخر في هذا اليوم .

الكفر الذي يكون معه الانسان مخلداً في العذاب في ساعة الموت هو الكفر الجحودي وهو الانكار بعد المعرفة والمخالفة بعد تمام الحجة وليس كل انسان كافر وعابد صنم يدخل النار ، بل فيما اذا تمت عليه الحجة وعرفها

ولم يؤمن بها فسيكون اول موته بداية عذابه .

وأما لو لم يتضح له الحق وكان بحيث اذا اتضح له الحق آمن به فهو غير مخلد في العذاب فالقرآن الكريم يقول :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ .

فلو أن أحداً لم يسمع باسم الإسلام كما هو حال الملايين من البشر حيث ينشأ منذ طفولته في المعابد الوثنية ومع الشعائر المجوسية او المسيحية فسوف لا يعذب لأن الحجة لم تتم عليه .

وأما الأشخاص الذين يعيشون في الشرق الأوسط فالحجة عليهم تامة فلو مات أحدهم كافراً أي منكراً للرسالة او القرآن فهو من اهل النار وهكذا بالنسبة لأفراد الشعب الايراني في هذا االزمان فالحجة عليهم تامة واقعاً حيث تذاع المعارف الإلهية باستمرار في المذياع والتلفاز، وفي الصحف والمطبوعات .

القصور والتقصير :

وبعبارة أخرى ان الدنيا جاهل قاصر وجاهل مقصر ، كأن يكون طول احد الاشخاص متراً واحداً والطعام موضوع على ارتفاع متر ونصف فلا تصل يده إليه ، وهذا هو القاصر .

وهناك شخص آخر طوله متر ونصف ولكنه لا يتحرك نحو الطعام فهذا هو المقصر .

فبعض الناس لم يصل اليهم الإسلام وهم القاصرون . والبعض الآخر يسكن في إيران ويسمع عن الإسلام في كل مكان ولكنه لا يسعى لفهم المعارف الدينية فهو مقصر واقعاً ، فلو كانت لديه شبهة وشك فلماذا

لا يذهب الى العالم ويسأل منه ما يزيل به شبهته ؟

اذن فكل كافر مقصر في كفره فهو مخلد في النار ، وكل كافر كان قاصراً في كفره فإنه لا يعذب كما هو حال المجانين والسفهاء ايضاً .

وأما أهل العناد وهم الذين جحدوا الحق بعدما عرفوه فهم مخلدون في العذاب . ﴿ **وان تخلد فيها المعاندين** ﴾ تقرأ ذلك في دعاء كميل .

اليهود والعقائد الباطلة :

وأما من حيث الإيمان فكيف ؟

فما هو الإيمان الذين يجعل الإنسان مخلداً في الجنان ؟ فكل قوم نسجوا لأنفسهم افكاراً وخيالات وجعلوا لهم موازين خاصة ، فاليهود يعتبرون انفسهم أولاد اسحق بن يعقوب والذي اسمه الآخر هو « اسرائيل » فيقولون نحن أبناء الأنبياء والجنة ملك لنا بصورة مطلقة . وبما أن للصهاينة خاصة مذاق شيطاني ومذهب نفساني وعقائد باطلة فهم يقولون بما أننا من الأشراف فإن الدنيا ملك لنا ولا بد أن يكون جميع الناس عبيداً وخدماً لنا .

قبل عدة سنوات اقدم هؤلاء الخبثاء على تأسيس دولة اسرائيل وكان هدفهم منذ البداية هو التوسع والسيطرة على العالم وخطتهم الآن هي السيطرة على الشرق الأوسط لأنهم يعتقدون أنهم سادة العالم وأمراء الدنيا .

﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة** ﴾[١] وبعد ذلك ندخل الجنة لاننا من نسل اسرائيل ، والجنة ملك لنا .

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٠ .

المسيح يحرق نفسه في جهنم !

والاعجب من ذلك قول النصارى وهو ـ استغفر الله ـ أنهم بعد أن قتلوا المسيح (ع) دخل المسيح جهنم لمدة ثلاثة أيام فاحترق وصار رماداً ولذلك فإن كل مسيحي لا يدخل النار ، ثم أضافوا لذلك اضافات عديدة وان المسيح ضحى بنفسه ليفتدي امته من جهنم فعلى كل مسيحي مذنب أن يدفع عن نفسه فدية لنواب المسيح اي للكنيسة .

وهناك أيضاً مسألة الاعتراف وغفران الذنوب التي جعلوا منها طريقة شرعية !! احد الاصدقاء يقول : انني ذهبت الى الكنيسة في باريس وتوجهت الى قسم غفران الذنوب وكان في محوطة كبيرة فكانوا يسجلون الاسماء هناك وبعد ذلك يذهبون الى مكان آخر ويكتبون ذنبه ويعينون له ثمن العفو عنها . وبعد ذلك يذهب الى مكان آخر لاستلام الأموال واعطاء ورقة العفو حتى لا يكون من أهل النار ولم يكن لهم اي دليل على ذلك **﴿ ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ﴾** .

يبيعون الجنة كأنها ملكهم الشخصي :

بيع الجنة أيضاً مهزلة أخرى فاليهود يعتقدون أن جميع بني اسرائيل من أهل الجنة والجنة ملكهم ، والنصارى كذلك يعتقدون أن الجنة ملك للمسيح ونوابه وهم القيمون على الكنائس وبذلك يمكنهم أن يبيعوا ما شاؤوا منها ولمن شاؤوا .

ذكروا انه في تلك السنوات التي كانت فيها هذه التجارة زاهرة كان رجل اصفهاني في ايطاليا وكان يشتغل ببيع الحلوى فأعلن اعلاناً لطيفاً بأني أريد شراء جهنم وذهب الى البابا وتظاهر بالاخلاص وطلب منه أن يبيعه جهنم بأجمعها .

فقال البابا وكيف ذلك ؟ وخلاصة الامر ان هذا الرجل المخلص أقنع البابا الذي كان متعطشاً للمال ، فما أحسن هذا المشتري الذي يريد شراء جهنم ! فطلب منه مبلغاً كبيراً وسلمه هذا الرجل الثمن وقبض منه سنداً بأمضاء البابا ينص على أن جهنم ملكاً لهذا الرجل .

وكان البابا يتصور أنه خدع هذا الرجل الاصفهاني ولكنه في الغد شاهد اعلاناً طبع فيه السند الذي اعطاه لذلك الرجل ينص على أنه أيها المسيحيون طبقاً لما ورد في هذا السند فأني قد أصبحت مالكاً لجهنم كلها فهي ملك مطلق لي وأمرها بيدي ولذلك فأنا لا أسمح لكل واحد من الدخول في جهنم وكذلك لا داعي لشرائكم الجنة بل أنتم من أهل الجنة حتماً وبذلك سد الباب على البابا بهذه الطريقة ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى** ﴾[1] .

ومن الخرافات التي يعتقدون بها العشاء الرباني الذي يأكلونه فيجري دم المسيح في عروقهم فيكونوا من أولاد المسيح .

واليهود ايضاً كذلك ﴿ **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه** ﴾[2] ويقول عز وجل أيضاً : ﴿ **قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾[3] .

الغلاة يقتلون بسيف الإمام علي (ع) :

ونظير ما يشاهد في الفرق الإسلامية ، فالبعض من الغلاة وبعض الذين يتوسلون بأهل البيت ويقيمون على مصابهم العزاء يعتقدون ان الجنة

---

(١) سورة البقرة الآية ١١١ .
(٢) سورة المائدة الآية ١٨ .
(٣) سورة البقرة الآية ٨٠ .

ملكهم المطلق .

وفي زمان الإمام علي (ع) كان بعض الغلاة الذين كانوا يشاهدون معاجز الإمام ولم تكن لهم القابلية على تحمل ذلك فكانت نتيجتهم ان قتلوا بسيف الإمام فماذا يصنع الإمام علي (ع) فالبعض يرونه كافراً والبعض الآخر يعتقدون أنه الله .

كفى في فضل مولانا علي — وقوع الشك فيه أنه الله
فمات الشافعي وليس يدري — عَليٌّ ربه أم ربه الله

ويكفي في شأن الإمام ان بعض العقلاء قالوا انه الله عز وجل ، وينسب هذان البيتان الى الشافعي .

وعلى أي حال كان الغلاة في زمن الإمام علي (ع) يقتلون بسيف الإمام ، ومن المعلوم أن من يقتل بسيف ولي الله الأعظم أنه من أهل النار لا من أهل الجنة ، وبعد مضي عدة قرون نجد أن بعض الأفراد يعتقدون بألوهية الإمام علي (ع) ايضاً وان الجنة ملك لهم !!

الخيال ليس ميزاناً للحقيقة :

وقد سمعت أيضاً ان هناك جماعة في الهند يعتقدون بألوهية الإمام الحسين (ع) !! ـ ﴿ **قل اتخذتم عند الله عهداً** ﴾ ؟ .

لقد تصوروا أن الجنة تكون لهم بما يملكون من نسب أو عقيدة او مقام دنيوي فكل أحد يتصور أن الجنة ملك له لأنه بنى مسجداً او اقام تعزية أو سافر الى مشهد .

الجزاء مقابل العمل سواء كنت من أولاد اسرائيل أو كنت مسيحياً وكذلك اذا كنت مسلماً ، فكل احد يرى جزاء ما عمله ولا يراعي النسب أو اي شيء آخر يوم القيامة بل يسألونهم عما عملوا .

سلطنة بهلوي ولعب الأطفال :

ذكروا أن احد الأخيار رأى في المنام السلطان محمود الغزنوي فسأله : ألست السلطان محمود ؟ فأخذ يرتجف وقال : لا سلطان إلا سلطان الله ﴿ يا من لا سلطان إلا سلطانه ﴾ .

لقد قلت في أحدى المرات ان الانسان اذا كان عاقلا يجب أن يرى سلطنة محمد رضا ورئيس وزرائه هويدا كلعب الأطفال عندما يلعبون لعبة الملك والوزير حيث يكون أحدهم ملكاً والآخر وزيراً والثالث جلاداً ولكن الفرق ان الاطفال يلعبون لعبة الملك والوزير في الأزقة وهؤلاء يلعبون في قصر نياوران وعلى كل حال الجميع يموتون وكلاهما من الألعاب الطفولية .

العنوان والحرفة ليست مؤثرة يوم القيامة ، فلا يقولون لذلك العالم انك كنت مجتهداً بل يقولون له : ماذا عملت ؟

العلم والتعلم بشرط الإخلاص :

واذكر لكم رواية في كتاب منية المريد للشهيد الثاني انه في يوم القيامة يحاسب العلماء قبل بقية الناس فيسألون عن عملهم فيقولون كنا نطلب العلم وننشره بين الناس .

فيقال لهم : كلامكم صحيح ولكن قصدكم أن يمدحكم الناس .

فالأجر على قدر الاخلاص فإذا كان مصحوباً بالاخلاص فسوف ينفعه في الآخرة واذا لم يكن كذلك فحتى اذا كان مجتهداً مطلقاً وكتب كتباً في الفقه والتفسير وكان يسهر الى الصباح في طلب العلم ولكن لم يكن خالصاً فهو (كمثل الحمار يحمل اسفاراً) بل (اشد الناس حسرة) .

لقد عمل في شهر رمضان وأرشد الناس بلسان صائم ووعظهم ، والناس أيضاً عملوا بكلامه ولكن نجده محروماً يوم القيامة فلذلك تكون حسرته اكثر من الجميع .

ومن اسماء يوم القيامة الحاقة أي أنه لا يقبل في ذلك اليوم غير الحقيقة والحق المحض فلا أحد يتمكن من الحيلة والخداع بينما نجده في الدنيا يستطيع أن يكون ذا وجهين ولسانين أما في الآخرة فظاهر الانسان وباطنه شيء واحد .

العمل غير الخالص وبال على صاحبه :

ويأتون بالاغنياء يوم القيامة الذين عملوا الخيرات وانفقوا بأموالهم فيسألونهم عما عملوا في هذه الاموال فيذكر هذه الغنى خيراته فيقولون له : ان انفاقك كان لأجل ان يقال عنك في الراديو ويكتب عنك في الجرائد وعلى المنابر ولقد حصلت على ذلك فماذا تريد من الله بعد ذلك ؟ ويأتون ببعض الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم ومع ذلك يقولون لهم انكم ذهبتم الى ميدان القتال لاظهار الشجاعة .

والخلاصة فالاخلاص في العمل مهم جداً ولا ينبغي أن تتساهلوا فيه ، قبل اشهر جاؤوا بجنازة أحد شهداء شيراز الذين هم أقرباء عند الله واقعاً فصمم اخوه بعد الانتهاء من مراسم التشييع والدفن أن يذهب الى الجبهة . وفي آخر ليلة قبل ذهابه رأت اخته الشهيد في منامها فقال لها : قولي لاخي انك اذا اردت الذهاب الى الجبهة فلا تذهب بنية الانتقام لدمي .

ولما ذكروا إلي ذلك تعجبت من قدرة الشهيد وحياته لانه اطلع على نية اخيه وسريرته أيضاً فقد كان الاخ يريد الذهاب الى الجبهة ليقتل عدة من جنود الأعداء انتقاماً لأخيه .

وهـذه النية وان كـانت لا اشكال فيهـا الا انها تحرمـه من الثواب عنـد الله لأن الجهـاد يكون ذا قيمـة فيها اذا كـان لله وانهم قتلوا المسلمين لا بقصـد الانتقام لاخي ، فلا بد أن تذهب هذه الـ (انا) ويكون التحرك لله .

صندوق التوفير عند الله :

من المهم ان يفتح الانسان حسـاباً للتـوفير لـدى الله عز وجـل يعني انه لا ينوي لغير الله سواء أكـان مالاً أو ذكـراً او صلاة او تضحيـة فينوي كـل ذلك لله ليبقى له بعد موته .

وفي القـرآن المجيـد يقـول بعـد قسم متعـدد ﴿ **علمـت نفس مـا احضرت** ﴾ فلا يهمه المدح من الآخرين ولا يتوقع ذلك .

ومن الاشخـاص الذين صعب عـلى الحسـين استشهـاده هـو حبيب بن مضـاهر حيث ورد التعبـير عنه في المقـاتل انـه (هد الحسـين) وقـال الحسـين (ع) : احتسبه ونفسي عند الله .

صلى الله عليك يا ابا عبد الله

(١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الخلود في جهنم من صفة المعاندين :

كان خلاصة البحث في باب الثواب والعقاب انه قلنا إن كل كافر معاند يخلد في النار وهو الذي مات عن عناد وتمت عليه الحجة ولم يخضع للحق ولا يهم ما يكون عليه مذهبه ، فلو ثبت له الحق ولم يقبل فهومخلد في العذاب .

والإيمان هو التسليم لله فلا بد من السعي مهما امكنه للعثور على العقيدة الحقة وان لا يقف في مقابل الحق ولا ينكر الحق فلو سعى إلى ذلك ولكن لم يسمع بالإسلام مطلقاً فلا يمكن أن يقال عنه بأنه مخلد في النار لأن الحجة عليه غير تامة .

اللهم ان كان هذا هو الحق . . .

وتارة يكون عن لجاج وعناد كالقصة التي ذكرها القرآن الكريم عن ذلك الأعرابي ـ وهو النعمان بن الحرث الفهري ـ الذي جاء الى رسول الله (ص) بعد حادثة غدير خم وقال : أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله (ص) وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض عنا حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله ؟

فقال (ص) : والله الذي لا إله إلا هو ان هذا من الله .

فولى هذا الأعرابي وهو يقول : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله .

غلبة الهوى على قبول الحق :

ويرى الثعلبي الذي هو من مفسري أهل العامة ان الآية الشريفة ، ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ نزلت في هذا الشخص حيث غلب عليه الهوى وغلبت احساساته النفسية على قبول الحق فهو غير مستعد أن يقبل الحق لأنه على خلاف ميوله واهوائه فلم يكن يحب علياً (ع) ولذلك يكون مصير مثل هذا الكافر في قعر جهنم .

وأما لو لم يكن معانداً مع الحق ولكنه لم يسمع بمذهب الحق أو أهل البيت (ع) إلى آخر عمره فهو ليس من أهل النار قطعاً .

ولاية علي (ع) تعني حكومة الحق فلو تعبد شخص ولم تكن عبادته عن الهوى والنفس بل كانت تسليماً للحق فهو من اهل النجاة .

وهكذا اذا مات ولم يثبت الحق لديه بحيث أنه كان اذا علم به يقبله

ولا يرفضه .

وأما من عرف الحق ورفضه فهو من اهل النار ، فالميزان في العقاب والعذاب هو الكفر الجحودي والانكار للحق بعد معرفته أما الكفر مع القصور وبدون تقصير فهو لا يجعله من أهل النار يقيناً ولو كان مشركاً .

هل أن المخترعين من أصحاب النار ؟

هذا كله يعود الى العقائد ، وأما العمل ، فما هو العمل الذي يكون له أجر في الآخرة ؟ هناك سؤال كثيراً ما يطرحونه وهو هل ان المخترع الفلاني او الكاشف الفلاني الذي اكتشف مكروب السل او الملاريا وانقذ بذلك نفوساً عديدة هو من أهل النار والمؤمن الفلاني الذي لم يفعل شيئاً يخدم به الناس هو من اهل الجنة ؟ علماً بأن المكتشفين والمخترعين يعملون بتعب ومشقة وقد انقذوا حياة العديد من الناس .

أو الشخص الذي بنى مستشفى مجهزة ليداوي فيها المرضى فهل لا يكون له اجر في صورة عدم كونه مؤمناً أو متقياً ولكن القليل من العمل الذي يعمله المؤمن يترتب عليه الثواب ؟!

هل أن الميزان هو الكمية او الكيفية او . . ؟

انهم يقيسون اوضاع الاخرة بأوضاع الدنيا وسأشرح لكم هذا المطلب بصورة مختصرة ، فهناك ميزانان للعمل فقيمة عمل الانسان في الدنيا تختلف عن الآخرة فلا بد من الانتباه الى هذا المطلب وعدم مقايسة قيمة العمل في الدنيا بالآخرة .

قيمة عمل الانسان في الدنيا مرتبطة بالقلة او الكثرة كماً أو كيفاً فمثلاً

اذا انفق شخص بمائة درهم على أمر وانفق الآخر مليوناً وأنفق شخص ثالث مائة مليون درهم فأي الأعمال اكثر قيمة عند الناس ؟ من الطبيعي ان يكون المائة مليون اكثر قيمة لدى الناس وبعد ذلك المليون فالميزان هو كثرة الانفاق او زيادة العمل فلو عالج طبيب مريضاً واحداً وعالج آخر عشرة مرضى او مائة فمن الطبيعي ان تكون قيمة الثاني اكثر .

لقد ورد في التواريخ مدح البرامكة كثيراً لأن عطاءهم وكرمهم كان كثيراً ، وهكذا زبيدة زوجة هارون الرشيد التي اجرت ماء الطائف وأوصلته الى مكة المكرمة حيث كان الحجاج قبل ذلك في مضيقة من هذه الناحية فكان يصعب عليهم حمل الماء الى الحج ولذلك ورد مدحها كثيراً في تاريخ الإسلام ولانها انفقت اموالاً طائلة على ذلك .

الميزان في الآخرة هو الاخلاص :

أما الميزان في الآخرة فلا يرتبط بكثرة الانفاق أو كثرة العمل بل بشدة الاخلاص ، فكل من كان قلبه خالصاً ومخلصاً لربه أكثر ولم يكن له غرض سوى الله عز وجل فقيمة عمله اكثر .

تارة ينفق شخص تومانا واحداً وينفق شخص مائة الف درهم ولكن قيمة درهم واحد اكثر عند الله بمراتب عديدة لأنه كان مصحوباً بأخلاص أكثر .

وتارة لا يكون لبعض الفقراء سوى هذا الدرهم ومع ذلك يقدمه بكل اخلاص وتواضع ولذلك تكون قيمته عند الله اكثر .

العمل الاحسن لا العمل الاكثر :

أليس عجيباً أن يدخل مخترع البرق او كاشف الميكروب النار وتدخل العجوز الفلانية الجنة بأنفاقها دراهم معدودات ؟!

ولكنـك تنظر الى الـدنيا وتسـأل هذا السؤال فـالميـزان في الآخـرة شيء آخر ، فالله عز وجل لا ينـظر إلى العمل بـل ينظر الى حـالة القلب فيقـول في سـورة تبـارك ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عمــلا** ﴾ فهـو يقـول احسن عمـلا لا الأكـثر عملا ، فـالميزان ليس هـو الكثرة بـل الاحسن هو الميـزان وهـو الـذي يصدر بنية اكثر اخلاصاً وصدقاً .

﴿ **ان الله ينظر الى قلوبكم لا إلى صوركم** ﴾ .

أنت تتصـور أنك بـأنفاقـك مائـة مليون ان لـك منزلـة عند الله الـذي يملك خزائن السماوات والأرض ، فمن أنت حتى يكون لمالك قيمة ؟

انت تتصـور ان لبعض الفلزات المسكـوكـة وبعض الأوراق الخـاصـة قيمـة وتعتبـرهـا مـالا وهي الأوراق النقـديـة التي لهـا رصيـد من الـذهب او الفضة ! ولكن حتى تلك المعادن هي من صنـع الله وقد عمـل عليها مجمـوعة من النـاس فصارت بهـذا الشكل . . . كلما تـرى عملك أقـل فهنـاك يـكـون مقبولاً أكثر وكلما تراه كبيراً فأنه يصغر .

تـارة يتعب الانسـان كثيـراً حتى يصبـح مجتهـداً ولكن بمجـرد أن يـرى نفسه عالماً ويفتخر بـذلك فهـو مع ذلـك الأمي سواء ، وكـذلك لـو سهر الى الصبـاح مشتغلا بـالعبادة وقـال بعـد ذلـك ان الجميـع نيـام وأنـا صليت الى الصبـاح فـأن عمله سيبـطل ، ولـذلـك كـان العجب أحـد المبـطلات لــدى الفقهـاء ويقولـون العجب هو الاستعـظام للعمل والادلال بـه . العجب هـو ان يـرى عمله كبيراً ويفتخـر به . . انـا الذي كتبت هـذا الكتـاب او درستـه فبمجرد ان يرى نفسه وعمله بصورة مستقلة فسيحبط أجره .

الله يقبل العمل الخالص :

قيمـة العمل في الآخـرة ليس بالكثـرة بل بـالخلوص والعجـز والمعـرفـة

وبأن لا يرى نفسه شيئاً ، وليس معنى هذا أن ننكر دور العبادات أو قراءة القرآن مثلا بل نقول أنه اذا كان مصحوباً بالاخلاص والتواضع فهو جيد لا أن يعجب بنفسه بأنني ختمت القرآن أو عملت ذلك العمل الكبير .

وهنا تكون الاعمال العظيمة لا تساوي قرشاً واحداً ففي الآخرة لا يقولون له ما أكثر ما درست بل يقولون لاي شيء درست . وهكذا يكون العمل القليل مع الاخلاص خير من العمل الكثير الخالي من الاخلاص .

ولقد سمعتم أن أهل البيت وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام صاموا ثلاثة أيام وفاء بنذرهم واعطوا طعامهم الى المسكين واليتيم والاسير فمع انهم كانوا بأشد الحاجة الى الطعام ومع ذلك قدموه وافطروا بالماء لمدة ثلاثة ايام وهناك نزلت سورة ﴿ هل أتى . . ﴾ تمجد عملهم .

﴿ انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ .

لو أنهم اعطوا ذهباً وجواهر بدل قرص الشعير وكان لغير الله فسوف لا تنزل هذه الآيات بحقهم ولكننا نجد أن هذه الآيات نزلت في حقهم بسبب انفاقهم عدة اقراص من خبز الشعير .

وكذلك الأمر في الواجبات والمستحبات فأنها لو كانت للرياء والسمعة تقع باطلة ولكن إذا كانت لوجه الله فإن الله سيقبلها بأحسن وجه وستنفعه في حفظه من أهوال يوم القيامة ، فليس النظر إلى الكمية أو الكيفية بل النظر الى حالة القلب ، وكذلك ليس النظر إلى ظاهر الاشخاص فكم من الأشخاص يظهر منهم الصلاح والخير ولكن عملهم لا يساوي شيئاً ! .

لا تمزق ثوبك بل حرك قلبك :

ورد في كتاب عدة الداعي انه عندما كان موسى يقرأ التوراة كان احد

الاخبار في الظاهر يلطم على رأسه ويشق جيبه ليوحي أن ذلك من خوف الله .

فأوحى الله الى موسى انه قل لعبدي هذا ان يشرح قلبه لله والا فما فائدة شق الجيب ، لا بد وأن يكون قلبك خائفاً .

فالنظر في الآخرة الى القلب والاعمال بالنيات ، **فهؤلاء يقولون** ان مخترع الكهرباء او كاشف الميكروب قد قدموا خدمة للبشرية فماذا ستكون نتيجة اعمالهم ؟

عليكم أن تذهبوا إلى هذا المخترع وتسألونه عن الهدف من عملك هذا هل انه لوجه الله فقط أو انه للحصول على الاموال والمقام أو الشهرة ولكي يسجلوا حق الامتياز باسمه ؟ .

يقال انه كان في أحد المدن طبيباً قد اكتشف دواء احد الأمراض المهمة فكان المرضى يأتون إليه من مختلف المناطق للمعالجة فقيل له ان يظهر سر هذا الدواء مقابل اموال كثيرة حتى لا يتحمل المرضى مشقة المجيء إليه ، ولكنه لم يقبل .

اذاً لقد اتضح انه لم يكن لله ولذلك لا يكون له حق على الله ﴿ **انما الأعمال بالنيات** ﴾ فلا ينبغي أن نغتر بكثرة العمل فالنفس حقيرة الى درجة انها تقنع بكلمة « أحسنت » او تكتفي بمدح بسيط ولذلك لا يكون له اجر في الآخرة .

هل ان هذا المخترع يريد حق امتيازه من الله أو من الناس ؟ وما هو هدفه من ذلك العمل ؟

فإذا كان عمله لله فسينال أحسن الثواب لأنه قد انقذ نفوساً من الموت وله حق الحياة في اعناقهم فما اعظم ثوابه اذا كان لله ! فالميزان في

الآخـرة هـو النيـة ﴿ لا عمـل إلا بـالنيـة ﴾ بـل أن أسـاس الـدين هـو الاخـلاص ، فما لم يكن مخلصـاً فـلا فـائـدة من العمـل ، وليس المهم كميـة العمـل أو كيفيته انمـا المهـم أن يكـون لله ﴿ **والـذين يؤتـون مـا اتـوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون** ﴾ .

اذا كنت انفقت مالاً فهو من مـال الله فهو الذي اعطى وهـو الذي اخـذ ولو انفقت مائة مليون واغنيت مـائة فقـير ولكن انفاقـك كان مصحـوباً بـالمن فهو لا يساوي شيئاً لان الـ « انا » اذا كانت موجـودة في البين فـلا أثر لـذلك العمل ، اما لو كان عملك لله فإن ثوابه سيبقى .

اصحاب الكهف في محنة :

الأثر الكبير انما يكون للعمل الخالص مهما كان قليلاً .

وقد روي عن رسول الله (ص) انـه قال : خـرج ثلاثـة أنفار يسيحون في الأرض فبينـما هم يعبـدون في كهف في قلة جبـل حتى بـدت صخـرة من أعـل الجبل حتى التقت بـاب الكهف ، فقـال بعضهم : يـا عبـاد الله والله لا ينجيكم منهـا وبقيتم الا ان تصـدقـوا عن الله ، فهلمـوا مـا عملتم خـالصـاً لله . فقال أحدهـم :

اللهم ان كنت تعلم اني طلبت جيـدة لحسنهـا وجمـالهـا وأعـطيت فيهـا مـالا ضخـماً حتى اذا قـدرت عليهـا وجلست منهـا مجلس الـرجـل من المـرأة ذكـرت النار فقمت عنهـا فرقـا منـك ، فـارفـع عنـا هـذه الصخـرة ، قـال : فانصدعت حتى نظروا الى الضوء .

ثم قال آخر : اللهم ان كنت تعلم انى استأجرت قـومـاً كـل رجل منهم بنصف درهم ، فلما فرغوا اعطيتهم اجورهم فقـال رجل : لقـد عملت عمل رجلين والله لا آخـذ إلا درهماً ثم ذهب وتـرك مالـه عندي ، فبـذرت بـذلـك النصف الدرهم في الأرض فاخـرج الله به رزقـاً وجاء صـاحب نصف الـدرهم

فأراده فدفعت إليه عشرة آلاف درهم حقه ، فإن كنت تعلم انما فعلت ذلك مخافة منك فارفع عنا هذه الصخرة ، قال : فانفرجت حتى نظر بعضهم الى بعض .

ثم قال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أن أبي وأمي كانا نائمين فأتيتهما بقصعة من لبن فخفت أن اضعه فيقع فيه هامة[1] وكرهت ان انبههما من نومهما فيشق ذلك عليهما فلم ازل بذلك حتى استيقظا فشربا ، اللهم ان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء لوجهك فارفع عنا هذه الصخرة ، فانفرجت حتى سهل الله لهما المخرج ، ثم قال رسول الله (ص) : من صدق نجا[2] .

الحصاد تابع للزرع :

هذا نموذج من الآخرة . أيها المسلمون اذا كان العمل لله فسوف يكون له قيمة في الآخرة وإلا فمهما يكون كثيراً فإنه ينفع في الدنيا فقط فلو كان للتظاهر والرياء فإن ثوابه سيكون في هذه الدنيا فماذا يطلب من الله بعد ذلك ؟ فالحصاد تابع للزرع فلو عملت لأجل الحصول على اموال كثيرة فماذا تريد من الله بعد ذلك ؟

وكذلك الشخص الذي يقرأ التعزية طلباً للدنيا والشخص الذي يبطل عمله بالمن فسوف لا يكون لهم شيء عند الله ، وعندما ترى عملك كبيراً فسوف لا يكون لك شيء .

---

(١) حشرة .

(٢) بحار الانوار ج ١٤ قصه أصحاب الكهف والرقيم . اقول : بعض المفسرين ذهب الى أن هذه الرواية تتعلق بأصحاب الرقيم ، دون أصحاب الكهف ، الا انه في تفسير الميزان وكذلك تفسير مجمع البيان وتفاسير اخرى لم تؤخذ هذه الرواية مدركاً .

(٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الثواب والعقاب :

كـان البحث في بـاب الثـواب والعقـاب عن الايمـان والكفـر وعن الاعمـال الحسنة ، والقبيحـة وبالنسبـة للإيمـان والكفر وقلنـا ان الثواب عـلى الايمـان القلبي والعقاب عـلى الكفر الجحـودي ، فكل كـافـر مقصر في النـار وكـل كافـر قاصر لا عقاب عليه، فلو مـات شخص على الكفـر وكان قـاصراً فلا عقاب عليـه كالشـاب الذي بلغ من العمـر ستة عشـر عاماً او البنت التي بلغت من العمـر اثني عشـر عاماً ومـاتت في بـلاد الكفـر ولم تتم عليهم الحجة ، فما اكـثر الأفراد الـذين لم يسمعوا بـاسم الإسلام ! وحتى لـو سمعوا

بذلك لم تتم عليهم الحجة . نحن نقول ان الكافر المقصر معذب لا الكافر القاصر الذي لم تسمح له الفرصة أو كانت ادراكاته ضعيفة .

لا يتوقع الدعاء حتى من السائل :

وقلنا بالنسبة للعمل ان العمل الذي يترتب عليه الثواب في الآخرة هو العمل الذي يكون لله فقط فالميزان للعمل ليس هو الكثرة والقلة بل الميزان هو الاخلاص والتقرب الى الله ، فكلما كان عمل الانسان خالصاً اكثر ولا يريد به رياء ولا عوضاً حتى الدعاء من قبل السائل تكون له قيمة اكبر .

وطبيعي ان للإخلاص في العمل مراتب عديدة وأعلى مرتبة هي ما كانت لأمير المؤمنين حيث اعطى ثلاثة أقراص من خبز الشعير في ثلاث ليال متوالية حييث نزلت سورة ﴿ **هل أتى** ﴾ المباركة .

الناس في هذه الدنيا عرفوا جهاده وقدرة سيفه ورمحه ضد أعداء الإسلام ولكن الملائكة في العالم العلوي عرفوا انفاقه ثلاثة أقراص من الخبز في ثلاثة ايام متوالية أنها كانت لوجه الله .

حالة القلب هي المؤثرة :

لقد زرع الإمام (ع) بيده المباركة خمسمائة نخلة ولما اثمرت اعطى ثمرتها الى الفقراء وكذلك وزع إثني عشر الف درهم بين الفقراء ولكن لم تنزل آية ولا سورة في ذلك ، فماذا يكون حالة انفاقه في تلك الليالي الثلاثة ؟ لا اعلم .

وهكذا بالنسبة الى موضوع اعطائه الخاتم في الركوع حيث اشار الى لسائل بخاتمه اثناء الركوع فجاء السائل وأخذ الخاتم من يده وفي ذلك

الـوقت وصل رسـول الله (ص) وسأل ذلـك السـائـل عـما حـدث وقـرأ آيـة الولاية الشريفة[1] .

بعض الكتـاب والمفسرين ذكـروا ان قيمة هـذا الخـاتم كـانت تسـاوي خـراج الشامـات أوانه كـان ملكاً لاحـد المشركـين الاغنياء الـذي قتل بسيف الإمـام علي (ع) فـأخذ الإمـام منه ذلـك الخاتم الثمـين ولذلـك نزلت هـذه الآية .

والواقع انهم بعيدون جداً عن ادراك الموضوع فـالإمام عـلي (ع) أجل من أن يضع في يده خـاتماً يسـاوي عدة مـلايين مـع وجود الفقـراء والجياع في المـدينة مـع العلم ان الناس في زمـان القحط والحاجـة يصنعـون الاختـام من العـاج فلا يـوجد عنـدهم حتى الفضة ، ويمكن أن يكـون الخـاتم من العقيق ولكن هؤلاء يريدون بـذلك ان يـرفعوا من شـأن الإمام عنـدما يقـولون ان في يد الإمام خاتماً يساوي عدة ملايين .

لم يحتفظ بالفراش الذهبي حتى ليوم واحد :

وقد ورد في المجلد السادس من بحـار الأنوار ان سلطان الحبشـة الذي كـان مسلماً في الخفاء اهـدى الى رسول الله (ص) مجمـوعة من الهـدايا ومنهـا سـراجاً الى المسجـد وفـراشـاً مـطرزاً بـالـذهب الى رسـول الله (ص) ولكن رسول الله (ص) اعطى الفراش لعلي (ع) فجاء به غـداً الى السوق ليبيعـه ولكنه لم يجد له مشترياً لغلائه فلم يكن أحد يستـطيع شـراءه ولذلـك صمم الإمام علي (ع) ان يقطعه الى قطع صغيرة وبعـد ذلك بـاعه ووزع ثمنـه بين

---

(١) « انمـا وليكم الله ورسولـه الذين آمنـوا الـذين يقيمـون الصـلاة ويؤتـون الـزكـاة وهم راكعون » .

(سورة المائدة آية ٥٥ .

الفقراء بحيث أنه عندما رجع الى بيته لم يكن معه ولا درهم واحد .

كيف كان لدى الإمام (ع) خاتم يساوي الملايين مع انه لم يحتفظ بالفراش الذهبي ليوم واحد فكيف يحتفظ لنفسه بخاتم ثمين كهذا وبعد ذلك يعطيه الى فقير واحد ؟!

هذا خلاف العدالة وهو أن يحتفظ لنفسه بمثل هذا الخاتم مع وجود الفقراء والمحتاجين في المدينة ولكن هذا الكاتب لما رأى نزول آية الولاية بحق الإمام تصور ان الخاتم لا بد وان يكون ثميناً في حين انه لا يعلم ان ذلك لا يعود الى العمل بل يعود الى النية وصدق الإمام علي (ع) وإلا فإن ذلك الخاتم كان كسائر الاختام التي في ايدي الناس .

نتعلم من الإخلاص في العمل :

قضيته المشهورة مع عمرو بن عبد ود والتي سمعتم بها ، فعندما اراد الإمام أن يحتز رأسه بصق عمرو في وجه الإمام (ع) أهانة له فما كان من الإمام الا ان قام من على صدره وأخذ يتجول قليلاً وبعد لحظات رجع واحتز رأسه . وينقل عن الإمام (ع) أنه قال ما مضمونه أنه في تلك اللحظة خشيت أن يكون غضبي لنفسي عندما احتز رأسه وأنا أريد أن يكون غضبي لله فقط . ومن المعلوم ان تغيير الحالة في حالات الغضب مهمة جداً لازالة الغضب .

ولذلك قال رسول الله (ص) : ضربة على يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين .

وكل شخص يحصل على جزاء عمله بما نوى من ذلك العمل ، فإن اراد الدنيا كأن يتصدق حتى يزداد ماله او يدفع عنه البلاء فمن المحتمل أن يصل الى ما يريد ، ولكن ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن**

فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾[1] .

اجعل اسمه مسجد بهلول :

هنـاك الكثـير من الأشخـاص الـذين يسعـون لـطلب الـدنيـا ليـل نهار ولكنهم لا يصلوا إلـيهـا ، فـما اكـثر الاشخـاص الـذين يسعـون الى زيـادة اموالهم او يصلوا الى مقام دنيوي ولكن لا يصلوا اليه .

يـقـال ان هارون الـرشيد كـان يبني مسجداً فمـر عليـه بهلول وقـال مـاذا تصنع ؟ فقـال هـارون : أبني مسجـداً لله . فقـال بهلول : الا يمكن أن تجعـل اسمه مسجـد بهلول ؟ فقال : أنـا اعطـي الأمـوال واتعب وبعد ذلـك اجعله بـأسمـك ؟ فقـال بهلول : اذاً لماذا تقـول انني ابني مسجـداً في سبيـل الله ؟ بـل ينبغي ان تقـول انني ابني مسجـداً ليقـول النـاس ان هـارون بنى مسجداً .

وفي ايام الثورة كان هناك الكثيرون الذين جاهدوا ضـد النظام السـابق وسجنـوا وعـذبـوا او لاقـوا من المصاعب في سبيـل الثـورة ولم يكن يعلم أن عملهم كـان لله ام لا ، وبعـد ذلـك اتضـح ان البعض يـريـد عليـه اجـراً ويعتـرض بـأنني جـاهـدت الـطاغـوت ودخلت السجن وبعـد ذلـك تقـدم الشخص الفلاني علي ؟

وهنا يتضح انـه لم يكن لله وإلا فلماذا هـذا التأثـر والغضب اذا كان لا يـريـد مقـامـاً او مـالا مقـابـل العمـل الخـالص ؟ اذاً كـان عملهم لاغـراض وامـراض دنيويـة . ان مجرد تـوقع الأجـر الدنيـوي على العمـل يكفي لسلب الاخلاص من ذلك العمل .

---

(١) سورة الاسراء آية ١٩ .

الرياء المتأخر مبطل ايضاً :

بعض الفقهاء يذهبون في باب النية ان الرياء المتأخر مبطل للعمل ايضاً كما هو حال الرياء المقارن ، يعني كما ان الرياء اثناء العبادة مبطل فكذلك الرياء بعدها حيث يوجب بطلان العمل .

مثلا لو صلى صلاة الليل وبعد ذلك أبلغ بعض الاصدقاء ان الله سبحانه وتعالى قد وفقني الى ذلك العمل قاصداً بذلك الرياء فسوف يحبط عمله فينبغي للمؤمن أن يكون على حذر شديد من حبط العمل فهناك بعض الآفات التي تصيب الاعمال الحسنة فتحبطها ، فهو كالفلاح الذي يتعب أشهراً على الزرع ولكنه في وقت الحصاد يتلف الثمار بالقاء السموم ، فالويل من اصابة العبادات بالآفات .

ومن جملة الامراض التي تصيب العمل هو الحسد ، فالحسد كالحشرة التي تأكل أعمدة الخشب من الداخل حتى تنهار فجأة ولا يفترق في ذلك المجتهد عن العابد الزاهد « ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » كما روي ذلك عن رسول الله (ص) .

والويل من الحسد اذا أصاب العالم فانه لن يتركه مالم يجعله جهنمياً فتذهب اتعابه طيلة سنوات عديدة ادراج الرياح .

اولئك الذين يحسدون امام الأمة :

ومع انهم يعرفون إمام الامة وأنه استاذ في علم المعقول والمنقول وأنه لا نظير له في الزهد والتقوى إلا أنهم يحسدونه على أنه تقدم عليهم فماذا يمكن أن يصنع مع هؤلاء ؟

أيها المنافقون ، انصفوا قليلاً واسمعوا قول القرآن المجيد حيث يقول : ﴿ **أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون** ﴾[1] .

هل ان إمام الأمة اولى بالاتباع أم رجوي ؟ ام بني صدر الذي لا يعلم ماذا درس ؟ انه لا يعلم الفاظ القرآن الكريم ، ويذكر احد الفضلاء انه في كتابه التضاد والتوحيد هناك ثلاثون آية من القرآن قد فسرها خطأ فهو لا يعلم شيئاً من التفسير ولا من الفقه ولا من علم الكلام ومع ذلك يدعي ان له مائة وثلاثين علماً ولا نعلم اين درس كل هذه العلوم ؟ ومع ذلك يفضلونه على امام الامة ! فهل يجعل انسان عاقل بني صدر اماماً له مع انكم رأيتم وسمعتم انانيته وغلبة اهوائه النفسية ؟ هذا هو كفر الجحود .

﴿ **أفمن يهدي الى الحق** ﴾ ، هل ان ذلك المقيم في جماران أحق بالاتباع أم ذلك الذي هرب بالامس الى باريس ؟

ان كل هذا الانحراف يقع مورداً للمؤاخذة والعذاب ، والانحراف هو انكار الحق بعد ظهوره واتباع الباطل بعد ظهور بطلانه .

التظاهرات بنية اطاعة ولي الفقيه عبادة :

ميزان الثواب الاخروي بيد الله ، أي أن العمل الذي يترتب عليه الثواب هو ما كان اطاعة لأمر الله الا النفس والهوى فإن أفضل الاعمال اذا صدر عن النفس والهوى سيفقد قيمته ، وأقل الاعمال اذا كان مع الاخلاص وكان اطاعة لامر الله يكون له قيمة يوم القيامة .

---

(١) سورة يونس الآية ٣٥ .

قبول ولاية الفقيه يعني عدم التصرف الا بأمر من الفقيه وعدم التكبر على القانون وان يطيع ولي الأمر ، وكونوا على يقين تام ان كل شخص يخرج في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك « يوم القدس » ويشترك في المظاهرات اطاعة لأمر نائب امام الزمان (عج) وينادي بالموت لاسرائيل والموت لامريكا ، فإن في كل خطوة له حسنة .

فالميزان هو اطاعة الأمر لا نفس الخروج والمسير وتحمل حرارة الشمس ، فلا تعمل عملا من عند نفسك فإن في كل خطوة يخطوها الانسان اطاعة لولي الأمر اجر عظيم ولكن مسيرة عدة كيلو مترات اطاعة للنفس والهوى لا قيمة لها .

احسن الاعمال تصير سيئة بسبب الجهل :

كم من عباداتنا كتبت سيئآت ، كل عبادة فيها رياء تكتب من الذنوب ، ولو انك انفقت الأموال وبذلت الطعام يوم عاشوراء ليذكر اسمك فهل تتصور انك حصلت على الثواب ؟ ماذا فعلت للحسين (ع) ؟

كل عمل يصدر عن اطاعة لولاية الفقيه فقليله كثير ، فمثلا لو كان هناك مريضان احدهما يفكر بعقله ويقول أنا اذهب الى الطبيب واطلب منه ان يعالجني لاشفى من المرض .

والثاني يقول انا لي تجربة في الطب وقد كان ابي طبيباً فلا احتاج الى طبيب آخر وسأسعى الى العمل بتجاربي وهكذا يتناول اموراً مضرة له وتزداد حالته سوءاً .

اذا تناول افضل الادوية من دون ارشاد الطبيب فعمله خطأ ، فأفضل الأعمال تصبح سيئة .

اهانة العلماء بتحريض من المنافقين :

هنـــاك اشخـاص يحسبـــون انفسهم من المصلين والصـــائمـــين ولكنهم يعينون بني صدر ، فما اكثر سيئاتهم التي يتخيلون انها حسنات .

في العـام الماضي وقبـل تسعـة او عشـرة اشهـر كنت اعتـرض عـلى بني صدر في خطبة الجمعة بـالكتابـة في بادىء الامـر واخيراً بـالتصريـح بذلـك ، ولكن البعض كـان يعترض عـلى ذلك ويقـول لماذا تسعى الى تضعيف رئـاسة الجمهورية ؟! . . .

﴿ قـل هل انبئكم بـالاخسرين اعمـالا ، الذين ضـل سعيهم في الحياة الـدنيـا وهم يحسبـون انهم يحسنـون صنعـاً ﴾[1] كـالشخص الـذي يتعـرض للمرحوم البهشتي بالاهانـة والتهمة ومن النـاس من يتبعه عـلى ذلك ويتصـور انـه شيء حسن ، هؤلاء من اخسر النـاس واضلهم وهم الـــذين يسيـرون في طريق الشر ويتصورون ان اعمالهم حسنة .

أيـهـا الاشخاص الذين تتهمون السيـد البهشتي لا تقبلوا كلام المنـافقين وتحريضهم انكم تعملون من عند انفسكم وكل عمل تعمله بـدافع منـك فلا أجر لك عليه وقد يكتب من سيئاتك أحياناً .

ولكن اذا كـان عملك اطاعـة لولي الأمـر فحينئذ يتـرتب عليه الثـواب والأجـر ، وقد رأينـا في السنوات المـاضية الخيـرات الكثيـرة التي اصبحت من نصيب هذا الشعب نتيجة اطاعته لولي الأمر .

---

(١) سورة الكهف ١٨ الآية ١٠٤ .

يحبطون خدماتهم الماضية :

ومن جملة الأمور التي تحبط الاعمال والخدمات الماضية هو انكار الحق ، فهناك اشخاص قد سعوا في الماضي لنشر الإسلام واسقاط حكومة البهلوي ولكنهم الآن خرجوا عن طاعة الإمام وبذلك تذهب خدماتهم الماضية هدراً .

لقد قرأت زينب عليها السلام آية من القرآن عند باب الكوفة ، وأنا أقرأ هذه الآية لاولئك الاشخاص الذين كانوا مسلمين في السابق وقدموا خدمات للإسلام ولكنهم اعتزلوا الساحة الآن .

بكاء أهل الكوفة مقابل زينب (ع) :

نظرت زينب عليها السلام الى جموع الناس عند بوابة الكوفة حيث كانت تتقدمهم الرؤوس على الرماح وخلاصة الامر انهاخطبت فيهم « هل تعلمون انكم مزقتم كبد رسول الله (ص) ارباً ارباً . . . » فأرتفع البكاء والنحيب من رجال ونساء أهل الكوفة .

وعند ذلك قالت زينب عليها السلام « يا أهل الخطر اتبكون . . . وانما مثلكم كمثل التي نقضبت غزلها من بعد قوة انكاثاً » .

والآية تذكر قصة امرأة في أيام الجاهلية وقبل الإسلام ناقصة العقل وكان لها اموال طائلة فكانت تغزل هي وامائها الصوف ويحركونه من الصباح الى الليل ويستمرون على هذا الحال لمدة اسبوع ثم تأمرهن بنقض الغزل والنسيج فيعود كما كان أول الأمر .

لا تنقضوا غزلكم :

القرآن الكريم يخاطب المسلمين لا يكونوا كذلك كالأشخاص الذين دخلوا السجن في النظام السابق والآن يقولون نحن صنعنا الثورة وتقدم علينا آخرون ، وأن الإمام يخطىء ويقرب إليه الشخص الفلاني والفلاني !

لماذا دخل السجن ؟ هل انه كان للإسلام ام لاغراض أخرى ؟ فإذا كان لأغراض اخرى فلا شيء له عند الله ، ولو صدرت منه كلمة واحدة بقصد اهانة امام الأمة فسوف تحبط جميع خدماته السابقة .

أيها المسلمون : **﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ﴾**[1] .

فلقد صمتم شهر رمضان ودعوتم وحضرتم صلاة الجماعة فلا تحبطوا اعمالكم بعد ذلك .

---

(١) سورة النحل الآية ٩٢ .

(٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾[١] .

المستضعف القاصر والمستضعف المقصر :

كان خلاصة الكلام في الايام السابقة يعود الى الثواب والعقاب الاخروي في مقابل العقائد والاعمال ، فبالنسبة الى العقائد قلنا اذا مات الإنسان وهو مؤمن فسينال الثواب الاخروي الذي هو الخلود في الجنة ،

(١) سورة النساء الآية ٩٩ .

والإيمان هو الاعتقاد بوحدانية الله وخاتم الأنبياء والمعاد بحيث تستقر هذه العقيدة في قلبه وتدفعه إلى العمل .

وأما لو مات بدون ايمان فهل يخلد في العذاب ؟

أجل ، ولكن اذا كان مقصراً لا قاصراً وهذا المعنى نفهمه من الآية الشريفة التي قرأناها قبل قليل ، فالأية تصرح على أن الملائكة عندما تقبض ارواح الظالمين لأنفسهم يقولون لهم اين كنتم في هذه المدة من العمر ولماذا أعرضتم عن عبادة الله ومعرفة حلاله وحرامه ؟

فيقولون كنا مستضعفين في الأرض ، ولعله من ناحية المكان كأن يكونوا في مدينة يسيطر عليها أعداء الإسلام فلم يكن بأمكانهم تحصيل المعارف الدينية . فيقول الملائكة لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا الى مدن اسلامية وتتعلمون مسائل واحكام دينكم ؟

المريض يسعى الى الطبيب والدواء :

فلو لم يكن في مدينتكم عالم كان بأمكانكم الذهاب والسفر إلى مدينة اخرى فتتعلمون فيها أحكام الشريعة .

لا بد أن يذهب المريض إلى الطبيب ويطلب منه الدواء . . .

هناك الكثير من القرى التي تفتقد عالماً دينياً وعندما يقال لهم لماذا أنتم جاهلون بمسائل الدين ؟ فيقولون لم يأتِ إلينا أحد . . .

لماذا لم تعملوا بآية من القرآن وهي : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ فلو لم يعملوا بهذا الواجب فالمسؤولية تقع على الجميع .

القرية التي ليس فيها عالم كالمقبرة فكما أنكم تصرون على بناء مستوصف أو طلب طبيب فلماذا لا تطلبوا عالماً كذلك ؟ لا بد أن يسافر شخص أو اشخاص منكم الى المراكز الدينية لطلب العلم .

قبل عدة سنوات أتممنا الحجة ، فنحن نستقبل من يريد طلب العلم فيتعلم العلم لسنوات معدودات ثم يرجع إلى أهله ، الويل للقرية التي ليس فيها عالماً دينياً ، هذه القرية تكون اشبه شيء بالمقبرة .

القرية التي لا تقام فيها صلاة الجماعة ولا يسمع فيها الآذان مقبرة ، لا عذر لكم لعدم وجود العالم ، فكيف تسعى الى تأمين معاشك واشباع بطنك ولا تسعى الى دينك ؟ فكما أن المريض يسعى الى الطبيب فكذلك لا بد من السعي الى الطبيب الروحي .

اذا اعتذرت غداً بأنه لم يكن لدينا عالم فسوف لا يقبل لك عذراً ويقال لك ﴿ **ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** ﴾ لا بد وان تذهبوا الى العالم الديني وتتعلموا منه احكام دينكم .

قبح العقاب بلا بيان :

وهذا باستثناء من فقدوا الوسيلة أو كان ادراكهم ناقصاً ، فنحن نقول بشكل عام ان كل من كان له طريق إلى الإيمان ومات كافراً فهو مخلد في العذاب فأما إذا كان مستضعفاً واقعاً ولم يكن له وسيلة فهو معذور ، فما أكثر الاشخاص في الصين وافريقيا الذين لم يسمعوا بأسم الإسلام فهؤلاء لا يعذبون لعدم اسلامهم ، ويصطلح على ذلك ﴿ قبح العقاب بلا بيان » .

وأما بالنسبة الى الاعمال فقد قلنا ان الميزان في الآخرة للعمل شيء آخر وهو أن يكون العمل في سبيل الله وليس الميزان هو الكثرة .

فإذا عمل الكافر خيراً وكان في مقابله مال ، كما لو اخترع او اكتشف شيئاً وطلب مالا مقابل ذلك فإن حسابه سينتهي في هذه الدنيا . وأما لو لم يطلب على ذلك الاختراع او الخدمة مالا وإنما كان ذلك لخدمة البشرية مثل حاتم الطائي ولم يكن ذلك العمل لله لان المفروض انه لا يؤمن بالله . .

حاتم يعطي فرسه ايضاً :

لم يكن حاتم الطائي مؤمناً بالله ، ولكن كانت له صفة حسنة وهو انه لا يرد سائلاً حتى نقل ان القحط اصاب قبيلته فلم يكن لحاتم وعائلته شيء يأكلونه فناموا وهم جياع .

فلما انتصف الليل جاءه سائل ووقف على باب داره وقال انا من القبيلة الفلانية وقد اصابنا القحط الشديد وقد وعدتهم ان اذهب الى حاتم فلعله يدبر لنا امراً .

ومع ان حاتم لم يكن له شيء سوى فرس عربية اصلية التي لها قيمة كبيرة عند تلك القبائل ولكنه أرسل فرسه مع ذلك السائل ليذبحونها . لم يكن حاتم الطائي يتوقع شيئاً مادياً او معنوياً في مقابل هذا الكرم وكذلك لم تكن له عقيدة بالله .

الكرم يكون حجاباً لنيران جهنم :

طبقاً للكثير من الروايات ان هذا القسم من اعمال الخير سيؤثر حتماً مخصوصاً بالنسبة لحاتم الطائي ، لأن الجنة مختصة بالمؤمنين فلا مجال له فيها ولكن عمله سينفعه في جهنم حيث يقول يحول بينه وبين النيران ، وهكذا

نجد أن عمل الخير لا يضيع ، وسوف يعطيه الله عز وجل ثوابه في الدنيا او يكون سبباً لتخفيف العذاب عنه ولو نسبياً في الآخرة .

اذاً فلو لم يكن للكافر غرض دنيوي أو أخروي في مقابل عمله فسوف يرزقه الله الثواب على ذلك العمل .

مقدار الثواب :

وأما مقدار الثواب فلا أحد يعلم ميزان للثواب على عمله ، ولكن هناك روايات تقول ان العمل الفلاني له كذا اجر ، مثلا دعاء « اللهم ادخل على اهل القبور السرور » اذا قرأه المؤمن غفر له ذنوب أربعين سنة ، فهذا القسم من الروايات يعود إلى المرتبة الكاملة لقراءة هذا الدعاء .

ان مقدار الثواب يختلف باختلاف القارىء وحضور قلبه ، فهناك الحسنة الواحدة الى ملايين الحسنات فكيف تتصور ان لك المرتبة الكاملة للثواب والحال أنه لو غفر لك ذنب واحد فإنه يعتبر توفيقاً ، وكذلك ثواب مائة شهيد على من صلى ركعتين . . .

بعض الحمقى يصلي ركعتين وينتظر نزول الملائكة عليه واستجابة دعائه فوراً ! هل تتصور ان قولك في زيارة عاشوراء « يا ليتني كنت معكم . . » تعود اليك ، وإنه كل من قرأ هذه العبارة يكتب له ثواب شهداء كربلاء ؟

زيارة عاشوراء وجبهات القتال :

نحن عندما نقول « يا ليتني كنت معكم فافوز فوزاً عظيماً » لا بد أن

نقول معه إلهي ثبتني ولا تفضحني ، اذا كانت قضية كربلاء واقعة في هذا الزمان فهل كنت تذهب ؟

والآن تعتبر جبهات القتال مورداً للامتحان ، فما اكثر الاشخاص الذين يستطيعون القتال ولكن لا يذهبون الى القتال !

ماذا تختلف الحالة ؟ لقد كان القتال في ذلك الزمان لأجل الدين واليوم ايضاً كذلك ، كان يزيد يقاتل الحسين في ذلك الزمان واليوم العدو . . . في ذلك اليوم وقع الظلم على الحسين واليوم وقع على ذرية الحسين .

اجل ، لو كان يوم عاشوراء يحدث في هذا الزمان لرأينا هؤلاء المقاتلين الاعزاء يهبون لمعونة الحسين ، فلو قال احدهم : يا ليتني كنت معكم . . فانه يحصل على ثواب الذين استشهدوا في كربلاء ، ولكن لو كان كهذا الشخص الذي سوف نتحدث عنه فلا يمكن أن يتوقع الحصول على ذلك الثواب .

ينهزم من كربلاء في المنام :

كان احد الرفقاء الذي كان يحضر صلاة الجماعة في المسجد الجامع لسنوات عديدة وقد توفي الآن كان يقول إنَّ الله سبحانه وتعالى قد فضحني امام نفسي فقد كنت اقول مراراً (يا ليتني كنت معكم) وكنت اتصور أنه يكتب لي ثواب شهداء كربلاء .

وفي أحد الليالي رأيت في المنام حادثة كربلاء كما يرويها أهل المنبر فقد كان جيش الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ وجيش ابن سعد متقابلين فذهبت نحو خيام الحسين فلم يمانعوا وصرت كأحد اصحاب الحسين .

وفي ذلك الوقت تقدم بنو هاشم واحداً واحداً الى ميدان القتال وقد

كنت خلف الإمام الحسين عندما برز القاسم بن الحسن الى القتال فقاتل الى أن وقع من على ظهر جواده ، فقلت في نفسي الآن يأمرني ابا عبد الله (ع) بالتقدم إلى ميدان القتال وتكون النتيجة ان اقتل ، عند ذلك حاولت ان اتنصل وانسحب قبل أن يراني الحسين فاخذت ارجع بهدوء وبعد ذلك اسرعت في الهرب الى درجة انني استيقظت من النوم من شدة الهيجان والسرعة .

التلاعب بالالسنة ممكن ، ولكن عند الامتحان يتضح من هو الرجل الذي يكون مستعداً للتضحية؟

بعد الانتباه من النوم يتضح الامر :

فمقدار الثواب بيد الله ، فلا تحسب لاعمالك حسابات وثواب من عند نفسك وإني حصلت على ثواب سبعين ألف حجة بزيارة واحدة الى مشهد وأني قد حصلت على الثواب الفلاني بركعتين من الصلاة ، فعندما تنتبه من النوم يتضح الأمر أن هذه الأخبار لا تتعلق بك .

نحن لا ننكر مثل هذه الروايات ولكن نقول ان حساب مقدار الثواب بواسطة نفس الشخص خطأ ، فالثواب يكون من الحسنة الواحدة الى سبعين الف حسنة وهذا مرتبط بقبول العمل ، ولا نعلم من أي المراتب ستكون أعمالنا ؟ فنحن نشكر اذا اعطينا حسنة واحدة ، فلا ينبغي أن يصيبنا الغرور .

مقدار الثواب بين صلاتين :

ويروى عن رسول الله (ص) أنه قال ما مضمونه : ان الرجلان يصليان سوية ويتمان سوية والحال أن المسافة بين صلاتيهما كما بين الأرض

والعرش ، فأحدهما تشبه الأخرى من حيث الظاهر ولكن الباطن شيء آخر لا نعلمه . نحن نقيم العزاء على الحسين والإمام الحجة بن العسكري يقيم العزاء عليه ، فلا تتصوروا أن أقامة العزاء من الجميع واحدة ، ولا يصيبكم الغرور فتتصوروا أن الأعمال التي تصدر منا لها اجر عظيم بل لا بد وأن يفعل الإنسان الخيرات بأمل أن يعامله الله بلطفه وكرمه ، تارة ينبغي أن يتوب الانسان من عباداته لأنها لم تكن خالصة ، فالموضوع دقيق جداً .

اذا فلو كان العمل مصحوباً بالإيمان والاخلاص فسوف يترتب عليه الثواب في الآخرة ، ولا يمكن لأحد أن يعين مقدار الثواب سوى الله .

وأما لو كان العمل الصالح خالياً من الاخلاص وكان لأجل الدنيا فإنه ينال اجره في الدنيا وإلا كان تخفيفاً عليه من العذاب .

الجاهل قاصر معذور :

وأما بالنسبة الى الذنوب فهل يختلف حال المسلم المذنب عن عابد الوثن المذنب ، أم لا ؟ وهل ان المذنب العالم يختلف عن المذنب الجاهل أم لا ؟

يجب البحث في هاتين الجهتين . فأما بالنسبة إلى الجهة الاخيرة وهي الفرق بين الجاهل والعالم فالجهل تارة يكون عن عذر ، يعني أنه لا يعلم بالحرمة واقعاً ولم يكن مقصراً في ذلك أو انه يكون مقصراً .

فإن كان مقصراً فسوف يعذب ، وأما لو كان قاصراً ، مثلا تزوج عن عمر ٥ أو ١٦ عاماً وبعد ذلك اتضح أن زوجته حرام عليه كان تكون اخته من الرضاع ، او عمل حراماً مع اخيه وبعد عدة سنوات علم انه حرام فهو غير معذب على تلك الأعمال السابقة لأنه لا يعلم بالحكم ، ولا يمكن أن

يقال لماذا لم يتعلم ؟ فإن الشخص الذي لم يمر على بلوغه سوى سنة واحدة لا يمكن الاعتراض عليه بأنك لماذا لم تتعلم جميع مسائل الدين ؟

وطبعاً ان كل مسلم لا بد وان يعلم احكام الدين عندما يبتلى بها ، فلو لم تكن تعلم بمسائل الحج ولم تكن مستطيعاً فإنه لا يقال لك لماذا لم تتعلم مسائل الحج ؟ ولكنك لو اصبحت مستطيعاً فإنه لا يقال لك لماذا لم تتعلم مسائل الحج ؟ ولكنك لو اصبحت مستطيعاً وجب عليك أن تتعلم مسائل الحج .

يجب تعلم الأحكام المبتلى بها :

فما لم تتزوج لا يجب عليك تعلم احكام النكاح ، ولكن اذا صارت مورداً للابتلاء فيجب ان تعلم أي النساء تحل لك وأيها تحرم عليك ، فالحذر من أن تكون هذه المرأة في العدة .

(الفقه ثم المتجر) فيجب اولا تعلم احكام البيع وبعد ذلك يمكنك أن تشتغل بالمعاملات وهكذا مسائل.الأكل والشرب وأي المأكولات والمشروبات حلال وأيها حرام .

يقال ان بيضتا الخروف تباع في السوق ، كيف حصل هذا في مدينة اسلامية ؟ الا تعلمون أن اكل البيضتين حرام ؟

والميزان في عقاب الاعمال كالميزان في العقائد وهو القصور والتقصير ، فلو ان احداً لا يعلم أن زوجته هي في الحقيقة اخته من الرضاع . وبعد ذلك علم بهذا الامر وانها حرام عليه فهو لم يرتكب اثماً ، وأما لو لم يتعلم الاحكام التي يبتلى بها مع تمكنه من ذلك فهو مقصر ومعاقب .

الذنوب التي ينهى العقل عنها :

وبالنسبة الى المقصر ايضاً هناك بعض الكفار المذنبين الذين لم يسمعوا بالإسلام ولكنهم ارتكبوا بعض الذنوب التي نهى العقل عنها .

فمثلا عابد الوثن القاصر الذي يسرق اموال الناس ، فمهما يكن هذا الشخص جاهلاً بحكم القرآن الا ان عقله يقول له لا تسرق .

وهكذا شرب الخمر فهو مذموم بحكم العقل او الحاق الاذى بالآخرين حتى الحيوانات ، فينبغي ترك مثل هذه الذنوب المذمومة بالوجدان والا فلا يكون الشخص قاصراً بل مقصراً .

ما هو مقصود المنافقين من الاغتيال ؟

فلو فرضنا ان المنافقين لم يعرفوا الإسلام ولكن كيف الامر بالاغتيال ووضعهم القنابل المتفجرة ؟ فهل يقبل وجدانكم بذلك ؟ اذا فالحجة عليكم تامة .

بالامس هجموا على احد المنازل فقتلوا افراد العائلة الذين كانوا جالسين على مائدة الافطار . . . أي حيوان مفترس يصنع مثل ذلك ؟ الحيوان المفترس يأكل الحيوان الضعيف عندما يكون جائعاً ، ولكنكم تدخلون الى بيوت المسلمين وتقتلوهم . . لماذا تصنعون ذلك ؟ لو انكم بعملكم هذا تريدون ارجاع رجوي فهذا من المحال .

لو ان الشاه استطاع الرجوع فرئيسكم ايضاً يستطيع الرجوع ، ولو انه رجع ـ وهو ما يريده الناس ـ فسينال جزاءه .

فالواجب على جميع الناس ان يخبروا المسؤولين بأوكار المنافقين ويتأكدوا من حال الاشخاص المشكوكين .

الجرم هو الميزان لا شخص المجرم :

اذا أذنب الشخص وكان مقصراً بذلك المعنى الذي ذكرناه فهو معذب ، ولكن هل هناك تفاوت بين المذنبين في العذاب ، كأن يكون احدهما مسلماً والآخر مشركاً ؟

بعض ضعفاء العقل من الشيعة يقولون لا بد من وجود تفاوت بين المسلم المذنب وبين المشرك ، فالمسلم المذنب اذا كان قد اعتدى على شخص ففي مقابل ذلك قرأ زيارة عاشوراء مثلا ، وإذا كان يشرب الخمر فقد كان ينفق الأموال ايضاً .

وليس لهذا الكلام اساس ومدرك وبرهان ، فالميزان عند الله هو نفس الجرم لا شخص المجرم ، لاحظوا قوانين الإسلام العادلة في الدنيا ، فكل شخص ارتكب جرماً فإنه يعاقب مهما كان مقامه أو نسبه ، فالزاني يضرب مائة جلدة حتى لو كان سيداً من ذرية رسول الله (ص) لأن الميزان هو الجرم لا شخص المجرم .

الله عز وجل عين للزنا مائة جلدة فلا دخل للنسب او العمر او المنزلة في ذلك سواء في الدنيا او في الآخرة كما هو صريح القرآن المجيد : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾[1] فالميزان في الدنيا كذلك .

لم تعمل بارشادات المتخصص :

فلا يقال : اذا كنت انا الشيعي المذنب اعاقب وكذلك يعاقب المشرك ايضاً ، اذاً فما الفرق بيني وبينه ؟ والجواب على ذلك أننا لو افترضنا وجود شخصين مريضين بمرض شديد فذهب احدهما إلى الطبيب المتخصص لطلب

(١) سورة المؤمنون ٢٣ آية ١٠١ .

العلاج فارشده ذلك الطبيب الى الدواء ولكنه لم يعمل بإرشاده فسوف يبقى على مرضه .

وأما الآخر فقال ان بعض العجائز افضل من هؤلاء الاطباء ، فذهب الى عجوز واعطته تلك العجوز مقداراً من الادوية والعقاقير العجيبة الغريبة فتناولها إلا ان حالته لم تتحسن ايضاً ، فلا يصح ان يقول الأول بأنني ذهبت الى طبيب متخصص وكتب لي الدواء وذلك الشخص ذهب الى عجوز غير متعلمة فلماذا كانت النتيجة واحدة ؟

لا أحد يقبل منه ذلك الكلام ، لأنك ذهبت الى طبيب متخصص للعلاج ولكن ما الفائدة اذا لم تعمل بإرشاداته ؟

الدفن في الأماكن المقدسة :

فيا من تدعي بأنك من الموالين للإمام علي (ع) ، وتدعي بأنك من المحبين للإمام الحسين اذا لم تعمل بما يقولون فلا يمكنك ان تعترض بعد الموت على العذاب ، ينبغي ان تكون عاملاً بأقوالهم وألا يكون حالك مع ادعائك هذا كحال المذنب الذي ليس له علاقة بالإمام علي (ع) والحسين (ع) . ان حالك وانت تعتقد بالله ولا تعمل بأوامره كحال ذلك الشخص الذي لا يعتقد بالله ولا يعمل بأوامره ، وأنتما من حيث عدم العمل سواء .

قبل فترة اوصى احد المشهورين بالمعاصي وعمل الكبائر أن يدفن في حرم السيد شاه جراغ واعطى على ذلك مالاً كثيراً ، فهو يتصور انه بهذا العمل ـ أي بدفنه في الحرم المقدس ـ ستغفر جميع ذنوبه .

الشفاعة من الشفع ، وهي السنخية والمناسبة بين الشخصين فلو انك كنت تخالف الإمام بأعمالك فكيف تتصور أن ينتهي الامر بمجرد دفنك في الحرم في حين انك بعد الموت غير هذا اللحم والجلد ؟

جنازة الوزير في حرم موسى بن جعفر (ع) :

واذكر لكم قصة وهي في الواقع معجزة للتنوع في الكلام ، فقد وردت رواية في المجلد ١٢ من بحار الأنوار في حالات موسى بن جعفر (ع) وقد ذكرها الحاج نوري في كتاب دار السلام ايضاً ونذكرها هنا بشكل مختصر وهي ان احد خلفاء بني العباس من كان له نائب كبير الشأن في الدنيا من مماليكة الاعيان في ولاية عامة أحكم عليها سيطرته وكان ذا سطوة وجبروت فلما انتقل الى الله تعالى اقتضت رعاية الخليفة أن يقوم بدفنه في ضريح مجاور لضريح الإمام موسى بن جعفر (ع) بالمشهد المطهر ، وكان بالمشهد المطهر نقيب معروف مشهور له بالصلاح ، كثير التردد والملازمة للضريح والخدمة له ، قائم بوظائفه .

فذكر هذا النقيب انه بعد دفن هذا المتوفي في ذلك القبر بات بالمشهد الشريف فرأى في منامه أن القبر قد انفتح والنار تشتعل فيه ، وقد انتشر منه دخان ورائحة ونار ذلك المدفون فيه إلى أن ملأت المشهد ، وأن الإمام موسى بن جعفر (ع) واقف ، فصاح لهذا النقيب باسمه وقال له : تقول للخليفة يا فلان ـ وسماه بأسمه ـ لقد آذيتني بمجاورة هذا الظالم وقال كلاماً خشناً فاستيقظ ذلك النقيب وهو يرتعد فرقاً وخوفاً ولم يلبث ان كتب ورقة وسيرها منهياً فيها صورة الواقعة بتفصيلها ، فلما جن الليل جاء الخليفة إلى المشهد المطهر بنفسه واستدعى النقيب ودخلوا الضريح وأمر بكشف ذلك القبر ونقل ذلك المدفون الى موضع آخر خارج المشهد فلما كشفوه وجدوا فيه رماد الحريق ولم يجدوا للميت اثراً .

تقوية المناوئين للثورة لقتل العلماء :

انت تتخيل انك تعطي الف درهم لتدفن بالحرم وينتهي الأمر ! او

انك من ذرية الرسول (ص) فبامكانك ان ترتكب كل منكر . الله عز وجل يقول عن ابن نوح انه ليس من أهلك ، لانه كافر ومع ذلك فلم يرتكب ابن نوح ما ارتكبه بني صدر الذي يساند المناوئين للثورة والمعادين للإسلام ويحرضهم على قتل علماء الإسلام ومع ذلك يدعي بأنه من ذرية الرسول ! !

العمل في القانون الاسلامي هو الميزان سواء في الدنيا او في محكمة العدل الإلهية في الآخرة ، فلا تكن مغروراً بأعمالك وانك مثلا تقيم العزاء على الحسين عشرة أيام في السنة . . . لقد كان الشاه يقيم العزاء على الحسين كذلك ويقتل اولاد الحسين من جهة اخرى او يسجنهم ، أنا أقول ان هذا نوع من النفاق الذي هو اقبح من الكفر .

نفس هؤلاء المنافقين هم اشد خطراً من الكفار لانهم يحاربون الاسلام والمسلمين تحت لواء الاسلام .

لنحاسب أنفسنا :

تعالوا لنحاسب أنفسنا ونرى ماذا نصنع من هذا اليوم من شهر رمضان مع تلك الذنوب التي صدرت منا ، فغداً لا ينفعني ان اكون كربلائياً أو سيداً مشهدياً . . إذاً فماذا قدمت للآخرة في مقابل الذنوب ؟ واذا كان اجلي قد دنا فما هي الحسنة التي تقربني من الله ؟

اجل ، كما قال زين العابدين (ع) « الهي ان كان قد دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف إليك بذنبي وسائل عللي » .

اللهم اذا كان موتي قد قرب فاجعل شهر رمضان آخر عمري . الهي

ليس لي من العمل ما يقربني منك ومن أوليائك حتى ارجو شفاعتهم ، ولكن لي وسيلة واحدة وهي الاقرار بالذنوب ، الهي انا عبدك المسيء .

« انت المحسن ونحن المسيئون » ، فما اكثر النعم التي رزقنا اياها ولم نشكره على ذلك .

(٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

العدل هو ان لا تتهم الله :

ورد في كلمات امير المؤمنين (ع) في معنى العدل ان « العدل ان لا تتهمه » يجب على كل مسلم ان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله عادل ويطمئن الى عدله ، فإن الله عز وجل لم يظلم احداً وقد اعطى كل مخلوق ما يحتاجه .

والمعنى الآخر للعدل هو ان لا يصدر منه قبيح مطلقاً ، فكل ما صدر منه من المخلوقات صدر عن حكمة ومصلحة .

والثالث ان جزاء الأعمال يكون مطابقاً الى نفس الأعمال ، فلا يرتكب الظلم الا من كان جاهلاً أو عاجزاً ، وأما من يملك العلم والقدرة

فالظلم عليه قبيح .

العقل يحكم بان الله العالم والقادر المطلق لا يظلم لأن منشأ الظلم اما الجهل او العجز .

العدل في نظم الكائنات :

انظروا الى هذا العالم الوسيع ولاحظوا العدالة في نظم الكائنات ، فهذه النجوم تدور في مدارات معينة فلو تقدمت أو تأخرت عن مدارها قليلاً فسينهدم نظام العالم ، فمثلا المسافة بين الأرض والشمس (٩٠ مليون ميل) كما ذكر ذلك فلو ان المسافة كانت اقرب من ذلك لاحترقت الأرض ولو كانت أكثر لتجمدت .

ان مقدار الحرارة المتولدة من الشمس في الدقيقة الواحدة يساوي مقدار الحرارة المتولدة من (٦٧٩ مليون مليار) من الفحم الحجري فلو افترضنا ان المسافة بين الأرض والشمس كانت اقرب ـ مع الأخذ بنظر الاعتبار هذه الحرارة الشديدة المتولدة من الشمس ـ فسوف تحترق الأرض ولا يكون فيها مجال لحياة الكائنات ، مع العلم ان بعض الناس في بلاد الهند او مناطق اخرى قد يموتون من الحر في اشهر الصيف في السنوات التي تشتد فيها الحرارة فكيف الامر اذا كانت المسافة أقرب من ذلك ؟ واذا كانت المسافة ابعد من ذلك فإن الأرض تتجمد من شدة البرد ويستحيل بقاء الكائنات عليها .

عدل الله في عالم النباتات :

وانظروا الى عالم النباتات ، الإمام الصادق (ع) يقول لمفضل : فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء

والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة فإنه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الأرض ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقطف قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها (توحيد المفضل) .

والشيء الآخر أن البطيخ بما أنه يحوي ماء كثيراً فجعل مختصاً بفصل الصيف حيث يعطش الانسان كثيراً ، ولو جعل في فصل الشتاء لما كانت فيه تلك الفائدة .

اسنان مناسبة لكل حيوان :

وفي عالم الحيوانات ايضاً لا يمكن أن تحصى مظاهر العدل فيها ، ولنذكر اسنان الحيوانات كمثال على ذلك فقد جعل للحيوانات التي تلتقط الحب منقاراً فالدجاج والطيور لا تحتاج الى اسنان وإنما يكفيها المنقار الذي به تلتقط الحب وتكفيه حرارة معدته لهضم هذه الحبوب . وكما انه اعطى المنقار للطيور فقد اعطى الاسنان المناسبة للحيوانات التي تأكل العلف وكذلك الحيوانات التي تأكل اللحم والعظم ، فنلاحظ أن اسنان الماشية الامامية ضعيفة ولا تصلح الا لجر العلف الى الفم وبعد ذلك جعل لها الاسنان المسطحة والقوية في الجانبين التي بامكانها ان تمضغ العلف .

اسنان الكلب قوية الى درجة انها تقضم العظام مع شدتها ، وهكذا معدته العجيبة التي تهضم كل جسم صلب ما عدا المخالب ولذلك ورد في الشرع المقدس استحباب قص الأظافر يوم الجمعة وجمعها والقائها خارجاً ، بل انه يستحب أن تدفن الاظافر كما ورد ذلك عن الإمام الصادق (ع) عندما قلع سنه أوصى بأن يدفن معه ، والاسنان التي في المقدمة تفيد تقطيع الطعام ولذلك خلقت حادة .

العدل في الفك واللسان :

هل تساءلتم مرة أنه لماذا يتحرك الفك الاسفل عند الكلام أو الأكل فقط لا الفك الأعلى ؟ لأن في الفك الاعلى أجهزة وقوى متعددة فلو تحرك اثناء الأكل والكلام لتعسر الأمر على العين والاذن والمخ ، اضافة الى انه ثقيل فيتعب الانسان بسرعة عند تحركه ، ولكن الله عز وجل جعل الفك الاسفل هو الذي يتحرك .

وفي داخل الفم كان لا بد من وجود ملعقة تغير مواضع اللقمة فخلق الله اللسان الذي يقوم بهذه المهمة حتى اذا أصبحت اللقمة مهيأة للنزول للمعدة ساعد على ابتلاعها .

وكذلك نلاحظ السرعة التي يتنقل فيها اللسان بين الفكين ، فلو لم يكن كذلك لاصطادته الاسنان في كل لقمة عدة مرات وبعد مدة لا يبقى لسان في الفم ، وقد يتفق أن تعض لسانك بأسنانك بدون قصد فتتألم من ذلك كثيراً .

لا بد من قراءة كتاب (توحيد المفضل) حتى يتضح لك النظام والعدالة في خلق الاظافر والشعر والعظام وغيرها .

العدل في مقابل اعمال العباد :

ومن شؤون العدل الإلهي هو العدل في اعمال وافعال العباد التي كان الحساب عليها وفق نظم دقيق سواء علمنا أو لم نعلم .

عندما تخرج من المنزل في الصباح فإن كل حركة تصدر منك فإن العدل الإلهي يحصيها ، فالصدقة التي تعطيها للفقير تؤدي الى انقاذك من حفرة في جهنم ، وقد يتفق عند رجوعك الى البيت أن يقال لك أن ولدك كاد أن يسقط من سطح الدار الا انه لم يسقط والحمد لله .

ويروى أن امرأة كانت من بني اسرائيل ولم يكن لها سوى رغيف واحد ، فجاء سائل يشكو إليها الجوع فاعطته ذلك الرغيف ورجعت الى الحقل ووضعت ابنها جانباً وذهبت لتعمل فجاء ذئب وأخذ طفلها باسنانه ليأكله ، فظهر ملك بصورة انسان وأخذ الطفل من فم الذئب واعطاه الى أمه وقال (لقمة بلقمة) ، أي أن لقمة الذئب هذه عوضاً عن الرغيف الذي اعطيتيه لذلك السائل .

المحتال يخسر في المعاملات :

الاحتيال في المعاملات ايضاً يوجب الضرر لنفس الشخص المحتال كما ورد في الروايات أن اموال المطففين في الميزان والمكيال بأيدي الاجنة والشياطين ، فهو من جهة يعطي قليلاً ليربح ومن جهة اخرى تأخذ الشياطين امواله .

وأما اذا صدرت منك كلمة طيبة أو عملا صالحاً فإن آثار لطف الله وفضله سوف تشملك في الدنيا وبعد ذلك في الآخرة ، وقد وردت حكايات وقصص عديدة عن كبار العلماء والاخبار ولا بأس بالاشارة المختصرة الى بعض منها لازالة التعب والتنوع في الحديث .

انتظار سنة واحدة على احد الأعمال :

المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي يذكر في كتاب (سفينة البحار)

ويذكر الحاج نوري في كتاب (دار السلام) عن احد المؤمنين انه بعد وفاته شوهد في المنام فسئل عن احواله ، وبعد حديث طويل قال عندما كان الحساب كانت حسناتي وسيئاتي متساوية في الميزان وفجأة شاهدت كيساً من النور يهبط على حسناتي فرجحت كفة حسناتي على سيئاتي فقلت الهي ما هذا الذي اغاثني وانقذني ؟

فسمعت الجواب انك عندما كنت في الدنيا ذهبت الى تشييع جنازة المؤمن الفلاني وعند دفنه شاركت في حثو التراب على قبره ، فهذا الكيس النوراني هو ذلك التراب الذي حثوته على قبر المؤمن أجل ، فالقبر بمنزلة البيت الدائمي للإنسان ، فالشخص الذي يشارك في دفن المؤمن فكأنما بنى له بيتاً ابدياً ، وهكذا لو اعطى كفناً إلى ميت فكأنما اعطاه لباساً ابدياً الى يوم القيامة .

إنقاذ هِرة من البرد والمطر :

اجل ، الانسان يحاسب على جميع اعماله بميزان العدل الإلهي فعندما تسير في الطريق وترى زجاجاً مكسوراً أو شوكاً. يحتمل أن يؤذي قدم مؤمن فاسع الى رفعه من الطريق لتنال بذلك الأجر عند الله .

في إحدى المرات رأى عابد قطة تحت المطر في يوم من ايام الشتاء الباردة فحملها ووضعها تحت عباءته وذهب بها الى منزله فكان عمله هذا موجباً لقبول عباداته وزيادة حسناته .

أجل ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ ويظهر العدل الإلهي بوضوح للإنسان في ساعة موته ، فهو يرى لوح عماله وقد كتب عليه جميع عقائده واخلاقه واعماله .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة
(١)	
اهمية الصوم في الصيف	٨
التدين اهم من كل شيء	٩
حب الدنيا وسكرات الموت	١٠
يجب ان نستسلم عند الموت لارادة الله	١٠
السلامة من الذنوب في شهر رمضان	١٠
الذنوب المبتلى بها	١١
الشيوعيون والمنافقون ليسوا مسلمين	١٢

الموضوع	الصفحة
حرمة تزويج الكافر والمنافق	١٢
(٢)	
لماذا اختص مذهب الشيعة بالعدل	١٤
كيف تجتمع الشرور مع العدل	١٥
الله خالق الخير دون الشر	١٥
ليس في العالم شر مطلق	١٦
لماذا تقف امام السيل	١٦
الشر عرض وليس ذاتياً	١٦
خير الشيطان اكثر من شره	١٧

الموضوع	الصفحة
الشيطان خطيب الملائكة	١٧
الشيطان يتكبر	١٨
الامهال زيادة في السقوط	١٨
الهام الملائكة في مقابل وسوسة ابليس	١٩
وسوسة الشيطان لا تعني التسلط	٢٠
القلم بيد الاعداء	٢٠
حديث الشيطان مع اهل النار	٢٠
لقد كنت خادماً مطيعاً	٢١
المنحرفون عن الثورة اتباع الشيطان	٢٢
همة الزاهد في ترك الدنيا	٢٢
من باع آخرته بدنيا غيره	٢٣
التخريب لمصلحة امريكا	٢٣
انظر الى عواقب الامور من البداية	٢٤
خلق الشيطان والملك خير	٢٤
ثلاثة الطاف لبني آدم	٢٥
لا عذر مع انفتاح ابواب التوبة	٢٥
أليس لنا عمراً كافياً ؟	٢٥
ابليس يرجو من الله فيستجاب له	٢٦

(٣)

الموضوع	الصفحة
كيف يمكن تعليل النواقص في العالم	٢٧
اما الشرك واما الظلم	٢٨
عدم العلم لا يدل على عدم الوجود	٢٨
لا نعلم من اسرار البدن الا القليل	٢٨
الخير غالب في كل ما هو شر	٢٩
القتل ليس صفة ذاتية للعقرب	٢٩
لدغة العقرب علاج للفلج	٣٠
الشرور عرضية وبشروط خاصة	٣١
الغاية من كل موجود هي الخير	٣٢
انت الذي خدعت نفسك	٣٢
اذ كان عاقلا لم يكن يقبل الرئاسة	٣٣
صعود وسقوط بني صدر	٣٣
اغواء الشياطين وتهمة التعذيب	٣٤
ارشادات الامام في مقابل اغواء المنافقين	٣٥
هل خدعتك بقبور آبائك ؟	٣٥
مصلى . ولكن يساعد المفسد	٣٦

(٤)

الموضوع	الصفحة
لا عبث في افعال الله	٣٧
الاشاعرة ينكرون الحسن والقبح العقليين	٣٨
عقيدة الاشاعرة تستلزم الجبر	٣٨
المقاييس المتناسبة للابل وفق ميزان العدل	٣٩
الخفاش اللبون وحنان الام	٣٩
تفهم الاغراض بالعقل	٤٠
البلايا التي يسببها الانسان لنفسه	٤٠
البلاء علاج لامراض الباطن	٤١
المعيشة المرفهة لا تنسجم مع العبودية	٤١
النفس جموحة بطبعها	٤٢
البلاء يذكره بالله	٤٢

الموضوع	الصفحة

البلاء يكشف كذب الادعاء ٤٣
احب ان اكون عبداً ٤٤
ترجيح تشييع الجنازة على حفلة زفاف ... ٤٤
فراش المريض محل نزول الرحمة ٤٥
اطلب من المريض الدعاء ٤٦
قلة الثروة رحمة ٤٦
طلب العافية مع الصبر على المصيبة ٤٧
الدرجة التي نالها الحسين (ع) ٤٨

(٥)

كيف تتنافى الشرور مع العدل ٤٩
الشر بالعرض ملازم لعالم المادة ٥٠
نظام الطبيعة لا يقبل الاستثناء ٥٠
قدرة الدفاع في مقابل الخطر الطبيعي ٥١
الكلب والذئب في منتصف الليل ٥١
اذا اعطى المرض فقد اعطى الدواء ٥٢
نبات الصحراء دواء لامراض البشر ٥٢
سوء الاكل اوكثرته بسبب الانسان ٥٢
الصوم علاج شرعي للامراض ٥٣
الامراض التي تمنع امراضاً اشد ٥٣
رماد الجعل دواء لوجع العين ٥٤
الصدقة دفاع ضد الشرور ٥٥
اللهم عرفنا النعمة ٥٦
اللجوء الى المخدرات فراراً من القلق ٥٦
البهشتي يتخلص من المصائب ٥٧

الموضوع	الصفحة

هل حصلوا على نتيجة ؟ ٥٧

(٦)

البلايا دواء معنوي ٥٩
الفقر يمنع الطغيان ٦٠
العمل لسد الحاجة ٦٠
المرض يجلب الخضوع ٦٠
لماذا الموت ؟ ٦١
خلق الماء فلا بد من العطش ٦١
حب البقاء دليل على البقاء ٦٢
الهدف هو التكامل لا مجرد العيش ٦٢
الشيوخة ضعف جسدي وذهني ٦٣

(٧)

هل الانسان مختار في افعاله ام مجبور ؟ ... ٦٥
كيف يأمر الله بالقبح ؟ ٦٦
انظروا الى جهة النعمة ٦٦
واذا بشر احدهم بالانثى ٦٧
هو المعطى وهو الأخذ ٦٧
جواب الفلاح للسارق ٦٨
الجبر خلاف الوجدان ٦٩
ولكن مشيئة الله شرط لا علة ٦٩
يعطى القدرة للامتحان ٧٠
ارادتك وحدها غير كافية ٧٠

الموضوع	الصفحة
انت مسؤول على الارادة	٧١
علم الله يتعلق بالافعال الاختيارية ايضاً	٧٢
لا استقلال ولا آلية	٧٣
أريد حياته ويريد قتلي	٧٤
ابن ملجم جبري	٧٤
الخير بتوفيق الله والشر بخذلانه	٧٥
كفران النعمة يسبب الخذلان	٧٥

(٨)

الموضوع	الصفحة
التغير لازم لعالم المادة	٧٧
لا حياة خالصة من الدنيا	٧٨
الصراط بعدد الافراد	٧٩
جهنم تعرف المؤمن	٧٩
الصاعقة لا تعرف الحدود	٨٠
الحياة الاجتماعية في الدنيا	٨١
الآخرة حصاد ما تزرعه في الدنيا	٨١
الحياة الفردية في الآخرة	٨٢
سراج المؤمن يوم القيامة	٨٣
كن وصي نفسك من الآن	٨٣
كتاب الإمام (ع) الى شريح القاضي	٨٤

(٩)

الموضوع	الصفحة
الجزاء الدنيوي قائم على العدل	٨٥
الترحم على المجرم خطأ	٨٦
الاثر الوضعي نوع من الجزاء	٨٧
العذاب الاخروي يوم القيامة	٨٧
انواع العذاب الشديد	٨٧
غلبه الباطن على الظاهر في الآخرة	٨٨
علي (ع) يتألم لظلم يهودية	٨٩
قساوة نفوس المنافقين	٩٠
قلوب المؤمنين عطوفة	٩١
لماذا يعذب الطيبون ؟	٩١

(١٠)

الموضوع	الصفحه
مراعاة العدل في تشريع العدل	٩٣
التكليف بأقل من الطاقة	٩٤
سهولة التكليف في العبادات البدنية والمالية	٩٥
وضوء الجبيرة لرفع الحرج	٩٦
الاعتياد يسبب الصعوبة	٩٦
سقوط التكاليف الحرجية	٩٧
رعاية اليسر في الكفارات	٩٨
تجب رعاية العدل في القصاص	٩٨
اعتراض على لائحة القصاص	٩٩
الاعتراض على آية قرآنية بمنزلة الكفر	٩٩
معالجة السرقة لا تشجيع اللصوص	١٠٠
لماذا لم تشجبوا الجناة ؟	١٠١
الإسلام ينتصر بيد المستضعفين	١٠٢
الامداد الغيبي في الجبهات	١٠٢

(١١)

الموضوع	الصفحه
اجراء الحدود والاطمئنان القلبي	١٠٣

الموضوع	الصفحة
الموعظة غير كافية	١٠٤
الحكومة البريطانية والسرقة	١٠٥
الاعتماد في السرقة على اللص الأكبر	١٠٥
العقوبة اقل من الاستحقاق	١٠٦
رعاية العدل في كيفية اجراء الحد	١٠٦
اجراء الحد يمنع العقاب الاخروي	١٠٧
شدة العذاب في الآخرة	١٠٨
الاثر الوضعي كذلك	١٠٨
رأس الحية بيد طفل	١٠٩
قاتل المتوكل وسرعة الأجل	١١٠
طول الزمان في العالم الآخر	١١١
اتباع الموضة عند النساء	١١١
نتيجة المتاع الدنيوي	١١٢
استمرار النعيم في الجنة	١١٢
(١٢)	
الآخرة دار الجزاء	١١٣
السجن لثلاثمائة عام مع العقارب	١١٤
الملك والملكوت بالنسبة للاعمال	١١٤
رائحة الكذب تبلغ السماء	١١٥
استمرار المعصية يطفىء نور القلب	١١٦
الشكل الباطني للعمل يصحب الانسان	١١٧
اكل لحم الميتة بسبب حديث النفس	١١٨
رائحة فم الصائم احسن العطور	١١٨
انت رهين عملك	١١٩
قصة لطيفة عن موت احد الطلبة	١٢٠
ملكوت المال يتمثل للمحتضر	١٢٢
(١٣)	
الظاهر يفني والباطن يبقي	١٢٤
الندم لمخالفة امر الله	١٢٥
التوبة تلازم جبران مافات	١٢٥
القلب المحجوب يبقى كذلك	١٢٧
لا علاج للطبع الوحشي	١٢٧
روح الشامي تكشف عن المال	١٢٨
العداء للحق يقلب الباطن حيواناً	١٢٩
اذا صار انساناً	١٣٠
احتيال الدول الاستعمارية	١٣١
الميزان هو العقيدة والعمل لا الشخص	١٣٢
الحيوان لا يقتل بني جنسه ، اما المنافق	١٣٢
التوبة تزيل آثار الذنوب	١٣٣
النبي (ص) منبع الاخلاق الفاضلة	١٣٤
(١٤)	
هل ان الشفاعة تتنافى مع التوحيد والعبادات ؟	١٣٦
الحسين (ع) استشهد لاقامة الدين	١٣٧
استعارة قلادة من بيت المال	١٣٨
توبيخ الإمام لابن عباس	١٤٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة

الشفاعة لا تعني الوساطة بالباطل ١٤٠
للسادات عقابان ١٤١
الحسين (ع) ثار من اجل الامر بالمعروف ١٤٢
الشفاعة لا توجب الغرور ١٤٣
مع حب الإمام علي (ع) لا يكون الضرر ذاتيا ١٤٤
حب المال لا حب ابي الفضل (ع) ١٤٤

(١٥)

هل يصير مشركاً بمجرد القول يا محمد ؟ ١٤٦
هل ان الشفاعة تخصص جميع الاحكام ؟ ١٤٧
اشكالات اخرى على الشفاعة ١٤٨
الشفاعة تكون بأذن الله ورضاه ١٤٨
الشفيع يسعى الى المذنب ١٤٩
الرسول (ص) يؤمر بالشفاعة ١٥٠
الاستقلال في الشفاعة شرك ١٥٠
الشفاعة كالدواء في التأثير ١٥١
النذر والذبح لله ١٥١
الامة المرحومة مورد محبة الله ١٥٢
النبي (ص) يبحث عن زوار الحسين (ع) ١٥٣
كيف يصح التبعيض في الشفاعة ؟ ١٥٤
المستحب لا يعوض الواجب ١٥٤
معنى غفران ذنوب مائة عام ١٥٥
شرط عدم وصول السم الى القلب ١٥٦
اني اخاف عليكم من البرزخ ١٥٧
الاشخاص غير القابلين ١٥٨

(١٦)

لا ثواب الا بالعمل ١٦٠
خادم الاموال وليس خادم الحسين (ع) . ١٦١
محاربة الاسلام والتظاهر بالزيارة ١٦١
حصر الدين بالامور الظاهرية ١٦٢
معرفة الشعب الايراني وذكائه ١٦٣
اقسم بالعباس انني مسيحي ١٦٤
نداء الله اكبر يهزم امريكا ١٦٤
اغتيال الشخصية بدل اغتيال الشخص . ١٦٥
لا تتبعوا الشائعات ١٦٦
لم يدركوا الثورة الاسلامية ١٦٧
الخليفة في داخل الكيس ١٦٧
للكلب سبعة ارواح ... اما امريكا ... ١٦٩
الولاء للاسلام يلازم العداء للامريكا .. ١٦٩
هكذا تكون العبادة لله ١٧١

(١٧)

هل ان كل كافر في النار ؟ ١٧٣
الاحكام الظاهرية للاسلام والكفر ... ١٧٤
الاسلام الواقعي هو التسليم بالقلب ... ١٧٥
ايمان القروي والواعظ ١٧٦
هل يصح الحكم على الآخرين ؟ ١٧٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
		الميزان في الآخرة هو الاخلاص	١٩٥
ايهما افضل عند الله ؟	١٧٨	العمل الاحسن لا العمل الاكثر	١٩٥
الكافر المعاند مخلد في النار	١٧٩	الله يقبل العمل الخالص	١٩٦
عالم ولكن غير مؤمن	١٨٠	لا تمزق ثوبك بل حرك قلبك	١٩٧
القناعة وحب علي (ع)	١٨١	اصحاب الكهف في محنة	١٩٩
		الحصاد تابع للزرع	٢٠٠
(١٨)		٢٠	
		الثواب والعقاب	٢٠١
العذاب بعد اتمام الحجة	١٨٣	لا يتوقع الدعاء حتى من للسائل	٢٠٢
القصور والتقصير	١٨٤	حالة القلب هي المؤثرة	٢٠٢
اليهود والعقائد الباطلة	١٨٥	لم يحتفظ بالفراش الذهبي حتى ليوم واحد	٢٠٣
المسيح يحرق نفسه في جهنم !	١٨٦	نتعلم من الإمام الاخلاص في العمل	٢٠٤
يبيعون الجنة كأنها ملكهم الشخصي	١٨٦	اجعل اسمه مسجد بهلول	٢٠٥
الغلاة يقتلون بسيف الامام علي (ع)	١٨٧	الرياء المتأخر مبطل ايضاً	٢٠٦
الخيال ليس ميزانا للحقيقة	١٨٨	اولئك الذين يحسدون امام الامة	٢٠٦
سلطنة بهلوي ولعب الاطفال	١٨٩	التظاهرات بنية اطاعة ولي الفقيه عبادة	٢٠٧
العلم والتعلم بشرط الاخلاص	١٨٩	احسن الاعمال تصير سيئة بسبب الجهل	٢٠٨
العمل غير الخالص وبال على صاحبه	١٩٠	اهانة العلماء بتحريض من المنافقين	٢٠٩
صندوق التوفير عند الله	١٩١	يحبطون خدماتهم الماضية	٢١٠
		بكاء اهل الكوفة مقابل زينب (ع)	٢١٠
(١٩)		لا تنقضوا محزلكم	٢١١
الخلود في جهنم من صفة المعاندين	١٩٢	(٢١)	
اللهم ان كان هذا هو الحق	١٩٣		
غلبة الهوى على قبول الحق	١٩٣	المستضعف القاصر والمستضعف المقصر	٢١٢
هل ان المخترعين من اصحاب النار ؟	١٩٤	المريض يسعى الى الطبيب والدواء	٢١٣
هل ان الميزان هو الكمية او الكيفية او	١٩٤	قبح العقاب بلا بيان	٢١٤

الموضوع	الصفحة
حاتم يعطي فرسه ايضاً	٢١٥
الكرم يكون حجاباً لنيران جهنم	٢١٥
مقدار الثواب	٢١٦
زيارة عاشوراء وجبهات القتال	٢١٦
ينهزم من كربلاء في المنام	٢١٧
بعد الانتباه من النوم يتضح الأمر	٢١٨
مقدار الثواب بين الصلاتين	٢١٨
الجاهل القاصر معذور	٢١٩
يجب تعلم الاحكام المبتلى بها	٢٢٠
الذنوب التي نهى العقل عنها	٢٢١
ما هو مقصود المنافقين من الاغتيال	٢٢١
الجرم هو الميزان لا شخص المجرم	٢٢٢
الدفن في الاماكن المقدسة	٢٢٣
جنازة الوزير في حرم موسى بن جعفر (ع)	٢٢٤
تقوية المناوئين للثورة لقتل العلماء	٢٢٤
لنحاسب انفسنا	٢٢٥

(٢٢)

الموضوع	الصفحة
العدل هو ان لا تتهم الله	٢٢٧
العدل في نظم الكائنات	٢٢٨
عدل التيه في عالم النباتات	٢٢٨
اسنان مناسبة لكل حيوان	٢٢٩
العدل في الفك واللسان	٢٣٠
العدل في مقابل اعمال العباد	٢٣٠
المحتال يخسر في المعاملات	٢٣١
انتظار سنة واحدة على احد الاعمال	٢٣١
انقاذ هرة من البرد والمطر	٢٣٢
الفهرس	٢٣٣